الفتنة الطائفية في أرض النيل وعلاجها من القرآن والإنجيل

محمد السيد عبد الرازق



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : الفتنة الطائفية في أرض النيل

وعلاجها من القرآن والإنجيل

المـــــــؤلف : محمد السيد عبد الرازق

الطبعة الأولى 2012



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران]

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله... وبعد.

إن قضية الاحتقان بين المسلمين، والنصارى في مصر تمثل انزعاجاً كبيراً لدى كل من يعنيه استقرار، وأمن مصر، وقد بذلت جهات عديدة جهوداً كبيرة لمحاولة رأب هذا الصدع، والعمل على تهدئة التوتر، والاحتقان الذي يُطل برأسه بين الحين، والآخر، إلا أنه وللأسف الشديد جاءت هذه الحلول على شكل مسكنات تنتهي بنهاية المفعول، ويعود العرض كما كان، ومن هذه الحلول ما وُضع دون دراسة، أو صدر من غير المتخصصين ممن لا يدركون حقيقة الأديان، فكانت هذه الحلول سبباً في زياد عملية الاحتقان.

وبعد سقوط النظام بعد أحداث25 يناير2011م، وبعد أن تابع الجميع حجم الفساد الذي كان ينخر في مؤسسات الدولة انطلقت المظاهرات الفئوية التي لم تراع ظروف مصر الراهنة، وكان للنصارى في الخارج، والداخل دور في المطالبات، وانضم إليهم بعض العلمانيين، والليبراليين مما أثار حفيظة المسلمين، وفتحوا جروحاً كنا نظن أنها اندملت، ومما زاد من المرارة ما حدث في قرية صول[1]، وما أعقب ذلك من تظاهرات، ومصادمات سقط فيها بعض القتلى، ومئات المصابين في محاولة بعض النصارى اقتحام ماسبيرو، وفي الجانب الآخر اعتصم عدد ليس بالقليل من التيارات الدينية، والحقوقية أمام مجلس الوزراء، وفتحوا ملف وفاء قسطنطين، وكامليا شحاتة اللاتي أسلمن، وسلمهن النظام البائد للكنيسة، ورغم تدخل بعض العقلاء من الجانبين لتهدئة الأوضاع، وإعادة الأمور إلى نصابها إلا أن هناك من يزكي هذه الأحداث، ولا يريد لبلدنا أمناً، واستقراراً، وبعد أن كان سقف المطالبات يقف عند إعادة بناء الكنيسة رأينا من يقحم المادة الثانية من الدستور في القضية، ويطالب بحذفها من دستور البلاد في وقاحة، وانتهازية ليس لها نظير.

(1)التابعة لمركز أطفيح بحلوان.

وقد أطل بعض أقباط المهجر على هذا المشهد الدرامي فأدلوا بدلوهم، وانطلق دعاة الفتنة عبر بعض الفضائيات المغرضة كقناة الحقيقة التي ليس لها من اسمها نصيب، والتي تريدها حرباً لا تبقي ولا تذر، وأحمد الله تعالى أنها لا تبث عبر القمر العربي: NileSat- أو Arabsat وإلا لكانت النتيجة لا يحمد عقباها، وانتقل الأمر من الفضائيات إلى الشبكة العنكبوتية التي أصبحت مرتعاً لهواة الصيد في الماء العكر فأنشأوا المواقع، وغرف الشات، وشنوا حرباً لا ينقصها سوى الطائرات، والدبابات.

والشيء المؤكد أن العلاقة بين المسلمين، والنصارى في مصر – طوال التاريخ- تميزت بأنها علاقة متينة، وقوية، وسوية حتى وصل الأمر إلى حد القول بأن النصارى في مصر، وخاصة الأرثوذكس منهم ليسوا أقلية، بل جزءاً لا يتجزأ من النسيج الوطني المصري، والعربي، والإسلامي، وكان ذلك يرجع إلى مجموعة من العوامل البنيوية منها التسامح الإسلامي المعروف، وسماح الإسلام لغير المسلمين بالمشاركة في البناء الثقافي، والحضاري، وقد ساهم النصارى المصريون في ذلك البناء بقوة، وبرز منهم العديد من الرموز، مثل خليل اليازجي الذي دافع عن اللغة العربية في وجه الذين يهاجمونها، أو يدعون إلى اللغة العامية مثل صحيفة المقتطف عام1881م.

ويحتفظ النصارى المنصفون للإسلام أنه حين دخل مصر حرر النصارى من الاضطهاد الروماني، وكان لذلك أثره بالإضافة إلى عوامل أخرى في قبول المصريين مسلمين، ونصارى للغة العربية، التي أصبحت الوعاء الثقافي للجميع، ولا شك أن هذا صنع نوع من التصور، والوعي، والتفكير المشترك، ولكن الأمور تغيرت فيما بعد، وخاصة منذ عام1972م بدأت أحداث الفتنة الطائفية تتكرر بدءاً من حادث الخانكة عام1972، ومروراً بحادث الزاوية الحمراء1981، مروراً بحادث الإسكندرية 2006م والمنشية، وصول...، وبعد تدخل الحكماء، والعقلاء تخرج مظاهرة من الطرفين تحمل شعار الهلال مع الصليب ثم نسمع النغمة المتكررة: الذي حدث لم يخرس الوحدة الوطنية، ومصر بخير، ولا داعي للقلق من تصرفات قلة متشددة هنا، أو هناك[2].

(2)د. محمد مورو: من يخلف البابا شنودة؟، المصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى2010م، ص23.

وفي الحقيقة فإن الحوادث الطائفية تتكرر، ونكاد نقول إنه منذ عام1972 حدثت عشرات الحوادث الطائفية المعلنة، وغير المعلنة الكبيرة، والصغيرة، وفي كل مرة تتم معالجة المسألة بنفس الطريقة على طريقة دفن الرؤوس في الرمال، دون البحث عن الأسباب البنيوية الكامنة، ومحاولة علاجها جذرياً بهدوء وببطء، وفي وقت كاف، وليس إغلاق الجراح على ما فيها من صديد، وتكرار هذه الحوادث يؤكد أن هناك مناخ طائفي، واحتقان موجود أصلاً بين الطرفين، فما الذي حدث في الأربعين سنة الماضية، والذي أطاح بالعش الهادئ للوحدة الوطنية بين المصريين، والذي يدمي قلوب كل المصريين؟!.

إن الشيء المؤكد أن محاولات إشعال الفتنة الطائفية داخل مصر من وقت لآخر لا يستفيد منها إلا أعداء مصر، وحتى[لا نتهم باتباع نظرية المؤامرة] مع أنه لا ينكرها مراقب ذو عقل، وقلم محايد، وأن هذا العدو ليس له إلا مصلحة واحدة وهي الضغط علي مصر بكل الأوراق المتناثرة للتأثير في القرار السياسي من أجل مصالح استعمارية كلاسيكية وحديثة!.

إن ما يحدث الآن بين المسلمين، والنصارى هو عبارة عن أورام خبيثة تنخر في داخل جسد يعاني من الفقر، والتبعية السياسية، والاقتصادية، وأن لعبة إشعال الفتنة الطائفية لعبة قديمة كان يمارسها الاحتلال الإنجليزي، والفرنسي في مصر منذ أيام الاستعمار لتحقيق مصالح خاصة على مبدأ «فرق تسد». وما يجب أن ينتبه له كل مخلص في هذا البلد أن مصر – حفظها الله – تمرُّ بظروفٍ استثنائية، ومرحلة تاريخية حساسة في ظل ظروفٍ إقليمية، ودولية بالغة التعقيد، وقد أصبح ظاهراً لكل ذي لب حجم ما يتربص بنا من المحن، والفتن التي أطلت برأسها، وأخذت تقذفُ بحممها ذات اليمين، وذات الشمال، ولابد بقيام الحكماء، والعقلاء من أهل هذه البلاد الغيورين عليها بدورهم المنتظر أمام هذه الفتن التي إن لم يتداعى الغيورون إلى علاجها فسوف يكون للجميع نصيب من شرها، وشررها.

إن المرحلة التي تمر بها بلادنا تحتاج إلى العلماء الربانيين، والمفكرين الصالحين المصلحين، والدعاة المخلصين، وإلى كل رجل في هذه البلاد قد رزقه الله حُسن البصيرة، ونقاء السريرة، وصدق العزيمة، وليس المجال مجالَ أصحابِ المصالح الضيقة، والأجندات المشبوهة، إنه قد آن الأوان للنفوس أن تتجرد من أهوائها، وأن تنسلخَ من مصالحها، وأن تعلم بأن الحفاظ على وحدة، وتماسك هذا الكيان الذي نعيشُ فيه هو من الأمور التي لا تقبل المزايدة،

وخصوصاً بعد أن اجتمعت كلمات الجميع حكاماً، ومحكومين، علماء، وطلبة علم، دعاة، ومصلحين، مثقفين، ومفكرين، رجالاً ونساءً، شيوخاً، وشباباً على رفض المشاحنات، والمصادمات التي تحدث بين الحين، والآخر مما يحلو للبعض أن يطلق عليها: فتنة طائفية.

وعلى كره مني اقتحمت هذا الموضوع الشائك؛ فالحديث عن العلاقة بين المسلمين والنصارى منطقة ألغام اعتدنا الابتعاد عنها، ولكن حبي لهذا الوطن العزيز- مصر- وحرصي على مستقبله، وإدراكي للخطر القابع تحت الرماد، والذي يمكن أن ينفجر في أي لحظة ليقضي على الأخضر، واليابس، ولأني أرى أن الحلول التي تأتي عقب كل مشكلة، أو صدام، أو خلاف في الغالب عبارة عن بعض المسكنات التي لم تضع حلاً نهائياً للمشكلة، وإذا كان من المناسب بالأمس التكتم، وإخفاء هذه الحالات إلا أنه ومع هذا الانفتاح الكبير في عالم الفضائيات لم يعد من المناسب تجاهل هذه الأمور، أضف إلى هذا أن معظم هذه الحلول تتجاهل الموقف الشرعي للدين الإسلامي، والدين النصراني.

وهذا البحث الذي بين يديك أيها القارئ محاولة جادة لوضع الجرس في رقبة القط لينتهي التوتر، والرعب من ظهوره بين الحين والآخر، وهو طرح أزعم أنه جديد، وجاد في نفس الوقت، يشهد الله – تعالى- أن الهدف منه الحفاظ على وحدة بلدنا، وتماسك أبنائه، وإخماد الفتنة قبل حدوثها، فالفتنة إذا نفخ فيها السفيه اتقدت نارها، وعظم شررها، وإذا وقعت الفتنة، وابتلى بها الناس تاهت العقول، واضطربت.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-:« والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، وهذا شأن الفتن كما قال- سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾[3] وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله » اهـ.

أري خلل الرماد وميض نار	ويوشك أن يكون له حزام
فإن النار بالعودين تذكي	وأن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم	يكون وقودها جثث وهام

(3)(الأنفال/ 25).

إن قائمة مفردات الأزمة طالت بأكثر مما يحتمله مقال، أو أكثر، إلا أنه بات ضرورياً الوقوف عليها بجلاء، وتحديدها بدقة، والمبالغة في رصدها، ومن ثم في تفكيكها، وإعلان ذلك بالوسائل كافة بعناوين بارزة، فإن امتلكنا زمام كل عناصر الأزمة استطعنا إعادة تركيبها، وترتيبها وفق النصوص المقدسة في الإسلام، والنصرانية، ويعرف كل صاحب حق حقه، لاسيما أن الجميع قد مل من استخدام المسكِّنات، والمخدِّرات التي لا تضع حلولاً جذرية لهذه المشكلة.

أما الجديد في هذا البحث هو: حصر الأسباب التي تؤدي إلى زيادة الاحتقان بين المسلمين، والنصارى، واجتهدت أن أضع لها حلولاً جذرية تتوافق مع العقيدة الإسلامية، ولا تصطدم مع العقيدة النصرانية الحالية، بحيث يقنع بهذا الحل المسلم المتدين، والنصراني المحافظ، وتسهم هذه الحلول في كشف أقنعة التعصب، والتطرف هنا وهناك، فإذا اعترض معترض على طرح واجهناه بالنصوص المقدسة في الإسلام، والنصرانية.

والحق أن هذا الأمر تطلب جهداً مضاعفاً، وما جعل هذه الدراسة صعبة أنه لم تكن هناك دراسات صريحة متخصصة في هذا الموضوع تتناوله من هذا الجانب، ومع ذلك لا ينبغي لباحث أن يظن في نفسه الكمال، وينسب لها الفضل في إنجاز عمل لم يسبقه فيه أهل الفضل، والعلم، إنما يُحمد له جهد الجمع، والترتيب، والانتقاء، والتنظيم، والتصحيح، والتنقيح؛ فإن بضاعته في الأصل من متاجر، قوم سهروا على جمعها، وأفنوا أعمارهم لأجلها، فأودعوها أسفارهم، وتركوها لأحفادهم، وكل ما يعتمد عليه الباحث من فروع المصادر، والمراجع هو فضل يشكر عليه أهله، وسبق يُذكر لأصحابه، وما دون ذلك غمط للحق، وإنكار لفضل أهل السبق الأمر الذي ألزمني مراجعة بطون الكتب التي لها صلة بهذا الموضوع من قريب، ومن بعيد، وهناك عدة صعوبات أخرى منها:

أولاً: حساسية هذا الموضوع.

ثانياً: كثرة عوامل الاحتقان التي جمعها الباحث.

ثالثاً: وجود خلاف عقائدي، وتشريعي غائر بين الإسلام، والنصرانية.

رابعاً: تطلب هذا قراءة متأنية للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

وقد أسميت هذه الدراسة:

الفتنة الطائفية في أرض النيل وعلاجها من القرآن والإنجيل

وقد قسمت هذه الدراسة إلى:

المقدمة:

الفصل الأول: التعددية وقبول الآخر.

الفصل الثاني : لماذا مصر؟.

الفصل الثالث : عوامل الاحتقان.

الفصل الرابع: الحلول التي تزيد القضية تعقيداً.

الفصل الخامس : رؤية شرعية لحل هذه الإشكالية.

هذا ولا أدعي أني أتيت بما لم تستطعه الأوائل، كما أنني لا أدعي لعملي هذا العصمة، أو الكمال، فهذا شأن الرسل والأنبياء، ومن ظن أنه قد أحاط بالعلم فقد جهل نفسه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[4].

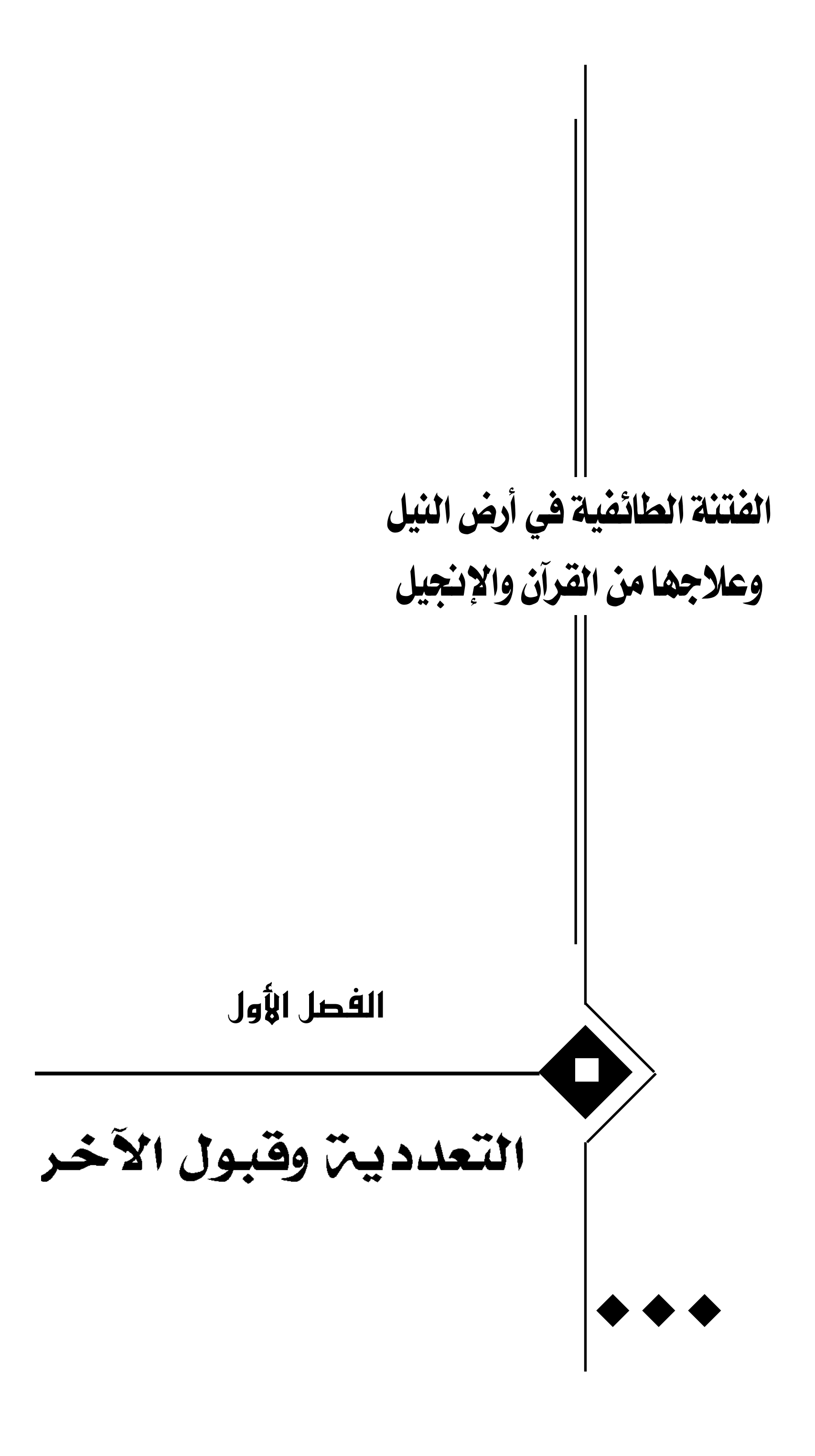
وأخيرًا أرجو من الله تعالى أن يكون عملاً لوجهه خالصًا، ولعباده نافعًا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الكتاب، وأن ينفع به مؤلفه، وكاتبه، وقارئه، إنه سميع الدعاء، وأهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد السيد عبده عبد الرازق

الشرقية– الحسينية– شهداء2 بحر البقر

(4)(الإسراء/ 85).



الفصل الأول

التعددية وقبول الآخر

خلق الله تعالى الناس مختلفين متباينين في ألوانهم، وأشكالهم، وعقولهم، وأفئدتهم فكان من البديهي أن يواجه الفرد في حياته من يخالفه في العقيدة، أو الفكر، أو الرأي، وإذا ما أراد الفرد الاتصال بمن يخالفه فليس أمامه إلا سبيلان: الأول: القهر، والعنف، والغلبة، والآخر: الحوار، والتخاطب بالتي هي أحسن، ولا ريب أن الإنسان السوي يدفعه عقله، وتحركه فطرته إلى نبذ السبيل الأول، والنفور منه، وإلى اتباع السبيل الآخر (الحوار) واللوذ به.

إن التنوع في بني الإنسان من سنن الله الكونية التي لا تتغير، ولا تتبدل، قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾[5]، ومن الطبيعي أن تختلف الانتماءات، ومن ثم فإن السعي لتحقيق أحادية الانتماء داخل المجتمع الواحد يعتبر درباً من المستحيلات؛ لأنها تصطدم بسنة التنوع التي أودعها الله في عباده، وهنا يصبح على الجميع مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية أن يلتفوا فيما بينهم حول القيم المشتركة لحفظ المجتمع من مخاطر الصدام الداخلي، والنزاع الطائفي، وذلك لتوفير أسباب الأمن الديني، والسياسي داخل المجتمع؛ لتحقيق التكافل الاجتماعي، والتعاون الإنساني، وتبادل المصالح، والخدمات؛ لتحقيق الترابط بين أبناء الأسرة الإنسانية الواحدة، وعدم الانسياق خلف العواطف المتخلفة، وعدم الاستجابة لأصوات الشر، والفساد التي تدعو إلى إثارة الفتن الطائفية، حفاظاً على وحدة الوطن، ومستقبل أبنائه، وقد أكد القرآن على هذه القضية في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾[7]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[8].

(5)(فاطر/ 43).

(6)(هود/ 118).

(7)(الكهف/ 29).

(8)(الكافرون).

وفي الحقيقة إنه لا يوجد أي تناقض بين أن يكون الإنسان متديناً، مؤمناً بربه، وعاشقاً لدينه، ومؤدياً لفرائضه، وأن يكون في نفس الوقت محباً لوطنه، منتمياً إلى أهله؛ لأن الدين يحث على ذلك بكل قوة، وهو الذي جعل قطع الأرحام واحدة من الكبائر التي نهى عنها الله، كما جعل من مات دون ماله، ووطنه شهيداً.

لقد افترض الإسلام وجود الآخر، ونظم التعامل معه، ووضع القواعد التي تضمن حق المسلمين في المجتمع، وحق الآخرين الذين يعايشونهم دائماً، أو بصفة مؤقتة، ولم يكن ذلك معهوداً في الممالك، والإمبراطوريات القديمة قبل الإسلام، والقواعد التي وضعها الإسلام لتنظيم العلاقة بين المسلمين، وغيرهم في المجتمع المسلم، تتميز بالسماحة، واليسر، وحفظ الحقوق، وتجنب الظلم لمجرد الاختلاف في الدين، فهناك حد أدنى يجب الحفاظ عليه، حتى في حالة العداء، أو القتال، وهو الكرامة التي وهبها الله لبني آدم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا﴾[9].

لقد مثل الإسلام منذ ظهوره ثورة إصلاحية، وإصلاحاً ثورياً على المفاهيم السائدة التي حكمت علاقات الشعوب، والأجناس، والأديان في ذلك التاريخ.

- **فالرومان**: كانوا يحتكرون (السيادة والشرف) للجنس الروماني!، ويرون في كل الآخرين، والأغيار «برابرة» لا يستحقون حتى أن يطبق عليهم القانون الروماني، ولا حق لهم في التدين بغير دين السادة الرومان، وثنياً كان هذا الدين، أو نصرانياً ملكانياً، ولقد صبوا جام اضطهادهم في حقبة الوثنية على اليهود، وعلى النصارى، وفي حقبة تنصرهم الملكاني، على النصرانية الشرقية اليعقوبية- في مصر والشام[10].

- **واليهودية التلمودية**: قد تحولت إلى (إثنية- عنصرية) بل و(وثنية) جعلت الله- سبحانه وتعالى- إله بني إسرائيل وحدهم، وللشعوب الأخرى آلهتها، وذلك بدلاً من الإيمان بأنه- سبحانه وتعالى- هو إله العالمين، ولقد صبوا جام اضطهادهم على المسيح عيسى ابن مريم- عليه السلام- وعلى حوارييه، والذين آمنوا به واتبعوه.

(9)(الإسراء/ 70).

(10)د. محمد عمارة: الإسلام والأقليات في الماضي والحاضر والمستقبل، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الثالثة، 1430هـ/ 2009م، ص11.

- **والنصرانية**: هي الأخرى- بادلت الآخرين إنكاراً بإنكار، واضطهاداً باضطهاد، فبمجرد أن أفاقت- مصر مثلاً- من الاضطهاد الوثني الروماني، وفور تدين الدولة الرومانية بالنصرانية، على عهد الإمبراطور « قسطنطين » (274:337م) صبت هذه النصرانية جام اضطهادها على الوثنية المصرية، فدمرت معابدها، وأحرقت مكتباتها، وسحلت، وقتلت، ومزقت، وأحرقت فلاسفتها، وسجل التاريخ كيف قاد بطريرك الكنيسة المصرية (تيوفيلوس) (385-412م) حملة اضطهاد عنيفة ضد الوثنيين، واتجه للقضاء على مدرسة الإسكندرية، وتدمير مكتبتها، وإشعال النار فيها، وطالت هذه الإبادة مكتبات المعابد، وتم السحل، والتمزيق، والحرق لفيلسوفة الأفلاطونية الحديثة، وعالمة الفلك، والرياضيات (إناتية) (370-415م) [11].

ثم عادت النصرانية اليعقوبية إلى موقع الضحية، والمضطهدة من النصرانية الملكانية الرومانية، بعد الاختلافات حول طبيعة المسيح عليه السلام، ولقد سجل القرآن الكريم هذه المواقف الرافضة لقبول الآخر، والتعايش معه، والتسامح مع تمايزاته، واختلافاته عندما قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [12].﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[13].

جاء الإسلام، وهذا هو موقف الحكام من المحكومين، وموقف الأغلبيات من الأقليات، وموقف كل صاحب دين، وهوية من الأغيار، والآخرين. فمثل وأحدث- منذ ظهوره، ومنذ إقامة دولته، وأمته، وحضارته- (ثورة إصلاحية وإصلاحاً ثورياً) في هذه النظرات، والعلاقات، جاء الإسلام فسلك الاختلافات في إطار الوحدة، وجعل التنوع هو السنة، والقاعدة، والقانون، ووضع لبنات في البناء الجامع، وقرر أن (الآخر) هو جزء من (الذات)، وذلك لأول مرة في تاريخ الشرائع، والأمم، والدول، والحضارات.

(11)يوحنا النقيوس: تاريخ مصر ليوحنا النقيوس، ترجمة ودراسة وتعليق د. عمر صابر عبد الجليل. القاهرة،2000م، ص 122، 125- 130.

(12)(البقرة/ 113).

(13)(آل عمران/ 75).

- فالله سبحانه وتعالى هو: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[14] وليس رب شعب دون غيره من الشعوب.

- وكل الشرائع الدينية التي توالت على امتداد علاقة السماء بالأرض هي تنوع في إطار الدين الإلهي الواحد: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[15].

- والإيمان الإسلامي شامل للإيمان بأصول الدين الإلهي الواحد، وبكل الرسل، والأنبياء: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[16].

فجميع هؤلاء الرسل، والأنبياء إنما يمثلون تنوع الشرائع الإلهية في إطار الدين الإلهي الواحد كما قال الرسول ﷺ- «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»[17].

- والقرآن الكريم مصدق لما بين يديه من الكتب، والصحف، والألواح التي نزل بها وحى السماء على سائر الرسل، والأنبياء: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾[18].

- ورغم التحريف الذي أصاب بعض هذه الكتب السابقة، والنسيان الذي أصاب بعضها، ذهب القرآن- في الدقة والإنصاف- إلى تقرير أن هذا التحريف، والنسيان لم يكونا عامين، ففي هذه الكتب- وخاصة التوراة والإنجيل، ومطلوب من أهلها تحكيمها، والحكم بما صح فيها: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾[19].

﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[20]

(14)(الفاتحة/ 2).

(15)(**الشورى**/ 13).

(16)(البقرة/ 285).

(17)أخرجه البخاري رقم3442 ومسلم رقم6281.

(18)(الأنعام/ 92).

(19)(المائدة/ 43).

(20)(المائدة/ 47).

- وحتى في الشرائع المتمايزة بتمايز الأمم، والرسالات، والحقب التاريخية، لم يعمم الإسلام النسخ على جميع هذه الشرائع السابقة، وإنما قرر (**أن شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ**) بتطور الواقع الذي تجاوزها.

- وكما لم يعمم الإسلام أحكام التحريف على كل الكتب، ولا أحكام النسخ على جميع أحكام تلك الشرائع، لم يعمم الأحكام على سائر أهل هذه الكتب، والشرائع، وإنما ميز بين الصادقين في تدينهم بها، وبين غير الصادقين، فهم[21]: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾[22].

- ولأن الإسلام دين، ودولة، وشريعة، ومجتمع، ودنيا وآخرة، وفرد وأسرة، وجماعة، وأمة، وأغلب فرائضه، وتكاليفه الاجتماعية لا تتحقق إلا في إطار وطن، ودولة، ونظام، واجتماع، وحتى تكاليفه الفردية يزداد ثوابها، وتتعاظم تأثيراتها الاجتماعية عندما تؤدى في جماعة؛ فرهبانيته جهاد اجتماعي، وليست عزلة تدير الظهر للدنيا في شعب من الشعاب، أو مغارة من المغارات؛ لأن للإسلام هذا التميز الذي تفردت به شريعته بين شرائع السماء، فإن مبادئ «الإصلاح الثوري» التي جاء بها في العلاقة (بالآخر)- لم تقف عند حدود (الوصايا- والفلسفات- والفكر النظري) وإنما وضعتها مواد في دستور دولته الأولى- دولة النبوة والخلافة الراشدة- وصياغات دستورية في المواثيق، والمعاهدات، والعهود التي عقدتها الدولة الإسلامية مع «الآخرين» الذين قامت بينهم، وبين دولة الإسلام علاقات، ومصالح، وارتباطات، ثم تجسد كل ذلك في الواقع، والحضارة، والتاريخ.

---

(21)د. محمد عمارة: الإسلام والأقليات الماضي والحاضر والمستقبل، ص13.

(22)(آل عمران/ 113).

- ففي دستور دولة المدينة (الصحيفة- الكتاب) الذي وضعه رسول الله ﷺ - عند قيام هذه الدولة عقب الهجرة؛ لينظم الحقوق، والواجبات بين مكونات الأمة في الوطن؛ نص هذا الدستور على أن القطاعات العربية المتهودة من قبائل المدينة، ومن لحق بهم، وعاهدوه، قد أصبحوا جزءا أصيلاً في الأمة، والرعية المتحدة لهذه الدولة الإسلامية، فنص هذا الدستور على أن: «**اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر، والأسوة، غير مظلومين، لا متناصر عليهم، وأن بطانة يهود، ومواليهم كأنفسهم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح، والنصيحة، والبر المحصن من أهل هذه الصحيفة، دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه**»(23).

- وهكذا تجسد التحام (الآخر اليهودي) في الأمة الواحدة، والرعية المتحدة للدولة في ظل المرجعية الإسلامية، ومن خلال سعتها التي نص عليها هذا الدستور عندما قال: «**وإنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله، وإلى محمد رسول الله**»(24).

- كذلك تجسد هذا الالتحام «بالآخر» وتحققت هذه المساواة وإياه في العلاقة التي أدخلت النصارى- نصارى «نجران» وكل المتدينين بالنصرانية- في صلب الأمة الواحدة، وفي رعية الدولة المتحدة، فنص ميثاق العهد الذي كتبه رسول الله ﷺ - لنصارى «نجران» على مجموعة من المبادئ الدستورية؛ الذي وضعت مبادئ، وفلسفات علاقة الإسلام بالآخر في الممارسة،

---

(23)د. محمد حميد الله الحيدر آبادى- جمع وتحقيق (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة)، القاهرة، 1956م، ص20.

(24)السابق ص20.

والتطبيق، فجاء في هذا الميثاق:«..**ولنجران وحاشيتها، ولأهل ملتها، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية جوار الله وذمة محمد رسول الله على أموالهم وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم، وتبعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل، أو كثير..أن أحمي جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم، وبيعهم، وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح، حيث كانوا من بر، أو بحر شرقاً، أوغرباً، ولما أحفظ به نفسي، وخاصتي، وأهل الإسلام ملتي**»[25].

– ولم يقف هذا الميثاق فقط، عند ضمان حرية الاختلاف في المعتقد الديني، وحرية إقامة هذا المعتقد المخالف للإسلام، وإنما نص على احترام «الوجود المؤسسي» لهذا التنوع والاختلاف..« **فلا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته..**».

– ولأن الجزية لا تؤخذ إلا من القادرين مالياً، الذين يستطيعون حمل السلاح، وأداء ضريبة القتال دفاعاً عن الوطن فقد جاء في ميثاق نصارى«نجران»: «**ولا يحشرون ولا يكلفون التعبئة العامة للقتال، ولا يكلف أحد من أهل الذمة منهم الخروج مع المسلمين إلى عدوهم، لملاقاة الحروب، ومكاشفة الأقران، فإنه ليس على أهل الذمة مباشرة القتال، وإنما أعطوا الذمة على أن لا يكلفوا ذلك، وأن يكون المسلمون ذباباً عنهم وجوارا دونهم، ولا يكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذي يلقون فيه عدوهم، بقوة سلاح، أو خيل، إلا أن يتبرعوا من تلقاء أنفسهم، فيكون من فعل ذلك منهم، وتبرع به حمد عليه، وعُرف له، وكوفئ به**».

(25)أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (5/ 485 رقم2126)؛ ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، 1414هـ، تحقيق : د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد(1/ 201)؛ د. وهبة الزحيلي، العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، بيروت: دار الرسالة، الطبعة الأولى،1981م.

- كما نص هذا الميثاق على أن العدل في القضاء، والمساواة في تحمل الأعباء المالية إنما هو فريضة إلهية شاملة لكل الأمة، على اختلاف معتقداتها الدينية «**فلا خراج، ولا جزية إلا على من يكون في يده ميراث من ميراث الأرض؛ ممن يجب عليه فيه للسلطان حق، فيؤدى ذلك على ما يؤديه مثله لا يجار عليه، ولا يحمل منه إلا قدر طاقته، وقوته على عمل الأرض، وعمارتها، وإقبال ثمرتها، ولا يكلف شططاً، ولا يتجاوز به حد أصحاب الخراج من نظرائه، ولا يدخل من بنائهم في شيء من أبنية المساجد، ولا منازل المسلمين، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين، ولا مظلومين**»[26].

- أما الحرية الدينية، والحق في المغايرة للإسلام، فلقد قدسها هذا الإسلام عندما نفي وجود الدين والتدين مع وجود الإكراه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[27].

ولذلك نص هذا الميثاق على أنه:« **لا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرهاً على الإسلام، ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، فيخفض لهم جناح الرحمة، ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا وأين كانوا من البلاد**».

وإمعاناً من الإسلام في توفير عوامل التلاحم للأمة الواحدة، الذي جعل الإسلام وحدتها فريضة نص عليها القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[28].

---

(26)حمدي شفيق: الإسلام والآخر الحوار هو الحل(1/ 172)؛علي بن نايف الشحود: المفصل في الرد على الحضارة الغربية (3/ 65).

(27)(البقرة/ 256).

(28)(الأنبياء/ 92).

فلقد حققت التطبيقات الإسلامية في الواقع الاجتماعي عدداً من الإنجازات التي سلكت الجميع في الأمة الواحدة.. فالموالى الذين كانوا أرقاء ثم حررهم الإسلام دمجهم النظام الإسلامي في قبائلهم التي كانوا أرقاء فيها، ولحمهم فيها بلحمة «الولاء» الذي جعله كالنسب سواء بسواء، يكسب هؤلاء الموالى شرف هذه القبائل، وحسبها، ونسبها، ونصت سنة رسول الله ﷺ- على أن: «**مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**» [29]وعلى أن: «**الْوَلاَءُ لُحْمَةٌ كَلُحْمَةِ النَّسَبِ**» [30]، حتى أصبح بلال الحبشى «سيداً» يقول عنه عمر بن الخطاب، وعن أبى بكر- الذي اشتراه وأعتقه: (**سيدنا أعتق سيدنا**) [31].. وحتى لقد تمنى عمر أن يكون أحد الموالى«سالم مولى أبى حذيفة» (12هـ،633م) حياً ليجعله خليفة على المسلمين!.

- والقبائل والعشائر، التي اندمج فيها الموالى، قد تحولت إلى لبنات في بناء الأمة الواحدة، وإذا كانت تطبيقات الدولة الإسلامية لهذه المبادئ الإسلامية، قد بلغت، وحققت قبل أربعة عشر قرناً الحد الذي يدهش له الكثيرون في عصرنا الحاضر.. من مثل تحرير جيش الفتح الإسلامي لمصر- كنائس نصارى مصر من الاحتلال، والاغتصاب الروماني، لا ليحولها إلى مساجد للمسلمين، وإنما ليردها للنصارى اليعاقبة يتعبدون فيها.. فإن عهد رسول الله ﷺ- مع نصارى (نجران) قد بلغ الذروة في تعامل الدولة الإسلامية مع دور العبادة هذه إلى الحد الذي نص فيه على أن مساعدة الدولة الإسلامية لغير المسلمين في بناء دور عبادتهم هو جزء من واجبات هذه الدولة.. فليست الواجبات فقط هي السماح ببناء دور العبادة، وإنما هي أيضاً الإعانة على بنائها، وأن غير المسلمين هم جزء أصيل في الأمة الواحدة، والرعية المتحدة لهذه الدولة، فإن واجباتها حيال دور عبادتهم هي ذاتها الواجبات حيال مساجد المسلمين، فجاء في هذا الميثاق مع نصارى« نجران»:«...**ولهم إن احتاجوا في مرمة بيعهم، وصوامعهم، أو شيء من مصالح أمور دينهم إلى رفد (مساعدة) من المسلمين، وتقوية لهم على مرمتها أن يرفدوا على ذلك، ويعاونوا، ولا يكون ذلك ديناً عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم، ووفاء بعهد رسول الله، وموهبة لهم، ومكرمة لله ورسوله عليهم**».

(29)أخرجه البخاري رقم6380.

(30)صحيح: أخرجه الحاكم رقم 7990 وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم7157 وفي إرواء الغليل (6/ 165)، ونص الحديث: «**الْوَلاءُ لُحْمَةٌ كَلُحْمَةِ النَّسَبِ لاَ يُبَاعُ وَلا يُوهَبُ**».

(31)أخرجه أحمد رقم292 وعبد الرزاق في مصنفه رقم31966.

ثم يتوج هذا الميثاق بنود هذه الحقوق بالنص على كامل المساواة بين المختلفين في الدين؛ والمتحدين في الأمة الواحدة، والملتحمين في الرغبة المتحدة للدولة الإسلامية بقول رسول الله ﷺ -: «**لأني أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم**» (32).

ولأن وحدة الأمة لا تتحقق إلا بولاء كل أبنائها لها، وانتماء جميعهم لدولتها، ولمقومات هويتها- أمنها الوطني والقومي والحضاري- اشترط هذا العهد على نصارى (نجران) أن يكون الولاء خالصاً، والانتماء كاملاً لهذه الأمة الواحدة، ولهذه الدولة الإسلامية.. فالولاء- كل الولاء- لها وحدها، والبراء- كل البراء- من جميع أعدائها.. ولذلك جاء في هذا الميثاق: «**واشترط عليهم أموراً يجب عليهم في دينهم التمسك بها، والوفاء بما عاهدهم عليه منها: ألا يكون أحد منهم عيناً، ولا رقيباً لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره، وعلانيته، ولا يأوي منازلهم عدو للمسلمين يريدون به أخذ الفرصة، وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم، ولا ضياعهم، ولا في شيء من مساكن عباداتهم، ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يرفدوا- (يساعدوا)- أحداً من أهل الحرب على المسلمين بتقوية لهم بسلاح، ولا خيل، ولا رجال، ولا غيرهم، ولا يصانعوهم، وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم، وعند منازلهم، ومواطن عباداتهم؛ أن يؤووهم ويرفدوهم، ويواسوهم فيما يعيشون به ما كانوا مجتمعين، وأن يكتموا عليهم، ولا يظهروا العدو على عوراتهم، ولا يخلوا شيئا من الواجب عليهم.**

هكذا بلغ الإسلام القمة عندما لم يكتف بالوصايا، والمنظومة الفكرية، والفلسفية التي تعترف بالآخر الذي لا يعترف بالإسلام، وإنما تجاوز الفكر إلى الممارسة، والتطبيق في الدولة والأمة، والاجتماع، وعندما تجاوز (الاعتراف بالآخر) إلى حيث دمج هذا «الآخر» في« الذات» مع الحرص على التعددية الدينية التي سلكها في إطار وحدة الدين الإلهي الواحد، لا باعتبارها مجرد حق من حقوق الضمير الإنساني، وإنما باعتبارها سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل، فحقق الإسلام بهذا الإصلاح الثوري مستوى غير مسبوق في التاريخ الإنساني، سواء على المستوى الفكري، أو في الممارسة والتطبيق.

(32) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ص127، 123، 112.

- وإذا كانت سنة من سنة الله في الاجتماع الإنساني، أن يكون هناك- دائما وأبداً- فارق بين «الواقع» وبين «المثال»، وأن يظل «المثال»- دائماً وأبداً- عصياً على كمال التحقق في الواقع المعين.. فإن ممارسات الدولة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية لم تكن دائماً على مستوى هذا «المثال» الإسلامي في العلاقة مع «الآخر» الديني.. كما أن هذا « الآخر» الديني لم يكن- دائماً وأبداً على مستوى هذا« المثال» الذي نصت عليه العهود والمواثيق، أو لنقل لم يكن كل المسلمين، ولا كل الحكام على مستوى هذا «المثال».. ولم يكن كل غير المسلمين على مستوى هذا «المثال»، لكن- ومع ذلك- ظلت هناك ثوابت حكمت علاقة المسلمين بغير المسلمين في الدولة الإسلامية، والمجتمعات الإسلامية عبر تاريخ الإسلام.

فلم يعرف هذا التاريخ الإسلامي إكراهاً في الدين.. فلقد دخل الشرق- بالفتوحات الإسلامية- في الدولة الإسلامية خلال سنوات قياسية في تاريخ الفتوحات، إذ فتح المسلمون في ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون.. ولقد كانت هذه الفتوحات الإسلامية تحريراً للشرق- الإنسان والأرض- من القهر الديني، والحضاري الذي مارسه الرومان، والفرس ضد شعوب الشرق على امتداد عشرة قرون- من الإسكندر الأكبر(356-324 ق.م) في القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد، فترك الناس وما يدينون دونما إكراه، بل وفي أحيان كثيرة دونما ترغيب-عندما كان بعض الولاة أحرص على الجزية منهم على إسلام غير المسلمين، حتى إن أقليات اليوم الدينية- وخاصة النصرانية- قد ظلت أغلبيات غير مسلمة في الدولة الإسلامية لعدة قرون.

- والثابت الثالث من ثوابت علاقة الإسلام بغير المسلمين في الدولة الإسلامية، والمجتمعات الإسلامية هو: استمرار غير المسلمين قابضين على عصب دواوين، وإدارات الدولة الإسلامية- قبل تعريب لغة تلك الدواوين وبعد تعريبها(87 هـ 705م) وهذه الحقيقة جعلت المستشرق الألماني الحجة « آدم متز»(1869-1917م) يكتب فيقول:«**لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام**»[33].

- ومن يراجع كتاب «**الإشارة إلى من نال الوزارة**» لابن الصيرفي يرى حجم السيطرة غير المسلمة على مناصب الوزارة، والإدارة عبر تلك القرون[34].

(33)آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت،1967م،1/ 105.

(34)ابن الصيرفي: الإشارة إلى من نال الوزارة. تحقيق: عبد الله مخلص، القاهرة،1924م.

– أما التوترات الطائفية التي شهدتها المجتمعات الإسلامية، والتي ألحقت قدراً من الضيق، والتمييز، والأذى بالأقليات غير الإسلامية فقد كانت عارضة.. وعابرة.. وكانت أغلب أسبابها وافدة على الموقف الإسلامي الثابت والأصيل، ومفروضة على المنهاج الطبيعي للتطبيقات الإسلامية لهذا المنهاج.. وبعبارة «سير توماس أرنولد» **فلقد كان مرد هذه الاضطهادات إلى «ظروف محلية» أكثر مما كانت ثمرة لمبادئ التعصب وعدم التسامح**[35].

– أما هذه الأسباب الطارئة على الإسلام والمفروضة على منهاج المسلمين في معاملة الآخر الديني؛ فلقد فصلها وحصرها باحث ومؤرخ نصراني لبناني، هو الدكتور «جورج قرم» عندما قال:« **إن فترات التوتر، والاضطهاد لغير المسلمين في الحضارة الإسلامية كانت قصيرة، وكان يحكمها ثلاثة عوامل:**

– **العامل الأول: هو مزاج الخلفاء الشخصي. فأخطر اضطهادين تعرض لهما الذميون وقعا في عهد المتوكل (206–247هـ،821– 861م) الخليفة الميال بطبعه إلى التعصب والقسوة، وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله(375–411هـ،985–1021م) الذي غالى في التصرف معهم بشدة (وكلا هذين الحاكمين عم اضطهادهما المسلمين وغير المسلمين!!.**

– **العامل الثاني: هو تردي الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية لسواد المسلمين، والظلم الذي يمارسه بعض الذميين المعتلين لمناصب إدارية عالية، فلا يعسر أن ندرك صلتهما المباشرة بالاضطهادات التي وقعت في عدد من الأمصار.**

– **أما العامل الثالث:** فهو مرتبط بفترات التدخل الأجنبي في البلدان الإسلامية، وقيام الحكام الأجانب بإغراء، واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة إلى التعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة. إن الحكام الأجانب بمن فيهم الإنجليز– لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية في أغلب الأحيان ليحكموا الشعب، ويستنزفوه بالضرائب، وهذه ظاهرة نلاحظها في سوريا أيضاً، حيث أظهرت أبحاث «جب» و«بولياك» كيف أن هيمنة أبناء الأقليات في المجال الاقتصادي أدت إلى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين النصارى، والمسلمين في دمشق سنة1860م،

(35)توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص729، 730.

وبين الموارنة والدروز في جبال لبنان سنة1840م و1860م، ونهاية الحملات الصليبية قد أعقبتها- في أماكن عديدة- أعمال ثأر، وانتقام ضد الأقليات المسيحية، ولا سيما الأرمن الذين تعاونوا مع الغازي، بل إنه كثيراً ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسهم من الحكم الإسلامي، حتى عندما كان يعاملهم بأكبر قدر من التسامح؛ سبباً في نشوب قلاقل طائفية، فعلاوة على غلو الموظفين الذميين في الابتزاز، وفي مراعاتهم وتحيزهم إلى حد الصفاقة- أحياناً- لأبناء دينهم، ما كان يندر أن تصدر منهم استفزازات طائفية بكل معنى الكلمة [36].

- وإذا شئنا الإشارة إلى وقائع من التاريخ الوسيط، والحديث تؤكد صدق هذا التحليل الذي قدمه الدكتور« جورج قرم» لأسباب التوترات الطائفية العارضة، وخاصة بسبب الغوايات الاستعمارية لبعض أبناء الأقليات الدينية، فإن هناك واقعة دالة إبان الغزوة التترية عندما استقوى نصارى دمشق بالقائد التتاري «كتبغا»- وكان نصرانياً نطورياً- فانحازوا إلى الغزاة ضد المسلمين، وتحولوا إلى أداة إذلال واضطهاد للمسلمين في ظل الاحتلال التتري، ولقد تحدث مؤرخ العصر- «المقريزى» (766- 845هـ، 1365- 1441م) عن هذا الاستعلاء، والاستقواء النصراني بالتتار، فقال: « استطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرماناً من «هولاكو» بالاعتناء بأمرهم، وإقامة دينهم، فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، وصبوه على أبواب المساجد، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب، وصاروا يمرون به في الشوارع إلى كنيسة مريم، ويقفون به، ويخطبون في الثناء على دينهم، وقالوا جهراً: (ظهر الدين الصحيح، دين المسيح)، وخربوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم، فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب (هولاكو) وهو (كتبغا) فأهانهم، وضرب بعضهم، وعظم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم، وأقام شعائرهم»[37].

وأمام هذه الخيانة، والاحتماء بالعدو الغازي، واضطهاد الأقلية للأغلبية ما كان من السلطان «قطز» (658هـ1260م) إلا أنه أوقع بنصارى دمشق، وترك الناس فخربوا دورهم، ونهبوها عقب الانتصار على التتار في «عين جالوت» (658 هـ -1260م).

(36)جورج قرم: تعدد الأديان ونظم الحكم: دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة، ص 211-224، بيروت، 1979م؛ والنص في د. سعد الدين إبراهيم: الملل والنحل والأعراق، القاهرة، 1990م، ص 729: 730.

(37)المقريزى: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق:د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1956م، الطبعة الثانية، 1/ 425- 432.

- ولقد تكرر مشهد الغواية، والخيانة في مطلع العصر الحديث، عندما جاء بونابرت (1769-1821م) على رأس الحملة الفرنسية لغزو مصر (1213هـ 1798م)، وألقى حبال الغواية لأبناء الأقليات الدينية، ووقع في هذه الحبال نفر من أقباط مصر- خانوا أمتهم، وطائفتهم، وكنيستهم- قادهم «المعلم يعقوب حنا» (1745-1801م) وكوّنوا فيلقاً قبطياً تزيا بزى الجيش الفرنسي، وحارب المصريين، وأذلهم لحساب الفرنسيين، ولقد تحدث مؤرخ العصر الجبرتي (1167م-1237هـ1754-1822م) عن صنيع «بونابرت» مع هذه القلة الخائنة :«**عندما جعل لهم نصف عضوية «ديوان المشورة»، والسلطة الفعلية في الجهاز المالي، والإداري.. وبعبارة« الجبرتي» فلقد فوض الجنرال كليبر (1753-1800م) للجنرال يعقوب أن يفعل بالمسلمين ما شاء، حتى تطاول النصارى- من القبط ونصارى الشوام- على المسلمين بالسب، والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم، ولم يبقوا للصلح مكاناً!! وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين، وأيام الموحدين**»[38]. فكان السقوط في شراك الغواية الاستعمارية من أكثر أسباب التوتر الطائفي تأثيراً، في الفترات العارضة التي شابت فيها هذه التوترات تلك الوحدة التي حققها الإسلام مع الآخر الديني في الأمة والدولة، ومقومات الهوية الوطنية، والحضارية على امتداد تاريخ الإسلام[39].

ولعل الذي ينظر بعين الأنصاف للأحداث الأخيرة التي مرت بها مصرنا الحبيبة عقب أحداث 25 يناير يدرك أن مسلسل الغواية، والخيانة للوطن مازال مستمراً فقد خرج عدد ليس بالقليل من نصارى مصر، واعتصموا أمام السفارة الأمريكية في مشهد مزري، وتصرف مشين مقلدين أسلافهم المتشددين في استقوائهم بالخارج، ومطالبين الأمريكان بغزو مصر وتخليصهم- على حد زعمهم – من الظلم، والاضطهاد الذي يتعرضون له!!.

هذا موقف الإسلام من الآخر، موقف يدل على عظمة هذا الدين وشموله، وجهل بعض المسلمين، والنصارى بقضية التعددية، ووجود الآخر في اعتقادي ساهم وبشكل كبير في وجود حالة من الاحتقان، تظهر أحياناً، وتختفي أحياناً أخرى.

---

(38)الجبرتي:عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: حسن محمد جوهر، عمر الدسوقى، السيد إبراهيم سالم، طبعة القاهرة سنة1965م، 5/ 136.

(39)د. محمد عمارة: الإسلام والأقليات الماضي والحاضر والمستقبل، ص26.

لقد كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ يخاطب فئات المجتمع المختلفة (المؤمنين– المسلمين– أهل الكتاب – المشركين– الكفار– المنافقين...) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[40]. إن محاولة جمع الناس على دين واحد كخيار وحيد، لا ثاني له يتنافي مع المشيئة الربانية، ويوقع في محظور الإكراه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[41]. وهو أيضاً يعد ضرباً من المستحيل فهو كمن يريد وضع ماء المحيط كله في كفه!. وقد أقسم الله تعالى بمخلوقات عظيمة لتأكيد حقيقة الاختلاف في السعي، والكسب، ومن ثمَّ المصير، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[42]. نعم إن هذه النصوص لا تؤذن بمشروعية للكفر، ولا تهوِّن من قدر اختيار غير طريق الإسلام ديناً، بيد أنها تخبر عن حقائق موضوعية قائمة، وتقرِّر سنناً جرت بها الإرادة الإلهية الكونية، ولذلك فمع أن الدعوة إلى الله تظل خيار المسلم، وديدنه ولكنه ينبغي أن يدرك في الوقت ذاته الحقائق المتضمنة في هذه الآيات، فإن ذلك يعني بقاء سنة الله القاضية بالاختلاف، والتنوّع في الأديان، والملل، والمعتقدات كما نفذت سنته – سبحانه – في اختلاف ألوان خلقه ولغاتهم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾[43].

(40)(البقرة/ 62).

(41)(يونس/ 99).

(42)(الليل/ 1–10).

(43)(الروم/ 22).

وما ذلك إلا لأن ثمة يوماً يفصل الله فيه بين المختلفين من عباده من مختلف الأديان، والملل، والمعتقدات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(44). ولذلك فإن الحرية الممنوحة للإنسان هنا تتضمن مسؤولية عن حياته، ومصيره: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾(45).﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾(46).



(44)(الحج/ 17).

(45)(الأنفال/ 42).

(46)(الإسراء/ 13-15).


الفتنة الطائفية في أرض النيل
وعلاجها من القرآن والإنجيل
الفصل الثاني
لماذا مصر؟

إن مصر بالنسبة للعالم الإسلامي حبة العقد التي إذا فرطت فرط العقد، وهي بمثابة المضغة التي في الجسد إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد، وهي في موقع القلب من أمة الإسلام فإذا كانت قوية فإن الأمة تكون قوية، وبخير، ومتعافية من كل شر، وإذا كان هذا القلب ضعيفاً أصبحت الأمة ضعيفة، وتعاني من الإرهاق، والانحطاط، والتعثر، وعدم القدرة على النهوض.

كانت مصر – منذ فجر التاريخ الإنساني- منارة للتوحيد الديني.. وللمدنية، والحضارة.. ففي ربوعها – وعلى عهد آدم-عليه السلام- بعث الله نبيه ورسوله إدريس- عليه السلام- الذي كان ثالث الأنبياء- بعد آدم، وشيث(47). ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾(48).

وكما أرسى إدريس- عليه السلام- قواعد التوحيد الديني، بمصر- منذ فجر التاريخ- كذلك أقام قواعد العلم، والحكمة، والمدنية، والحضارة.. وبعبارة ابن جلجل (بعد372هـ982م) :«فلقد رسم تمدين المدن، وجمع له طالبي العلم بكل مدينة، فعرفهم السياسة المدنية، وقرر لهم قواعدها.. وعلّمهم العلوم، وهو أول من استخرج الحكمة، وعلم النجوم، فإن الله – عز وجل- أفهمه أسرار الفلك، وتركيبه، ونقط اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب»(49)، فارتبط التوحيد بالمدنية، والحكمة، والحضارة في تاريخ مصر، وتراثها منذ فجر التاريخ.

* وفي مصر عاش عدد من الأنبياء والمرسلين، الذي جددوا عقيدة التوحيد في تاريخ المصريين القدماء، ومن هؤلاء الأنبياء، والمرسلين أبو الأنبياء إبراهيم الخليل- عليه السلام- الذي جاءها في عصر الهكسوس (1675-1580ق.م).

* وكذلك يوسف- عليه السلام- في عهد الأسرة الخامسة عشرة- التي بدأ حكمها سنة 1675ق.م- وأبوه يعقوب، وبنوه- عليهم السلام-.

(47)عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص24.

(48)(مريم/ 56-57).

(49)عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، ص 26،25.

* كـذلك، ولـد، ونشـأ، وبعـث في مصر موسـى – عليه السلام – وأخـوه هـارون – عليه السلام – (حوالي1200ق.م).. وعليه نزلت التوراة بلغة مصر – الهيروغليفية – قبل نشأة العبرية بقرون..!.

* وإلى مصر لجأ المسيح عيسى ابن مريم – مع أمه – عليهما السلام – ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[50].

* وإذا كان الله – سبحانه وتعالى – لحكمة بالغة – قد وصف أول أنبياء مصر – إدريس – «بالصديق»..فكذلك كان الوصف لإبراهيم: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[51]وليوسف: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾[52]ولأم عيسى: ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾[53].

* ولقد ظل التوحيد – مع المدنية – يشعان على أرض مصر عبر تاريخها الطويل.. يتجددان فيها ليغالبا الوثنية، والتخلف اللذين يأتيانها في ركاب الغزاة.

ففي ربوعها ارتفعت مناجاة «أمنحتب الثالث»(1397–1360 ق. م) لله الواحد الأحد:« أيها الموجد دون أن توجَد... مصوِّر دون أن تصوَّر..هادي الملايين إلى السبل...الخالد في آثاره التي لا يحيط بها حصر».

* وفي ربوعها تجدد التوحيد مع «أمنحتب الرابع» (أخناتون) (1370– 1349ق.م) الذي ناجى الواحد الأحد: « أنت إله، يا أوحد، لا شبيه لك.. لقد خلقت الأرض حسبما تهوى، أنت وحدك.. خلقتها ولا شريك لك..أنت خالق الجرثومة في المرأة.. والذي يذرأ من البذرة أناسًا..وجاعل الولد يعيش في بطن أمه..مهدئًا إياه حتى لا يبكي.. ومرضعًا إياه في الرحم.. وأنت معطي النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته حينما ينزل من الرحم في يوم ولادته، وأنت تفتح فمه دائمًا، وتمنحه ضروريات الحياة»[54].

---

(50)(المؤمنون/ 50).

(51)(مريم/ 41).

(52)(يوسف/ 46).

(53)(المائدة/ 75).

(54)د. عبد المنعم أبو بكر: إخناتون، طبعة القاهرة، سنة1961م.

* وعبر هذا التاريخ المصري الطويل- تاريخ- التوحيد والمدنية-غالبت مصر العديد من التحديات: غالبت بداوة الهكسوس.. ودمار الغزوة الفارسية التي قادها «قمبيز» (529 - 522ق.م).. والقهر الحضاري، والديني، والثقافي، والسياسي الذي فرضه الغرب الإغريقي- الروماني- البيزنطي على الشرق، مدة عشرة قرون- من «الإسكندر الأكبر» (356-325 ق.م)- في القرن الرابع قبل الميلاد- إلى «هرقل» (610-641م) - في القرن السابع للميلاد-.

* وعندما نجّس الرومان- إبان هذه الغزوة – التوحيد – الذي جدده المسيح - عليه السلام- رفعت مصر لواء النقاء لهذا التوحيد مع أسقف الإسكندرية «آريوس» (256-336م)- الذي أعلن: «**إن الله جوهر أزلي أحد، لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه مخلوق، حتى «الكلمة» فإنها، كغيرها من المخلوقات، مخلوقة من لا شيء. وأن المسيح لم يكن قبل أن يولد.. وأن الله قد نجاه من الصلب- الذي وقع على الشبيه -..**»

ولقد ظل هذا التوحيد يغالب شرك التثليث، والوثنية حتى ظهر الإسلام، وجاءت الفتوحات الإسلامية (سنة20هـ-640م) فحررت المظلومين من القهر الحضاري، والديني الذي فرضه الغرب الروماني على الشرق لأكثر من عشرة قرون.

* ولقد شهد بهذا التحرير الإسلامي- للأوطان.. والضمائر..والعقائد.. كل الذين شهدوه، ونعموا بآثاره في العدل، والحرية، والأمن، والأمان..وكل الذين درسوه بحياد، وإنصاف..فكتب شاهد العيان، الأسقف الأرثوذكسي-أسقف «نقيوس»- «يوحنا النقيوسي» يقول:« **إن الله الذي يصون الحق، لم يمهل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين-[العرب المسلمين]..**».

ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر..وكان هرقل حزينًا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم..مرض هرقل ومات.. وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما، سلبًا أو نهبًا، وحافظ عليها طوال الأيام..

ودخل الأنبا «بنيامين»- بطريرك المصريين- مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم في العام13- (أي العام الثالث عشر من تاريخ هروبه)- وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون:هذا النفي، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا «كيرس»- البطريك المعين من قبل الدولة الرومانية في مصر-، وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر.

وخطب الأنبا «بنيامين»- في دير«مقاريوس»- فقال :«**لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة، والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهاد، والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون..**» (55).

*ولقد جدد هذه الشهادة - بعد خمسة قرون من الفتح الإسلامي- الأسقف «ميخائيل الأكبر» Michael theElder (1126-1199م) بطريق أنطاكية اليعقوبي- فقال: «**إن إله الانتقام، الذي تفرد بالقوة والجبروت، والذي يذيل دولة البشر. كما يشاء، فيؤتيها من يشاء.. لما رأى شرور الروم، الذين لجئوا إلى القوة، فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة، ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم.. ولما أسلمت المدن للعرب، خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها.. ولم يكن كسباً هيناً أن نتخلص من قسوة الروم، وآذاهم، وحنقهم، وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام..**» (56).

وكذلك، شهد على هذه الحقيقة، من نصارى مصر، في العصر الحديث:المؤرخ يعقوب نخلة روفيلة (1847-1605م)- صاحب كتاب (تاريخ الأمة القبطية)- الذي كتب يقول: «**ولما ثبت قدم العرب في مصر، شرع عمرو بن العاص في تطمين خواطر الأهلين، واستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم، وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.**

(55)يوحنا النقيوس: تاريخ مصر- رؤية قبطية للفتح الإسلامي: - ترجمة ودراسة« د. عمر صابر عبد الجليل. طبعة دار عين - القاهرة سنة 2000م، ص 201، 220.

(56)توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص72، 73.

وأول شيء فعله من هذا القبيل :استدعاء «بنيامين» البطريرك الذي اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أماناً، وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور، فلا خوف عليه ولا تثريب، ولما حضر، وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع، أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه، وعلى رعيته، وعزل البطريرك الذي كان أقامه هرقل، ورد «بنيامين» إلى مركزه الأصلي معززًا مكرمًا.

واستعان عمرو في تنظيم البلاد بفضلاء القبط، وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالي، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلاً منها حاكم قبطي ينظر في قضايا الناس، ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية، واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوي نزاهة، واستقامة، وعين نوابًا من القبط، ومنحهم حق التداخل في القضايا المختصة بالأقباط، والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية، والأهلية، وكانوا بذلك في نوع من الحيرة، والاستقلال المدني، وهي ميزة كانوا قد جردوا منها في أيام الدولة الرومانية.

وضرب عمرو بن العاص الخراج على البلاد بطريقة عادلة..وجعله على أقساط في آجال معينة، حتى لا يتضايق أهل البلاد..وبالجملة، فإن القبط نالوا في أيام عمرو ابن العاص راحة لم يروها من أزمان..» [57]، أي أن الفتح الإسلامي- بهذه الشهادة – قد حرر الأرض، والوطن، وحرر الضمائر، والعقائد..وكان إنقاذًا، وخلاصًا للنصرانية الشرقية، وحرر دور العبادة – الكنائس والأديرة – وردها إلى أصحابها، وحرر الإنسان- وأمَّن الهاربين، وأشرك أهل مصر في حكم البلاد، لأول مرة منذ عشرة قرون..!.

ذلك هو تاريخ مصر- في التوحيد.. والمدنية- وتلك هي تقلباته بين قهر الغرب، وتحرير الإسلام.. وهذه بعض شهادات العلماء الأعلام- من غير المسلمين- على التحرير الذي أنجزته فتوحات الإسلام.

(57)يعقوب نخلة :تاريخ الأمة القبطية، تقديم: د. جودت جبرة، طبعة مؤسسة مار مرقس لدراسة التاريخ، القاهرة، 2000م، ص54 ـ57.

ولأن الإسلام قد أحيا مصر - بعد قرون من الموات، والقهر الحضاري والديني - فلقد تبوأت مصر مكان القيادة، والإمامة، والريادة في تاريخ الإسلام.. فخدمت علوم الحضارة الإسلامية في مختلف ميادين تلك العلوم.. وغدت الكنانة التي يرابط أهلها على ثغور الإسلام في مواجهة كل محاولات الغزو الغربي، التي استمرت جاهدة لإعادة اختطاف مصر، والشرق من تحرير الإسلام.

*فمصر هي التي قادت التحرير من الغزوة الصليبية- التي دامت قرنين من الزمان (489-690هـ 1096-1291م)- والتي مثلت أشهر ألوان الاستعمار الاستيطاني في التاريخ الوسيط.

* وهي التي كسرت شوكة الغزوة التترية (658هـ-1260م) التي هددت الحضارة والوجود الإسلامي.

* وهي التي تصدت للغزوة الصليبية الثانية- التي بدأت عقب إسقاط غرناطة (897هـ-1492م).. حتى لقد ذهب جيشها فحارب البرتغاليين على شواطئ الهند سنة(910هـ 1504م).

* وهي التي ساعدت، ودعمت ثورات التحرر الوطني- ضد الاستعمار الغربي (بآسيا وإفريقيا)- في العصر الحديث.

* وهي الصامدة- المتحينة للفرصة بإزاء الاستعمار والاستيطان الصهيوني على أرض فلسطين ولأن هذه هي مكانة مصر- في المواجهة التاريخية، والحضارية بين الغرب، والإسلام- استحقت أن تعقد لها في كتب التاريخ الإسلامي الأبواب التي تتحدث عن «فضائل مصر».

.بل والكتب التي تؤلف تحت هذا العنوان[58]، وهي الكتب، والفصول التي رصدت ما جاء، عن مصر في القرآن الكريم.. من مثل: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾[59].﴿ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[60].﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾[61].﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ﴾[62].﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[63]، وغيرها من عشرات الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر مصر بالقرآن الكريم.

* ومثل ما روي- في فضل مصر-عن رسول الله ﷺ -: **(إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ. وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا أَوْ قَالَ ذِمَّةً وَصِهْرًا)** [64]. **(إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفًا، فذلك الجند خير أجناد الأرض، لأنهم في رباط إلى يوم القيامة)** [65] هذه هي مصر.. التي قال عنها قائد فتحها -عمرو بن العاص-: «**إن ولايتها جامعة، تعدل الخلافة**»، والتي جاء في المأثورات: «من أرادها بسوء كبه الله على وجهه».«ومن أراد أهلها بسوء صرعه الله» ، والتي قال عنها سفيان بن عيينة (107- 198هـ725-814م): «**إنها كنانة الله، يحمل فيها خير سهامه**»[66].

(58)على سبيل المثال :عمر بن محمد بن يوسف الكندي: فضائل مصر، تحقيق: إبراهيم أحمد العدوي، على محمد عمر، طبعة مكتبة وهبة، القاهرة سنة 1971م.. وكذلك ما كتبه المقريزي- في الخطط - وفي السيوطي - في حسن المحاضرة - وابن تغري بردي - في النجوم الزاهرة - والنويري - في نهاية الأرب- والقلقشندي - في صبح الأعشى - وابن سعيد - في المغرب - وابن ظهيرة - في محاسن مصر والقاهرة، .. تحت عنوان «فضائل مصر»...

(59)(يونس/ 87).

(60)(يوسف/ 99).

(61)(البقرة/ 61).

(62)(يوسف/ 21).

(63)(الزخرف/ 51).

(64)أخرجه مسلم رقم2543.

(65)علي بن حسام الدين المتقي الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: مؤسسة الرسالة – بيروت، 1989م (14/ 172رقم38262).

(66)عمر بن محمد بن يوسف الكندي: فضائل مصر: ص45، 46، 49.

والتي صدّق التاريخ على معاني هذه الأحاديث، والمأثورات التي قيلت فيها.. فكانت-عبر تاريخ الإسلام- مقبرة الغزاة، والإمبراطوريات الاستعمارية.. لأن أهلها« **في رباط إلى يوم القيامة..**».

ولأن هذا هو تاريخ مصر- في التوحيد الديني.. وفي المدنية والحضارة-.. وتلك هي مكانتها في الإسلام..وفي مواجهة التحديات الصليبية والصهيونية..كان التآمر عليها.

* فالصليبيون اعتبروا السيطرة عليها الشرط الضروري لاحتلالهم للقدس الشريف..!.

* وجمال الدين الأفغاني(1254-1314هـ-1838-1897م) سماها: «**بوابة الحرمين الشريفين**»..!

* والمنظمة الصهيونية العالمية اعتبرت تفتيتها شرطًا لتفتيت كل وطن العروبة، وعالم الإسلام، فقالت :«**إذا تفتتت مصر تفتت الباقون...!**».

ولتحقيق هذه المقاصد المعادية أعلن الأعداء عليها الحرب.. لا بالغزو الخارجي فقط- فهي قد تمرست على مواجهته- وإنما- أيضًا- بغواية الأقليات فيها- وفي محيطها العربي، والإسلامي- لتصبح بين «المطرقة» و«السندان».. مطرقة التحديات الخارجية.. وسندان زعزعة الاستقرار في جبهتها الوطنية الداخلية[(67)]..!.

* مصر حباها الله – تعالى- بطبيعة جغرافية هيئتها لتكون كنانة الله في أرضه، ومصنعاً للتاريخ، والحضارات الأساسية التي لعبت دوراً محورياً في تاريخ البشرية، فلم يكن عبثاً أن كثيراً من قصص القرآن الكريم التي قصّها الله – سبحانه وتعالى-على محمد ﷺ – كان مسرحها أرض مصر الكنانة، ومن هذه القصص قصة موسى-عليه السلام- وفرعون حيث أن فرعون كان يمثل دولة تمتلك من القوة، والإمكانيات المادية، وضخامة البنيان، والعمارة ما ليس له مثيل لا في الأمم السابقة، ولا اللاحقة، ولا زالت آثارها شاهدة عليها للآن فأعظم هذه الآثار الأهرامات – قبور الفراعنة- التي حتى الآن، ومع كل التطور العلمي، والتكنولوجي لم يتوصل خبراء، وعلماء الآثار إلى كيفية بنائها حيث يقفون أمامها حائرين، وعاجزين عن حل ألغازها إلى أن وصل الأمر ببعضهم أن يقول بأن الله- سبحانه وتعالى- قد خلقها على هذا الشكل، فمصر يوجد فيها أكثر من ثلثي آثار الأمم، والحضارات السابقة الموجودة في العالم.

(67)د. محمد عمارة – الفتنة الطائفية متى وكيف وأين، ص9: 20 بتصرف.

أما مصر في تاريخ المسلمين فمنذ أن منّ الله على المسلمين بفتحها في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب فإنها قد لعبت دوراً محورياً، وأساسياً، ورئيسياً في صناعة هذا التاريخ المجيد، وفي بلورة فكرهم، ووجودهم بين الأمم، وحماية هذا الوجود من الاندثار، والضياع عندما تعرضت الأمة إلى أخطر الحملات الاستئصالية، والتي كادت أن تهدد وجودها في التاريخ، وأشهرها الحملات الصليبية، وغزوات التتار، والمغول، وكيف كانت مصر قلعة الإسلام الحصينة، وكنانة الله في أرضه.

فعندما فتح المسلمون بقيادة عمرو بن العاص مصر فتحت الطريق أمامهم لفتح معظم أفريقيا، جنوباً، وشمالاً حتى وصلوا إلى الأندلس غرباً. فكان انضمام مصر إلى حاضنة الإسلام، ودولته الفتية مصدر قوة بشرية، واقتصادية حيث أن خراجها جعل خزائن بيت مال المسلمين تفيض بالأموال، والخيرات التي صار ينفق منها على جيوش الفتح، والأمصار الفقيرة حتى أن المسجد الأقصى، وقبة الصخرة المشرفة في بيت المقدس تم بناؤهما من خراج مصر لمدة سبع سنوات، ولم يبق بلد في العالم الإسلامي لا يوجد فيه تكية لا يصرف عليها من خراج مصر، وخيراتها حتى سميت بخزائن الأرض، ألم يقل يوسف- عليه السلام- لعزيز مصر ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾[68].

إن دول النفط الحالية كانت تعيش قبل اكتشاف النفط على ما تقدمه لها مصر من كساء، وغذاء، وكانت ترسل لهم البعثات الطبية، والتعليمية، وهي أول من أدخل الكهرباء إلى المسجد الحرام، والمسجد النبوي في بداية القرن العشرين، وإن كسوة الكعبة كانت تتكفل بها مصر حتى عام1963م، وتوقفت عن ذلك لأسباب سياسية.

وتمضي الأيام، وتمر السنون فإذا بالفاطميين، والحشاشين، والباطنيين الذين تمردوا على الخلافة العباسية في بغداد يستولون على مصر مما أصاب العالم الإسلامي، والدولة الإسلامية بضعف جعل الدول الأوروبية الغربية الصليبية يطمعون في العالم الإسلامي مما دفعهم لتجييش الجيوش، وتشكيل الحملات الصليبية، وشن حروب على المسلمين مستهدفين في البدايات بلاد الشام، وخصوصاً الجزء الأقدس، والمبارك منها فلسطين،

(68)(يوسف/ 55).

وقلبها القدس التي كانت تحت سيطرة الفاطميين الشيعة يوم ذاك فسلموا بيت المقدس للصليبيين دون قتال فاستمرت في أيديهم لمدة ما يقارب التسعين عاماً إلا أن بعث الله البطل يوسف بن أيوب صلاح الدين الأيوبي فقام بتوحيد مصر مع الشام بعد القضاء على دولة الفاطميين التي تحالفت مع الصليبيين، وجيش جيشاً قوياً يضم مصريين، وشاميين، وأكراد، وأتراك، وانطلق به من الكنانة كالسهم إلى حطين في أرض فلسطين ليحطم جيوش الصليبيين في معركة كانت فاصلة في تاريخ المسلمين.

وتاريخ الحروب الصليبية كانت المقدمة لاستعادة بيت المقدس أولى القبلتين، وثالث المسجدين[69]، ومسرى الرسول محمدﷺ - ولكن الصليبيين قد عادوا بعد حوالي ثلاثين عاماً في عام1221م بحملة صليبية جديدة بقيادة (بيلاج) تستهدف الاستيلاء على مصر بكاملها انتقاماً من مصر لأن الجيش الذي استعاد منهم القدس انطلق من مصر، ولكن مصر الكنانة كانت لهم بالمرصاد حيث قام جندها الأبطال الذين بشّر بهم رسول اللهﷺ - بإغراق الأسطول الصليبي في دمياط، وتم تحطيم هذه الحملة، والقضاء عليها، ولكن الصليبيين لم ييأسوا فأعادوا الكرة مرة ثانية بعد حوالي ثلاثين عاماً فقاموا بحملة صليبية جديدة لأنهم أصبحوا على قناعة بأنهم لن يستقروا في المنطقة، ولن يستطيعوا إعادة احتلال القدس، والاستمرار في المنطقة إلا إذا سيطروا على مصر فشكلوا حملة صليبية جديدة بقيادة لويس التاسع في عام1250م وكانت هذه الحملة معبأة بالحقد الأسود على الإسلام، والمسلمين كما تدل الرسالة التي بعث بها لويس التاسع إلى الملك أيوب ابن الملك العادل حاكم مصر في ذلك الوقت حيث جاء فيها:« **كنت قد وجهت إليك عدة إنذارات فلم تحفل بها، وقد اتخذت الآن قراري سوف أهاجم بلادك، ولن أعود عن رأيي حتى وإن أبديت ولاءك للصليب، وإن الجيوش التي تدين لي بالطاعة لتملأ الجبال، والسهول، وهي بعدد الحصى، والتراب، وتسير إليك بسيوف القدر**».

وتحدث لويس في الرسالة عن انتصار الصليبيين على المسلمين في أسبانيا قائلاً:«**لقد طاردنا جماعتكم كقطيع البقر، وقتلنا الرجال، والنساء، وسبينا البنات، والصبيان أليس في ذلك عبرة لك؟**.

(69)التي تشد لهم الرحال، فعن أبي هريرة ﷺ عنِ النبيﷺ قال: «**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مَساجِدَ: المسجدِ الحرامِ، ومسجدِ الرسول** ﷺ **ومسجد الأقصى**» أخرجه البخاري رقم 1132ومسلم رقم1397.

أما جواب الملك أيوب على رسالة لويس فكانت: « **أنسيت أيّها الأحمق الأراضي التي كنتم تحتلونها ففتحناها في الماضي القريب وحتى من عهد قريب؟ أنسيت ما أنزلنا بكم من فواجع**»: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[70] **فهزيمتك محتمة، ولن تلبث أن تندم أشد الندم على المغامرة التي تورطت فيها.**

فكانت معركة المنصورة التي تمكن فيها بضع عشرات من السفن المصرية من إنزال هزيمة نكراء بالأسطول الفرنسي الصليبي حيث طوقت أفواج من المتطوعين من الشعب المصري المسلم المجاهد جيش الغزاة الذي حاول فك الحصار عن الأسطول الفرنسي. وما هي إلا ساعات قليلة حتى كان الصليبيون في حصار شديد، وإذا بلويس التاسع يستسلم، ويطلب الأمان، واقتيد إلى المنصورة مهزوماً مخذولاً مدحوراً مغلولاً، فهذه المعركة الخالدة كانت بمثابة السهم الأخير الذي أطلقته الكنانة، والذي لو طاش- لا سمح الله- لاستأصلت أمة الإسلام من الوجود.

وبعد أربعين عاماً تقريباً وفي عام1291م أطلق المسلمون بقيادة مصر طلقة الرحمة على الحروب الصليبية في معركة عكا الخالدة بقيادة الأشرف بن قلاوون، وابنه خليل حيث تم القضاء نهائياً على الوجود الصليبي في المنطقة، وبذلك أنقذت مصر العالم الإسلامي من خطر مميت.

ولقد توافقت الحروب الصليبية مع اجتياح التتار، والمغول للعالم الإسلامي من جهة الشرق، وبمنتهى الوحشية، والدموية حتى أن المسلمين أصابهم اليأس، والإحباط، وترسخ في أعماقهم بأن التتار، والمغول لا يمكن هزيمتهم، وخصوصاً بعد اجتياحهم بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ووصولهم إلى دمشق، وفلسطين، وحيث كانوا ينشرون الخراب، والدمار، ويزرعون الموت، والهلاك أينما مرّوا، أو حلّوا ولكن السهم الأخير مرة أخرى كان بيد مصر ففي عام1260م انطلق جيش مصر الكنانة بقيادة البطل المسلم قطز إلى أرض فلسطين المباركة ليلتقي مع جيش التتار، والمغول في قرية عين جالوت في شمال فلسطين فكان نصر الله المبين على يد الجيش المصري المسلم بقيادة المملوكي قطز، واندحر التتار، والمغول، وأخذ الجيش المصري يطاردهم إلى دمشق، ثم حلب، وليطهر بلاد الشام منهم فكانت مصر مرة أخرى هي السهم الأخير الذي لو طاش لتم اجتياح مصر، وأبيد المسلمون ولتمكن التتار، والمغول من إطلاق رصاصة الرحمة على دين الإسلام حيث أنهم كانوا يخططون لاجتياح مكة، والمدينة ولكن الله تكفل بحفظ دينه فكانت مصر الكنانة للمرة الثانية بعد الحروب الصليبية هي قدر الله بحفظ هذا الدين.

(70)(البقرة/ 249).

*وتمضي الأيام، وتمر السنون وإذا بالصليبيين يعودون مرة أخرى بعد ستة قرون تقريباً لاحتلال بلاد المسلمين فبدأوا بمصر فكان الصراع بين بريطانيا، وفرنسا في نهاية القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر على مصر لأنهما استخلصتا العبرة من الحروب الصليبية بأن الذي يفوز بمصر يفوز بالعالم الإسلامي، وأن لا استقرار لأي احتلال أجنبي في المنطقة بدون احتلال مصر، فجرت معركة أبي قير البحرية الشهيرة على شواطئ مصر بين الأسطول الفرنسي، والبريطاني وقعت خلالها في الأسطولين خسائر فادحة، وفي عام1798م احتل الفرنسيون مصر ثلاث سنوات تقريباً بعدها اضطر الفرنسيون تحت ضغط جهاد الشعب المصري للانسحاب.

*وتمضي الأيام، وتمر السنون فإذا ببريطانيا تعود بعد ثمانين عاماً من الحملة الفرنسية فتحتل مصر عام1882م ليدخل العالم الإسلامي في مرحلة خطيرة فمن مصر بدأت بريطانيا تحيك المؤامرات ضد الدولة العثمانية، وتخطط لاحتلال العالم الإسلامي فكان احتلال بريطانيا لمصر بمثابة انفراط لحبة العقد الذي ينظم العالم الإسلامي فما أن جاءت الحرب العالمية الأولى عام 1914م حتى كان جميع العالم الإسلامي تقريباً يخضع للاحتلال البريطاني مع نهاية الحرب وبذلك انفرط العقد بالكامل.

– وبعد الحرب العالمية الثانية عندما قررت الولايات المتحدة الأمريكية وراثة نفوذ بريطانيا في العالم الإسلامي بدأت بمصر فوقع صراع دولي بينهما وصل ذروته في العدوان الثلاثي على مصر عام1956م حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تعرف أن زحزحة بريطانيا من مصر يعني زحزحتها من المنطقة بالكامل لذلك كان موقف الولايات المتحدة ضد هذا العدوان، وأصرت على انسحاب بريطانيا، وفرنسا، وإسرائيل من الأراضي المصرية فوراً، وبالفعل كان جلاء بريطانيا عن مصر هو بمثابة انتهاء لها كدولة عظمى دخلتها وهي إمبراطورية لا تغيب الشمس عن أملاكها، وخرجت منها وقد غابت عنها الشمس.

ولم يتوقف الأمر على الحملات العسكرية ضد مصر، وإنما عندما أراد الاستعمار التمهيد لغزوه العسكري بدأ بالغزو الفكري من مصر فبدأت حملات التخريب الفكري على يد الإرساليات التبشيرية، وعملاء الغرب، وعندما أراد احتلال بلاد المسلمين احتل أولاً مصر، وعندما أراد إذلال الأمة عمل على إذلال مصر، وعندما أراد هزيمة الأمة عمل على هزيمة مصر، وعندما أراد تجويع الأمة عمل على تجويع مصر، وعندما أراد أخذ اعتراف المسلمين بإسرائيل عمل على أخذ اعتراف مصر، ولكن شعب الكنانة العظيم يرفض هذا الاعتراف.

فأعداء الأمة يعرفون بالاستقراء التاريخي أن مصر ـ ما دامت منهكة، وضعيفة، ومهزومة، ومكّبله فإن أمة الإسلام تبقى كذلك، وإسرائيل تعيش في أمان، واطمئنان، وأما إذا كانت مصر ـ حرة طليقة قوية فإن نفوذهم، ومصالحهم ستكون في خطر لأنهم يعرفون أن السهم الأخير الذي يقلب المعادلة، ويغير مسار التاريخ لمصلحة أمتنا دائماً ينطلق من كنانة مصر فهذا السهم هو الذي أنقذ الأمة في الحروب الصليبية، وهو الذي أنقذها في حروب التتار، والمغول، ولا زال هذا السهم في كنانة مصر فمتى ستتمكن مصر الكنانة من إطلاقه من كنانتها على هذا الواقع الرديء لتجعل عجلة التاريخ المتوقفة بأمتنا منذ أمد بعيد على محطة الذل، والهوان، والانكسار تدور 180 درجه، ولينقلب التاريخ رأساً على عقب، ولتعود أمتنا سيرتها الأولى؟ (71).

هذه مصر الكنانة التي في دمنا، وضميرنا، ووجداننا، وعقلنا، وتاريخنا الذي يجب أن نعلمه لأبنائنا، ومن لا يعرف لماذا مصر كنانة الله في أرضه عليه أن يقرأ التاريخ جيداً.

مصر بتاريخها، وجغرافيتها، وبوزنها البشري، والاقتصادي، والعلمي، والحضاري، وقبل هذا بتاريخها العريق في التصدي للغزاة عبر العصور منذ المصريين القدماء الذين واجهوا الهكسوس إلى التتار، والصليبيين، وأخيراً دورها البارز، والحاسم في الصراع العربي الإسرائيلي الذي كان وسيبقى مركز، ومحور مواجهة الهيمنة الصليبية، ومحاولة التوسع الإسرائيلي في المنطقة.

مصر بهذه المقومات كانت، وستبقى بؤرة الصراع ذي البعد الديني في المنطقة، ليس فقط بين العرب، وإسرائيل، ولكن بينها وبين القوى الصليبية الطامعة في المنطقة.

ولأن البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي له تأثيره الخطير على الجانبين باعتباره الحافز الأكبر في شحذ الوجدان، وحفز الهمم، ورفعها، وتحريك القوى، وتجييشها للعمل فقد تمكنت إسرائيل من استثماره لصالح أهدافها في المنطقة في مرحلتين بالغتي الأهمية:

كانت أولاهما: فيما عرف بالتسويق الإعلامي المكثف لنبوءة أحد الأنبياء ويدعى «جزقيال» والتي تقول– حسب مصادرهم– إن المسيح – عليه السلام– لن ينزل إلى الأرض فيملؤها عدلاً بعدما ملئت جوراً إلا بعد وقوع معركة من الألفية الثالثة معركة «أرما جدون»

(71)مقال رائع للكاتب الفلسطيني: محمد أسعد بيومي التميمي بعنوان: لماذا مصر ـ كنانة الله في أرضه؟ مركز المقريزي للدراسات التاريخية www.almaqreze.net

أو« هارما جدون» في أرضنا العربية بين بحيرة « طبرية» و«البحر الميت» وفيها تسيل الدماء جداول، ويفنى ما يزيد عن المليونين من البشر، وطبعاً- وكما تزعم النبوءة- سيكونون من «الجواييم» أي منا نحن العرب، والمسلمين، ولن يكونوا من اليهود، وقد عملت إسرائيل تساندها الصهيونية العالمية على الإفادة من هذه النبوءة في العالم الغربي الصليبي الذي تسعده بالطبع عودة المسيح فيقف إلى جانب إسرائيل بكل قوته، كما هو واضح مشاهد لا يحتاج إلى دليل، وما أقوله هنا ليس من عندي بل هو بعض ما تحدثت به الكاتبة الأمريكية : «جريس هيلساي» في كتابها «النبوة والسياسة» والمترجم إلى العربية بمعرفة جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا.

تقول الكاتبة: «**إن إسرائيل نجحت للترويج لهذه النبوءة وأقنعت بها كثيرين من أصحاب القرار في الولايات المتحدة، بل إنها رتبت رحلات لزيارة أرض المعركة المنتظرة وذلك منذ عام** 1938م.

تلك كانت الخطوة البارعة الأولى على طريق اجتذاب، وحشد إسرائيل، والصهيونية من ورائها للعالم الصليبي ليكون ظهيراً لها فيما تخطط له من احتواء دموي للمنطقة العربية، وفي طليعتها مصر، وهي خطوة نبوءة حزقيال، وعودة المسيح في الألفية الثالثة كما ذكرنا، وكانت بمثابة مقدمة.

أما الخطوة الثانية: فقد تحققت نتيجة لهذه المقدمة وذلك عندما أعلم المجمع المسكوني(72)(المتحدث باسم الصليبية عامة) أعلن عما أسماه« تبرئة اليهود من دم المسيح- عليه السلام- »وبصرف النظر عن اختلاف معتقدنا كمسلمين يقول كتابنا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾(73)، فحسب المعتقد عندهم أن اليهود هم قتلة المسيح فإذا جاء المجمع المسكوني في عام1963م ليعلن براءتهم من دمه تكون من زاوية أخرى إعلاناً من اليهود، والنصارى وقد أصبحوا إخوة ليس فقط متحابين، بل ارتفع من بينهم حاجز العداء بقتل المسيح، وأصبحوا على درب واحد يتجه فيه العداء المشترك إلا عدو واحد هو الإسلام(74).

---

(72)**المجمع المسكوني**: معناه اجتماع رعاة ومعلمي الكنيسة من جميع جهات المسكونة «العالم»، لمناقشة أمر يخص الإيمان المسيحي، بهدف حفظ النظام، وسلامة العقيدة بين النصارى في شتى أنحاء العالم، ويقترب هذا المصطلح من تعبير «مؤتمر دولي»، ولكنه لا يخص الدول، بل الكنائس النصرانية في البلدان المختلفة، وهو مَجْمَعٌ نصراني يَنْزَعُ إِلَى تَوْحِيدِ جَمِيعِ الكَنَائِسِ.

(73)(النساء/ 157).

(74)ألغى هذا المجمع المسكوني بجرة قلم عشرات النصوص من كتابهم المقدس التي تؤكد أن اليهود هم من صلبوا وقتلوا المسيح!!!.

وهذا ما هو حاصل اليوم..فالعالم الغربي الصليبي الذي تفرض منظمته المسماة بالأمم المتحدة يفرض على العالم كله عقوبات قاسية إذا لم توقع دولة على معاهدة حظر التجارب النووية، ويخضع الجميع، ويوقعون إلا إسرائيل فهي التي يقبل الغرب الصليبي رفضها للتوقيع مع علمه اليقيني باستمرار إنتاجها للسلاح النووي إضافة إلى المخزون الذي يعرفه العالم كله من الرؤوس النووية، نحن إذن أمام واقع مشهود لا مجال للارتياب فيه: واقع يتحرك بخطى حثيثة للوصول بقوة إسرائيل إلى حيث تكون أقوى من جميع دول المنطقة مجتمعة؛ بل ولتكون قادرة على هزيمة العرب مجتمعين عند أي صدام.

ولأن مصر هي الدولة القوية، والمحورية التي أذاقت إسرائيل مرارة الهزيمة في حرب رمضان الشهيرة فهي بذلك الدولة الأولى المرشحة للثأر منها لتمزيقها من الداخل، وإضعاف قواها حتى لا تقوم لها قائمة فتنفرد إسرائيل بالعرب أجمعين دون جهد يذكر.

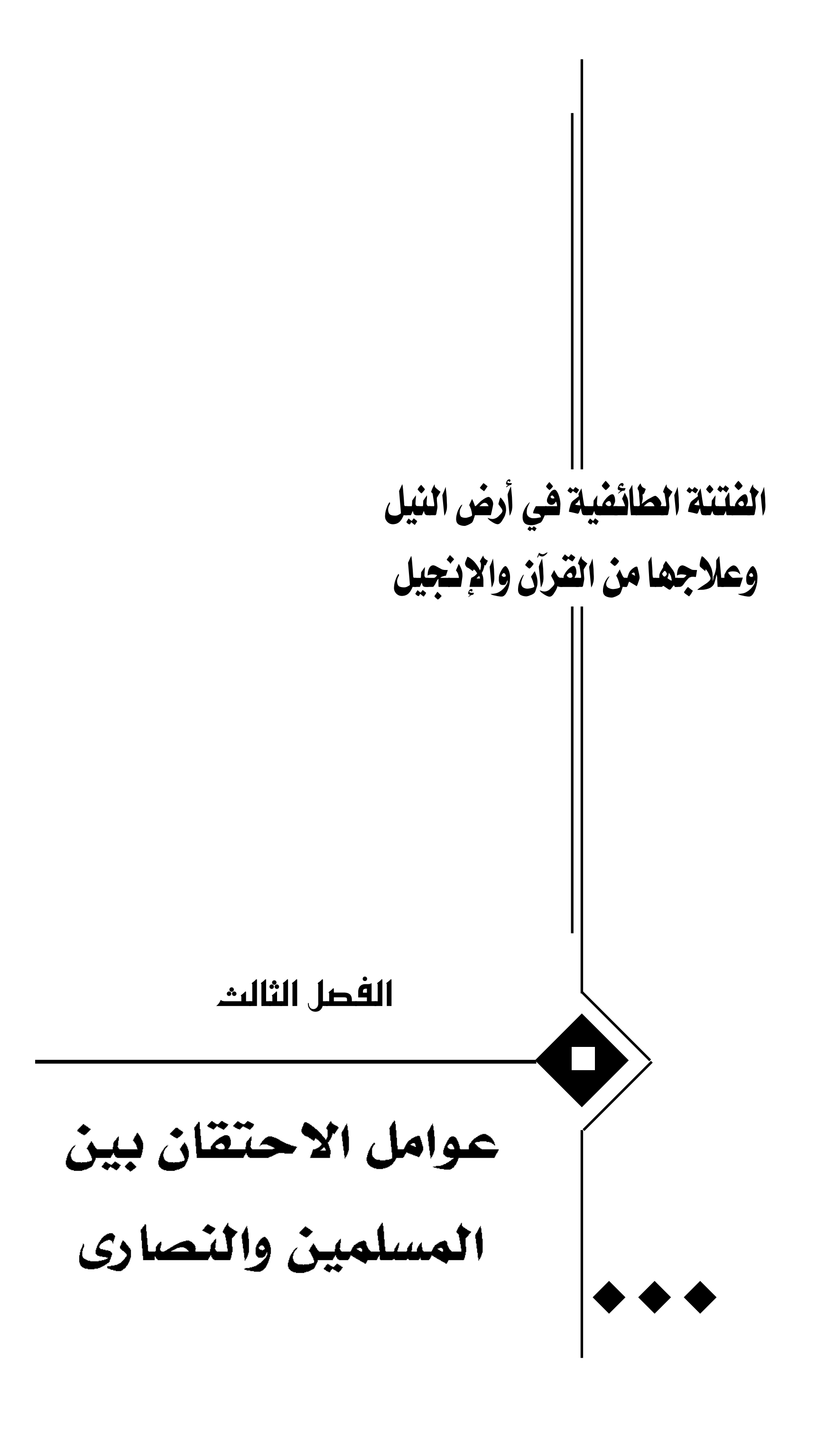
إن مصر المستهدفة قوية في التاريخ، والجغرافيا، والثقل البشري والحضاري، ومن ثم لم يجد معها استخدام القوة إلا إذا جرى التمهيد الكبير له حتى لا يهزم كما هزمت في حرب رمضان، والحل عند شياطين البشر من اليهود، والصهاينة، والغرب الصليبي السائر في ركابها هو اختراق مصر من الداخل من خلال ما يسمى بالمراكز البحثية العلمية، ومن خلال الدعوة إلى التطبيع مع العدو الصهيوني كما تنادي به جماعة كوبنهاجن، ثم الاختراق السياسي من خلال الوقيعة بين المسلمين والأقباط تحت مسمى« دراسة هموم الأقباط ومشكلاتهم» كل هذه المحاولات وقعت بالفعل على أرض الواقع، وتحدث بها الإعلام المصري المعاصر، لكن أخطر ما فيها جميعاً هو محاولة اللعب بورقة ما أصدره الكونجرس الأمريكي في الولايات المتحدة باسم قانون الاضطهاد الديني، والذي أعطت فيه أمريكا لنفسها الحق زوراً، وعدواناً، وتدخلاً فجاً في الشئون الداخلية للدول الأخرى، وذلك في أن تفرض عقوبات على الدول التي تمارس هذا الاضطهاد الديني.

وأجمعت كل مراصد الفكر السياسي، والثقافي على أن هذا القانون: (قانون الاضطهاد الديني) موجه في الدرجة الأولى لمصر، وذلك بتأثير بعض العناصر العميلة التي هاجرت إلى الولايات المتحدة، ونسمع بأخبار تظاهرهم أمام الكونجرس، وأمام البيت الأبيض عند زيارة المسئولين لأمريكا صارخين بأنهم يضطهدون في مصر، والواقع يكذب هذا الادعاء فالأقباط في مصر منذ فجر الإسلام وإلى اليوم يتمتعون بحرية، ومساواة، ومودة شعبية مع المسلمين لا يكاد يوجد لها نظير في أي بلد آخر ليس في المنطقة العربية وحدها، بل ليس لها نظير في تعاملات الغرب الصليبي مع الأقليات المسلمة التي تعيش في ديار الغرب.

إن الوعي بمجريات الأمور، والأحداث، ودقة تحليلها، والربط بينها، واستخلاص النتائج منها ضرورة وطنية، وقومية لمعرفة اتجاه الريح، وكشف المستور من مخططات القوى المعادية لمصر، هذا الوعي ضرورة دينية قصوى لأن البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي حقيقة على كل أبناء مصر أن يدركوها أقباطاً، ومسلمين لأن التآمر على سفينة الوطن لو نجح – لا قدر الله– فلن ينجو منه أحد، ولن تفرق الرصاصة الموجهة إلى صدر مصر بين قبطي ومسلم...ألا فلنكن على حذر[75].



(75)د. محمد عمارة : كتاب أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر، من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تقديم الدكتورعبد الصبور مرزوق، رقم60، السنة 1424هـ، ص3– 9 بتصرف يسير.



الفصل الثالث

عوامل الاحتقان بين المسلمين والنصارى

إن المتتبع لما يدور على الساحة المصرية من أحداث طائفية بين المسلمين، والنصارى يمكن أن يرصد مجموعة من الأسباب يمكن أن تكون من أهم أسباب هذا الاحتقان، وقد اجتهدت في رصد هذه الأسباب محاولاً وضع حلول شرعية لها من خلال اتفاق وجهتي النظر الإسلامية، والنصرانية حول الكثير من هذه الأمور.

بناء الكنائس:

من أكثر الأمور التي تثير عملية الاحتقان بين المسلمين، والنصارى قضية بناء الكنائس، لدرجة أن البعض يزعم أن70٪ من الاحتقان الطائفي بسبب بناء الكنائس، وكثيراً ما احتدم صراع بين مجموعات من هنا، ومن هناك على بناء كنيسة، وينتهي الأمر بتدخل الجهات الأمنية، ومن ثم تدخل العقلاء من الجانبين، وتعقد جلسات المصالحة، والتي تنتهي بمحاولة إرضاء الطرفين، دون وضع لحل جذري يضمن على الأقل عدم تكرار هذه الأحداث.

لقد صار بناء الكنائس مسمار جحا الذي يتحرش من خلاله المتمردون الطائفيون بالإسلام والمسلمين لمحوهما من مصر، ويمارسون به اختبار القوة ليروا إذا كانت السلطة تستطيع مواجهتهم، أم تتقبل العدوان والهوان ببساطة كما جرى في العمرانية، ومن قبلها في المنيا، والإسكندرية، وبني سويف، والفيوم، ومدن الصعيد الأخرى، وهاهم يعدون الميليشيات المسلحة بالمولوتوف، والسلاح الأبيض، ويجمعون أفرادها المقاتلين من شتى أرجاء مصر ليقوموا بالعمليات الاستشهادية، وتدمير المباني الحكومية، وقطع الطريق العام، وإحراق السيارات، واحتجاز الرهائن، والاعتداء على القوات المسلحة، ومحاولة اقتحام ماسبيرو، وبعدها يجدون الدعم والدعاية التي تضعهم في خانة المجني عليهم... فهناك خونة المهجر، وتقارير الخارجية الأمريكية عن الاضطهاد الديني، وفي الداخل نجد المتنصرين، والعلمانيين، والماركسيين، المتأمركين، والجناح المعادي للإسلام في السلطة، كل هؤلاء يقفون إلى جانب المتمردين الخونة، ويقولون : إنهم يعبدون الله ! وبالطبع فالتخريب، والتدمير، وتكوين الميليشيات المسلحة يدخل تحت هذه العبادة الطائفية!.

أما رئيس الكنيسة وبطانته فيلوّحون بالاعتكاف في وادي النطرون، وافتداء المقاتلين بدمائهم وأرواحهم! وكأنهم يؤكدون أنهم كانوا من ورائهم في هجماتهم الانتحارية ضد المحافظة والحي والشرطة والناس !ويبقى الشعار الخالد: كنيسة لكل مواطن![76].

واعتقد أن عدم المصارحة، وكشف الأوراق سبب كبير في إبقاء الوضع على ما هو عليه، وفي البداية لابد من الاتفاق على هذه النقاط:

أولاً: يمثل المسجد، والكنيسة جزء لا يتجزأ من عبادات المسلمين والنصارى، ففي المسجد يؤدي المسلم الصلوات الخمس، والجمعة، والعيدين، والكثير من الشعائر التعبدية، وفي الكنيسة يؤدي النصارى طقوسهم الدينية، ومن أهمها: الصلاة، التعميد، والاعتراف، وغير ذلك من الشعائر التي فرضتها النصرانية.

ثانياً: الإسلام يحترم بيوت العبادة لغير المسلمين، وينهى عن الاعتداء، والعدوان عليها بأي صورة من الصور.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[77]، ولعل أظهر المواقف التي تدل على احترام المسلمين لبيوت العبادة عند غير المسلمين اعتذار الخليفة عمر بن الخطاب لبطريرك القدس «صفرينيوس»(17هـ638 م) عن عدم الصلاة في الكنيسة احتراماً لخصوصيتها، واختصاص أهلها بها، كي لا يأتي حاكم مسلم- في قادم الزمان- فيتأول صلاة عمر في الكنيسة بأن للمسلمين حقاً في جزء منها!! [78].

(76)د. حلمي محمد القاعود: الضيافة والشهادة يوميات التمرد الطائفي على أرض التسامح، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الأولى2011م، ص125، 126.

(77)(الحج/ 40).

(78)د. محمد عمارة: هذا هو الإسلام، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى 1426هـ/ 2005م، 3/ 12.

ومن أعظم الوصايا، والتوجيهات الدينية هذه الوصية الخالدة التي أوصاها خليفة رسول الله أبوبكر الصديق لقائد جيشه أسامة بن زيد ، وجنده: «**لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، و لا تعزقوا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له**»[79]، وقد رأينا كيف اشتمل عهد النبيﷺ - إلى أهل نجران، أن لهم جوار الله، وذمة رسوله على أموالهم، وملَّتهم، وبِيَعهم.

وفي عهد عمر بن الخطاب إلى أهل إيلياء (القدس) نص على حُريتهم الدينية، وحرمة معابدهم، وشعائرهم :«هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، وسائر ملَّتها، لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبها، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود...» [80].

ويبدو أن العمل جرى على هذا في تاريخ المسلمين، وذلك منذ عهد مبكر، فقد بُنِيت في مصر عدة كنائس في القرن الأول الهجري، مثل كنيسة «مار مرقص» بالإسكندرية ما بين (39-56هـ) كما بُنِيت أول كنيسة بالفسطاط في حارة الروم، في ولاية مسلمة بن مخلد على مصر بين عامي (47-68هـ) كما سمح عبد العزيز بن مروان حين أنشأ مدينة «حلوان» ببناء كنيسة فيها، وسمح كذلك لبعض الأساقفة ببناء ديرين، وهناك أمثلة أخرى كثيرة، وقد ذكر المؤرخ المقريزي في كتابه «الخِطط» أمثلة عديدة، ثم ختم حديثه بقوله: وجميع كنائس القاهرة المذكورة محدَثة في الإسلام بلا خلاف[81].

---

(79)د. عبد الودود شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ص (190-197).

(80)الطبري: تاريخ الطبري، دار المعارف، مصر،3/ 609.

(81)د. علي حسني الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، ص139؛ توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص84 – 86.

وهذا التسامح مع المخالفين في الدين من قوم قامت حياتهم كلها على الدين، وتم لهم به النصر، والغلبة، أمر لم يُعهد في تاريخ الديانات، وهذا ما شهد به الغربيون أنفسهم، يقول العلامة الفرنسي جوستاف لوبون: «**رأينا من آي القرآن التي ذكرناها آنفًا أن مسامحة محمد لليهود، والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية، وأنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية، والنصرانية على وجه الخصوص، وسنرى كيف سار خلفاؤه على سنته» وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون، أو المؤمنون القليلون الذين أمعنوا النظر في تاريخ العرب، والعبارات الآتية التي أقتطفها من كتب الكثيرين منهم تثبت أن رأينا في هذه المسألة ليس خاصًا بنا.**

قال روبرتسن في كتابه «تاريخ شارلكن»: «**إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم، وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشرًا لدينهم، تركوا مَن لم يرغبوا فيه أحرارًا في التمسك بتعاليمهم الدينية**»[82].

قال الدكتور محمد عمارة :«... وإذا كان الحق في بناء دور العبادة، وفي إقامة الشرائع الدينية فيها هو مما كفله الإسلام، بل وأوصى الدولة الإسلامية بأن تعين، وتساعد عليه غير المسلمين..قرر الإسلام ذلك، وطبقه قبل أي حديث عن حقوق الإنسان، ولما كانت هذه القضية قد اكتسبت الكثير من الحساسية؛ لكثرة ما قيل فيها وعنها، ولما اختلط في أوراقها من حق ومن أكاذيب..فإن الاقتراح الذي نقدمه- للحوار حوله- بصددها، هو الذي سبق، واقترحه شيخنا محمد الغزالي- رحمه الله- في الندوة التي دعت إليها نقابة المهندسين بمصر منذ سنوات، والتي حضرها معنا البابا شنودة الثالث، وفيها اقترح الشيخ الغزالي أن يعطى كل أهل دين مساحة من الأرض لبناء دور عبادتهم عليها مساوية لنسبتهم العددية إلى السكان..فهذا هو المعيار العادل، الذي يخرج هذه القضية الحساسة، والحيوية من غلو الغلاة، وكل الغلاة.. غلو الذين يضيقون ببناء الكنائس..وغلو الذين يريدون لبناء الكنائس أن يكون مظهراً من مظاهر«الاستقواء» والتغيير لهوية المجتمع، لحساب الهوية المستوردة التي لا علاقة لها بهويتنا المشتركة[83].

(82)حاشية من صفحة 128 من كتاب «حضارة العرب» لجوستاف لوبون.

(83)د. محمد عمارة :الإسلام والأقليات الماضي والحاضر والمستقبل، ص52.

ثالثاً: من المؤكد أن عدد الكنائس بالنسبة لعدد النصارى يزيد عن عدد المساجد بالنسبة لعدد المسلمين في مصر[84]، ومن الحقائق المسلم بها أن ما تم بناؤه من الكنائس في الـ25 سنة الماضية يزيد عن500 كنيسة، وهذا العدد يفوق ما تم بناؤه في المائة سنة الماضية.

فقد قام البابا شنوده بافتتاح ثلاث كنائس جديدة في سيناء، هي: كنيسة السماويين بشرم الشيخ، والنبي موسي بطور سيناء، وكنيسة في رأس سدر..الأولى شهدت افتتاحا فخماً، وكان منظرها الضخم ببرجيها الشاهقين على غير العادة في بناء الكنائس يوحي أننا إزاء قلعة عسكرية، أو حصن عسكري ضخم. والسؤال الذي يفرض نفسه كم نصراني في سيناء ومحافظاتها الثلاث يجب أن تبنى لهم هذه القلاع الثلاث الجديدة ؟.

وقد نشرت بوابة الأهرام 2/ 12/ 2010 م، أن رئيس جمهورية مصر العربية أصدر قرارات جمهورية ببناء الكنائس الآتية في عام 2010 على النحو التالي:

1 - قرار رئيس الجمهورية رقم(307) لسنة 2010، يرخص لطائفة الأقباط الأرثوذكس بكنيسة مار جرجس بقرية أولاد إلياس - مركز صدفا - بمحافظة أسيوط، في26 أكتوبر 2010.

2- قرار رئيس الجمهورية (306) لسنه 2010، يرخص للطائفة الإنجيلية بالكنيسة الإنجيلية، الكائنة بقرية الزرابي مركز أبو تيج بمحافظة أسيوط، في26 أكتوبر 2010.

3- قرار رئيس الجمهورية رقم (288) لسنة 2010، بالترخيص لطائفة الأقباط الأرثوذكس بكنيسة الشهيد القديس مار جرجس بكفر يوسف سلامة – مركز الزقازيق بمحافظة الشرقية، في11 أكتوبر2010 .

4- قرار رئيس الجمهورية رقم (248) لسنة 2010 يرخص لطائفة الأقباط الإنجيليين بكنيسة الأخوة البليموث بقرية باخوم – مركز ساحل سليم – بمحافظة أسيوط، في12 أغسطس 2010.

5- قرار رئيس الجمهورية رقم (210) لسنة 2010، يرخص لطائفة الأقباط الإنجيليين بكنيسة الأخوة البليموث بقرية الشامية – مركز ساحل سليم – بمحافظة أسيوط، في 22 يوليو 2010.

(84)شبكة الأخبار الغربية محيط4 شوال1430هـ/ 24/ 9/ 2009م.

6- قرار رئيس الجمهورية رقم (145) لسنة2010، الترخيص للطائفة الإنجيلية بالكنيسة الإنجيلية الكائنة بناحية منشأة الحواصلية، بمركز المنيا، محافظة المنيا، في29 مايو 2010.

7- قرار رقم (125) لسنة 2010، بالترخيص للطائفة الإنجيلية بالكنيسة الرسولية الكائنة بمنشأة بكير، مركز بني مزار، محافظة المنيا، في9 مايو2010.

8- قرار رئيس الجمهورية رقم (124) لسنة 2010، الترخيص لطائفة الأقباط الأرثوذكس بكنيسة الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس، الكائنة بقرية جعفر مركز الفشن، محافظة بني سويف، 9مايو2010.[85]

وقد تساءل المفكر النصراني ميلاد حنا:« ما الحكمة من بناء كنائس أكثر من نسبة الأقباط أنفسهم؟، في إشارة إلى تزايد أعداد الكنائس في مصر بشكل تفوق نسبة الأقباط الذين تقدر الإحصاءات بأن عددهم لا يتجاوز ستة ملايين على الأكثر، جاء ذلك خلال مداخلة له مع ممدوح نخلة رئيس مركز الكلمة لحقوق الإنسان على فضائية BBC العربية تعليقاً على تقرير وزارة الخارجية الأمريكية حول حقوق الإنسان بمصر قائلاً :أنا لا يهمني رأي أمريكا، ولا غيرها أنا يهمني رأي المصريين أقباطاً، ومسلمين»[86].

وقد استجابت الدولة لمطالب النصارى بتسهيل إجراءات بناء الكنائس، وأصدرت قرارًا في (يناير1998م) يقضي بتفويض المحافظين المصريين في مباشرة اختصاصات رئيس الجمهورية بالترخيص للطوائف الدينية ببناء الكنائس، وترميمها.

وفى شهر مارس1998م قامت الحكومة المصرية برد أموال الأوقاف القبطية إلى الكنيسة، ومنحتها تفويضًا كاملاً بالتصرف في الأوقاف القبطية، وإدارتها.

(85)د. حلمي محمد القاعود: الضيافة والشهادة يوميات التمرد الطائفي على أرض التسامح، ص123.

(86)المصريون14/ 2/ 2010م.

وإذا كانت نسبة الكنائس لعدد النصارى تزيد عن نسبة المساجد لعدد المسلمين.. فإن الواقع يقول :إن الكنائس مفتوحة على مدار النهار والليل.. ومنبر الكنيسة حر كل الحرية، والشاب القبطي ينام في بيته آمناً، وأروقة الكنائس مفتوحة أمام التبتل النصراني- وحتى الرهبنة-. فمن هم المحظوظون في بلادنا- حتى في الكنائس والعبادات-؟!(87).

* ويقول أيضاً وفق إحصائية فرنسية موثقة أن مساحة الكنائس، والأديرة في مصر وحدها يزيد على عدد دور العبادة للمسلمين في العالم كله!!!!، وعلى الرغم من ذلك فلم يكف النصارى في الداخل، والخارج عن المطالبة بزيادة عدد الكنائس متخذين من هذه القضية سبة يشوهون بها وجه مصر حكومة، وشعباً وكأن مصر ستضار إذا ما جلس أبناؤها النصارى في كنائسهم يصلون!..مع أن عمرو بن العاص (50ق هـ-43/ 574- 664م) هو الذي حرر كنائس مصر من الاحتلال البيزنطي لا ليحولها إلى مساجد، وإنما ليعيدها إلى أقباط مصر، وهو الذي حال بين المسيحية المصرية، وبين الفناء المحقق.. ومن بعده أنجبت مصر إمام الفقهاء الليث ابن سعد(94-175هـ/ 713-791م) الذي أفتى بأن بناء الكنائس من عمارة البلاد»! كما أنجبت جمال عبدالناصر(1336هـ1390هـ/ 1918-1970م) الذي أسهم، وشارك في إقامة صرح الكاتدرائية المرقصية التي ترى ساريتها في أغلب أنحاء القاهرة.. وأنجبت حسني مبارك الذي شهد عهده موجة من بناء الكنائس غير مسبوقة في عقود القرن العشرين.

مصر هذه يصورها العملاء من أقباط المهجر، واللوبي الصهيوني في أمريكا، والتحالف السياسي في الكونجرس الأمريكي، وسعد إبراهيم- وجميع الذين اتخذوا الكذب في موضوع الأقليات مصدراً للسحت الذي يرتزقون منه- وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾(88).

(87)د. محمد عمارة: أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر، ص45.

(88)(الواقعة/ 82).

الخط الهَمَايوني المُفترى عليه :

كثيراً ما هُوجمت مصر شعباً، وحكومة لأنها ما زالت بعد قرن ونصف من زوال الدولة العثمانية تطبق على مواطنيها الأقباط قانوناً عثمانياً صدر سنة 1856م اسمه الخط الهمايوني، وأن بناء الكنائس في مصر لا يزال إلى الآن محكوماً ببنود هذا الخط الهمايوني».

قال الدكتور محمد عمارة :«... وكان عجبي يتزايد ليس فقط من الكذب، والكذابين، وإنما من حكومتنا التي تنفق بسخاء على طوابير من المثقفين كيف لا تفكر هذه الحكومة في تحقيق هذا الأمر، لنفي ودحض هذه الأكذوبة التي غدت سبة في جبينها يرددها صباح مساء العملاء من أقباط المهجر، والأعداء في الكونجرس الأمريكي، واللوبي الصهيوني في أمريكا، وكل المنتفعين بالتمويل الأجنبي في مصر ـ تحت لافتات مراكز الأبحاث، والدراسات في هموم، ومشاكل، ومطالب الأقباط، وإذا كان الهدف هو تجلية الحقيقة لنفي ودفن الأكذوبة فلنبدأ بتعريف القارئ بمعنى هذا الخط الهمايوني:

* إن معنى كلمة الخط القانون..ومعنى الهمايوني هو الشريف.. فبالمصطلحات العثمانية « الخط الهمايوني» هو القانون السلطاني الشريف العظيم.

* وهذا الخط الهمايوني هو واحد من القوانين الإصلاحية التي سميت بالإصلاحات الخيرية تلك التي أصدرها السلطان عبد المجيد خان (1255- 1277هـ/ 1839-1861م) في (11جمادى الآخرة سنة 1272هـ- 18فبراير1856م) لإنصاف الأقليات غير الإسلامية من رعايا الدولة العثمانية(89).

وإزالة مظاهر التمييز بينهم، وبين المسلمين، وتقرير المساواة بكل رعايا الدولة، وبصرف النظر عن العقيدة الدينية، ولقد كان الهدف من إصدار هذا القانون التقدمي الإصلاحي هو سد ثغرات التدخل الأجنبي الاستعماري في شئون الدولة العثمانية بدعوى، وحجة حماية الأقليات الدينية ذات الروابط المذهبية مع الدول الاستعمارية في ذلك التاريخ فلقد كانت القيصرية الروسية- وهي أرثوذكسية- تتدخل في الشئون العثمانية بدعوى حماية الروم الأرثوذكس من الرعايا العثمانيين.. وكذلك كانت تفعل فرنسا مع الروم الكاثوليك، وإنجلترا مع الإنجيليين.

(89)السابق، ص22.

أي أن هـذا الخـط الهمايـوني قـد صـدر ليحقـق الإنصـاف، والإصـلاح سـداً لثغـرات التـدخل الاسـتعماري في شـئون الدولـة، تلـك الثغـرات التـي كانـت متمثلـة في الأقليـات ذات الارتبـاط والعلاقـات المذهبيـة مـع القـوى الاسـتعمارية الكـبرى في ذلـك التـاريخ- القيصريـة الروسية..وفرنسا..وإنجلترا[90].

ومن الجدير بالذكر أن هذا الخط اتخذه السلطان المسلم بناءً على طلب من الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، وبعـد إلحـاح شـديد مـن نصـارى مصر، وبعـد وسـاطات لوجهـاء الأمـة مـن النصـارى، والمسلمين حتى يستجيب، ويُصدر أوامره بعدم السماح لأي جهـة - أيـاً مـا كانـت- بإصـلاح، أو تـرميم، أو بنـاء كنيسـة جديـدة إلا بعـد الرجـوع إلى البـاب العـالي!. وذلـك لمواجهـة الزحـف الكاثوليكي، والبروتستانتي، الذي جاء إلى مصر كالوحش الكاسر يهدد الكنيسة المصرية بما يملك من أموال، وإمكانات لم تكن متوفرة للكنيسة المصرية وقتئذ، وكذلك حماية للأرثوذكس المصريين مـن جهـود الكَثْلَكَـة (نسـبة إلى الكاثوليكيـة) والأنجلـة (نسـبة إلى الإنجيليـين) التـي مارسـتها الإرسـاليات الأجنبيـة في شـعب النصـارى، واسـتطاعت أن تجـذب إليهـا الآلاف مـن نصـارى الأرثوذكس المصريين.

إذن السلطان أصدر الأمر الهمايوني بعد توسلات، ورجاء بابـا الكنيسـة، ورهبانهـا، وقِسِّيسـيها، وشمَّاسـيها، وخـدامها و...، بعـدما هجمـت الإرسـاليات الكنسـية الكاثوليكيـة الرومانيـة، والبروتسـتانتية الفرنسـية، والإنجليزيـة، والألمانيـة، والأمريكيـة عـلى بـلاد المسـلمين تحـت مظلـة الحملات الصليبية أحياناً، وبمصاحبة قوات الاحتلال الغربي أحياناً أخرى، ثم مـن خـلال الغـزو الثقافي، والفكري لبعض العقول في بلاد المسلمين.

* ولقد نص الخط الهمايوني على ضرورة رفع المظالم المالية عن النصارى سواء تلك التي كانت لحساب جهاز الدولة، أو لحساب كبـار رجـال الـدين في طوائـف هـؤلاء النصـارى.. وبلُغَـةِ ذلـك العصر، جاء في هذا القانون:«**ويصير منع كافة الجوائز، والعوائد، الجـاري إعطاؤهـا للرهبـان مهـما كانـت صـورتها، وتخصـص إيـرادات معينـة بـدلها للبطارقـة، ورؤسـاء الطوائـف، ويصـير تعيـين معاشات بوجه العدالة، بموجـب مـا يتقـرر، وبحسـب أهميـة رتـب ومناصـب سـائر الرهبـان، ولا يحصـل السـكوت عـلى أمـوال الرهبـان المسـيحيين المنقولـة وغـير المنقولـة، بـل يصـير إحالـة حسـن المحافظة عليها على مجلس مركب من أعضـاء تنتخبهم رهبـان، وعـوام كـل طائفـة لإدارة مصـالح طوائف المسيحيين، والتبعة غير المسلمة .**

(90)السابق.

ففي هذا النص تقرر رفع المظالم عن كاهل النصارى، وتنظيم الرواتب، والمعاشات للرهبان، ورجال الدين، وتكوين مجالس– بالانتخاب العام- لإدارة شئون هذه الملل غير المسلمة.. وذلك للمرة الأولى في تاريخ هذه الطوائف.

* لإزالة عبارات التمييز، والتحقير التي كانت تستخدم- بالمحررات والمكاتبات الرسمية- ضد النصارى كما في نص الخط الهمايوني: «**تمحى وتزال إلى الأبد من المحررات الرسمية الديوانية كافة التعبيرات، والألفاظ المتضمنة تحقير جنس لجنس آخر، في اللسان، أو الجنسية، أو المذهب من أفراد تبعة سلطنتنا السنية، ويمنع قانونا استعمال كل وصف، وتعريف يمس الشرف، أو يستوجب العار بين أفراد الناس، ورجال الحكومة.**

* ولتقرير الحرية الدينية في الاعتقاد، وأداء الشعائر نص الخط الهمايوني:«**وبما أن عوائد كل دين، ومذهب موجود بممالكنا المحروسة جارية بالحرية، فلا يمنع أي شخص من تبعتنا الملوكية من إجراء رسوم الدين المتمسك به، ولا يؤذي بالنسبة لتمسكه به، ولا يجبر على تبديل دينه ومذهبه.**

*ولتقرير مبدأ المساواة بين جميع الرعية من كل الديانات، والمذاهب في تولي الوظائف العامة بالدولة، والمدارس المدنية، والعسكرية نص الخط الهمايوني(91): «**وتكون انتخاب، وتعيين خدمة ومأموري سلطنتنا السنية منوطاً باستنساب إرادتنا الملوكية، فيصير قبول تبعة دولتنا العلية من أي ملة كانت في خدماتها، ومأمورياتها بحيث يكون استخدامهم في المأموريات بالتطبيق للنظامات المرعية الإجراء في حق العموم بحسب استعدادهم وأهليتهم. وإذا قاموا بإيفاء الشروط المقررة بالنظامات الملوكية المختصة بالمكاتب التابعة لسلطنتنا السنية، بالنسبة للسن، والامتحانات يصير قبولهم في مدارسنا الملكية، والعسكرية بلا فرق، ولا تمييز بينهم، وبين المسلمين..**».

* وفوق كل ذلك فتح هذا الخط الهمايوني الباب لهذه الطوائف، والملل كي تنشئ المدارس الخاصة بها على اختلاف تخصصاتها فجاء في نصه: «**وعدا ذلك فإن كل طائفة مأذونة بإعداد مكاتب أهلية للمعارف، والحرف، والصنائع، إنما طرق التدريس، وانتخاب المعلمين يكون تحت ملاحظة مجلس المعارف المختلط المعينة أعضاؤه من طرفنا المملوكي**».

(91)د. محمد عمارة: أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر، ص25.

* كذلك نص الخط الهمايوني على كل المسلمين، وغيرهم في الخراج، والخدمة العسكرية، وسائر الحقوق جاء فيه: «**وكما أن مساواة الخراج تستوجب مساواة سائر التكاليف، والمساواة في الحقوق تستدعي المساواة في الوظائف، فالمسيحيون وسائر التبعة غير المسلمة يسحبون نمرة قرعة مثل المسلمين، ويجبرون على الانقياد للقرار الصادر أخيراً، وتجرى عليهم أحكام المعافاة من الخدمة العسكرية بتقديم البدل الشخصي، أو النقدي..**».

*ولتقرير المساواة بين غير المسلمين، والمسلمين في التكاليف المالية والخراج، وإزالة أي تفرقة بين الرعية في ذلك نص الخط الهمايوني على: «**ولكون التكاليف، والخراج الموزع على كافة تبعة سلطنتنا السنية لا ينظر فيه إلى أجناسهم، ومذاهبهم، بل جاري تحصيله صفة واحدة فيلزم المذاكرة في التدابير السريعة لإصلاح سوء الاستعمال الواقع في أخذ، واستيفاء هذه التكاليف**».

* ولتعديل، وتصديق، واعتماد شهادة غير المسلمين في الدعاوى التي تتعدد ديانات، ومذاهب أطرافها نص الخط الهمايوني على: «**وتصدق شهادة الشهود الذي يقدمانهم بمجرد تحليفهم اليمين حسب قواعدهم، ومذاهبهم**».

* أما بناء الكنائس الجديدة فلقد أباحه الخط الهمايوني بعد تقديم طلبات البناء، والتأكد من ملكية الأرض التي سيتم عليها البناء، وذلك بدون رسوم، أو تكاليف فجاء فيه: **وأما الأبنية المقتضى إنشاؤها مجدداً، يلزم إن تعرض البطارقة، والمطارنة لبابنا العالي باسترحام الرخصة اللازمة عنها، فإن لم يوجد لدى دولتنا العلية موانع في الامتلاك تصدر بها رخصتنا السنية، وكافة المعاملات التي تحصل فيما يماثل كل هذه الأشغال تكون مجاناً من قبل دولتنا العلية في التأمين على إجراء عوائد كل مذهب بكمال الحرية مهما كان مقدار العدد التابع لهذا المذهب**[92].

تلك هي أبرز المواد، والأفكار، والقضايا التي تناولها الخط الهمايوني بالإصلاح، والتطوير، والإنصاف، والتنظيم.. والتي قرر بها كامل المساواة بين رعية الدولة العثمانية على اختلاف الديانات، والمذاهب..وهي إصلاحات- وإن صدرت قبل ما يزيد عن قرن ونصف- إلا أنها لا زالت تمثل مطالب، ومقاصد، بل وأمنيات للأقليات المسلمة في كثير من بلاد النور والتنوير، والديمقراطية الغربية في القرن الواحد والعشرين**!!**.

(92)محمد فريد: تاريخ الدولة العلية، تحقيق إحسان حنفي، دار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة،1988م، ص256: 260.

لكن الكذبة لا يكتفون بتشويه التاريخ اعتماداً على الجهل، وسوء النية.. وإنما ذهبوا إلى حد الزعم بأن مصر حتى الآن تطبق على أقباطها الخط الهمايوني، رغم زوال الدولة العثمانية، وكل تقنياتها منذ ثلاثة أرباع قرن. بينما الحقيقة الصارخة، والمذهلة تقول:إن هذا الخط الهمايوني لم يكن في يوم من الأيام مطبقاً في مصر حتى عندما كانت مصر ولاية من ولايات الدولة العثمانية!!.

* فمصر منذ قيام دولة محمد علي باشا(1184-1265هـ1770- 1849م) – أي قبل نصف قرن من صدور الخط الهمايوني- قد حققت استقلالها في التشريع، والتقنين عن الدولة العثمانية- أي الاستقلال في (العدل والحقانية) بلغة ذلك التاريخ..وهي قد حققت هذا الاستقلال في الفقه والتشريع والتقنين لكل أبنائها مسلمين كانوا، أو مسيحيين.. ولم يكن القانون العثماني حاكماً على مصر لا على المسيحيين، ولا على المسلمين حدث هذا بحكم الأمر الواقع في الاستقلال الذي حققته دولة، وسلطة محمد علي باشا.. ثم جرى تقنين هذا الاستقلال التشريعي في اتفاق كوتاهية سنة1833م.

* وحتى عندما جاءت معاهدة لندن سنة1840م فانتقصت من سيادة مصر واستقلالها، فإنها قد وقفت بذلك الانتقاص عند وضع القيود على قوة مصر العسكرية، وعند تقرير الجزية التي تدفعها مصر للدولة العثمانية..وظلت سيادة مصر، واستقلاليتها في المعاملات المالية الخارجية.. وفي التقنين، والتشريع، لا حباً من الدول الأوروبية – التي عقدت معاهدة لندن- في استقلال مصر بتلك الميادين، وإنما حرصاً على فتح الباب أمام مصر لتستدين من أوروبا.. ولتأخذ من القوانين الأوروبية، دونما عائق عثماني في هذه الميادين!.

ولذلك، نص الفرمان العثماني الصادر لمحمد علي باشا في أول يونيو سنة1841م على استقلال مصر في التشريع« ملاحظة للظروف المحلية المختصة بالعدل، والحقانية..»، وجاء فرمان8 يونيه سنة1867م – الصادر للخديوي إسماعيل(1245- 1312هـ1830-1895م)- لينص على أن الذي يسري بمصر من القوانين العثمانية هي:« المبادئ العمومية المنشورة في تنظيمات «كلخانة» أعني تأمين الأرواح، والأموال، والشرف!!..وبعبارة المؤرخ عبدالرحمن الرافعي (1307-1385هـ1889-1996م):« **فإن حكومة مصر في عهد محمد علي، وحلفائه لم تنازعها تركيا يوماً ما في حقها المطلق في التشريع، والتقنين بكل أنواعه، ولم تتدخل البتة في هذا الصدد إطلاقاً...**»(93).

ويشهد على هذه الحقيقة..حقيقة استقلال مصر في العدل، والحقانية، والتشريع، والتقنين.. وأن القانون العثماني- ومنه الخط الهمايوني- لم يكن مطبقاً في مصر في يوم من الأيام منذ قيام دولة محمد علي باشا..وأن الإصلاحات التي صدر لأجلها الخط الهمايوني سنة 1856م قد سبقت إلى تقريرها مصر في عهد الخديوي سعيد (1237-1279هـ1822-1863م) بما سنته من إلغاء للجزية، مساواة النصارى بالمسلمين في قواعد الجندية سنة 1855م. بل إن القانون العثماني الخاص بالمسلمين لم يكن هو الآخر مطبقاً في مصر- بسبب استقلالها في التشريع، والتقنين- حتى أن الدولة العثمانية عندما قننت فقه المذهب الحنفي سنة 1869م واعتمدت« مجلة الأحكام الدولية» في القضاء العثماني، لم تطبق تشريعات، وتقنينات هذه «المجلة» في مصر أيضاً.

* وفوق كل ذلك، فإن الخط الهمايوني قد صدر سنة 1856م لسد ثغرات التدخل الاستعماري في الشئون الداخلية للدولة العثمانية من خلال اللعب الاستعماري بأوراق الأقليات. على حين لم يكن أقباط مصر يعاملون كأقلية..وإنما كانوا دائماً وأبداً جزءاً أصلياً من الشعب المصري، فلم يعاملوا كأقلية، ولم ينطبق عليهم«قانون الملل» العثماني في يوم من الأيام..لا الخط الهمايوني من هذا القانون، ولا غير الخط الهمايوني.

(93)الرافعي: عصر محمد علي، طبعة القاهرة، 1951م، ص362: 363.

* ويشـهد– أيضـاً– عـلى حقيقـة الاسـتقلال مصرـ في التشرـيع، والتقنـين سـواء لمسـلميها، أو لمسيحييها..أنها قد استقلت بالتقنين للأقليات الدينية بين أبنائها.. فبعد قانون1855م الـذي ألغـي الجزية، وساوى بين كل المصريين في التجنيد قننت مصر لائحة المحاكم الشرعية الإسلامية – سـنة 1882م وأتبعــت ذلــك بتقنــين لائحــة الأقبــاط الأرثــوذكس- «دكريتــو»(7رجــب ســنة 1300هــ/ 14مــايو ســنة 1883م)- وهــو «الــدكريتو» الــذي عــدل بالقــانون رقــم(3 لسنة1912م)..ثم بالقانون رقم(19لسنة1927م).. ولقد قنن مصر أحوال النصارى الإنجليين بدكريتو– لائحة- أول مارس1902م، وأحوال الأرمن الكاثوليك بلائحة- ديكريتو–18نوفمبر سـنة1905م.. فكـان التشرـيع، والتقنـين مصرـياً خالصـاً لكـل أبنـاء مصرـ مسـلمين كـانوا أو مسـيحيين.. ولقـد ظلـت هـذه التشرـيعات المصرـية الصـميمة هـي التـي يشـار إليهـا في مقـدمات الموافقات والتصريحات ببناء الكنائس في مصر.. وليس هنـاك تصرـيح واحـد ببنـاء كنيسـة مصرـية يشار في مقدمته إلى الخط الهمايوني، الذي جعله الكذبة والعملاء – في الخارج والداخل–« جرسة.. وسبة» «يجرسون» به مصر حكومة، وشعباً.. متبعين في ذلـك فلسـفة النازيـة، والفاشـية في الثقافـة، والإعـلام: **أكـذب.. ثـم أكـذب فإنـك لابـد واجـد مـن يصـدقك!**..عـلى حـين، وقفـة الحكومـة– ومثقفوها.. وترزية قوانينها– في غفلة بلهاء عن كشف حقيقة الخط الهمايوني، وكيف أنـه لم يكـن في يوم من الأيام قانوناً لنصارى مصر، لا في العهد العثماني، ولا بعد سقوط دولة آل عثمان! [94].

تغيير الدين

من أهم عوامل الاحتقان بـين المسـلمين، والنصـارى قضـية إسـلام بعـض النصـارى، أو تنصرـ بعض المسلمين، ولا يمكن وضع الرؤوس في الرمال، لاسيما وهذه الظاهرة موجودة وتحـدث بـين الحين، والآخر، ولأنه يجب احترام النصوص المقدسة في الـديانتين فلابـد وأن نتعـرف عـلى وجهـة النظر الإسلامية، ووجهة النظر النصرانية، ولكن قبل الحـديث عـن وجهـة النظـر لابـد مـن وضـع هذه الحقائق:

(94)د. محمد عمارة: أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر، ص32.

أولاً: لا قيمة لإيمان لا يكون عن طواعية، واختيار، واعتقاد.

ثانياً: من الأمور المسلم بها في الإسلام أنه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾.

ثالثاً: من الأمور المتفق عليها أن مئات الملايين سُخرت من أجل التنصير في العالم الإسلامي حتى بلغت ميزانيات بعض مجالس الكنائس العالمية[95]أكثر من مليار دولار للسنة الواحدة، هذا على الرغم أن السيد المسيح -عليه السلام- قد أخبر أنه لم يأت بدعوة عالمية فقد جاء في إنجيل متى:[21]**ثُمَّ غَادَرَ يَسُوعُ تِلْكَ الْمِنْطَقَةَ، وَذَهَبَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَا. [22]فَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ النَّوَاحِي، قَدْ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ صَارِخَةً: «ارْحَمْنِي يَاسَيِّدُ، يَاابْنَ دَاوُدَ! اِبْنَتِي مُعَذَّبَةٌ جِدّاً، يَسْكُنُهَا شَيْطَانٌ». [23]لكِنَّهُ لَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَجَاءَ تَلاَمِيذُهُ يُلِحُّونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «اقْضِ لَهَا حَاجَتَهَا. فَهِيَ تَصْرُخُ فِي إِثْرِنَا!» [24]فَأَجَابَ: «مَا أُرْسِلْتُ إِلاَّ إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ، إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ!» [25]وَلكِنَّ الْمَرْأَةَ اقْتَرَبَتْ إِلَيْهِ، وَسَجَدَتْ لَهُ، وَقَالَتْ: «أَعِنِّي يَاسَيِّدُ!» [26]فَأَجَابَ: «لَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِجِرَاءِ الْكِلاَبِ!» [27]فَقَالَتْ: «صَحِيحٌ يَاسَيِّدُ؛ وَلكِنَّ جِرَاءَ الْكِلاَبِ تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَوَائِدِ أَصْحَابِهَا!» [28]فَأَجَابَهَا يَسُوعُ: «أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! فَلْيَكُنْ لَكِ مَا تَطْلُبِينَ!» فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ.** وفي إنجيل متى أيضاً:[5]**هَؤُلاءِ الاثْنَا عَشَرَ رَسُولاً، أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَقَدْ أَوْصَاهُمْ قَائِلاً:«لاَ تَسْلُكُوا طَرِيقاً إِلَى الأُمَمِ، وَلاَ تَدْخُلُوا مَدِينَةً سَامِرِيَّةً. [6]بَلِ اذْهَبُوا بِالأَحْرَى إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ، إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ.**

وفي إنجيل مرقس:« [24] **ثُمَّ تَرَكَ يَسُوعُ تِلْكَ الْمِنْطَقَةَ وَذَهَبَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ. فَدَخَلَ بَيْتاً وَهُوَ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ بِهِ أَحَدٌ. وَمَعَ ذَلِكَ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَظَلَّ مُخْتَفِياً. [25]فَإِنَّ امْرَأَةً كَانَ بِابْنَتِهَا رُوحٌ نَجِسٌ، مَا إِنْ سَمِعَتْ بِخَبَرِهِ حَتَّى جَاءَتْ وَارْتَمَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ، [26]وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ يُونَانِيَّةً، مِنْ أَصْلٍ سُورِيٍّ فِينِيقِيٍّ، وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَطْرُدَ الشَّيْطَانَ مِنِ ابْنَتِهَا. [27]وَلكِنَّهُ قَالَ لَهَا: «دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلاً يَشْبَعُونَ! فَلَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». [28]فَأَجَابَتْ قَائِلَةً لَهُ: «صَحِيحٌ يَاسَيِّدُ! وَلكِنَّ الْكِلاَبَ تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فُتَاتِ الْبَنِينَ!» [29]فَقَالَ لَهَا: «لأَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ اذْهَبِي، فَقَدْ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنِ ابْنَتِكِ!»**.

---

(95)مجلس الكنائس العالمي: هو تجمع مسيحي عالمي يهدف إلى توحيد الكنائس الشرقية الأرثوذكسية، والكنائس، والبرتستانتية التي لا تؤمن بسلطة بابا الفاتيكان الكاثوليكية. وتأسس المجلس في أمستردام بهولندا عام1948م واتخذ من جنيف فيها بعد مقراً له.

موقف النصرانية من تغيير الديانة:

لاشك أن المعتقد النصراني مبني على أن الخلاص لا يتحقق للعبد إلا بالإيمان بيسوع (المسيح) مخلصاً، وأنه جاء ليقتل على الصليب تخليصاً للخطيئة، ومن نافلة القول أن النصارى على اختلاف طوائفهم لا يؤمنون بالإسلام، ولا برسوله، ومن خالف عندهم هذه العقيدة فلا يشمله الخلاص في الآخرة، أما ما هي العقوبة المقررة التي وضعها الإنجيل لمن كفر بالنصرانية، أو بمن لم يؤمن بهذه العقيدة، أو لمن دخل في الإسلام؟ لقد رتبت النصرانية على المرتد عقوبات دنيوية، وأخروية وهي:

- الانفصال عن الزوج.
- عدم دخول الكنيسة.
- دخول النار.

هل هناك عقوبة قررها الكتاب المقدس غير ما تقدم؟ لا شيء!، نعم لا شيء!، ومن ادعى غير ذلك طالبناه بالدليل، وعليه فإسلام بعض النصارى لا ينبغي أن يمثل انزعاجاً دينياً عند النصارى، فقد اختار المرء مصيره بيده، وحسابه على ربه، ولا توجد عقوبات يمكن إنزالها عليه كما تقدم، وأصدق دليل على هذا دخول المآت، بل والآلاف في الإسلام في دول الغرب، والتي يعد المسلمون فيها أقلية!! (96).

(96) قالت الصنداي تايمز: «إن14 ألف بريطاني أبيض، وبعضهم من صفوة المجتمع، ومن الطبقات المثقفة، والعليا قد اعتنقوا الدين الإسلامي، وفي المقال الذي كتبه نيكولاس هيلين، وكريستوفر مورجان يقول: «إن بعض هؤلاء من كبار ملاك الأرض، أو من المشاهير، أو من الأثرياء. كما أن= =أغلب هؤلاء قد تأثروا بكتابات تشالز لوجاي إيتون الذي كان دبلوماسياً، وكتب كتاباً بعنوان «الإسلام وقدر الإنسان» ويقول إيتون في كتابه: «إن المسيحية اليوم قدمت تنازلات أمام هجوم المدنية الكاسح وصار الكثير من مسيحيي الغرب يشعرون أنها لا تقدم الخلاص الروحي المطلوب، أما الإسلام فلم يقدم تلك التنازلات». جريدة المساء، الجمعة 21 صفر 1431هـ 5 من فبراير 2010م.

وعدد الذين دخلوا في الإسلام عن طواعية، واقتناع، واختيار، وجاءوا من شتي الدول إلي مشيخة الأزهر ليعلنوا دخولهم في الإسلام يعدون بالآلاف، وهذه إحصائية لعدد من اعتنقوا الإسلام بالأزهر في الفترة من (2000 إلى 2005م).

السنة	عدد الدول	عدد من أسلموا
2000	90	938
2001	91	860
2002	93	1116
2003	98	1344
2004	122	1671
2005	104	2052
عدد من أسلم من 2000 إلى 2005		7981

وهؤلاء جميعاً من رجال، ونساء جاءوا من بلادهم طائعين مختارين إلي مشيخة الأزهر ليعلنوا دخولهم في الإسلام، دون أن يكرههم أحد[97].

وقد فجر الأنبا مكسيموس رئيس أساقفة مجمع القديس أثناسيوس بالشرق الأوسط مفاجأة من العيار الثقيل في برنامج بلا حدود على قناة الجزيرة **بتاريخ** 11/ 5/ 2008م، قائلاً :«إن عدد من يدخلون الإسلام سنوياً في مصر يزيد عن:50000 خمسين ألف بواقع 80- 200 يومياً، وقال إنه يملك أسطوانة بها تسجيل صوتي للأنبا باخميوس مطران البحيرة في اللجنة الخماسية يقول فيها: إن معتنقي الإسلام في مصر يبلغون حوالي50000 خمسين ألف شخص سنوياً طوال الستة وثلاثون عاماً، وحينما سأله أحمد منصور- مقدم البرنامج- عن الأسباب؟ قال ماكسيموس: إن غالبيتهم تحولوا إلى الإسلام بسبب مشاكل، وأن50٪ منهم اعتنقوا الإسلام

(97)انظر: موقع الهيئة العامة للاستعلامات المصرية.

بسبب مشكلة الطلاق، وقد سلَّم المحاور أحمد منصورCD يثبت هذا الكلام من خلال اجتماع لكبار رجال الكنيسة[98]، وبصرف النظر هل هذا الكلام صحيح، أو مبالغ فيه فالمؤكد أنها ظاهرة موجودة.

نعود للكتاب المقدس أقول :الكتاب المقدس لم يرتب عقوبة دنيوية أخرى على من ارتد عن النصرانية، أو من لم يؤمن بها أصلاً، غاية ما في الأمر أنه يحرم من دخول الكنيسة، وتنفصل عن زوجته، أما في الآخرة فالعقيدة النصرانية لا توجب الدخول في الملكوت، والنعيم إلا بالإيمان بالمسيح مخلصاً حسب ما تقدم. إذن لماذا هذا الانزعاج؟.

وقد سئل القس منير عبدالمسيح بسيط في موقع الأقباط الأحرار TheFree Copts هذا السؤال: سلام المسيح مع قدس أبونا عبدالمسيح :هناك استفسار يتردد كثيراً من جانب إخوتنا المسلمين وهو حد الردة في المسيحية.هل هناك حداً للردة في المسيحية؟ هل قال به أي من آباء الكنيسة؟.

فأجاب :«أقول لك إنه لا يوجد ما يسمى بحد الردة لا في الكتاب المقدس عموماً، ولا في المسيحية بشكل خاص، ولا هناك أي نوع من العقوبة على من يترك المسيحية، ولم يشر الرب يسوع المسيح لا من قريب، ولا من بعيد إلى مثل ذلك، وإنما ترك دينونة كل واحد لليوم الأخير، وأبرز مثال على ترك المسيح لكل واحد يختار الإيمان، أو يتركه كما يشاء هو ما جاء في الإنجيل للقديس يوحنا الإصحاح السادس عندما وجد بعض الذين استمعوا إليه، وتتلمذوا على يديه صعوبة في كلامه في هذا الإصحاح يقول الكتاب :«**ولكن منكم قوم لا يؤمنون. لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه. فقال. لهذا قلت لكم إنه لا يقدر أحد أن يأتي إليّ أن لم يعط من أبي من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه. فقال يسوع للاثني عشر : ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا**»[99].

(98)من أراد الوقوف على هذه المقابلة فليدخل على هذا الرابط:

http://video.yahoo.com/watch/1953605/6369532.

(99)إنجيل يوحنا:6/ 64: 68.

وهنا حرية مطلقة في قبول المسيح، أو رفضه، في البقاء معه، أو تركه دون أي عقوبة أرضية دنيوية، لقد ترك المسيح مسألة البقاء في الإيمان، أو تركه دون أي عقوبة أرضية مطلقة. ويختم القديس يوحنا الإنجيل الرابع بقوله بالروح القدس : «**وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه**» (يوحنا/ 20 :31).. ويقول الرب نفسه :«**لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيّآت يبغض النور ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة**»(يوحنا3 :16-21).

ويقول القديس يوحنا في رسالته الأولى :«**كل من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح فليس له الله ومن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً أن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ولا تقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة**» (1يوحنا9:1-11). وكانت هذه أقصى عقوبة وهي فقط عدم الاختلاط بالمرتد دون المساس به، بل يقول الكتاب« **أما البار فبالإيمان يحيا وإن ارتد لا تسرّ به نفسي**» (عبرانيين/ 10 :38).

ومن هنا فلا وجود لما يسمى بحد الردة في المسيحية، والمرتد لا يدان في هذا العالم، فهو حر يؤمن بما يشاء، وفي النهاية سيقف الجميع أمام كرسي الديان العادل ليجازي كل واحد بحسب أعماله.

أما الآيات التي ذكرتها من العهد القديم، وأمثالها فهي لا تخص المسيحية، وإنما كانت تخص بني إسرائيل في العهد القديم فقط لأن الله أختار بني إسرائيل ليأتي منهم المسيح في ملئ الزمان، وحتى لا ينحرف بني إسرائيل إلى الوثنية فقد وضع لهم الله هذه العقوبات لكي يظل منهم بقية أمينة لله الواحد حتى يأتي منها المسيح أنها عقوبة كانت خاصة ببني إسرائيل فقط.أ.هـ.

أحسب أنه كلام حاسم جازم من رجل دين نصراني له وزنه عند النصارى، وقد جلى بوضوح موقف النصرانية من الردة، أو عدم الإيمان بها، وهذا الذي قاله القس منير عبدالمسيح بسيط يتفق تماماً مع ما جاء في العهد الجديد.

الغريب أن القمص صليب حكيم قد حاول أن يجد مبرراً لهذا الغضب الشديد من ارتداد بعض أفراد الأسرة عن النصرانية، وقد ساق العديد من المسوغات، دون أن يتحفنا بنص واحد من كتابه المقدس بعهديه القديم والجديد، ومما قاله :«**إن العائلة التي يخرج أحد أفرادها عن دينه تشعر بالخجل من الله، والخوف من احتمال مسائلته لها في اليوم الأخير**»[100].

قلت: أما الخوف من احتمال المساءلة في اليوم الآخر فهو خوف ليس في محله فالكتاب المقدس ذكر أن الأبناء لا يحاسبون على خطأ الآباء، والعكس، فالكتاب المقدس يؤكد على المسئولية الفردية، ففي سفر (التثنية24: 16) «**لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل**». وفي (أرمياء31 :29-30) «**في تلك الأيام لا يقولون بعدُ الآباء أكلوا حصرماً، وأسنان الأبناء ضرست؛ بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه** ». وفي (حزقيال18: 19-22) «**وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب، أما الابن فقد فعل حقاً، وعدلاً حفظ جميع فرائضي، وعمل بها فحياةً يحيا، النفس التي تخطيء هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، برّ البارّ عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون...فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي، وفعل حقاً، وعدلاً فحياةً يحيا، لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه في بره**».

(100)صليب حكيم، الزواج والإيمان، كنيسة الشهيد ماري جرجس- الإسكندرية، ص33.

ولست أدري سبباً دينياً مقنعاً يجعل البعض يثور بهذه الصورة عند إسلام البعض ففي حالة السيدة وفاء قسطنطين، وهي كانت على مشارف الأربعين من العمر، ومتزوجة من رجل دين، ولها أولاد، وهي جامعية مما ينفي الادعاءات بالتغرير، وغيره، وقد أقرت بأنها كانت أسلمت منذ زمن سراً، وأنها تمكنت من حفظ عدة أجزاء من القرآن، ومع كل ذلك خرجت المظاهرات لترفع شعارات لا تتفق وقواعد العقل، والمنطق مدعية اختطافها فقد خرج المتظاهرون يجاهرون في هتافاتهم أمام وسائل الإعلام الدولية، بمطالباتهم باحتلال أمريكا لمصر، والاستعانة بشارون على المسلمين، ووطنهم!!.الغريب أن منظمات حقوق الإنسان التي صدعت رؤوسنا بالحريات، والشعارات لم تحرك ساكناً في هذه القضية وغيرها من القضايا المماثلة[101]، وكأن الكلب لم يأكل لهم عجيناً!! مما يجعل العاقل يفقد الثقة في الأهداف الحقيقية من هذه المنظمات، ويبحث عن الأجندات الحقيقية التي تعمل من أجلها.

موقف الإسلام من تغيير الديانة:

في البداية الإسلام يقف وبقوة ضد من يجبر أحداً على الدخول في الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[102] فالآية نص في أن من اختار الإيمان فباختياره، ومن اختار الكفر فباختياره، فلا إكراه، ولكن مع هذا التخيير فالله – سبحانه – يحب الإيمان، ويرضاه، ويدعو إليه، ويكره الكفر، ويحذر منه، ونصوص القرآن حافلة في هذا المعنى، ولهذا عقَّب الله التخيير بقوله محذراً، ومنفراً: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[103] والكفر رأس الظلم، فلا يتوهمن أحد أن حمل الآية على التخيير، وعدم الإكراه يشعر بإباحة الكفر، أو الرضا به، حاشا لله أن يكون هذا، ولعل خوف هذا التوهم هو الذي حدا كثيراً من المفسرين على حمل الآية على التهديد، والوعيد، حتى مثَّل علماء البلاغة للأمر الذي يراد به التهديد بهذه الآية، فالآية بنصها تخيير، ولكنه تخيير يستلزم تهديداً، ووعيداً لا محالة في حال اختيار الكفر على الإيمان، وهي نصوص صريحة في عدم الإكراه على الإسلام. ويعد الإسلام من دخل في الإسلام يستوجب الالتزام بأوامره، ونواهيه ومن هذه الأوامر تحريم، وتجريم، وإنزال العقوبة بالمرتدين، فما هي الردة؟.

---

(101)كقضية كامليا شحاته، وكرستين، وعبير وغيرها.

(102)(الكهف/ 29).

(103)(الكهف/ 29).

الردة هي حد الجناية على دين الإسلام، والخروج على جماعة المسلمين، وهو حد له نظائر في الشرائع السماوية جميعها، والقوانين الوضعية تحمي نفسها. وكمثال: فإن في النصرانية ما يسمي **(حق الحرمان)** وهو عقوبة مشهورة، ومطبقة، بل كان الباباوات يطبقونها على الخارجين عن سلطان الكنيسة، ولو كان من الأباطرة، وفي القوانين الوضعية المعاصرة أي إنسان يعتدي على النظام العام للدولة في أي أمة من الأمم سواء كان نظامها شيوعياً، أو رأسمالياً، أو غير ذلك يتعرض للعقاب، وقد يصل الأمر في ذلك إلي حد تهمة الخيانة العظمي، التي تعاقب عليها معظم الدول بالإعدام! فهل الدين أهون من مثل ذلك؟!.

عقوبة المرتد:

وعليه فقد قررت النصوص المقدسة في الإسلام (القرآن– صحيح السنة) عقوبات للردة في الدنيا، والآخرة.

العقوبات الدنيوية:

إذا ثبتت الردة على من كان مسلماً في الأصل، أو دخل في دين الإسلام حراً مختاراً، وفهمه حق الفهم، وفهم ما يترتب على إسلامه فقد رتبت الشريعة الإسلامية عقوبة عليهم عقوبة القتل، أما إذا كان حديث عهد بالإسلام، لم يفهم حقيقته، وما يترتب على إسلامه فلا يقتل، بل ينصح بالبقاء على الإسلام، ويبين له ما فيه من المحاسن، وما في تركه من المساوئ، فإن رجع إلى الإسلام خُلي سبيله.

وقد زعم بعض المتأخرين خلو التشريع الإسلامي من حد الردة، وساقوا عدة شبهات أوهى بكثير من بيت العنكبوت، وقد وقعت على رسالة ماتعة للدكتور عبد العظيم المطعني– رحمه الله – بعنوان: **عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين** فنّد فيها هذه الشبهات، وأقام الأدلة على وجوب حد الردة قال في مقدمتها:« ومما دفعنا إلى كتابة هذه المواجهة السريعة لما يقوله منكروا حد الردة أنهم اعتسفوا القول اعتسافاً في إنكارهم لهذا الحد.

* اعتدوا على حرمة النصوص الشرعية...؟.

* وأساءوا فهم بعض الوقائع التاريخية...؟.

* وزوّروا على الفقهاء أقوالاً هم منها برآء...؟.

* ونسبوا إليهم مواقف لم ولن تصح عنهم...؟.

* وأهدروا صلة السنة النبوية بالكتاب العزيز؟!.

* وأفتوا- زوراً وبهتاناً- بما ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله الأمينﷺ-.

* وضربوا باتفاق مليون فقيه، وعالم عرض الحائط من غير مبالاة، ولا خجل، وقال – رحمه الله تعالى- :«...الدفاع عن حدٍ من حدود الله، اجتمعت عليه المدارس الفقهية[104]ولم يعرف عنهم فيه خلاف، وقامت على وجوده عشرات الأدلة قولاً، وعملاً، وتقريراً، والأمة ليست على استعداد لأن تلغي- بجرة قلم، أو أقلام- جهود مليون عالم، وفقيه مسلم، تركوا لنا ثروة فقهية رائعة نعتز بها لا تملك أمة من الأمم ما يماثلها، أو يضارعها.إنها ثروة فقهية مؤسسة على هدى من كتب الله، وسنة رسوله، وحسبنا أن يكون هادينا كتاب الله، وسنة رسولهﷺ-[105] فقد أجمعت الأمة على قتل المرتد الذي توافرت فيه شروط القتل.

قال ابن قدامة- رحمه الله- :«أجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد»[106]، وقال ابن عبد البر– رحمه الله- في التمهيد (5/ 318) بعد أن ساق الأحاديث في وجوب قتل المرتد: «فالقتل بالردة – على ما ذكرنا- لا خلاف بين المسلمين فيه. وعليه فالمسلم يعلم يقيناً أنه لا يجوز له ترك الإسلام، وإلا سيكون مصيره القتل بيد ولي الأمر.

---

(104)تعرضت جميع المذاهب الفقهية لذكر حد الردة، وبيان أحكامه، وفصلت القول في ذلك تفصيلاً دقيقاً، لم يخلُ منه مصدر فقهي من مصادرهم التي وضعوها شاملة لكل أبواب الفقه.

(105)د.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى1414هـ1993م ، ص65.

(106)ابن قدامة: المغني8/ 123.

إن حد الردة – يتعلق بحماية ضرورة من الضرورات الخمس، التي رعاها التشريع الإسلامي حق الرعاية، وهي:

* الحفاظ على المال: وحده قطع يد السارق.

* والحفاظ على النسل: وحده رجم الزاني، أو جلده.

* والحفاظ على العرض، والشرف: وحده جلد الرامي للناس في أعراضهم، وشرفهم.

* والحفاظ على العقل: وحده جلد الشارب.

* ثم الحفاظ على الدين: وحده قتل المرتد.فهذه خمسة حدود متفق عليها، يضاف إليهما حدان متفق عليهما كذلك وهما:

* حد الحرابة لمن يحارب الله ورسولهﷺ – ويسعى في الأرض فساداً فيعتدي على الأنفس، والأموال، والأعراض.

* ثم حد البغي إذا اعتدت طائفة على أخرى ظلماً، وعدواناً، هذه الحدود السبعة شرعها الله ورسولهﷺ – لجرائم من شأنها إذا لم تردع أن تبدل سعادة الحياة بؤساً، وتحول أمنها قلقاً، واضطراباً، ولعظم الحدود في الإسلام فإن العفو لا يجوز فيها إذا رفعت لولي الأمر، إنها حقوق لله، ولا يملك أحد حق العفو في حق هو خالص لله[107]

قال المطعني :«حد الردة ثبت عند فقهاء الأمة بأدلة شرعية قولية، وعملية، ومن قولهﷺ – :«**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**» [108]، وقوله :«**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِ وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» [109].

ولا ريب أن رسول اللهﷺ– أمر المسلمين باليمن بقتال قوم الأسود العنسي الذي ادعى النبوة في حياة صاحب الدعوة، ودعا قومه فارتدوا، واتبعوه، ومكن الله منه رجلين من المسلمين فقتلاه ليلاً في بيته وهو سكران.

(107)د.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: عقوبة الارتداد عن الدين، ص30.

(108)أخرجه البخاري رقم6524.

(109)أخرجه البخاري رقم663 ومسلم رقم1676.

وذكر النووي في شرحه لصحيح مسلم أنهﷺ- أمر بقتل عبد الله بن أبي سرح حين ارتد يوم فتح مكة، ولكن عثمان بن عفان- رضي الله عنه-، وكان عبد الله أخاه من الرضاعة دعاه إلى الإسلام فأعلن إسلامه مرة أخرى أمام النبيﷺ.

ومن السنة العملية قتال أبي بكر بإجماع صحابة رسول الله ﷺ للمرتدين من قبائل العرب، وللذين منعوا إعطاء الزكاة لخليفة رسول الله أبي بكر- رضي الله عنه-.

وسر التشديد في مواجهة الردة أن المجتمع المسلم يقوم أول ما يقوم على العقيدة، والإيمان، فالعقيدة أساس هويته، ومحور حياته وروح وجوده، ولهذا لا يسمح لأحد أن ينال من هذا الأساس، أو يمس هذه الهوية، ومن هنا كانت الردة المعلنة كبرى الجرائم في نظر الإسلام؛ لأنها خطر على شخصية المجتمع، وكيانه المعنوي، وخطر على الضرورية الأولى من الضروريات الخمس التي حرص الإسلام على صيانتها عبر كل نسقه التشريعي، والأخلاقي، وهي: «الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال»، والدين أولها؛ لأن المؤمن يضحي بنفسه، ووطنه، وماله، من أجل دينه.

والإسلام لا يكره أحدًا على الدخول فيه، ولا على الخروج من دينه إلى دين ما؛ لأن الإيمان المعتد به هو ما كان عن اختيار، واقتناع، وقد قال الله تعالى في القرآن المكي: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[110]، وفي القرآن المدني قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[111]ولكنه لا يقبل أن يكون الدين ألعوبة يدخل فيها اليوم من يريد الدخول، ثم يخرج منه غدًا على طريقة بعض اليهود الذين قالوا: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾[112].

(110)(يونس/ 99).

(111)(البقرة/ 256).

(112)(آل (عمران/ 72).

فأحكام الشريعة الإسلامية شرعت لمصالح الناس، وتحقيق السعادة في الدنيا، والآخرة، ومن مباحث علماء أصول الفقه مبحث جليل يتعرفون من خلاله على علة كل حكم، والعلة هي الباعث على وجود الحكم، والمفسرة لمنشئه، ثم التعرف على حكمة التشريع، وهي الأثر الناتج عن التطبيق العملي للحكم نفسه، وقتل المرتد حكم شرعي علته، أو الباعث عليه هي الردة نفسها، أما حكمة التشريع فيه فنرجئ الحديث عنها بعد الفراغ من التمهيد الآتي: لفت القرآن الحكيم أنظار المسلمين في عدة آيات إلى أن ارتداد المسلمين عن دينهم هدف أصيل لأعداء الإسلام. وأمل يداعب أنفسهم في كل وقت، وكسب، قد يخوضون المعارك الضاربة ضد المسلمين طمعاً في الحصول عليه؟!.

قال سبحانه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[113]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[114]. وقال تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[115]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[116].

الردة – إذاً– هدف ذو خطر لأعداء الإسلام، ومن يرتد من المسلمين يحقق لأعداء الإسلام هذا الهدف الذي يلوح لهم كل حين، فيكون المرتد جندي فرَّ من معسكر قومه إلى معسكر عدوهم، ويصبح عيناً للأعداء عليهم، فإذاً وقع هذا الخائن في يد قومه فماذا يصنعون به؟! أيمنحونه الأنواط، والنياشين، أم يضربون عنقه في الحال لدرأ الفساد الذي ينجم عنه؟ وهكذا شأن المرتد الذي لا يرجى اهتداؤه :

(113)(البقرة/ 109).

(114)(البقرة/ 217).

(115)(آل عمران/ 69).

(116)(آل عمران/ 100).

* إنه صار عضواً فاسداً أشنع ما يكون الفساد.

* إنه صار قدوة سيئة أسوأ ما يكون السوء.

* إنه صار محارباً لله، ورسوله، ولجماعة المسلمين أشد ما يكون الحرب، من أجل ذلك كله قضى الإسلام عليه بالقتل، اتقاءً لشره، وقطعاً لفساده وإفساده.، وهذه هي حكمة التشريع الإسلامي في عقوبة المرتد بالقتل، وإن ورمت أنوف، وانتفخت أوداج.

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسمِ(117).

عقوبة المرتد في الآخرة:

شرع الله – تعالى- إقامة الحدود، ومنها: حد الردة تحقيقاً لأهم مقاصد الشريعة وهو حفظ الدين، وهو – سبحانه- الحكيم في شرعه، الرحيم بعباده، العليم بما يصلح أحوال خلقه في معاشهم ومعادهم، والردة عن الإسلام تحبط الأعمال، وتوجب الخلود في النيران، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(118).

زواج المسلم من نصرانية

ومن أكثر العوامل التي تثير الاحتقان بين المسلمين، والنصارى، لاسيما في تلك الآونة زواج المسلم من نصرانية، حيث أباحت الشريعة الإسلامية للمسلم الزواج من نصرانية، أو يهودية، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾(119).

(117)د. عبد العظيم المطعني: عقوبة الارتداد عن الدين، ص95.

(118)(البقرة/ 217).

(119)(المائدة/ 5).

فقد سلكت التطبيقات الإسلامية باب المصاهرة، والزواج بين المسلمين، وبين الكتابيات المحصنات؛ لتحقيق أعلى درجات التلاحم بين غير المسلمين، وبين المسلمين في بناء الأمة الواحدة.. فزواج المسلم من الكتابية يدخل ذويها من غير المسلمين في دائرة «**أولى الأرحام**» عند المسلمين، وتلك قمة التلاحم والاندماج.. وعنها يقول الإمام محمد عبده (1265-1323هـ1849- 1905م): «أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية- نصرانية، أو يهودية- وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها، والقيام بفروض عبادتها، والذهاب إلى كنيستها، أو بيعتها، وهى منه بمنزلة البعض من الكل، وألزم له من الظل، وصاحبته في العز، والذل، والترحال، والحل، بهجة قلبه، وريحانة نفسه، وأميرة بيته، وأم بناته وبنيه، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه، ولم يفرق الدين في الحقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة، والزوجة الكتابية، ولم تخرج الزوجة الكتابية- باختلافها في العقيدة مع زوجها- من حكم قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[120]. فلها حظها من المودة، ونصيبها من الرحمة، وهى كما هي. وهو يسكن إليها كما تسكن إليه، وهو لباس لها كما أنها لباس له أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة، وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر؟ وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوالهم، وذوى القربى لوالدتهم، أيغيب عنك ما يستحكم من روابط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح الذى لم يعهد عنه فيمن سبق؛ ولا فيمن لحق من أهل الدينين السابقين عليه؟» [121].

- لذلك وحتى يكون هذا الزواج سبيلاً لهذا التلاحم، حرص عهد رسول الله ﷺ- مع نصارى «نجران» على أن يتوفر لهذا الزواج عنصر الرضا والقبول، فالمرأة لابد في زواجها من «ولى»، وأولياء الكتابية كتابيون، فلابد أن يكون هذا الزواج عن محبة، ورضا، وقبول واختيار، وعن هذا المبدأ الإسلامي جاء في هذا الميثاق :«**ولا يحملوا من النكاح «الزواج» شططاً لا يريدونه، ولا يكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضاروا في ذلك إن منعوا خاطباً وأبوا تزويجاً؛ لأن ذلك لا يكون إلا بطيبة قلوبهم، ومساحة أهوائهم، إن أحبوا ورضوا به**».

(120)(الروم/ 21).

(121)الشيخ محمد عبده: الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة – طبعة القاهرة،1993م، 3/ 312.

- ولأن هـذا الـتلاحم، بواسـطة المصـاهرة لا يتحقـق إلا في ظـل الاعـتراف الإسـلامي «**بـالآخر الديني**»؛ وبحق هذا الآخر في المغايرة الدينية- وهو ما تميز به الإسلام عن كل الآخـرين، وبسـببه جـاز زواج المسلم من «الأخـرى؛ لأنـه يعـترف بـدينها، ومكلـف بـاحترام عقيـدتها، وتـدينها- عـلى عكـس موقف الآخرين مـن الإسـلام، ومـن عقيـدة المسـلمة- لهـذا التميـز الإسـلامي كـان زواج المسـلم مـن الكتابية باباً للتلاحم، ولإدخال غير المسلمين في دائرة «أولى الأرحام»، ولم يكن هذا الـزواج سـبباً مـن أسباب الشقاق الاجتماعي، فنص العهـد مـع نصـارى «نجـران» عـلى أنـه «إذا صـارت النصرـانية عنـد المسلم «زوجة» فعليه أن يرضى بنصرانيتها، فمن خالف ذلك، وأكرهها عـلى شيء مـن أمـر دينهـا فقـد خالف عهد الله، وعصى ميثاق رسول الله، وهو عند الله من الكاذبين»[122].

وقـد حـرم الإسـلام زواج المسـلمة مـن نصرـاني، أو يهـودي، ولعـل سـائلاً يقـول: لما أجـازت الشريعة الإسلامية للمسلم، ولم تجز للمسلمة؟ والسبب في ذلك بكل بساطة يكمن في الآتي:

- الزواج في الإسلام يقوم على المودة، والرحمـة، والسـكن النفسي، ويحـرص الإسـلام عـلى أن تبني الأسرة عـلى أسـس سـليمة تضـمن الاسـتمرار للعلاقـة الزوجيـة، والإسـلام ديـن يحـترم كـل الأديـان السـماوية السـابقة، ويجعـل الإيـمان بالأنبيـاء السـابقين جميعًـا جـزءاً لا يتجـزأ مـن العقيـدة الإسلامية. وإذا تزوج مسلم من نصرانية، أو يهودية فإن المسلم مأمور باحترام عقيـدتها، ولا يجـوز له- من وجهة النظر الإسلامية- أن يمنعها من ممارسة شعائر دينها، والـذهاب مـن أجـل ذلـك إلى الكنيسة، أو المعبد، وهكذا يحرص الإسلام على توفير عنصر الاحتـرام مـن جانـب الـزوج لعقيـدة زوجته، وعبادتها، وفي ذلك ضمان، وحماية للأسرة من الانهيار[123].

(122)د. محمد عمارة: الإسلام والأقليات الماضي والحاضر والمستقبل، ص17 :18.

(123)السيد سابق، فقه السنة، 2/ 440.

أما إذا تزوج غير مسلم من مسلمة فإن عنصر الاحترام لعقيدة الزوجة يكون مفقودًا، فالمسلم يؤمن بالأديان السابقة، وبأنبياء الله السابقين، ويحترمهم ويوقرهم، ولكن غير المسلم لا يؤمن بنبي الإسلام، ولا يعترف به، بل يعتبره نبيًّا زائفًا وَيُصَدِّق- في العادة - كل ما يشاع ضد الإسلام، وضد نبي الإسلام من افتراءات، وأكاذيب، وما أكثر ما يشاع .

وحتى إذا لم يصرح الزوج غير المسلم بذلك أمام زوجته فإنها ستظل تعيش تحت وطأة شعور عدم الاحترام من جانب زوجها لعقيدتها. وهذا أمر لا تجدي فيه كلمات الترضية، والمجاملة. فالقضية قضية مبدأ. وعنصر الاحترام المتبادل بين الزوج، والزوجة أساس لاستمرار العلاقة الزوجية.

- كان الإسلام منطقيًّا مع نفسه حين حرّم زواج المسلم من غير المسلمة التي تدين بدين غير النصرانية، واليهودية، وذلك لنفس السبب الذي من أجله حرّم زواج المسلمة بغير المسلم[124] فالمسلم لا يؤمن إلا بالأديان السماوية، وما عداها تُعد أديانًا بشرية/ فعنصر التوقير، والاحترام لعقيدة الزوجة في هذه الحالة- بعيدًا عن المجاملات- يكون مفقودًا. وهذا يؤثر سلبًا على العلاقة الزوجية، ولا يحقق المودة، والرحمة المطلوبة في العلاقة الزوجية.. وهكذا تتبين نظرة الإسلام إلى العلاقات الاجتماعية بين متبعي الديانات المختلفة، ويتبين كذلك أنه دين يهدف إلى إزالة الحواجز بين الأمم، والشعوب حتى يحصل التقارب، والتعارف، والتآلف[125].

- إن المرأة الكتابية- وهذا شأنها- إذا عاشت في ظل زوج مسلم ملتزم بالإسلام، وتحت سلطان مجتمع مسلم مستمسك بشرائع الإسلام- تصبح في دور المتأثر لا المؤثر، والقابل لا الفاعل- فالمتوقع منها، والمرجو لها أن تدخل في الإسلام اعتقادًا، وعملاً . فإذا لم تدخل في عقيدة الإسلام- وهذا حقها إذ لا إكراه في الدين- اعتقادًا، وعملاً، فإنها تدخل في الإسلام من حيث هو تقاليد، وآداب اجتماعية، ومعنى هذا أنها تذوب داخل المجتمع الإسلامي سلوكيًا، إن لم تذب فيه عقائديًا، وبهذا لا يخشى منها أن تؤثر على الزوج، أو على الأولاد، لأن سلطان المجتمع الإسلامي من حولها أقوى، وأعظم من أي محاولة منها لو حدثت.

(124)من الأمور المجمع عليها أنه لا يجوز للمسلم أن يتزوج من غير الكتابية، فلا يجوز له الزواج من بوذية، أوهندوسية، أو زرادشتية، أو كونفوشية، أو شيوعية، أو أي ديانة وضعية.

(125)محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس،1392هـ/ 1983م، الطبعة الأولى، ص276.

كما أن قوة الزوج عادة في تلك الأعصار، وغيرته على دينه، واعتزازه به اعتزازًا لا حد له، وحرصه على حسن تنشئة أولاده، وسلامة عقيدتهم، يفقد الزوجة القدرة على أن تؤثر في الأولاد تأثيرًا يتنافي مع خط الإسلام.

- أضف إلى هذا أن هذه الخطوة الاستباقية من الإسلام لها دلالة عظيمة وهي التأليف بين المسلمين، والنصارى، وهي دعوة للنصارى أن ينظروا إلى هذا الدين الذي يأمر المسلم أن يحسن لزوجته النصرانية، ويحترم شعائرها التعبدية.

- أمر آخر أن المسئولية في الإسلام كما أنها مسئولية فردية إلا أنها تتسع لتشمل الزوجة، والأولاد، ومن يعول، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[126].

وقد صح أن رسولﷺ - قال :(**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**) [127]، والأولاد في كل الأعراف، والشرائع يتبعون أباءهم، فلو كانت الزوجة مسلمة تحت نصراني (جدلاً) فإنها ستنجب أولاداً يتبعون معتقد أبيهم، وهي لا سلطان لها عليهم، وهذا يعد مخالفة كبيرة، لا يقبلها الإسلام.

شروط صحة الزواج من فتاة نصرانية:

وحتى لا يفهم بعض النصارى أن الإسلام يقصد من هذا الزواج زيادة الاحتقان، والفرقة فقد وضع الإسلام عدة ضوابط لصحة هذا الزواج وهي:

- الإيجاب، والقبول الكاملين.
- وجود شاهدين يسمعان العقد، ويفهمانه.
- رضا ولي الزوجة[128].

(126)(التحريم/ 6).

(127)أخرجه البخاري رقم4892 ومسلم رقم1829.

(128)ابن قدامة: المغني7/ 21؛ بدائع الصنائع2/ 239؛ مغني المحتاج 4/ 258؛ محمد قدري باشا:الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية، دار السلام، الطبعة الأولى2006م، 1/ 303.

إذن، لا صحة لزواج مسلم من نصرانية جاء عن طريق الإكراه، أو اختطاف كما يزعم البعض، بل لا قيمة لزواج لا يكن بموافقة ولي المرأة (النصراني)!!.

موقف الكتاب المقدس من الزواج بغير النصراني:

لا يسمح كتاب النصارى المقدس الزواج من فتاة غير نصرانية ففي رسالة كورنثوس الثانية 6:14-15 قائلاً: «**لا تدخلوا مع غير المؤمنين تحت نير واحد. فأي ارتباط بين البر والإثم؟ وأية شركة بين النور، والظلام؟ وأي تحالف للمسيح مع إبليس؟ وأي نصيب للمؤمن مع الغير المؤمن؟**.

وكانت مفاجأة كبيرة لي أنني وجدت كتابهم المقدس يبيح للنصرانية الزواج بغير النصراني ففي رسالة بطرس الأولى3:1-2 «**كذلك أيتها الزوجات اخضعن لأزواجكن** حتى وإن كان الزوج غير مؤمن بالكلمة، **تجذبه زوجته إلى الإيمان، بتصرفها اللائق، دون كلام. وذلك حين يلاحظ سلوكها الطاهر ووقارها.**»

يعلق القمص تادرس يعقوب ملطي على النص فيقول:« كانت الشريعة الرومانيّة تبيح للرجل أن يتسلط على زوجته، وأولاده، كما على عبده، وحيواناته. فلم يكن للنساء أي حق مما دفع بعضهن إلى الهروب، ولما جاءت المسيحية تنادي بالحب، ظن البعض أنها في مناداتها بالحب، والحرية تحث النساء على العصيان، لهذا وجهت الكنيسة وصايا واضحة للنساء خاصة بخضوعهن لرجالهن... يطلب الرسول من المؤمنات أن يخضعن لرجالهن حتى وإن كان البعض غير مطيعين للكلمة، فإنهم يسمعون كلمة الكرازة العملية خلال سيرة النساء الطاهرة المملوءة خوفًا وتقوى لله. فإن كان لا يليق بها أن تُعَلِّم رجلها لأنه رأسها، لكنها تقدر أن تكسبه للرب، وتجتذب قلبه إليه بخضوعها وسلوكها الحسن.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم :«المرأة بطاعتها للرجل يصير وديعًا نحوها..بالمحبة تزول كل مقاومة، فإن كان الرجل **وثنيًا** يقبل الإيمان سريعًا، وإن كان مسيحيًا يصير أفضل»[129].

(129)القمص تادرس يعقوب ملطي: تفسير العهد الجديد، كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج، الطبعة الأولى،2003م.

وكنت أحترق شوقاً لمعرفة رأي رجال الكنيسة، لاسيما رأسها شنودة، وقد شاءت إرادة الله – تعالى– أن أسمع رأي البابا شنودة مرتين في أسبوع واحد على قناة CTV، وقناة الحقيقة، وهذا نص ما قاله البابا: سئل البابا شنودة في لقاء بعنوان أجوبة الإيمان في الكاتدرائية المرقصية بالعباسية في 13/ 3/ 2011م هذا السؤال: فتاة مسيحية أحبت شاب غير مسيحي وترغب في الزواج منه رغم رفض أهلها إلا أنها تصر على ذلك فما رأيكم؟.

فأجاب :«شوفي يابنتي الزواج بغير المسيحي أولادك هيكونوا غير مسيحيين دا واحد. ثاني حاجة الزواج الرسمي بيكون على يد أب كاهن وطبعاً ده مهيحصلش، وممكن تطلقي منه، خليك عاقلة لما تحبي فكري هل هذه المحبة ستبني أسرة مستقيمة أم لا؟ [(130)].

وفي حلقة مسجلة بتاريخ21/ 9/ 1988م بعنوان: الصليب، أذاعتها قناة الحقيقة بتاريخ يوم الأحد الموافق27/ 3/ 2011م، أجاب البابا قبل عظته على بعض الأسئلة وكان منها هذا السؤال: فتاة مسيحية تزوجت بشاب غير مسيحي زواج عرفي ثم طلقت منه وله منها مولود عمره12عاماً، هل يجوز لي الزواج منها، وهل زواجي منها يعتبر زنا؟.

فأجاب: معلوم أن الزواج بامرأة مطلقة بسبب الزنا يعتبر زنا لأن من تزوج بمطلقة فإنه يزني، لكن الزواج العرفي يعد خطيئة، وهو غير معترف به في الكنيسة، لكن الزواج منها يعد بالنسبة لها الزواج الأول، ولذلك يجوز لك أن تتزوج بشرط أن يكون طلاقها من زوجها الأول طلاق نهائي لا رجعة لها منها مادامت على دينها.أ.هـ.

هذا كلام حاسم وصريح وواضح من رأس الكنيسة يؤكد على أن زواج النصراني بغير النصرانية غير ممنوع ولكنه خلاف الأولى، وأنه يرفض زواج النصراني بغير النصرانية زواجاً عرفياً، وبمفهوم المخالفة أنه لا يؤثم الزوج الرسمي.

ولا حظ أن البابا لم يقل أن هذا الزواج يمنعك من دخول الكنيسة، أو يعد ردة من الدين، أو يترتب عليه عقوبة دنيوية، أو أخروية، وعلى الرغم من هذا النص الصريح في جواز زواج النصرانية من غير النصراني إلا أن الواقع العملي للكثير من أسر النصارى هو الرفض المطلق لهذا الزواج لاعتبارات عرفية، واجتماعية، لا علاقة له بالدين بحال من الأحوال.

(130)برنامج أسئلة الإيمان على قناة CTV بتاريخ13/ 3/ 2011م.

تولي الوظائف الحساسة

من عوامل الاحتقان التي يثيرها النصارى بين الحين والآخر قضية عدم تولي النصارى بعض الوظائف الحساسة كـ (مدير أمن – أمن الدولة – رئاسة الوزراء – رئاسة الجامعة – بالإضافة إلى حجم التمثيل النيابي). وقد أعلن البابا شنودة ذلك صراحة في مقابلة تليفزيونية في الكاتدرائية المرقصية بالعباسية حيث قال:« لقد سألني البعض عن حجم الأقباط في مجلس الشعب؟ فقلت إن السيد الرئيس يقوم بتعيين عدد... قالوا لا نسأل عن المعينين، بل عن المنتخبين؟ فلم أستطع الرد عليهم[131].

وإذا كان البابا شنودة يشير إلى هذا المطلب النصراني بدهائه المعهود، وبأسلوبه الهادئ فإن هناك من النصارى من يعلن ذلك المطلب بكل شدة، وقوة، وإثارة، بل ووقاحة.

قال الدكتور نبيل لوقا :«ينادي البعض بتعيين الوزراء الأقباط بنسبة تناسب مع عدد الأقباط في مصر، وكذلك توليهم المناصب السياسية، والإدارية، والقضائية، والتنفيذية بنسبة معينة تتناسب مع تعدادهم بالنسبة لتعداد سكان مصر في جميع الوظائف، سواء الوزراء، أو المحافظين، أو رؤساء الجامعات، أو رؤساء النيابة، أو أجهزة الشرطة، والقوات، وأمن الدولة، والمخابرات، وجميع الوظائف، ولكن هذه الدعوة ظاهرها الحق، وداخلها الباطل لأنه لا يوجد نظام متحضر في الدنيا يقوم بتقسيم الوظائف السياسية، والقضائية، والتنفيذية على أساس طائفي ديني، ولكن جميع الدول المتحضرة يكون تقسيم الوظائف فيها على أساس معايير موضوعية لاختيار القادة» [132]، وللخروج من هذه الإشكالية لابد من إبراز هذه الحقائق:

أولاً: على الرغم من كون الأقباط في مصر أقلية عددية لا تتجاوز حسب التقديرات المنصفة 5٪ من عدد السكان، إلا أن لهم حضورًا قويًا في مختلف مجالات الحياة المصرية- المجال الاقتصادي على وجه الخصوص-كما كان لهم تمثيلاً في إحدى الوزارات السيادية وهى وزارة الاقتصاد[133] فضلاً عن مئات المناصب القيادية في مختلف الوزارات،

(131)مقابلة تلفزيونية مع البابا برنامج البيت بيتك الذي أُذيع على الثانية، والفضائية المصرية بتاريخ1/ 7/ 2008م، أجرى الحوار تامر أمين.

(132)د. نبيل لوقا بباوي: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها، مطابع الأهرام، الطبعة الأولى، 2001م، ص 128.

(133)وزير الاقتصاد – الهارب- الدكتور بطرس غالي.

والإدارات الحكومية..والعديد من السفراء في مختلف دول العالم. إلى جانب تعيين عدد من المحافظين النصارى، بل أن قيادات الشرطة تضم عددا كبيراً من أصحاب المناصب الرفيعة من النصارى[134]، أيضاً يتم اختيار عدد كبير من قبل رئيس البلاد في مجلسي: الشعب، والشورى؛ حيث أن معظم من يرشح نفسه لم يوفق بسبب الأغلبية الإسلامية.

فلا يجب أن تكون هذه الجزئية سبباً في وجود حالة من الغضب، أو الاحتقان، فالواقع ليس بهذا السوء الذي يصوره البعض، ويجب عليكم أن تعترفوا أن النصارى الآن يعيشون عصراً ذهبياً، لاسيما في مجال المواقع، والمناصب.

ثانياً : إذا حكمنا المنطق، والواقع، وضربنا نموذجاً بدول أخرى فلن نجد ما يستدعي هذا الغضب ففي أمريكا التي تزعمون أنها راعية حقوق الأقليات في العالم لا تسمح- حتى الآن- بوجود وزير مسلم في أي من الإدارات الأمريكية المتعاقبة، رغم أن الإسلام هو الدين الثاني في أمريكا، ورغم أن عدد المسلمين هناك قد جاوز العشرة ملايين، وكذلك المجالس التشريعية الأوروبية، والكونجرس الأمريكي لا يوجد بها أعضاء يمثلون الأقليات الإسلامية، بل إن من التقاليد المعروفة في عالم الدبلوماسية أن تعين الدولة سفيرًا مسلمًا لها في الدول الإسلامية، ولكن في الحالة الأمريكية لا يوجد سفير مسلم واحد في أي بلد إسلامي، بل في العالم بأسره (!!!). وبعد كل هذا يزعمون أنهم دعاة الحريات، والديمقراطية، والمشاركة السياسية، ويتطاول علينا أذنابهم بادعاء اضطهاد الأقلية عندنا!! [135].

وفي لبنان–على الرغم من علمانيتها الصريحة – يتم توزيع المناصب على أساس ديني قائم على أساس الأغلبية، فرئيس الجمهورية نصراني ماروني، ورئيس الوزراء سنياً، ورئيس مجلس النواب شيعياً[136]فلا يمكن أن يترأس البلاد غير النصارى، هل يمكن أن يتولى مسلم رئاسة لبنان حتى ولو كان جديراً بهذا الموقع؟.

(134)شبكة الأخبار الغربية محيط4 شوال1430هـ/ 24/ 9/ 2009م.

(135)حمدي شفيق، الأقليات في المجتمع الإسلامي. موقع التاريخ www.altareekh.com/new/doc.

(136)د. نبيل لوقا بباوي: مشاكل الأقباط في مصر وحلولها، ص 128.

ثالثاً: يتجه العالم الآن إلى الاقتصاد المفتوح، والخصخصة، ونسبة النصارى في هذه المجالات تجاوز نسبتهم العددية بكثير، فهناك ثلاثة أسماء نصرانية مصرية تذكر بين أغنى أغنياء العالم.

إن من الإنصاف أن نقول:إن النصارى يتمتعون في مصر بمناخ اقتصادي أكثر من رائع، وهذه هي لغة الأرقام فقد أصدرت مجلة (فوربيس) الاقتصادية الأميركية الشهيرة القائمة السنوية لأغنى أغنياء العالم، ولم يوجد في هذه القائمة من مصر سوى ثلاثة وهم:

* المركز الثالث: على العرب: نجيب ساويرس (12.7 مليار دولار).

* المركز الرابع: ناصيف ساويرس (11 مليار دولار).

* المركز الخامس: أنسي ساويرس (9.1 مليار دولار) [137].

إذن لا يوجد مسلم واحد دخل هذه الموسوعة، وهذا عطاء الله يؤتيه من يشاء لعباده على سبيل الابتلاء، ألا يكفي هذا دليلاً أن رجال الأعمال النصارى يتمتعون في مصر بمناخ طيب مكنهم من تحقيق، وتنمية هذه الثروات، وأذكركم أن السفارات، والشركات الأجنبية كلها تؤثر توظيف النصراني علي المسلم.

قال الأستاذ حمدي شفيق[138]:إذا أخذنا الأقلية النصرانية في مصر، وهى أكبر أقلية غير مسلمة في بلاد العالم العربي- كنموذج للتعايش السلمي لغير المسلمين في بلد إسلامي- فإننا نلاحظ الآتي:

(137)جاء في المركز الأول عربياً الوليد بن طلال، السعودية (21 مليار دولار) وجاء في المركز الثاني ناصر الخرافي وعائلته، الكويت (14 مليار دولار).

(138)رئيس تحرير جريدة النور الإسلامية المصرية.

* يبلغ عدد النصارى في مصر أقل من 6٪ (5.9٪) حسب إحصاءات 1986م. ورغم ذلك فإنهم يمتلكون حوالي40٪ من ثروة مصر..ويعترف الأنبا موسى أسقف الشباب في الكنيسة الأرثوذكسية المصرية بأن :«الأقباط نسبتهم في رجال الأعمال مرتفعة أكثر من نسبتهم العددية في مصر»[139]، وكذلك المهن المرموقة مثل الطب، والصيدلة، والمحاماة، والهندسة وغيرها .. ولذلك كان الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله – (1335- 1416هـ1917- 1996م) يصف النصارى في مصر بأنهم أسعد أقلية في العالم تملك من ثروة مصر ما بين 35٪ و40٪ فهي تملك وتمثل:

– 22.5٪ من الشركات التي تأسست من عام1974م- 1955م، سنوات الانفتاح والمعونات الأمريكية.

– 20٪ من شركات المقاولات في مصر.

– 50٪ من المكاتب الاستشارية.

– 60٪ من الصيدليات.

– 45٪ من العيادات الخاصة.

– 35٪ من عضوية الغرفة التجارية الأمريكية، والألمانية.

– 60٪ من عضوية غرفة التجارة الفرنسية.

– 20٪ من رجال أعمال مصر.

– 20٪ من المديرين بقطاعات النشاط الاقتصادي.

– أكثر من20٪من المستثمرين بمدينتي السادات والعاشر من رمضان.

(139)د. محمد عمارة: الإسلام والأقليات الماضي والحاضر والمستقبل، ص 39؛ د. سعد الدين إبراهيم: الملل والنحل والأعراق، ص 529- 534.

- وحوالي 15،9٪ من وظائف وزارة المالية المصرية.

- 25٪ مـــن المهـــن المتـــازة، والمتميـــزة- الصـــيادلة..الأطباء.. المهندســـين.. البيطريين..المحامين[140].

* يسيطر النصارى على أكثر من ثلثي تجارة الذهب، والمعادن النفيسة الأخرى في مصر، كما يمتلكون من الأراضي، والعقارات أضعاف نسبتهم العددية...إن النزول على هذه الطلبات الطائفية سوف يفتح على النصارى عشرات الأسئلة التي لا إجابة عليها: فماذا لو قيل إن الأقباط يسيطرون على60٪ من الصيدليات، وهذا أكبر من نسبتهم العددية.ولو قيل إن الأقباط يسيطرون على 25٪ من شركات المقاولات و30٪ من المكاتب التجارية و... هذا أكثر من نسبتهم.

ترشيح نصراني لمنصب رئيس الجمهورية :

وقد أفرط بعض النصارى، وطالب بأن يتولى نصراني رئاسة البلاد وسأدع البابا شنوده يرد على هذا المطلب السخيف.

فقد أكد البابا شنودة أن فكرة ترشيح قبطي لمنصب الرئاسة «**محض خيال ووهم وكلام غير معقول**». وقال شنودة- « إن الفتن، والخلافات تضر بالوطن كله، والعنف لا يحل المشكلات، بل يزيدها تعقيدًا؛ لأنه مفروض أن الذي يتولي الحكم يكون من الغالبية العددية في البلد، وثانياً لأن القبطي الذي لا يستطيع أن ينجح كعضو في مجلس الشعب كيف يترشح ليكون رئيساً للبلد كلها هل هذا كلام معقول حتى في النقابات لا ينجح قبطي»[141].

---

(140)مجموعة تقارير: روزاليوسف واتحاد المهن الطبية، واتحاد المقاولين، ومجلة المختار الإسلامي عدد15ربيع أول- يوليو1998م.

(141)جريدة الأهرام الجمعة25ذو القعدة1430هـ13/ 11/ 2009م العدد44902.

عدد النصارى

من أسباب اللغط بين المسلمين، والنصارى عدم الجزم القاطع بعدد النصارى، وربما يقول قائل وماذا يعنينا إن كان عدد النصارى مليون، أو عشرين مليون؟ أقول: عند العقلاء، ومن يعنيهم أمن واستقرار البلاد لا يؤثر هذا عندهم، أما عند دعاة الفتنة، ومن يتربصون بمصر الدوائر، ومن يطالب بما له، وبما ليس له الأمر يختلف.

لذا نرى من يبالغ في عدد النصارى فيزعم أنهم يزيدون عن15 وربما20٪ وبالتالي يريدون عدداً أكبر من الكنائس، ومواقع قيادية و... بينما نجد من يزعم أنهم لا يتجاوزون من 2٪ وبالتالي هم قد أخذوا أكثر من حقهم بكثير.

ولأن الحرص على الوحدة الوطنية واجب قومي ما في ذلك من شك، لهذا فإن أي حوار حولها ينبغي أن يقوم على الحقائق لا على الأكاذيب، والأوهام وإلا فلا جدوى من مناقشة تستهدف أصلاً ضرب الوحدة الوطنية باسم الوحدة الوطنية.

وموضوع القضية همس يدور، وشائعات تبذر في الظلام بأن الأقلية القبطية في مصر قد يبلغ تعدادها أربعة ملايين ثم إذا بالرقم يرتفع إلى ستة ملايين ثم إلى ثمانية ملايين، ورتب مثيروا هذه الشائعات على هذه الإدعاء حقوقاً ضمنوها منشورات لم تعد سراً تداولتها الأيدي في مصر، وبين الجاليات القبطية في أمريكا، واستراليا، وزعت على مراكز الإعلام الأجنبية[142].

الغريب أن السلطة الحاكمة في مصر ترفض منذ عام 1996م نشر التعداد الإحصائي لغير المسلمين لسبب لم يعلن عنه، مع أن العرف جرى منذ الاحتلال البريطاني الصليبي لمصر عام 1882م على نشر الإحصائيات، وتتراوح نسبة الطائفة في موجات الارتفاع السكاني وهبوطه بين 3٪ و5٪ تقريباً، وتشمل النسبة غير المسلمين بما فيهم اليهود، والإنجيليين، والمارون، ويبدو أن ضراوة التمرد المستقوي بالولايات المتحدة،

(142)د. محمد مورو: الاختراق الأجنبي عن طريق الأقليات، مكتبة جزيرة الورد1428هـ/ 2007م، ص7.

وفرض مطالبه الابتزازية جعل السلطة تؤثر عدم الإعلان عن عدد الطائفة تجنباً للجدل، أو خوفاً من إثارة خونة المهجر الذين صاروا بحكم الدعم الذي تقدمه المؤسسة الاستعمارية الصليبية يمثلون مركز قوة ينغص على السلطة كثيراً من مباهج الحكم، والاستقرار، والاستمرار! صار من المعتاد أن يتنافس المتمردون الخونة في الإعلان عن أعداد وهمية للطائفة تبدأ من ثمانية ملايين حتى اثنين وعشرين مليوناً! وبالطبع فإنك أمام العدد الكبير لا بد أن تسلم بمطالب، ومستحقات يفرضها هذا العدد، وأن تعطي للقوم ما يتناسب مع حجمهم الوهمي المفترض[143].

ومن أجل وضع النقاط على الحروف لابد من ذكر هذه الحقائق:

* مما لا ينكره عاقل أن غالبية الشعب المصري تحول تدريجياً إلى الإسلام بشكل سلمي دون إكراه نظراً للمعاملة الحسنة التي تعامل بها الفاتحون العرب المسلمون الأوائل مع الشعب المصري فقد رفعوا عن الأقباط ظلم الرومان، واضطهادهم لهم، ولرؤساء كنائسهم فتحول المصريون بكامل رغباتهم نحو الإسلام، وأصبحت الغالبية الكاسحة من المصريين مسلمين، لكن مشكلة التعداد، والنسب لم تعرف في العصور القديمة[144].

* لم يكن الأرثوذكس- الذين كانوا مضطهدين دينيًا- يمثلون أقل من نصف تعداد الشعب المصري يومئذ- هذا التنوع الديني هو الذي يفسر الحقيقة البالغة الأهمية التي تقول: **إن الدولة الإسلامية- التي امتدت من المغرب إلى فارس- والتي ضمت قرابة الأربعين مليونًا من السكان- قد ظلت نسبة المسلمين فيها بعد قرن من الفتح الإسلامي عند حدود20٪ من السكان.. اللهم إلا مصر، التي كانت أسرع البلاد دخولاً في الإسلام، لأن أكثر من نصف سكانها- النصارى الموحدون، والوثنيون- قد اعتنق الإسلام مع بداية الفتح الإسلامي.. بينما ظل الأرثوذكس والأقلية اليهودية على دياناتهم.**

لقد كان تعداد مصر -عند الفتح- (سنة20هـ/ 641 م) 2.500.000 نسمة، وفي نهاية خلافة معاوية بن أبي سفيان (20ق.هـ-60هـ603-680م)- أي بعد نحو نصف قرن من الفتح الإسلامي- كان قرابة نصف المصريين على نصرانيتهم- وهم الأرثوذكس الذين تمرسوا في الصمود على عقيدتهم إبان الاضطهاد الروماني..والذين أتاح لهم الفتح الإسلامي حرية دينية لم ينعموا بها من قبل.

(143)د. حلمي محمد القاعود: الضيافة والشهادة يوميات التمرد الطائفي على أرض التسامح، ص15، 16.

(144)أبو العلا ماضي: المسألة القبطية..والشريعة والصحوة الإسلامية، ص35.

وفي نهاية عهد هارون الرشيد (149-193هـ 766- 809م) – أي بعد مرور قرابة القرنين من الزمان على تاريخ الفتح الإسلامي- كان تعداد غير المسلمين بمصر- نصارى ويهود- (650.000) نسمة- أي نحو ربع السكان، البالغ عددهم يومئذ2.671.000 نسمة- أي أن قطاعات من النصارى الأرثوذكس- بعد التعرف على الإسلام- قد بدأوا يتحولون إليه.

وحتى القرن التاسع الميلادي- أي بعد قرنين ونصف من الفتح الإسلامي لمصر- كانت نسبة غير المسلمين في سكانها – من النصارى واليهود-20٪ من هؤلاء السكان(145).

تلك هي حقائق التحولات الدينية التي جعلت أغلبية الشعب المصري تعتنق الإسلام منذ اللحظات الأولى للفتح الإسلامي.. والتي تجعل حديث الأنبا توماس عن« الضرائب.. والضغوط.. والطموحات» التي كانت سببًا في إسلام المصريين حديث: «خرافة.. جاهلة، وجهالة.. خرافية».. فشهادة العلامة سير توماس أرنولد تقول: «**إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلاً في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة**»(146).

وقبله كانت شهادة الأسقف يوحنا النقيوسي- الأسقف الأرثوذكسي.. شاهد العيان على الفتح الإسلامي- التي تقول : «لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا، وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية.. ولم يأخذوا شيئًا من مال الكنائس، وحافظوا عليها طوال الأيام، وعشنا في سلام»(147).

تلك هي حقيقة إسلام الشعب المصري..وسبقه وتسابقه إلى الإسلام.. وحتى الأرثوذكس- الذين ينتمي إليهم الأنبا توماس وأمثاله- فإن من الإهانة لهم أن يقال عنهم إنهم قد تحولوا إلى الإسلام لقاء دراهم معدودة كان المسلم يدفع أضعاف أضعافها في الزكاة.. لقد صمد هؤلاء الأرثوذكس قرونًا، وتمسكوا بعقيدتهم حتى عندما كانوا يقذفون بسببها إلى الأسود، والسباع.. الأمر الذي يجعل من الإهانة لهم- ولحقائق التاريخ- أن يقال إنهم قد تركوا عقيدتهم بسبب الضرائب، أو الضغوط، أو الطموحات..!.

(145)المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، ص46، 47، 25.

(146)توماس أرنولد:الدعوة إلى الإسلام، ص729 و730.

(147)يوحنا النقيوسي: تاريخ مصر، ص201 و220؛ ود. صبري أبو الخير سليم: تاريخ مصر في العصر البيزنطي، طبعة القاهرة سنة2001م، ص62.

ولكنه التعصب الأعمى الذي يقود أصحابه إلى الإساءة حتى إلى الذات.. أو الحب الجاهلي.. حب الدُّبة التي قتلت صاحبها من فرط الغرام..! لقد أرجع العلماء واللاهوتيون الأوروبيون الكبار- ومنهم العلامة (كيتاني- ليون Caetani (1896-1926م) تحول نصارى الشرق نحو الإسلام إلى : «وضوح التوحيد الإسلامي، وبساطته، وعمقه، ونقائه، عندما قورن بالسفسطة المذهبية، والتعقيدات العويصة التي جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحي، الأمر الذي أدى إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها. فلما أهلت أنباء الوحي الإسلامي من الصحراء، لم تعد المسيحية الشرقية، التي اختلطت بالغش والزيف، وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس، والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد تلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد.. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي العرب..»[148].

* وبعد كل هذه المغالطات والجهالات يعترف الأنبا توماس- عضو المجمع المقدس.. وأسقف القوصية - في محاضرته[149]: «بأن عقلية مصر قد تحولت بالكامل إلى عربية، وإسلامية.. وإذا تسنى لك زيارة مصر فلا تجد فرقًا بين مسلم، ومسيحي، حيث يتقابل الناس ويعاملون بعضهم بالمودة، والمحبة في الشارع، والمواصلات، والمدارس.. لكنك على الجانب الآخر ستجد أشخاصًا آخرين لهم مواقف أخرى!».

*إذن.. فالدعوة العنصرية- دعوة النكوص إلى ما قبل أربعة عشر قرنًا - هي دعوة للخروج على عقلية مصر كلها، وإلى الصدام مع ذاتيتها الكاملة. وهي دعوة تريد شق صف شعب «**لا فرق فيه بين مسلم، ومسيحي**»، لحساب بعض الأشخاص الآخرين**!!**- باعتراف الأنبا توماس!- الحائز على جائزة «مركز الحرية الدينية» الصهيوني- بمعهد هديسون- اليميني- في أمريكا الإمبريالية سنة 1992م؟**!**.

(148)توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 89-91.

(149)بمعهد «هديسون» الأمريكي بواشنطن- في18 يوليو سنة2008م وهو المعهد التابع للمحافظين الأمريكيين الجدد، واليمين الديني.د. محمد عمارة: الفتنة الطائفية متى وكيف ولماذا؟، ص35.

* وأخيرًا.. يقول هذا الأسقف- في نهاية محاضرته- أو «استغاثته الأمريكانية»-: «إنه أمر مقلق أن أعدادًا كبيرة من المسيحيين تترك مصر، والشرق الأوسط ككل..المسيحيون يغادرون هذه المنطقة، وهذه علامة استفهام كبيرة، كما أنها أيضًا نداء للمعونة لمساعدة المسيحيين على البقاء في أوطانهم!».

* ونحن نقول :إذا كانت الهجرة المسيحية من الشرق عامة.. حتى في تركيا- الأتاتوركية- ولبنان- العلماني-.. والقدس، وبيت لحم - تحت الاحتلال الصهيوني- والعراق- في عهد البعث العلماني، وتحت الاحتلال الأمريكي-.. وسوريا- تحت حكم البعث العلماني-... إذا كانت الهجرة المسيحية عامة في كل هذه البلاد.. والرحيل المسيحي من كل الشرق ظاهرة عامة، رغم انتفاء الأسلمة في هذه البلاد.. فلم لا يبحث الأنبا توماس- وأمثاله - عن الأسباب الحقيقية لهذه الهجرة، وهذا الرحيل؟!..

وهل من أسبابها التغريب الذي يدفع للنزوح إلى «نعيم الغرب»، وخاصة بعد سقوط نماذج التغريب، والتحديث على النمط الغربي؟ وهل من أسبابها الانفصال عن المشكلات الحقيقية للشرق، وعن التحديات التي فرضت على شعوبه؟. لقد بدأت الهجرة المسيحية - من مصر- عقب صدور قوانين الإصلاح الزراعي..وتمصير الشركات الأجنبية.. وقرارات التأميم- في خمسينيات، وستينيات القرن العشرين- لأن الذين هاجروا، ورحلوا كانوا مميزين، وممتازين من قبل سلطات الاحتلال الإنجليزي، والشركات الأجنبية..فلم يعجبهم العدل النسبي الذي حققته ثورة يوليو سنة 1952م، والذي مس الاستغلال الإقطاعي، والرأسمالي، والإداري الذي كان من نصيب الأقلية، وعلى حساب الأغلبية..!. هكذا كانت البدايات.. والأسباب للهجرة، والرحيل..!. ثم إن الطائفية، والانعزالية تجعل من المسيحيين- الذين سقطوا في شراكها- جاليات أجنبية، تهرب من النضال المفروض على شعوب الشرق إلى الثراء، والدعة في الغرب.. ولعل واقع «الرحيل»- رحيل المسيحيين عن الشرق - وليس عن مصر وحدها- يؤكد هذه الحقيقة.

في مصر: فإن نسبة الهجرة بين الشباب المسيحي تزيد عن70٪من عدد المهاجرين- مع العلم أن نسبتهم لمجموع السكان هي5.8 و5.9 من تأشيرات «اليانصيب الأمريكية هي للمسيحيين..!. كما أن إحصاءات سنة2006م تقول: إن جملة مواليد المسيحيين المصريين- في العام- هي50.000 ومتوسط المتحولين منهم إلى الإسلام - سنويًا- هو من 40.000 إلى 50.000 [150]الأمر الذي دفع عددًا من الكتاب، والباحثين الأقباط - والأجانب - إلى الاعتراف- ولأول مرة.. وبعد أن كانوا يبالغون في أعدادهم- بأنهم يواجهون الانقراض خلال القرن الواحد والعشرين[151].

* لقد كتب الدكتور كمال فريد إسحاق- أستاذ اللغة القبطية- بمعهد الدراسات القبطية- بحثًا عن«انقراض المسيحيين المصريين خلال مائة عام»- قال فيه:«إن نسبة المسيحيين المصريين تقل تدريجيًا، وذلك لأسباب ثلاثة:

أولها: الهجرة إلى الخارج[152].

وثانيها: اعتناق عدد كبير منهم الدين الإسلامي.

وثالثها: أن معدل الإنجاب عند المسيحيين ضعيف، على عكس المسلمين وإن هؤلاء المسيحيين- لذلك- سينقرضون في زمن أقصاه مائة عام»[153].

وكتب الباحث القبطي سامح فوزي.. يقول: «إن تعداد المسيحيين في المنطقة العربية يصل إلى ما بين ثلاثة عشر وخمسة عشر مليونًا.. ويتوقع بعض المراقبين أن يهبط هذا الرقم إلى ستة ملايين نسمة فقط بحلول عام2020م، نتيجة موجات الهجرة المتوالية للمسيحيين، وهكذا تصبح المنطقة العربية على شفا حالة جديدة يغيب فيها الآخر الديني، ويصبح الإسلام هو الدين الوحيد، والمسلمون هم وحدهم أهل هذه البلدان.

(150)انظر- في هذه الإحصاءات- صحيفة الحياة- لندن- دراسة: أحمد دياب-بعنوان «هل يخلو الشرق الأوسط من مسيحييه؟» في11/ 6/ 2008م. وانظر-كذلك - د. رضوان السيد: الحياة في18/ 3/ 2008م؛ وما قاله الأنبا مكسيموس في برنامج بلا حدود على قناة الجزيرة بتاريخ 11/ 5/ 2008م.

(151)عالم ومفكر قبطي يتوقع انقراض المسيحيين من مصر خلال 100عام: المصري اليوم 12/ 5/ 2007م؛Mideast's Christians Losing Numbers and Sway، نيويورك تايمز12/ 5/ 2009م.

(152)نشر الدكتور محمد عمارة في كتابه الفتنة الطائفية متى وكيف ولماذا جدولا عنون له بفصل الخطاب عن واقع الرحيل المسيحي حتى من البلاد التي ليس فيها أسلمة ولا تعريب ص79 فراجعة إن شئت.

(153)صحيفة المصري اليوم في12/ 5/ 2007م.

وتشير الدراسات إلى أن تعداد المسيحيين في تركيا كان مليوني نسمة سنة1920م ولقد تناقص الآن إلى بضعة آلاف.. وفي سوريا كان تعداد المسيحيين في بداية القرن العشرين ثلث السكان.. ولقد تناقص الآن إلى أقل من10٪.. وفي لبنان كان المسيحيون يشكلون سنة 1932م ما يقرب من 55٪ من السكان.. ولقد أصبح عددهم الآن يدور حول30٪.. وفي العراق تناقص عدد المسيحيين من800.000- على عهد صدام حسين- إلى بضعة آلاف بعد الاحتلال الأمريكي.. وفي القدس.. قال الأمير الحسن بن طلال: إنه يوجد في «سيدني»- باستراليا- مسيحيون من القدس أكثر من المسيحيين الذين لا يزالون يعيشون في القدس!»[154] والملاحظ أن كل البلاد التي تحدث سامح فوزي عن رحيل النصارى منها، ليس في أي منها أي لون من ألوان «الأسلمة» على الإطلاق!..

*أما مجلة: نيوزويك- الأمريكية- فلقد نشرت: «إن الكثير من المسيحيين المصريين يرحلون عن مصر، هناك الآن ما بين12 و15مليون مسيحي عربي في الشرق الأوسط، ويمكن لهذا الرقم أن ينخفض إلى ستة ملايين فقط بحلول عام 2025م. ولقد بدأت دول الشرق الأوسط تشهد تحولاً ملحوظًا من هذه الناحية: ففي سنة 1956م كان المسيحيون اللبنانيون يمثلون 56٪ من مجموع سكان لبنان، أما الآن فليس هناك أكثر من30٪. وقد انخفض عدد المسيحيين في العراق من (1.4مليون شخص سنة1987م إلى600.000) حاليًا. وكانت مدينة بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح مدينة80٪ من سكانها مسيحيون حين تأسست دولة إسرائيل سنة 1948م، أما الآن فلا يمثل المسيحيون فيها أكثر من16٪».

وحسب «دروكر يستيانس» - رئيس تحرير «مجلة أمريكا» - فإنه في ظل هذا الرحيل الجماعي للمسيحيين العرب يتم فقدان الممارسات، والثقافات القديمة، والمسيحيون الشرق أوسطيون في نهاية المطاف يخاطرون بالامتزاج في بحر المسيحية الغربية»![155].

(154)سامح فوزي، صحيفة وطني: مقال بعنوان «ماذا لو رحل المسيحيون؟» في 27/ 5/ 2007م.

(155)(نيوزويك)- الطبعة العربية- في15/ 1/ 2008م.

ونحـن نلاحـظ – مـرة ثانيـة – أن الـبلاد التـي تحـدثت «نيوزويـك» عـن «الرحيـل الجماعـي» للمسيحيين عنهـا– لا علاقـة لأي منهـا بـأي لـون مـن ألـوان الأسـلمة– التـي تحـدث عنهـا الأنبـا توماس، باعتبارها الغول الذي يهدد المسيحية الشرقية، ويدفع المسيحيين الشرقيين إلى الرحيـل..!. لكنه التعصب الأعمى، الذي يعمي المصابين به عن اكتشاف، وتشخصـين حقيقـة الأمـراض التـي منها يعانون..![156].

* لقد كتب الصحفي النصراني«مايكل فارس» في صحيفة (صوت الأمـة) المصرـية بتـاريخ 1– 12–2008م كلاماً خطيراً عن تصاعد معـدلات الهجـرة القبطيـة مـن مصرـ..وكان عنـوان المقـال :(700ألف قبطي تقـدموا بطلبـات الرحيـل: الكنـائس تحولـت إلى مراكـز للهجـرة تتلقـى طلبـات الشباب، وتعلمهـم اللغات بأسعار رمزية...وتحدث الكاتب عن وجود مركز في كل كنيسـة مهمتـه تلقي طلبات الهجرة بأجر رمـزي، أو دون مقابـل للشـباب.. ويتزايـد الإقبـال خـلال الشـهور مـن أكتوبر، وحتى ديسمبر من كل عام، وتأتي أستراليا، وكندا في مقدمة الدول المستهدفة، وقـد أرجـع الشـباب الراغبـون في الهجـرة تقـدمهم بطلبـات عـن طريـق الكنـائس لثقـتهم في المؤسسـة الدينيـة، وصورتها المقبولة في الخارج خاصة بعد أحداث11سبتمبر سنة2001م[157].

هكذا مع الأسف يتم الرحيل كثمرة للمشروع الطائفي العنصري المجنون الذي عزل الأقبـاط، وأحاطهم بالكراهيـة، والشكوك بعـد استقوائهم بالخـارج المعـادي.. يحـدث كـل ذلـك في ظـل:« المؤسسة الدينية، وصورتها المقبولة في الخارج، فإذا كان ربع الأقباط تقريباً يهرولون للرحيل في عام واحد فهل نحن بإزاء«سفر جديد للخروج»؟![158].

*أما عن لغة الأرقام فتذكر كتب التـاريخ، والموسوعات أن أول تعداد جـرى في مصرـ الحديثـة عـلى أسـس علميـة نظاميـة جـرى في ظـل الاحـتلال الإنجليـزي، وذلـك في أول يونيـو1897م بتشجيع، وإشراف من دولة الاحتلال للتعرف على التركيبـة الحقيقـة للمجتمـع المصرـي، وأشرف على عملية الإحصاء المستشـار المـالي البريطـاني «مسـتر ألـبرت بوانيـه» وسـاعده في متابعـة العمليـة مفتشوا وزارة المالية، والداخلية وهم من الإنجليز[159]

(156)د. محمد عمارة: الفتنة الطائفية متى وكيف ولماذا؟ ص79.

(157)نيوزويك– الطبعة العربية في 15–1–2008م

(158)د. محمد عمارة: الفتنة الطائفية متى وكيف ولماذا، ص79.

(159)د.محمد مورو: يا أقباط مصر انتبهوا، القاهرة، المختار الإسلامي، 1998م، ص 15.

كما تكرر الإحصاء في ظل الاحتلال وبإشرافه أيضاً[160] عام1907م وكذلك عام1917م، ثم 1927م، ثم عام1937م، ثم عام1947م، وتأخر تعداد 1957م نظراً لمعارك1656م حتى تم التعداد مرة أخرى عام 1960م، ثم تعداد تجريبي عام 1966م ثم التعداد التالي عام1976م، ثم عام 1986م، ثم عام 1996م مع ملاحظة أن التعداد الذي تم في ظل الاحتلال الانجليزي كانت قوات الاحتلال، وأفراده يعدون ضمن نسبة المسيحيين من عام1917م،

ويبين الجدول الآتي نسب المسلمين، والنصارى المصريين في كل هذه التعدادات، وهي نسب وردت في العديد من المصادر الدولية، والعربية، والمصرية، وأهمها:أطلس معلومات العالم العربي: فيليب خارج.دائرة المعارف البريطانية لرفيق البستاني، وكذلك العديد من المصادر المصرية المتخصصة، ومن سجل الإحصائيات الرسمية سواء في ظل الاحتلال، أو بعد ثورة يوليو1952م وحتى الآن، والجدول كالآتي:

سنة التعداد	نسبة المسلمين	نسبة النصارى	ملاحظات
1897	93٪	6.3٪	المصدر:دائرة المعارف البريطانية ج1ص191
1907	91.8٪	6.4٪	....
1917	91.4٪	8.1٪	تم حساب جيش الاحتلال ضمن المسيحيين
1927	91.2٪	8.3٪	....
1937	91.4٪	8.2٪	....
1947	91.7٪	7.9٪	....
1957	لم يتم	لم يتم	....
1960	92.6٪	7.3٪	....
1966	92.9٪	6.7٪	بدأت حالات هجرة المسيحيين بعد التأميم
1976	93.075٪	6.024٪	....
1986	94٪	6٪	....
1996	94٪	6٪	........................[161]

(160)كان هذا الإحصاء يتكرر كل عشر سنوات.

(161)معلومات الجدول من المستشار طارق البشري، الجماعات الوطنية – العزلة والاندماج، كتاب الهلال، طبعة أبريل2005م، ص17–19؛ أبو العلا ماضي، المسألة القبطية.. والشريعة والصحوة الإسلامية، سفير الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 2007م، ص37.

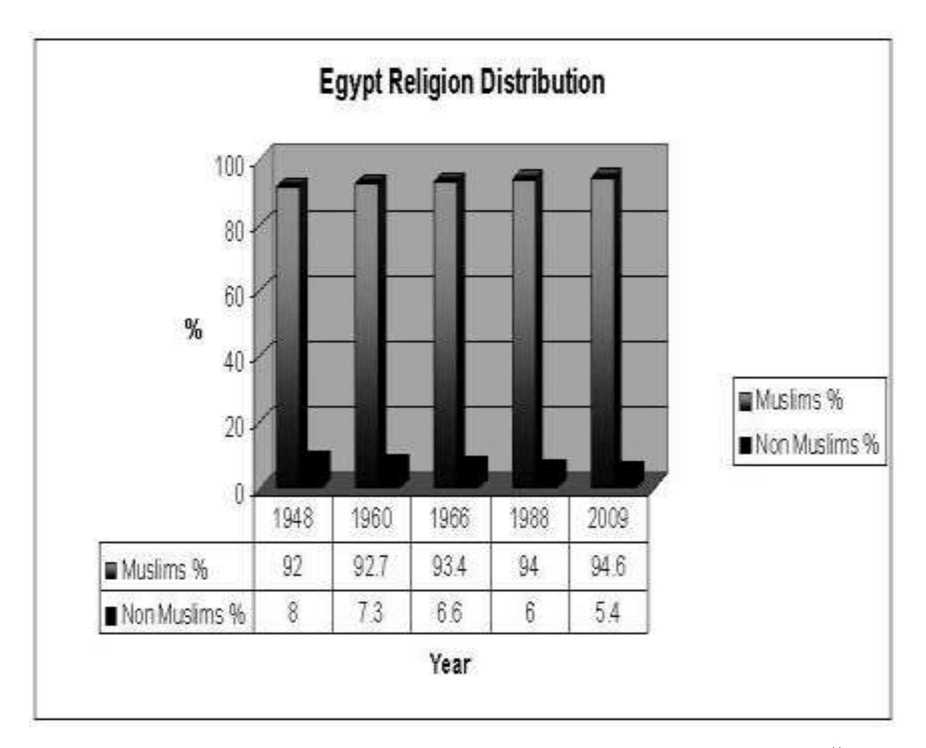
بالطبع كانت توجد نسبة قليلة من اليهود، وغيرهم ممن لم يحددهم التعداد تكمل نسبة 100٪ من عدد السكان حتى هاجروا من مصر بعد قيام دولة إسرائيل[162].

وقد فاجأتنا الولايات المتحدة من حيث لا يتوقع أحد بهذا التقرير: فقد أعلن تقرير أمريكي صادر عن مركز «بيو»، الذي يعد أحد أعرق المراكز البحثية الأمريكية (كما وصفته المصري اليوم في 9-10- 2009م) أن المسلمين في مصر يشكلون الآن حوالي95٪ من سكانها، وأوضح التقرير الصادر في7-10-2009م – ونشرته وكالة «أمريكا إن أربيك» – أن نسبة المسلمين في مصر وصلت إلى94.6. ٪، من إجمالي التعداد السكاني للجمهورية، بينما تشكل الأقليات الدينية وعلى رأسها النصارى نسبة 4.5٪، أي ما يعادل 4.5 مليون شخص من تعداد 83مليون نسمة. التقرير نشرته صحف كثيرة ومواقع عديدة، ومثّل هذا التقرير لطمة ساخنة على وجه المتعصبين الكذبة الذين اتخذوا من التعداد العام للسكان في مصر وسيلة ضغط رخيصة على السلطة الضعيفة في مواجهتهم، والانطلاق من ثم لفرض إرادتهم الشيطانية التي لا تعرف التسامح لإلغاء الإسلام، وتطبيقاته المتاحة في حياة المسلمين، بدءاً من إلغاء المادة الثانية من الدستور حتى إلغاء الآيات القرآنية المتبقية في مناهج اللغة العربية، مروراً بإلغاء القرآن من الإذاعة والتليفزيون، والمجالات الثقافية، والإعلامية، والتعليمية الأخرى! [163].

وهذا رسم بياني بعدد المسلمين والنصارى، وهو متوافق مع الأرقام الخاصة بالأعوام السابقة.

(162)أبو العلا ماضي، المسألة القبطية. ص37.

(163)د. حلمي محمد القاعود: الضيافة والشهادة يوميات التمرد الطائفي على أرض التسامح، ص16.



دعاة الفتنة

لا شك أن من أهم أسباب الاحتقان بين أتباع الديانتين وجود دعاة سوء في الجانبين، ومن أبرز هؤلاء الدعاة:

زكريا بطرس:

يعد زكريا بطرس رأس الأفعى في زيادة عملية الاحتقان بين المسلمين، والنصارى، فإذا تجولت بين القنوات الفضائية قد تقع عيناك علي تلك القناة: رجل يرتدي زي القساوسة، وسيدة في الخمسينيات من عمرها، وبين الطرفين حديث لا ينقطع عن الاسلام، والنصرانية، وهو أمر لا يمكن لأحد أن يعترض عليه طالما أن الأمر لا يمس عقيدة، أو يشكك في إيمان، غير أن ما يحدث علي تلك القناة، والتي اختارت لنفسها اسم (الحياة!) يتجاوز كل حد، فالرجل والمرأة لا يكتفيان بالتبشير للنصرانية، وتأكيد أنها الحق الوحيد المنزل، وإنما يوجهان سهاماً مسمومة للقرآن، وللنبي ﷺ ، وللصحابة، ويزيدان علي ذلك كله بالسخرية من آيات الله بشكل يستفز كل ذي ضمير بما في ذلك النصارى العقلاء، وهذه القناة جزء من تحرك بعض عملاء الخارج المتعاونين مع جهات أمريكية.

القمص مرقص عزيز:

شن القمص مرقص عزيز- كاهن الكنيسة المعلقة بمصر القديمة على هامش جلسات مؤتمر المواطنة- مجموعة من الاتهامات التي شكلت في مجملها سقطة كبيرة للأب الكاهن الذي شن هجوماً حاداً على فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي- رحمه الله- والدكتور محمد عمارة، والدكتور زغلول النجار، واتهمهم اتهامات خطيرة، وكبيرة!!.

فقد نشرت جريدة الأسبوع القاهرية تقريراً خطيراً حول السقطات الكبيرة التي وقع فيها القمص مرقص عزيز الأمر الذي دفع المشاركين في المؤتمر للاعتراض الذي وصل حد المشادة الكلامية بين المسلمين، والنصارى، إلا أن القمص استمر في مداخلته، التي وصفها البعض بالطائفية، لاسيما عندما ردد عزيز ادعاءات عن اضطهاد الأقباط، ورفض الحكومة الاستجابة لمطالبهم، وهنا ضجت قاعة المؤتمر بالسخط علي هذه المزاعم التي تصدر عن رجل دين، مما دفع المنصة إلي رفع الجلسة، بعدما فشلت في امتصاص غضب المشاركين.

سقطات القمص عزيز كثيرة، وتصريحاته تدور حولها العديد من علامات الاستفهام، خاصة دفاعه المستميت عن المنظمات القبطية (الممولة) في المهجر، سواء عندما وصفهم بأشرف من أي إنسان عايش في بلدنا، لأنهم ناس موجودين في الخارج، وقلبهم علي بلدهم!!. ثم إذا به يعلق علي عملية إلقاء القبض علي عادل فوزي، وبيتر عزت المتهمين بازدراء الأديان، وتأليف قرآن جديد في قضية منظمة (**مسيحيي الشرق الأوسط**) التي حققت فيها نيابة أمن الدولة العليا، بأنه: اضطهاد علني للأقباط.

يري القمص عزيز أن عادل، وبيتر شهيدان بدون سفك دم، وأن ما حدث معهما تكرار لصفحات تاريخية ليست غريبة عما دونه المؤرخون عن الأقباط الذين عاشوا أياماً معدودة في هدوء مقارنة بأيام الاضطهاد!! وعلي المسئولين في مصر إلقاء القبض علي كل الأقباط المصريين حتى يستريحوا منهم، ولا يتوانى عند وقوع أي حادث طائفي- فردي- يحدث بين مسلمين، ونصارى عن ترديد مزاعم حول اضطهاد الأقباط، ويصب جام غضبه علي الدعاة، وأئمة المساجد الذين يصفهم بأنهم سبب للفتنة، لأنهم يحرضون على قتل النصارى، عبر خطبهم الرنانة التي تقول: **إن قتل نصراني يدخل الجنة!!** (164).

(164) أتحدى القمص مرقص عزيز أن يثبت وقوع هذا من خطيب واحد.

أحاديث مرقص عزيز لا تخلو من دغدغة مشاعر الأقباط المصريين، برسائل تحوي الكثير من التهديد للدولة يؤكد فيها أن الكيل طفح بالأقباط، وأنه لا يتوقع خيراً إذا لم تتدخل الحكومة بإجراءات رادعة، ويصرح في موضع آخر: « **أخشي لكثرة الضغط علي الأقباط أن تجعلهم ينفجرون، ويتصرفون بما لم يتوقعه أحد...، وإذا انفجروا سيكون انفجاراً قاسياً**». وفي لقاءات مختلفة علي مواقع قبطية علي شبكة الإنترنت خرج عزيز عن سماحة رجال الدين عبر تبني خطاب تحريضي ضد المؤسسات المصرية، ففي حديثه مع موقع (القبطية المتحدة) التابع لمنظمة أقباط بريطانيا، قال عقب أحداث الإسكندرية، التي اقتحم فيها مختل كنائس: إن الأمن متواطئ مع الجماعات الإسلامية (الإرهابية) التي ارتكبت هذه الجرائم ضد شعب الكنيسة، وأن الدولة سخرت وسائل إعلامها القومية لسب المسيح[165]، والكنيسة، والكتاب المقدس بكتابات زغلول الشتام! يقصد الدكتور زغلول النجار، ومحمد الهدام! [166]يقصد الدكتور محمد عمارة، وبالتالي يتضح لأولاد المسيح (والكلام علي لسان مرقص) أن الدولة تسب المسيح، والكتاب المقدس!!. ووصل الأمر بمرقص عزيز إلي الوقوف في خندق المدافعين عن الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك أثناء حديثه مع القبطية المتحدة حين قال: « هو كل واحد عايز يبرر أحداث الفتنة يقول أمريكا هي السبب...أمريكا فاتحة بيوت[167]، وفاتحة دول كثيرة، وأي واحد ييجي يشتم فيها من باب فك العقد...ما هي أمريكا بقت الملطشة بتاعت الكل!!».

(165)من أبجديات العقيدة الإسلامية أنه لا يصح إيمان المسلم إلا إذا آمن بجميع الأنبياء، والرسل، سيما نبي الله عيسى -عليه السلام- الذي يعد من أولي العزم من الرسل، فمن سبه، أو انتقصه لا يكون مسلماً، قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**» صححه الألباني في صحيح الجامع برقم6320.

(166)انظر إلى أدبه عامله الله بما يستحق.

(167)بيوتكم أنتم.

ثم إذا به يلهب حماس الشباب القبطي بدعوته للثورة علي الاضطهاد، والدفاع عن أنفسهم من بطش المسلمين بقوله :«**أيها الشاب القبطي أنت بتحب كنيستك، وبتحب بلدك، ومطلوب منك إنك تهيأ نفسك إنك داخل علي عصر استشهاد جديد، لو مجهزتش نفسك لكده، وفضلت متخاذل هتكون النتيجة إن عليه العوض في كنيستك، لكن ما تنساش مسيحك، قالك: أبواب الجحيم لن تقوى عليها، لكن عليك دور أنت بقى، مش هتبقى متواكل لكن لازم يكون ليك دور... اللي سامع الرسالة يوصلها لغيره... دافع عن كنيستك ما تسمحش لأي بني آدم يقرب من كنيستك، حتى لو ضحيت بعمرك، ولو دمك سال!!** (168)».

ولست هنا بصدد الرد على هذا الإدعاء المغلوط، ولكن المقام مقام تذكير ببعض من ينفخ في الرماد؛ ليشعلها ناراً لا يسلم من شرها أحد، والسؤال: كيف يصدر هذا الكلام من رجال المفروض فيه أن يتسم بالعقلانية، والموضوعية؟، إنه يدعو الشباب النصراني لإعداد العدة، والثورة، والشباب بطبيعته متسرع.

وهذا الكلام وأمثاله يقود الشباب إلى شن حرب ضروس تأتي على الأخضر، واليابس، أين يا كاهن الكنيسة المعلقة تعاليم كتابك المقدس: جاء في إنجيل (لوقا/ 27: 42) :«27... **أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ؛ أَحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ؛ 28بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ؛ صَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. 29وَمَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ، فَاعْرِضْ لَهُ الْخَدَّ الآخَرَ أَيْضاً. وَمَنِ انْتَزَعَ رِدَاءَكَ، فَلاَ تَمْنَعْ عَنْهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً. 30أَيُّ مَنْ طَلَبَ مِنْكَ شَيْئاً فَأَعْطِهِ؛ وَمَنِ اغْتَصَبَ مَالَكَ، فَلاَ تُطَالِبْهُ. 31وَبِمِثْلِ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلَكُمُ النَّاسُ عَامِلُوهُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً. 32فَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَحَتَّى الْخَاطِئُونَ يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ! 33وَإِنْ أَحْسَنْتُمْ مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ مُعَامَلَتَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَحَتَّى الْخَاطِئُونَ يَفْعَلُونَ هَكَذَا! 34وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَأْمُلُونَ أَنْ تَسْتَوْفُوا مِنْهُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَحَتَّى الْخَاطِئُونَ يُقْرِضُونَ الْخَاطِئِينَ لِكَيْ يَسْتَوْفُوا مِنْهُمْ مَا يُسَاوِي قَرْضَهُمْ. 35وَلكِنْ، أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا الْمُعَامَلَةَ، وَأَقْرِضُوا دُونَ أَنْ تَأْمُلُوا اسْتِيفَاءَ الْقَرْضِ، فَتَكُونَ مُكَافَأَتُكُمْ عَظِيمَةً، وَتَكُونُوا أَبْنَاءَ الْعَلِيِّ، لأَنَّهُ يُنْعِمُ عَلَى نَاكِرِي الْجَمِيلِ وَالأَشْرَارِ. 36فَكُونُوا أَنْتُمْ رُحَمَاءَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ رَحِيمٌ.**

(168)انظر: سقطات «مرقص عزيز»: هاجم «الشعراوي» ودافع عن أمريكا...ودعا الشباب القبطي للثورة، جريدة الأسبوع1/ 12/ 2007م، العدد رقم557.

يقول الكاهن هذا الكلام وهو يعيش في دولة إسلامية تعطي للنصارى حقوقاً، وامتيازات لم يحصل عليها المسلمون في أكثر بلاد العالم – زعموا- تقدماً، وديمقراطية؛ ولكن عقيدته، ومنهجه أعمياه عن الرؤية الصحيحة، والقول السديد، ولا أريد أن أطيل في نقل الأمثلة، ولكن أولي البصر، والإدراك يبصرون، ويدركون آثار هذا المنهج التحريضي الذي يضفي احتقاناً بين المسلمين والنصارى في مصر.

أقباط المهجر:

لقد أدرك الأوروبيون قديماً أن المواجهة الصريحة، والمباشرة مع الحضارة الإسلامية ستؤدي إلى هزيمة أوروبية لاشك فيها، ومن ثم فلابد من اكتشاف وسائل لإضعاف القلعة الإسلامية من داخلها[169]وهذه الفكرة راودت لويس التاسع في أثناء أَسْره في المنصورة بعد هزيمة حملته على مصر، فقرر إنشاء جيش الباحثين«المستشرقين» للبحث في وسائل إضعاف القلعة الإسلامية من داخلها فكرياً، وثقافياً، وعن طريق الأقليات الدينية، ثم العرقية فيما بعد، وقد تطورت تلك الوسائل بالطبع فيما بعد، إلا أنها تظل فكرة قديمة جديدة تقليدية مستحدثة[170].

منذ أوائل الستينيات بدأت ظاهرة الهجرة إلى الخارج، وخاصة الغرب (أوروبا- الولايات المتحدة- كندا- أستراليا) وخاصة من النصارى المصريين، وبدأت تتكون جاليات مع الوقت، وبدأ يسمع عنها في أوائل السبعينيات، وبدأ يستعمل تعبير أقباط المهجر، وكانت الكنيسة الأرثوذكسية بقيادة البابا شنودة، ولازالت تنظم بناء الكنائس لهم في أماكنهم، والقيام بالرعاية الكنسية، وبدأت توجههم وفق أجندة البابا شنودة للضغط على السلطة، والدولة في مصر من أجل مكاسب سياسية، وحينما تصدت الدولة وعلى رأسها الرئيس السادات، وخاصة بعد قرار عزل البابا من موقعه تغير التكتيك الخاص بهذه المجموعات، وللعلم فإن جزءاً من هؤلاء الناس حصل على اللجوء لهذه البلاد، ثم الجنسية بادعائه كذباً بالاضطهاد من أجل دينه،

(169)د.أسامة أحمد محمد حميد: تاريخ مصر في الحقبة العلمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنها، كلية الآداب،1990م.

(170)د. محمد مورو:الاختراق الأجنبي عن طريق الأقليات، مكتبة جزيرة الورد، 1428هـ/ 2007م، ص7.

وأراد هؤلاء التأكيد على هذا الزعم ليبرروا للمجتمعات التي منحتهم اللجوء صدق زعمهم بالاضطهاد؛ لذلك فهم أكثر الأطراف ادعاءً بغير حق بالاضطهاد، وتضخيماً لأي حدث له بعد طائفي، ومنذ أوائل التسعينات بدأ انتشار منظمات، وجمعيات تتحدث باسم أقباط المهجر، وكثير من هذه المنظمات ذات علاقة مشبوهة بمنظمات دينية متطرفة غربية لها أجندة خفية، وتستغل هذه المنظمات- أي منظمات أقباط المهجر- في تحقيق أغراض أخرى لها في المنطقة، وبعض من هذه المنظمات، والجهات ذات الصلة بالأجندة الصهيونية[171]، أو المسيحية الصهيونية، وبالتالي فإن بعضاً من أقباط المهجر، وليس كلهم يساعد في تأجيج المسألة الطائفية في مصر، ولا يساعدون على حل حالات الاحتقان الطائفي؛ لأن ضغوطهم بالخارج تجعل الأغلبية المسلمة، وكثير من المواطنين الأقباط يرفضون الاستجابة لأي مطلب يأتي من خلالهم، كما أن مشاعر الجمهور المسلم تُستفز حتى ضد إخوانهم النصارى المصريين في الداخل بسبب الممارسات المشبوهة لهذه المنظمات التي تحاول كما حدث في مرات كثيرة، وخاصة في مؤتمراتهم التي تعقد بالغرب سواءً في أوروبا، أو في الولايات المتحدة الأمريكية التحريض ضد وطنهم، والدعوة للتدخل الأجنبي من جديد في شئون وطنهم الأصلي مما يضر كثيراً بمسألة التعايش السلمي بين أبناء الوطن الواحد مسلمين، ونصارى[172].

(171) اتهم موريس صادق العرب، والمسلمين بأنهم شعوب بربرية لا تحب السلام، وأشاد باليهود، واعتبرهم أصحاب الأرض العربية الأصليين، وأن الغزو العربي، والإسلامي لمصر. حاصر الكنيسة منذ أكثر من1400 سنة.. وقال موريس إن هناك حقوقاً تاريخية للشعب الإسرائيلي، وطالب بعودتهم إلي كل الأراضي بما فيها مصر.. وأضاف أن الدولة الفلسطينية تمثل خطراً علي السلام العالمي مشدداً علي عدم تقسيم القدس، وجعلها عاصمة موحدة، وأبدية لإسرائيل..وطالب موريس صادق حلف شمال الأطلنطي بالهجوم علي ما أسماه بالأيديولوجيا الإسلامية الوهابية في العالم العربي.كما اتخذ موريس صادق من واقعة التخلص من الخنازير فرصة للهجوم علي الدين الإسلامي، واتهامه بدعم الإرهاب، والوحشية، وأن المسلمين يقومون بهذه العمليات الوحشية استناداً إلي نصوص القرآن والسنة. وزعم صادق أن الخنازير ثروة 2 مليون قبطي، وكان يأكلها10 ملايين قبطي.

(172) أبو العلا ماضي: المسألة القبطية.. والشريعة والصحوة الإسلامية، ص59-60.

وأقباط المهجر هو الاسم الذي باتت تعرف به إعلامياً مجموعات الناشطين من مسيحي مصر في الخارج، حيث يعيش أكثرهم في الولايات المتحدة، ودول الاتحاد الأوروبي، وكندا، اتخذوا مما أسموه (القضية القبطية) لافتة كبيرة، ووسيلة لإقامة تجمعات سياسية، ودينية، وإعلامية متحالفة مع عدد متزايد من القوى، والمنظمات الغربية، على رأسها: اليمين المسيحي المتطرف، ومجلس الكنائس العالمي، والمنظمات.

وقد أدّى رجال الأعمال الدور الرئيس في تأليف تلك المجموعات، وعلى رأسهم عدلي أبادير[173] الرئيس السابق لـ (**الأقباط متحدون**) وكميل حليم رئيس منظمة (**التجمع القبطي الأمريكي**).

وقد روجوا لأكذوبة (اضطهاد الأقباط في مصر وأسلمتهم بالقوة) وبدعم من الاتحاد الأوروبي، والكونجرس الأمريكي، والبيت الأبيض، والفاتيكان، شكلوا ما يشبه جماعات الضغط (لوبي) لدفع الحكومة المصرية إلى تبني سياسات معينة، وسن قوانين، وتشريعات تصب في مصالحهم، ومن خلال وسائلهم، وإمكاناتهم أقاموا الدنيا ولم يقعدوها ضد المسلمين كأغلبية في مصر، وضد الإسلام باعتباره العقيدة التي يؤمن بها الأغلبية التي يزعمون أنها تمارس الاضطهاد بحق الأقلية.

---

(173)عدلي أبادير: زعيم عصابات أقباط المهجر، والممول للعديد من المواقع الأليكترونية التي تسب الله ورسوله على مدار الدقيقة والثانية، ولد المجرم الهالك عدلي أبادير في فبراير عام 1920م وعرف عنه منذ صغره سوء سلوكه، وقيامه بأعمال منافية للآداب، تم سجنه في مصر في الثمانينيات لقيامه بسرقة مبالغ مالية طائلة من إحدى الشركات، بعد خروجه من السجن أصيب بشلل، ليسافر بعدها إلى سويسرا ليعمل مع الصهاينة ويشترى ذمم ونفوس حثالة الكتاب في مصر، وليعقد مؤتمرات تدعو صراحة لغزو مصر، كان أتباع عدلي أبادير يطلقون عليه عمدة أقباط المهجر، ويبالغ بعض أتباعه المفتونين به فيسمونه بطريرك المهجر، فهو من خلال رعايته المالية على الأقل للمنظمات القبطية في الخارج يعادل عندهم ما يقوم به شنودة هنا في مصر، وقد يكون ذلك تحديداً هو ما أصابه بحالة من الانتفاخ والغرور، وكان مضحكاً عندما رشح نفسه لرئاسة الجمهورية، وأعلن أنه سيحكم مصر من مقره الدائم بزيورخ في سويسرا، يمتلك عدلي منظمة وموقعاً اليكترونيا يشن من خلاله هجوما كاسحا علي كل خصومه، خاصة من الإسلام، وبعد غيبوبة طويلة استمرت لنصف عام تقريباً زهقت يوم الخميس 31 / 12/ 2009م نفسه الخبيثة، ويذكر أن قيادات المنظمات القبطية بالمهجر كثفت من اتصالاتها بالجانب المصري أملاً في إقناعها بدفن الهالك عدلي أبادير في مصر باعتباره مصرياً في الأساس قبل أن يهاجر إلي سويسرا إلا أن طلبهم قوبل برفض قاطع

لم تعد أخبارهم تنقطع عن وسائل الإعلام، وباتوا يشكلون حضوراً دائماً على صفحات الجرائد، وشاشات التلفزة، فلا يكاد يمر يوم دون أن يكون لهم فيه حدثاً جديداً، سواء كان مظاهرة، أو وقفة احتجاجية في عاصمة من عواصم العالم، أو مطلب جديد على الحكومة المصرية أن تنصاع له وإلا حولوه إلى مظلمة يحرضون بها هذه القوى الغربية المتنفذة.

وإن كان لليهود محرقة واحدة (الهلوكوست) فلأقباط المهجر كل يوم محرقة، لم تكن أولها (الكشح) ولن تكون آخرها (نجع حمادي) التي دفعوا البرلمان الأوروبي إلى عقد جلسة خاصة لها تبنى خلالها قرارًا يطالب الحكومة المصرية بالعمل على ضمان أمن الأقباط، وشدد نوابه على ضرورة الالتفات إلى ما وصفوه بالتمييز الذي تعانيه الأقليات الدينية في مصر.

كما أصدر الفاتيكان وثيقة زعم فيها أن «مسيحيي البلاد الإسلامية لا يُعاملون كمواطنين»، وفي تصريح تحريضي، أعرب رئيس المجلس البابوى لوحدة المسيحيين في الفاتيكان، الكاردينال والتر كاسبر، عن ما أسماه «صدمته من الاضطهاد الذي يتعرض له المسيحيون في مصر».

ولم تتوقف جهود المهجريين عند ذلك، بل أعلن (يعقوب كرياكي) أنه قدم مذكرة للأمم المتحدة طالبها بالتدخل لوقف ما سماه «الاعتداءات المستمرة» على أقباط مصر. في حين قال ناشط آخر هو (كميل حليم) إنه تم تقديم أكثر من 4000 مذكرة للرئيس الأمريكي باراك أوباما جميعها تطالبه بالتدخل فيما يتعرض له الأقباط من اعتداء في مصر.

مطالب أقباط المهجر:

مطالب أقباط المهجر لا حدود لها، حسبما تنقله صحفهم، ومواقع الإنترنت التي يديرونها، وما تخرج به مؤتمرات عديدة يعقدونها من وقت لآخر في العواصم الغربية، منها:

* طرد المسلمين من مصر إلى الجزيرة العربية، باعتبار أن مسلمي مصر ليسوا مصريين، بل عرب أتوا مع «**الغزو العربي**» على حد زعمهم، فإن لم يكن الطرد فليكن تقسيم مصر، أو على الأقل إقامة دولة للأقباط في جزءها الجنوبي ولو باتحاد كونفيدرالي مع النوبيين.

فقد نشر موقع يشرف عليه (مايكل منير)- رئيس منظمة أقباط الولايات المتحدة- مقالاً طالب فيه أحدهم بحصول الأقباط على حق تقرير المصير مثلما حدث لجنوب السودان، وكتب يقول «نطالب الأقباط بتبني السعي لدى الأمم المتحدة، والدول الصناعية الكبرى لتخيير الأقباط بين خيارين في استفتاء دولي حر:

الأول: البقاء بمصر موحدة مع وضع الشروط، والضمانات الدولية للحفاظ على ممتلكاتهم، وحقوقهم، وتوزيع عادل للمناصب، والثروات في دولة ديمقراطية علمانية تضمن نظامها الأمم المتحدة.

الخيار الثاني: الانفصال بجزء من مصر، وجزء من الثروات، وتكوين دولة مستقلة يحميها المجتمع الدولي بعد أن عرف العالم حقيقة خطة الإبادة المنظمة ضد الأقباط، هكذا يزعم.

ولا ينسى هؤلاء أن يكرروا الحديث عن ما يسمونه «الخريطة الأمريكية لتقسيم مصر»، وهو مخطط معد سلفاً لكن يستحيل تنفيذه إلا بوجود إحساس عميق بالاضطهاد لدي قطاع معين من الشعب، الأمر الذي يدفعه لبذل الغالي، والنفيس من أجل تحقيق ذلك.

*ومن مطالبهم الأساسية: إلغاء المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن « الإسلام هو دين الدولة الرسمي، والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع»، وهو أول توصيات مؤتمر أقباط المهجر بالنمسا2009م.

وقد دعا مايكل منير بكل صفاقة الإدارة الأمريكية إلى التدخل لإلغاء المادة الثانية من الدستور، وطالب أيضًا بالسماح بتحول المسلمين إلى الديانات الأخرى، وادعى أن المادة الثانية هي مادة عنصرية، تفصل بين عنصري الأمة، ونسي هذا المايكل أن مصر دولة إسلامية، تتمتع بغالبية مسلمة تزيد عن 95٪ من السكان... [174]، وأضاف: نحن نؤيد قيام الدولة العلمانية[175]، وإبعاد الدين عن السياسة، واحترام الأديان، وإلغاء كل المظاهر التي تميز بين المسلم، والمسيحي مثل: بطاقة الهوية، فما معنى وجود خانة الديانة فيها، مما يؤدي إلى عدم حصول المسحيين على الوظائف التي ينالها إخوانهم المسلمون.

ولست هنا بصدد الرد على هذا الإدعاء المغلوط، ولكن المقام مقام تذكير ببعض من ينفخ في الرماد؛ ليشعلها ناراً لا يسلم من شرها أحد.

وبصفاقة لا تقل عن سابقتها طالب مايكل منير الإدارة الأمريكية الضغط على الحكومة لتحسين وضع الأقباط، وإعطائهم المزيد من الصلاحيات، كما أوصى الكونجرس أن يخصص اعتمادات مالية لكل جماعة عرقية، ودينية، وثقافية في مصر لدعم ما أسماه برامج التثقيف السياسي التي تؤكد الحاجة إلى المشاركة السياسية[176].

*وأيضاً إصدار قانون موحد لدور العبادة، رغم أن سبب تعثر هذا القانون هي مطالبة الكنيسة الأرثوذكسية بعدم الالتزام بأي معايير، أو نسب على أساسها تبنى الكنائس، بل يطالبون بأن يترك لرجال الدين وحدهم تحديد احتياجاتهم من الكنائس كما جاء في حوار للأنبا بسنتي، مع العلم أن عدد الكنائس بالنسبة لعدد النصارى في مصر يزيد عن عدد المساجد بالنسبة لعدد المسلمين فيها.

(174)أحمد حسن بكر:المصريون: بتاريخ4/ 6/ 2007م.

(175)فرض العلمانية قد يصلح، ويتماشى مع المسيحية، لكنه والإسلام لا يجتمعان.

(176)www.freecopts.net/forum/showthread.php?t=13122.

*ويطالب أقباط المهجر بكل وقاحة أن تحذف الآيات القرآنية من المناهج التي تدرس لطلاب المدارس لأن الأقباط من بينهم، وحذف كل آية قرآنية كريمة تتحدث عن كفر من يعبدون المسيح عيسى بن مريم -عليه السلام- من كتب الأزهر، وفرض ما يسمى «اللغة القبطية» على التلاميذ في المدارس.

* ومن المطالب السماح بدخول الطلاب النصارى جامعة الأزهر، مع أن المسلمين أنفسهم لا يستطيعون الالتحاق بجامعة الأزهر إلا في حالة انتظامهم بالتعليم الأزهري منذ المرحلة الابتدائية، وحتى الحصول علي الثانوية الأزهرية المؤهلة قانوناً للقبول بجامعة الأزهر.

*ومن مطالبهم خلق (كوتة) للأقباط ثابتة في مجلس الوزراء، وتعيين رئيس وزراء قبطي، وتعيين نصف المحافظين، وتعيين مائة عضو بمجلس الشعب سواء جاءوا بالانتخاب، أو لم يتم انتخابهم من جانب المواطنين، وتعيين رؤساء جامعات، ولواءات بالجيش، والشرطة، وإلغاء خانة الهوية الدينية من جميع الأوراق، والوثائق الرسمية، والتمييز الإيجابي للأقباط بتعويضهم عما يسمونه «سني القهر والذل والاضطهاد» التي تعرضوا لها في مصر، وكأننا أمام بني إسرائيل جدد يجري عليهم من الاضطهاد ما جرى على عهد فرعون!.

ليس هذا فحسب بل إنهم يطالبون بإطلاق حرية العقيدة لكل المصريين (وليس الأقباط فقط) بحيث تسمح مصر بالحرية المطلقة للعقائد...وتعديل كل المناهج الدراسية بحيث يتم إلغاء المواد الدينية منها، وإجبار الأزهر على وقف نشر كل الكتب الإسلامية، وتخصيص نسبة من الوظائف لهم، ودفع تعويضات لضحايا الأقباط، وتخصيص نسبة من الدوائر الانتخابية لهم، وإلزام خطباء المساجد بعدم التحدث عنهم، وعدم اضطهاد طلابهم، خاصة في مجال وضع الدرجات، وعملية التقويم، وتدريس اللغة القبطية، ونشرها على نطاق واسع.

حقاً؛ إذا لم تستح فقل ما شئت، هذا جزء من مطالبهم، وليس كل مطالبهم... ولو عرضت هذه المطالب على أية دولة، وبالذات أمريكا لسمحت الولايات المتحدة لنفسها بأن تعتقل كل الذين تورطوا في عرض هذه المطالب مثلما سمحت لنفسها بأن تعتقل الآلاف، وتلقى بهم في معتقلات سرية، وسمحت لنفسها بالتنصت على كل مكالمات من تشك في ولائهم، وسمحت لنفسها بأن تجبر أجهزة الأمن الدولية، وحكومات العالم على تسليم متهمين مطلوبين لها بدعوى حماية أمنها.

هذه المطالب تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القضية ليست في اضطهاد مزعوم للنصارى في مصر بدليل أن الذي يتبنى هذه المطالب لوبي يهودي، وقبطي يمكث، ويتربع على عرش أمريكا.. كما أن هذه المطالب تعد تدخلاً سافرًا، وقذرًا في شئون دولة أخرى.. كما أن هذه المطالب لا يمكن تحقيقها بالمرة... فلا يمكن تغيير المناهج، أو إجبار خطباء المساجد على وقف الحديث عن النصارى.. كما لا يمكن أن تسمح أية دولة في العالم بتخصيص كوتة لأية طائفة في الانتخابات، أو قبولهم بلا قيد، أو شرط في الجامعات، وهو مطلب مرفوض من أي شخص مهما كان المبرر.

الأمر الذي دفع الدكتور محمد عمارة أن يلقبهم بـ «أحقاد المهجر» قائلاً إنهم يعيشون علي ما وصفه بـ «سُحت الدولارات الأمريكية» التي تزكي إشعال الفتن في مصر، وذكر أن الولايات المتحدة أخرجت معونات لنحو 40 منظمة قبطية في مصر عام 2007م، متهماً أقباط المهجر بأنهم يشقون الوحدة الوطنية في مصر، وأنهم يشعلون الحرائق بدعم أمريكي[177].

هل المهجريين وحدة واحدة؟.

وبالرغم من وحدة شعاراتهم، والأفكار التي ينطلقون منها في حربهم المعلنة على مصر، والمصريين إلا أن ذلك لا يعكس على الإطلاق حقيقة تشرذم جماعاتهم، والمنظمات التي ينتمون إليها في الخارج، إذ يتصارع النفوذ، والزعامة على جماعات الأقباط في الخارج جبهتين رئيسيتين:

الأولى: منظمة (**الأقباط متحدون**) التي أسسها الملياردير القبطي عدلي أبادير في سويسرا عام 2004م والذي قام بتنظيم عدد من المؤتمرات كلها تزعم وقوع اضطهاد للأقباط في مصر، أحدها في زيورخ سبتمبر عام 2004م وآخر في واشنطن في شهر نوفمبر 2005م الذي انعقد تحت شعار مسلمون ومسيحيون من أجل الديمقراطية، وحقوق المواطنة في مصر.

(177) على هامش ندوة عقدت بمكتبة الإسكندرية حول «الفكر النهضوي الإسلامي»، صباح الخميس 24/ 12/ 2009م.

والثانية: منظمة **(أقباط الولايات المتحدة)** التي يتزعمها الشاب مايكل منير وهو وثيق الصلة بلجنة الحريات في الكونجرس الأمريكي، وشارك في العديد من جلسات الاستماع أمامها، وتقديم تقارير تزعم اضطهاد الأقباط في مصر، كما تقدم بمشروع قانون أمام الكونجرس لمحاسبة مصر، وقد أسس منير موقعاً على شبكة الإنترنت، ومركزاً إعلامياً دولياً في الولايات المتحدة، لكن بتوصية من عدلي أبادير، ونكاية في مايكل منير، أسس كميل حليم (التجمع القبطي الأمريكي) في نوفمبر2005م حيث قال حليم أن التجمع بدأ بفكرة من أبادير بضرورة تنظيم الأقباط في أمريكا بسبب نسبتهم العددية، وما يمكن أن تحققه هذه النسبة لصالح قضيتهم.

وقد ظهر التنسيق بين تجمع حليم، ومنظمة أبادير جلياً في المؤتمر الذي نظمه التجمع بالولايات المتحدة تحت عنوان «**القضية القبطية.. معالجة جديدة للواقع والآليات**» في ولاية شيكاغو الأمريكية، والذي غاب عنه مايكل منير، وشارك فيه أعضاء بالكونجرس الأمريكي، وزعم اضطهاد الحكومة للأقباط، وتستر الأجهزة الأمنية على عمليات اختطاف الفتيات، وإجبارهن على دخول الإسلام، وطالب بإلغاء خانة الديانة من البطاقة.

وفي أعقاب الزيارة التي قام بها مايكل منير إلى مصر عام2005م التي التقى خلالها بمسئولين في الحكومة، لكنها جرت على ما يبدو بدون تنسيق، وقد تزعم عدلي أبادير مجموعة من المناوئين لمنير على رأسهم (مجدي خليل) لإصدار بيان يقولون فيه:« إنه لا يمثل أقباط المهجر رداً على ما رددته صحف مصرية، وعربية من أنه »زعيم أقباط المهجر» وهو ما أغضب أبادير، وخليل.

وإلى جانب هؤلاء توجد منظمة أخرى للأقباط في أمريكا وهي **(الاتحاد القبطي الأمريكي)** التي أسسها المحامي رفيق إسكندر، صاحب الدعوة الشهيرة إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق آرئيل شارون للتدخل لحماية الأقباط في مصر الذين زعم أنهم يتعرضون للإبادة.

كما طالب في تقرير أرسله إلي وزارة الخارجية الأمريكية، ولجنة الشئون الخارجية بالكونجرس بفرض عقوبات اقتصادية، وسياسية علي مصر، وهو نفس ما تطالب به الجمعية الوطنية القبطية الأمريكية التي يترأسها المحامي موريس صادق.

الجناح الآخر لهذه المنظمات في كندا يتمثل في منظمة (**مسيحيي الشرق الأوسط**) التي يرأسها نادر فوزي، وتعلن المنظمة أن هدفها الأساسي هو حصول مسيحي الشرق الأوسط على حقوقهم، وقامت المنظمة بتنظيم مؤتمر المساواة بكندا في يوليو2004م ثم إصدار كتاب «**المضطهدون**» باللغة العربية، والإنجليزية.

وتعد هذه المنظمة تبشيرية بالأساس، وتتلقى أموالاً طائلة من المتربصين بمصر، وبالإسلام، وهو ما ظهر جلياً خلال اعتقال اثنين من أعضائها وهما عادل فوزي رئيس فرع المنظمة في مصر، وبيتر عزت مصور بموقع الأقباط بتهمة ازدراء الدين الإسلامي على موقع المنظمة على الإنترنت[178].

وتسعى هذه المنظمات- أقباط المهجر- لإثارة الفتنة الطائفية بين أبناء الوطن من المسلمين، والنصارى، فهم يبسطون ألسنتهم بالسوء دوماً تجاه الداخل، ويمدون أيديهم بالسؤال دوما لنيل «التمويل»، والدعم المعنوي، والسياسي من الخارج، ومثل هذه المنظمات تعد من الأسباب الجوهرية التي فجرت هذه القضية فإن هناك ما يزيد عن عشرين منظمة تحمل اسم الأقباط تستقوي على الوطن من خلال علاقات، وضغوط خارجية تضفي المزيد من التعقيد على المشكلة، وتضر بالأمن القومي، والصالح الوطني لمختلف الطوائف.

وقد تنبه قديماً الكثير من العقلاء لهذا المخطط الرهيب فهذا عبدالله النديم الذي طالب المصريين جميعاً مسلمين، وأقباط بالاتحاد والتمسك بحبل الائتلاف حتى يفوتوا على مروجي فكرة التعصب أغراضهم فقال:« **أوصيكم بكلمة الاتحاد، والتمسك بحبل الائتلاف، وأحذركم من التخاذل، وسماع أقوال أهل الأهواء الذين شربوا دماءنا، ولم يرتووا، وأكلوا لحومنا ولم يشبعوا**»[179].

(178)علي عبدالعال: أقباط المهجر.. من هم وماذا يريدون؟ /www.saveegyptfront.org/news.

(179)التنكيت والتبكيت، العدد الثامن عشر في16أكتوبر1881م تحت عنوان: وصية وطنية، ص 296؛ د. عبدالرحيم عبدالهادي علي أبو طالب: الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط في مصر ودور إنجلترا في أحداثها، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1995م، ص97.

إن الإحساس لدى المسلمين في مصر بأن الغالبية من النصارى المصريين تتعالى على العرب، والعربية، والعروبة، ولديهم شعور جارف بأنهم ينتمون إلي الغرب النصراني، وليس إلي الأمة العربية المصرية، وحديثاً استقواء النصارى بالخارج للضغط على الحكومة التي تستجيب لهم خوفاً من الغضب الخارجي عليها، هذا يهدد النسيج الوطني تماماً، ويزيد الاحتقان بين الطرفين.

ولا شك أن تراكم الإحساس لدى المسلمين 95٪ بأن الطرف النصراني يستقوي بالعدو الخارجي عليهم يجعل المشاعر مستنفرة خصوصاً في زمن يشعر فيه المسلمون أن الحرب الدعائية عليهم مستعرة، ومن متطرفي الغرب النصراني.

نعم فدور أقباط المهجر في عملية الاحتقان بتلويحهم بين الحين، والآخر بقضية الأقباط، والاضطهاد المزعوم، وتلويحهم بتدخل الأمريكان أمر يثير حساسية كبيرة عند المسلمين، وعقلاء النصارى!.

وقد نُشر مقال صغير في صحيفة (الواشطن بوست) الأمريكية مؤخرًا يعلن للعالم عن أنه قد حان الوقت لتفعيل الإصلاح الأمريكي في مصر...المقال لم يتوقف عنده أحد طويلاً، واعتبره بعض مثقفينا، ومناضلي الفضائيات في مصر مجرد مقال عادي...والحقيقة أنه يعد انفجارًا، وتتويجًا لعملية تحرك قادها (اللوبي القبطي، واليهودي) في قلب واشنطن، وعواصم أوروبا ضد مصر، وشعب مصر...فعلى مدى الأيام الماضية شهدت الساحة الإعلامية الدولية هجومًا حقيرًا، موجهًا ضد مصر، تقودها هذه المنظمات، وانتهت بمؤتمر تدور أعماله في (شيكاغو) يخطط لوسائل تفعيل عملية الإصلاح الأمريكية في مصر رغمًا عن الشعب المصري، وكأننا في حاجة إلى وصاية مجموعة من مرتزقة السياسة، وتجّارها الذين يتاجرون بقضاياهم شخصيًا.

و(الواشنطن بوست) معروفة بولائها ماليًا، وإدارة لليهود... وفيها يتم تخصيص صفحات للهجوم على مصر، ومحاولة تعبئة الرأي العام ضدها خاصة في الآونة الأخيرة... يتم دفع ملايين الدولارات من أجل نشر إعلانات موجهة ضد مصر... والمقال المشار إليه بقلم الكاتب الأمريكي (نير بومز) وشاركه المصري (مايكل منير) رئيس منظمة أقباط الولايات المتحدة الأمريكية... والدليل الذي يؤكد أن هذا المقال يعد تتويجًا لتحركات قذرة قادها (اللوبي القبطي) بواشنطن أن المنظمة التي يتولى (مايكل منير) رئاستها حاولت عبر تقارير، ومواد إعلامية، ومراسلات مع البيت الأبيض أن تقنع العالم بأن أقباط المهجر البالغ عددهم نحو مليون ونصف المليون قد فروا من مصر بسبب عمليات اضطهادهم من قبل النظام الحاكم في مصر.

في نفس الوقت الذي أعلن كبيرهم والمدعو (عدلي أبادير) أحد مرتزقة السياسة في الخارج عن تحالف شيطاني مع الدكتور(سعد الدين إبراهيم) مدير مركز ابن خلدون– الذي يحلوا للبعض أن يسميه مركز ابن صهيون– للدراسات الإنمائية الذي أعلن عن هذا التحالف بدون حياء، أو خجل لممارسة ضغوط على مصر بسبب عمليات الاضطهاد المزعومة ضد الأقباط حيث يحاولون تصوير وجود عمليات ذبح منظم ضد أقباط مصر تحت رعاية الأجهزة الرسمية بالدولة، وهناك عمليات اختطاف تتم لفتيات نصرانيات على يد متطرفين مسلمين لإجبارهم على الدخول في الإسلام (يا سلام!!).

أقباط المهجر وسجود لاعبي الكرة:

في سابقة من الوقاحة ليس لها نظير شن موريس صادق رئيس ما يسمي بالجمعية الوطنية القبطية الأمريكية هجوماً حاداً على لاعبي منتخب مصر، وتبنى حملة يقودها هو شخصياً بإدانة لاعبي المنتخب بأنهم طائفيين، وأنهم أهانوا الديانات السماوية بسجودهم[180] بعد الفوز على إيطاليا[181]، وبعد إحراز منتخب مصر أهداف في مرمى منتخب البرازيل، وإيطاليا، وقال إن ذلك يثير الفتنة الطائفية.

وفي محاورة مع الإعلامي وائل الإبراشي في برنامج الحقيقة[182] قال إنه لا يوجد في أوروبا من يرفع الأناجيل بعد الفوز، وأبدى استياءه من حمل مدرب حراس المرمى للمصحف، ونزوله به عند إصابة عصام الحضري[183] قائلاً: عيب الناس بتتفرج على مصر!. ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[184].

(180)جاء انتشار لقب منتخب«الساجدين» على المنتخب المصري، نتيجة لما يقوم به لاعبوا المنتخب المصري، من سجود فردي، أو جماعي، كلما أحرزوا هدفاً في مرمى الخصم، وهو لقب بدأ يطلقه عليه عدد من الصحف المصرية، ثم انتشر في المنتديات على الإنترنت، وأصبح هذا اللقب يزاحم بشدة لقب« الفراعنة »، ولم يعد يقتصر السجود بعد كل هدف على لاعبي المنتخب، بل أخذت هذه الظاهرة تنتشر حتى في الأندية، ولكنها ظاهرة يمكن وصفها بأنها «مصرية» بامتياز.

(181)في كأس العالم للقارات بجنوب أفريقيا.

(182)على قناة دريم 2 يوم الأحد 27/ 6/ 2009م.

(183)حارس مرمى منتخب مصر في مباراة مصر وأمريكا.

(184)(آل عمران/ 118).

الصحف الأمريكية تهاجم المدرب المصري:

وتواصلاً مع مسلسل الوقاحة اتهمت وكالة الأنباء الأمريكية «الأسوشيتدبرس» مدرب المنتخب المصري: حسن شحاتة بخلط الدين بالكرة، وبأنه يمارس التمييز الطائفي داخل المنتخب برفضه ضم أي لاعب غير مسلم(185)، واستشهدت على ذلك بكون كل لاعبي المنتخب المصري مسلمين، ولا وجود لمسيحي بينهم... استمرت مغالطات الوكالة الأمريكية وعادت لتقول: سبب استبعاد ميدو(186)من قائمة مصر المشاركة في بطولة كأس الأمم الإفريقية بأنجولا قلة تدينه .

وعادت الوكالة في نص آخر لتقول:« شحاتة دائماً ما يطالب جماهير مصر بالتضرع إلى الله، والصلاة من أجل أن تفوز مصر، فضلاً عن طلبه ذلك من لاعبيه، وهو الشيء الذي يخلط الدين بالرياضة.

أما صحيفة « الـ سولي 24 أوري» الايطالية فقالت :«إن حسن شحاتة فضل استبعاد ميدو لأنه لا يصلي، وقام بضم لاعبين آخرين أقل منه في المستوى لكنهم محافظون على الصلوات الخمس(187)لم يبق إلا أن يطالبوا بتسليم حسن شحاتة لمحكمة العدل الدولية بسبب انتمائه لتنظيم القاعدة!.

(185)يعلم كل المهتمين برياضة كرة القدم أنه ليس هناك لاعب نصراني بارز في الدوري المحلي، أو محترف في الخارج يمكن دخوله للمنتخب، ومن أدعى غير ذلك طالبناه باسمه.

(186)اختار حسن شحاتة اللاعب جدو بديلاً لميدو لعدم جاهزيته، وقد قامت الدنيا ولم تقعد بسبب هذا الاختيار، وقد فاز المنتخب المصري ببطولة الأمم الأفريقية بأنجولا2010 للمرة الثالثة على التوالي في إنجاز وصفه خبراء الكرة بالإعجاز، وحصل اللاعب جدو بديل ميدو على لقب هداف البطولة.

(187)شبكة الإعلام العربية محيط الأحد17/ 1/ 2010م؛ الإمارات اليوم الأحد17/ 1/ 2010م.

وللرد على هذا السخف أقول:

أولاً: يبدوا أن موريس صادق قد أصيب بالعمى فلم يشاهد جميع اللاعبين في أوروبا، وأمريكا عند نزول الملعب، وعند الخروج منه، وعند إحراز هدف، وحتى عند ضياع لعبة يقومون برسم الصليب على صدورهم. وقد رأيت بعيني رأسي لاعب منتخب مصر- هاني رمزي يرسم الصليب غير مرة دون أن يمثل هذا أي تعليق، أو غضاضة- على الرغم أنه اللاعب النصراني الوحيد في الفريق- آنذاك- . ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[188].

ثانياً: الملاحظ أن موريس صادق من هواة مشاهدة مباريات كرة القدم، لاسيما المنتخب الأمريكي فإني أدعوه أن يرتدي نظارته، ويشاهد الهدف .

الثاني : في مرمى المنتخب الأمريكي في نهائي كأس القارات[189] ويركز على لاعب البرازيل رقم5 وهو يرسم الصليب على رأسه!!.

وأدعوه أيضاً أن يعيد مشاهدة المباراة النهائية، ويرى اللافتة الكبيرة التي كتبها المنتخب البرازيلي عقب المباراة مكتوب عليها شكراً للمسيح!. ويشاهد كاكا لاعب البرازيل، وقد كتب على تشرته عبارة: شكراً للمسيح!.والسؤال حلال لكم حرام على غيركم؟ مباح لكم، ومحظور على غيركم؟ فمالكم كيف تحكمون؟.

ثالثاً: يمتلك ساويرس نادي الجونه الذي يلعب في الدوري المصري بالكامل- فلماذا لا يوجد لاعب نصراني واحد في الفريق؟.

(188)(الكافرون/ 6).

(189)بجنوب أفريقيا، وأقيمت المباراة يوم الأحد27/ 6/ 2009م وانتهت بفوز المنتخب البرازيلي3/ 2.

رابعا: ألم يكن هاني رمزي- النصراني- ليبرو المنتخب في كأس العالم بإيطاليا، ثم أصبح كابتن المنتخب مدة ليست بالقليلة- وكان هذا على أساس الكفاءة - الكفاءة- هي نفس الكلمة التي يستخدمها النصارى عندما يقال لهم : إنه رغم عددهم القليل نسبياً بالمقارنة بالمسلمين، ومع ذلك فهم يستحوذون على نسبة كبيرة من تجارات، وصناعات كثيرة في مصر. مثل: الذهب، والحديد، والشاي، والسيراميك، والأدوات الكهربائية، والعقارات- فكيف بدولة تضطهد الأقباط تسمح للأقباط بالتوسع الاقتصادي الكبير- وأن يقوم المسلمون بالشراء من النصارى بروح جميلة، وبدون حساسية- أي أن المسلمين لهم دور كبير جداً في نجاح الأقباط اقتصادياً- فهل من العدل أن يطلب المسلمون من الأقباط ترك مصالحهم التجارية الناجحة بحجة أن يكون هناك تساوي اقتصادي مع النسبة السكانية؟.

خامساً: وماذا في السجود لله شكراً أيها القابعون في واشنطن، وعواصم أوروبا، ألا يوجد في كتابكم المقدس سجود؟ يقول كتابكم المقدس في إنجيل لوقا: « **لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ، وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ!** » [190].

سادساً: يوجد لاعبين أفارقة نصارى بالعشرات يلعبون في الدوري المصري يرسمون الصليب عند نزولهم، وعند خروجهم من الملعب، وعند إحراز أهداف، وتضييع أهداف فهل اعترض أحد من المسلمين على هؤلاء الأفارقة، وطلب عدم إحضار لاعبين أفارقه؟.

سابعاً: إنه وبإجماع العقلاء، والمنصفين الأخلاق، والتمسك بالدين هما حائط الصد الأول أمام الانحراف، وهما أيضا من أهم عوامل النجاح، والتفوق.

(190)لوقا 4/ 8، وورد النص أيضاً في إنجيل متى4/ 10.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ثامناً: لماذا يا موريس لم تهاجم فابيو كابيللو المدير الفني لمنتخب إنجلترا الذي سحب شارة القيادة من جون تيري نجم تشيلسي على خلفية تورطه في علاقة غير شرعية - زنا- مع صديقة زميله في المنتخب واين بريدج[191] بعد أن ثار الجمهور الإنجليزي بشكل كبير في المنتديات، والمواقع الاجتماعية مطالباً بطرد تيري من قيادة المنتخب... المدرب، والاتحاد الانجليزي، ومن قبلهما المشجعين الإنجليز! لم يرضوا أن يكون قائد الفريق زاني فما تصنيفكم لهذا السلوك؟ [192].

علاقة أقباط المهجر بأقباط مصر:

هناك تباين في موقف أقباط مصر فلا نستطيع أن نغفل أن هناك عدد كبير من الأقباط في مصر يعتبرون أقباط المهجر، بل أمريكا هم حماة الحمى يستغيثون بها وبهم في الملمات، بسبب، وبدون سبب، بينما لا تبدو العلاقة طيبة بين الكثير من المفكرين، والعقلاء من أقباط مصر، وأقباط المهجر، إذ تظهر تصريحات القيادات الفكرية، والدينية من وقت لآخر حالة الضيق التي يشعر بها الأقباط في مصر من ممارسات أقباط المهجر باعتبارها تسيء إلى الأقباط، وتضر أكثر مما تنفع، خاصة ما يتعلق بجدلية الاستقواء بالخارج.

وقد استشعر بعض النصارى المعتدلين خطورة هذه المنظمات فسارعوا للتحذير منها، ومن الأمور التي أسجلها هنا من المواقف الإيجابية أن هناك من عقلاء النصارى يرفضون هذا المسلك الخبيث من هذا التيار القابع في واشنطن، ويريد أن يشعل فتنة في القاهرة تأكل الأخضر، واليابس، ولكن مع وجود هذا التيار المعتدل إلا أن صوتهم خافت، ويجب أن يكون أكثر جرأة، وأكثر انتشاراً.

ففي تصريح له عقب المظاهرات التي نظموها أمام البيت الأبيض بالأكفان على خلفية أحداث نجع حمادي اعتبر الأنبا كيرلس أسقف نجع حمادي أن أقباط المهجر لا يسعون إلا لتحقيق مصالحهم الخاصة فقط؛ لأنهم لا يعرفون العلاقة القوية التي تربط بين المسلمين، والنصارى، ليس في نجع حمادي فقط، بل في مصر كلها.

(191)تأزمت العلاقة بين واين بريدج وجون تيري لدرجة أن بريدج رفض مصافحته في مباراة المان سيتي، وتشيلسي، في واقعة هي الأولى في ملاعب الكرة الإنجليزية.

(192)حمل ستيفن جيرارد لاعب نادي ليفربول شارة القيادة للمنتخب الإنجليزي في مباراة مصر وإنجلترا التي أقيمت على استاد ويمبلي في العاصمة لندن في3/ 3/ 2010م، وعندما غادر ستيفن جيرارد الملعب سلم الشارة لروني.

ومن جهته يرى ميلاد حنا أن الجهات الدولية تستخدم أقباط المهجر للضغط على الحكومة، وفى مقابلة مع قناة (فرانس24) قال:« إن مخاوف أقباط المهجر بشأن اضطهاد النصارى داخل مصر هي مبالغة وتهويل، خاصة أن كثيراً من أقباط المهجر قد غادروا مصر وفى قلوبهم مرارة؛ لأن بعضهم لم يوفق في الحصول على مناصب مهمة، أو فشل بشكل أو بآخر في حياته العملية.

وكانت الكنيستان الإنجيلية، والكاثوليكية قد طالبتا البابا شنودة بأن يعلن صراحة رفضه للمظاهرات التي ينظمها المهجرون بهدف إثارة الرأي العام الغربي ضد مصر، وشدد رئيس الطائفة الإنجيلية في مصر القس صفوت البياضي على أن «مبدأ الاستقواء بالخارج مخالف للمواطنة، واستعداء الآخر مخالف للوطنية»، معتبراً أن تدخل أقباط المهجر في مشكلات أقباط مصر الداخلية يعني أنهم غير قادرين على الدفاع عن قضاياهم».

وبانتقاد شديد أعلن القمص صليب متى ساويرس- كاهن كنيسة مار جرجس وعضو المجلس الملي- تبرؤ المسيحية من أفعال ما يسمون أنفسهم في أمريكا بأقباط المهجر، مؤكداً أن هؤلاء لا يجب أن يطلق عليهم أقباط لأن المسيحية لا تدعو لذلك، مشيراً إلى أن كثيرين يخرجون كل يوم يسمون أنفسهم بأقباط المهجر، ولا نعرف لهم أغراض، أو أهداف.

لكن وبالرغم من كل هؤلاء إلا أنه يبقى لأقباط المهجر أنصار في الداخل وعلى رأسهم رجل الأعمال نجيب ساويرس(193)، والمحامي نجيب جبرائيل رئيس مجلس أمناء منظمة «**الاتحاد المصري لحقوق الإنسان**»، وممدوح نخلة رئيس مركز «الكلمة»، والأب يوتا الذي دأب على السفر لحضور فعالياتهم في الغرب، بل ويشير بعض المراقبين إلى الدعم المعنوي المقدم من بعض رجالات الكنيسة في الداخل، خاصة وقد تصدر بعض القساوسة المظاهرات المحرضة على مصر، والمطالبة بالتدخل الخارجي في بعض العواصم.

---

(193)لقن المسلمون نجيب سويرس درساً اقتصاديا موجعاً بتحويل خطوط هواتفهم من موبينيل إلى شركات أخرى، ومنهم من قام بتكسير شريحة موبينيل، وأعلنوا حملة ضخمة على الفضائيات، والمواقع الإلكترونية لمقاطعة شركات المدعو سويرس تحمل هذه العناوين: يسقط 012: ليس بأموالنا ياسويرس، وذلك بعد سخريته الوقحة بالرموز الإسلامية على موقعه الإلكتروني Twitter، الأمر الذي جعله يعتذر ويستجدي الناس في قبول اعتذاره واصفاً نفسه بالغبي!! وصدق الله: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾.

وقد هاجم الأستاذ جمال أسعد[194] منظمة: **مسيحو الشرق الأوسط** بشدة، واتهمها بإثارة الفتنة الطائفية، وازدراء الدين الإسلامي؛ لعرضها مسلسلاً على موقعها بالإنترنت يحمل إساءة بالغة إلى رسول الإسلام، وزوجاته، ويروج لأكاذيب، وافتراءات خطيرة.

وصف أسعد المنظمة بأنها مأجورة، وعميلة للأمريكان، وتتبع سياسة سكب البنزين على النار، تنفيذاً لأجندة خارجية، مشيراً إلى أن أعضاءها يعيشون في الخارج منذ سنوات طويلة، ولا يعرفون شيئاً عن أوضاع المسيحيين في مصر، وناشد جمال أسعد جموع المسيحيين نبذ تلك المنظمة[195] وعلى الرغم من هذه الأصوات العاقلة، والرسائل التي يبعث بها البابا شنودة بين الحين والآخر، والتي تؤكد على المناخ الطيب، وتفاعل القيادات السياسية مع مطالب الأقباط، إلا أن ذلك لم يثنيهم عن مخططهم الخبيث.

وأجدني بحاجة أن أذكر هؤلاء الذي يستقوون بالأمريكان بما قاله الأب (سرجيوس) أيام الاحتلال الإنجليزي :«**إذا كان الإنجليز يتمسكون ببقائهم في مصر لحماية الأقباط، فليمت الأقباط ولتحيا مصر حرة**»[196].

وعلى الجانب الآخر لا نستطيع أن نغفل دور بعض الدعاة الجامدين، والمتخلفين، والذين بالطبع لا يعبرون عن الإسلام بحال من الأحوال، فمن أبرز أسباب التعصب، والتشدد، والانفلات هو تسلط عدد من الأفراد الذين فقدوا ضمائرهم، وأغلقوا عقولهم، وارتدوا أقنعة الدين، واستطاعوا استقطاب أعداد من الشباب، وخدروا عقولهم، وقتلوا فيهم روح الحلم، والتسامح، والرحمة، وحرموا الجماهير من حقوق المعرفة، وحرية الفكر، والاجتهاد بالرأي، وغرسوا في نفوسهم كراهية الآخر، وإعلان الحرب عليه، وكفروا العلماء، والحكام، وأشاعوا الأحقاد بين الناس، وهؤلاء جمعياً يعملون تحت مظلة التكفير والهجرة[197].

(194)الأستاذ جمال أسعد – من المفكرين المسيحيين المعتدلين في الكنيسة الأرثوذكسية – وله مواقفه التي تسجل بكل تقدير.

(195)جريدة الجمهورية يوم25/ 9/ 2007م 13رمضان1428هـ، عدد رقم 19629 .

(196)جريدة المصري اليوم5/ 9/ 2007م.

(197)من أهم الكتب التي تحدثت عن جماعة التكفير والهجرة: عبدالرحمن أبو الخير: ذكرياتي مع جماعة المسلمين التكفير والهجرة، دار البحوث العلمية الكويت:1980م، الطبعة الأولى.

أقباط المهجر وأحداث ماسبيرو

استغل عدد من النصارى حالة الفوضى التي تمر بها البلاد فتجمع عدد منهم يوم الأحد الموافق 9/ 10/ 2011م أمام مبني ماسبيرو بالقاهرة، وذلك – زعموا- للمطالبة بحقوقهم المهضومة، وللدفاع عن بني جلدتهم أصحاب «المريناب» وقاموا بقطع طريق الكورنيش، وأشعلوا النار في سيارات الجيش، والمواطنين، ورشقهم، وتعديهم علي قوات الأمن، والشرطة العسكرية ومدرعات الجيش بالحجارة، والسيوف، والخناجر، والسنج، والعصي، وقاموا بحرق 6 سيارات للشرطة العسكرية ومدرعة، واعتدوا علي رجال الأمن واخترقوا الحواجز الأمنية، وحطموا إشارات المرور، وأعمدة الكهرباء بمنطقة ماسبيرو.. فضلاً عن تحطيمهم سيارات المواطنين والأرصفة.

إن ما حدث من النصارى أمام ماسبيرو هو مخطط مدروس ربما تورط فيه بعض الأقباط الغاضبين علي عدم بناء كنيسة هنا، أو هناك، بهدف إشعال فتنة طائفية في كل مصر وليس ماسبيرو فقط وهو ما وضح بتمددها إلى الإسكندرية.. ولاننسى حديث الخبير الاستراتيجي (لوران مورافيتش) أمام هيئة السياسة الدفاعية بوزارة الدفاع الأمريكية في أغسطس 2002م- نشرته صحيفة واشنطن بوست (6/ 8/ 2002) – والذي يقول فيه إن «الحرب على العراق مجرد «خطوة تكتيكية» ستغير وجه «الشرق الأوسط والعالم»، أما السعودية فهي «هدف استراتيجي»، ومصر هي «الجائزة الكبرى».. لهم طبعاً عندما تسقط بفعل هذه الفتن التي لهم يد فيها عبر أساليب إستخبارية معروفة!؟.

فما حدث أمام ماسبيرو هو مخطط أمريكي بعد تنامي، وتصاعد التيار الإسلامي في مصر، وإحساس واشنطن بأنه الأقرب لحصد مقاعد مجلسي الشعب، والشورى وهو ما يتخوف منه الأمريكان وبعض الأقباط في الداخل والخارج.

نعم هو أمر دبِّر بليل، فحمل السلاح والحض عليه كما صدر من القس متياس نصر منقريوس، بالإضافة إلى الدعوة لأن تكون نهاية المظاهرات داخل مبنى الإذاعة والتليفزيون؛ على حسب ما صرح به الكاهن فليوباتير، علاوة على الكهنة الآخرين الذين شاركوهم في قيادة المظاهرات والعدوان؛ فكل ذلك يدل على أننا بصدد محاولة انقلابية، شاركهم فيها بعض الفاشلين سياسيًّا حينما رأى الجميع بداية مراحل الانتخابات.

بل قد بات واضحًا لكل ذي عينين أن هناك تعاونًا تامًّا ما بين أولئك الانقلابيين الذين في الداخل، وتنظيم ما يعرف بأقباط المهجر، ويكفي لكل ذي بصيرة أن يعرف أن القس مرقص عزيز أحد المناصرين لقيام ما يعرف بالدولة القبطية قد صرح بأنه ذهب لأمريكا بأمر من الأنبا شنودة زعيم الأقباط، وأنه في مهمة هناك، وأنه لن يعود إلا بأمر من زعيمه.

إن هناك فريقًا من النصارى غير عابئ بأمن الوطن، أغرته تلك اللحظة الحرجة التي تمر بها البلاد، فأراد أن ينفذ مخططًا خاصًّا في ذهنه، يظن من خلاله أنه قد حانت ساعة الخلاص من المسلمين، الذين ما انفك أولئك الكهنة وأمثالهم من التشدق الكاذب بوصفهم غرباء غزاة.

ربما يتفهم الإنسان – رغم بالغ أسفه وحزنه– كيف مات هؤلاء الضباط أو عساكر الجيش والأمن، لقد ماتوا غدراً حال كونهم يؤدون عملهم، فالله حسيبهم، ويتقبلهم شهداء، ويصبر أهليهم، في حين لا يستوعب عقل أو قلب علام لقي هؤلاء الشباب النصارى حتفهم؟ من الذي أخرجهم من بيوتهم كي يعودوا جثثا هامدة؟ أهو الحنق الكنيسي؟ أهو التضليل الإعلامي؟ أهي المؤامرة؟ أهو الجهل والأحقاد في نفوسهم؟ أهي الأطماع من ورائهم؟ أهي العصبية والطائفية؟.

وللتأكيد على دور أقباط المهجر في أحداث ماسبيرو نظم أكثر من ألف نصراني متطرف مسيرة في سيدنى تنديداً بما وصفوه بالعنف الذي تعرض له الأقباط في مصر، وتشويه صورة الجيش الذي قتل من جنوده وضباطه العشرات بعد أحداث دامية قام بها دعاة الفتنة من القساوسة المتطرفين، وشارك في المسيرة ممثلون عن المعارضة في البرلمان وعن الحكومة الأسترالية.

وقال تونى أبوت زعيم الحزب الليبرالي المعارض أمام المتظاهرين: «ما حدث لإخوانكم يثير الغضب» وقد تجاهل أحداث الفوضى، والتخريب التي طالت أبناء الجيش، والمنشآت العامة، والخاصة، وحوّل القاتل إلى ضحية والضحية إلى قاتل.

وقد تقدم 15 قسيساً – رؤساء كنائس في كندا– بطلب إلى الحكومة الكندية لتحريك دعوى في الأمم المتحدة، من أجل فرض حصار سياسي، واقتصادي على مصر، وذلك بدعوى عدم إجراء تحقيق في أحداث ماسبيرو، وجاءت المطالبة بذلك خلال مقابلة مع ستيفن هاربر رئيس الوزراء الكندي، وتبعها مقابلة مع وزير الهجرة الكندي جايسون كيني منذ ثلاثة أيام طالبوا فيها بفرض الحماية على مصر.

ويدعم تلك المطالب قساوسة كنائس: الملاك ميخائيل، والأنبا تكلا في براميتون، والسيدة العذراء في ميسيساحا، ومارجرجس في أجاكس، ومارجرجس في أتاوا، والسيدة العذراء في بيكرينج، والسيدة العذراء في ريتشموند، ومارمينا في كالجاري، والسيدة العذراء في فانكوفر، ومارجرجس في مونتريال، ومارمرقس في مونتريال، والشهيد مارمينا في هاليفاكس، ومارمرقس في وينيبيج، وجرجس الروماني في بريتش، والعذراء مريم في أتوبيكوك، والقديس موريس في سانت جون، والأنبا بيشوى في سوف فيل، والسيدة العذراء في ويندسور.

وتقدمت الحكومة الكندية باقتراح إلى البرلمان الكندي لإرسال طلب رسمي للأمم المتحدة يدعو إلى فرض حصار اقتصادي، وسياسي على مصر، وإخضاع أحداث ماسبيرو للتحقيق الدولي، وإرسال لجنة حقوق إنسان لإجراء تحقيق مفتوح في محنة المسيحيين، وفق تعبيرها.

وطلبت الحكومة في توصيتها بفرض حصار اقتصادي، ومنع توريد الأسلحة والذخائر التي اتهمت الحكومة المصرية باستخدامها ضد المسيرات السلمية، وطالبت برقابة دولية على الانتخابات بالكامل، وتطبيق قوانين الانتخابات التي تمنع رفع الشعارات الدينية على سبيل المثال لا الحصر، وأبلغ وزير الهجرة الكندي، والقساوسة، والنشطاء الأقباط أنه أخطر رسمياً مندوب كندا بالأمم المتحدة أن الحكومة الكندية ستتقدم بطلب رسمي لإدانة المجلس العسكري، بدعوى أنه يقتل مدنيين[198].

المواقع المشبوهة على شبكة الإنترنت

مع ظهور شبكة المعلومات العالمية الإنترنت Internet في عصرنا الحاضر أصبحت هذه الشبكة العنكبوتية المُذهلة واحدةً من أحدث، وأهم وسائل الاتصال لما لها من الأهمية، والتأثير، ونظراً لما تمتاز به شبكة الإنترنت من انتشارٍ واسعٍ، وقُدرةٍ على الوصول إلى الملايين من الناس في كل مكانٍ على سطح الكرة الأرضية في زمنٍ قصيرٍ نسبياً؛ لاسيما وأن هذه الشبكة جعلت من العالم قرية صغيرة يستطيع أن يتواصل من يعيش في أقصاها مع من يقطن في أدناها.

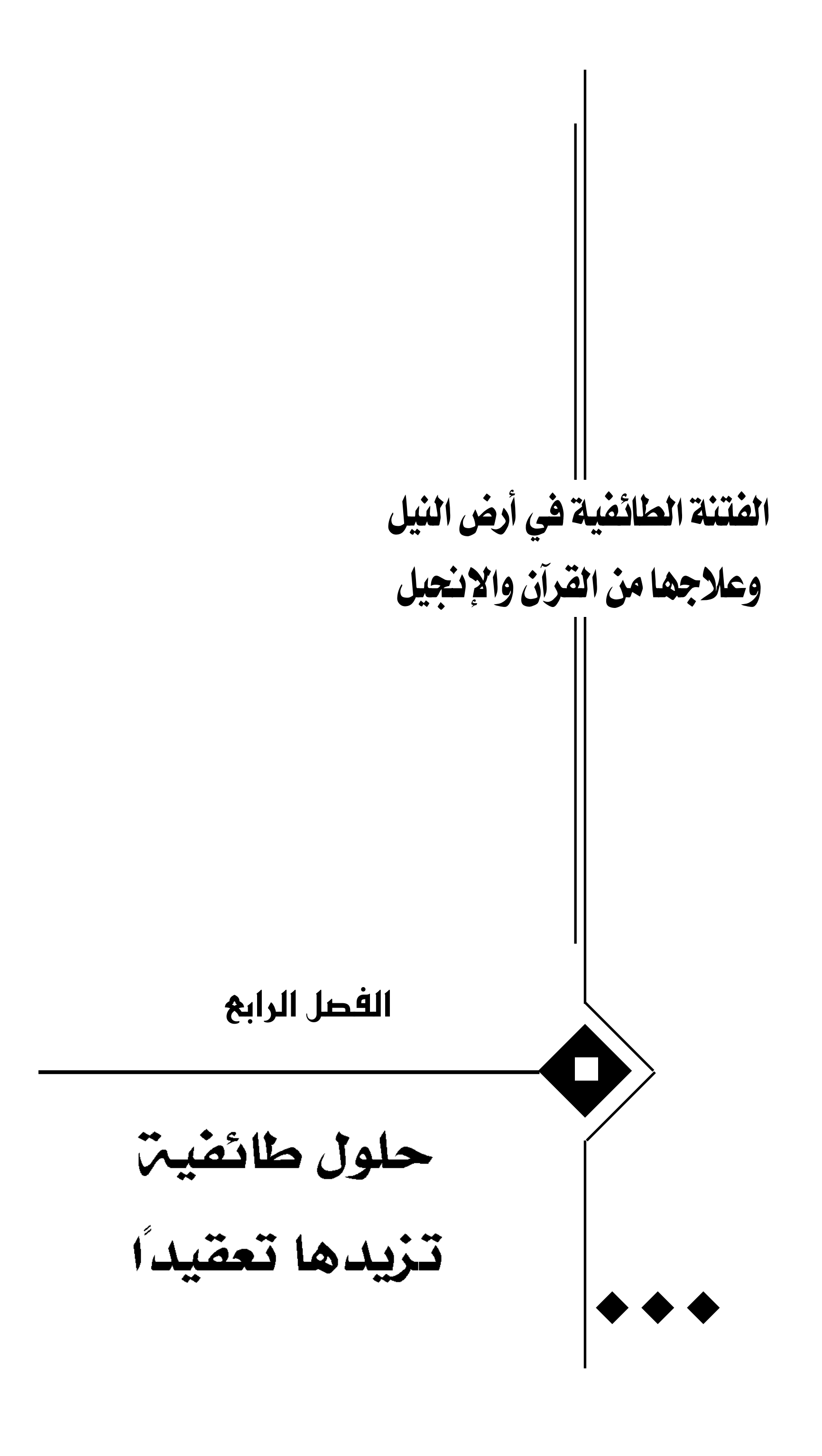
(198)يذكر أن كندا تعد من أكثر الدول معاداة للإسلام، حيث خرج رئيس الوزراء الكندي ستيفن هاربر في تصريحات سابقة أشار فيها إلى أن ما أسماه «الإرهاب الإسلامي» هو أكبر تهديد لكندا، وقال: « إن الأصوليين الإسلاميين» الموجودين بكندا يجب إبقاء العين عليهم.

والإنترنت وسيلةٌ من الوسائل الحية في هذا العصر. وهي تحظى بقبولٍ جيدٍ، وانتشارٍ كبيرٍ، وتفاعلٍ إيجابيٍ من الملايين الذين يُقبلون عليها في أرجاء العالم، ولقد تنبه هواة الفتنة إلى أهمية هذه الشبكة «الإنترنت» في نشر أباطيلهم، فاستغلوها استغلالاً واضحاً في نشر الفساد، والدمار لما تتمتع به هذه الشبكة من خصائص، ومميزات لا تتوافر في غيرها من الوسائل[199]. هذه المميزات وغيرها جعلت شبكة الانترنت مرتعاً لهواة الصيد في الماء العكر فأنشأوا المواقع، وغرف الشات، وشنوا حرباً لا ينقصها سوى الطائرات، والدبابات.

وإن هذه المواقع أشم منها روائح كريهة لا تريد إلا الدمار لوطننا الحبيب، ولا أعتقد أن نصرانياً مخلصاً لوطنه يسعده ما يراه على العشرات من مواقع الانترنت المكرسة لتشويه وجه مصر، وإظهار النصارى المصريين بشكل يخالف الحقيقة تماماً. فالمواقع النصرانية علي الإنترنت بالمئات، وتعطي رؤية، ومنطق واحد لقضيتهم وهو اضطهاد الدين الإسلامي نفسه، ورسوله لهم!!!وتصور الإسلام الذي انتشر، وبني إمبراطورية، وحضارة تشع علي العالم، ولقرون عديدة نوراً طاغياً من التسامح، والتعايش، والعلم، والمعرفة في كل مكان تصوره بأنه جاء فقط ليضطهد النصرانية، والنصارى! والغريب أنهم يسوقون الأمثلة، والأحداث كما لو كان التاريخ يكتبه طائفة، أو جماعة، أو إثنية، ولو لم أكن أعيش في مصر لملئت رعباً مما يقولون، ومما ينفيه واقع النصارى في مصر. هذا الواقع الذي تتمني أي أقليهة في أي دولة في العالم أن تعيش مثله.



(199)فهي: 1- وسيلة حرة آمنة للالتقاء2- متاحة خلال الـ 24ساعة: 3- الإقبال الكبير على شبكة الإنترنت4- السهولة5- غير مكلفة مادياً 6- السرعة.انظر للمؤلف تحت الطبع: معامل تفريخ الإرهاب، يسر الله نشره.


الفتنة الطائفية في أرض النيل
وعلاجها من القرآن والإنجيل
الفصل الرابع
حلول طائفية
تزيدها تعقيداً

لأن قضية الاحتقان تمثل انزعاجاً كبيراً لدى كل من يعنيه استقرار، وأمن مصر. فقد بذلت جهات عديدة جهوداً كبيرة لمحاولة رأب هذا الصدع، والعمل على تهدئة التوتر، والاحتقان الذي يطل برأسه بين الحين والآخر، إلا أنه وللأسف الشديد جاءت هذه الحلول على شكل مسكنات تنتهي بنهاية المفعول، ويعود العرض كما كان، ومن هذه الحلول من وضع دون دراسة، أو صدر من غير المتخصصين ممن لا يدركون حقيقة الأديان، والغريب أن كل الحلول تجاهلت الموقف الديني، والنصوص المقدسة في الإسلام، والنصرانية فكانت هذه الحلول سبباً في زياد عملية الاحتقان، وإنه من المناسب إلقاء الضوء على هذه الاقتراحات ومناقشتها، وبيان إفلاسها، وعجزها عن وضع حل جذري للمشكلة، ومن هذه الاقتراحات:

تغيير المادة الثانية من الدستور

زعم من لا فقه عنده بالماضي، ولا بالحاضر، ولا بالمستقبل أن حالة الاحتقان الطائفي بين المسلمين، والنصارى في مصر سببها المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن: **الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع،** والحقيقة أن المطالبة بإلغاء هذه المادة يعد من أهم أسباب الاحتقان بين أتباع الديانتين[200]، وللأسف هذا المطلب هو أمنية الكثير من النصارى في الخارج، وعدد لا بأس به في الداخل[201]فلم تسلم المادة الثانية من الدستور من مرقص عزيز الذي شبهها بجدار الفصل العنصري الذي أقامته إسرائيل في فلسطين. وقال عزيز في مقال نشرته مواقع لأقباط المهجر: «إن **تلك المادة اخترعها الرئيس الراحل أنور السادات من أجل أن يقسم المسلمين إلى مؤمنين، وكفرة، وأن يحارب خصومه السياسيين من الشيوعيين، والناصريين باسم الدين**»[202]. وكعادة أقباط المهجر الصيد في الماء العكر فما أن ألقى الأنبا مرقص المتحدث الرسمي للكنيسة بتصريحاته تلك حتى حدث رد فعل سريع لدى الأوساط الإسلامية، والنصرانية، والعلمانية على السواء. فعدد من أساتذة جامعة الأزهر، وجامعات أخرى، وعدد من المفكرين، والكتاب، والسياسيين الإسلاميين أصدروا بياناً اعتبروا فيه أن الاقتراب من تلك المادة خط أحمر، وفي الإطار النصراني التزمت الكنيسة الصمت إلا أن عدداً كبيراً من وجهاء النصارى رفض هذه المسألة.

(200)انظر للمؤلف: المادة الثانية من الدستور وخطر الانفجار الطائفي، مكتبة النجاح، الطبعة الأولى، 2011م، ص7.

(201)أمثال: القمص مرقص عزيز خليل كاهن الكنيسة المعلقة، ومايكل منير، وعدلي أبادير، وموريس صادق، ونجيب جبرائيل، وغيرهم كثير.

(202)جريدة المصريون20/ 7/ 2009م.

على الجانب الآخر فإن أقباط المهجر انتهزوا الفرصة - وهم معروفون بعلاقات بعضهم بدوائر صهيونية، وأمريكية- وافتعلوا ضجة هائلة فمايكل منير رئيس الجمعية القبطية المصرية في الولايات المتحدة الأمريكية أجرى استفتاء على شبكة الإنترنت[203]زعم أنه شارك فيه أقباط من خارج مصر وداخلها، وقال: إن نتائج الاستفتاء تقول إن 99٪من أقباط المهجر يؤيدون تغيير تلك المادة، و75٪من أقباط مصر قالوا نفس الشيء، وانتهز مايكل منير ومن على شاكلته الفرصة لعزف الاسطوانة التقليدية حول اضطهاد الأقباط في مصر، والمطالبة بنسبة من الوزراء، وأعضاء مجلس الشعب، وقيادات الجيش، والشرطة، والخارجية، بل وقصر الترشيح في بعض الدوائر على الأقباط فقط مثل: شبرا بالقاهرة، وأسيوط، والمنيا، وبعض دوائر الإسكندرية[204].

وقد تنبه الأستاذ جمال أسعد إلى خطورة هذا المطلب فقال: إن المادة الثانية التي تجعل من الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي، وليس الوحيد للتشريع، وجدت في دستور1923م والدساتير الأخرى بصورة، أو بأخرى، وتمثل واقعا دينياً، واجتماعياً، وثقافياً منذ دخول الإسلام مصر، وأضاف لصحيفة (القبس) :«إن طرح هذه المادة للتعديل من قبل قيادات كنسية يعد مؤشراً خطيراً، طائفياً، وسياسياً، ونوعاً من المبالغة في القضية؛ لأن بقاء المادة لا يقيد حرية العقيدة، وطالب القيادات الكنسية بعدم إقحام أنفها في السياسة ضد مصلحة الوطن، ومحذراً من تبني آراء، ومفاهيم أميركية لأقباط المهجر، لا نجني من ورائها إلا تفتيت المنطقة، ويمكن الرد على هذا المطلب الوقح لهؤلاء الذين يتاجرون، ويقتاتون من اشتعال الفتنة بين أبناء الوطن الواحد من خلال وضع هذه الحقائق:

(203)من المعلوم أن الاستفتاءات التي تجرى عبر شبكة الانترنت غير دقيقة على الإطلاق حيث يستطيع شخص واحد أن يدخل على موقع الاستفتاء آلاف المرات، ويصوت في كل مرة، هذا على فرض صدق ما زعمه مايكل منير.

(204)د. محمد مورو: الاختراق الأجنبي عن طريق الأقليات، ص 58-59.

أولاً: كانت مصر تحكم، وتنظم قوانينها من الشريعة الإسلامية الغراء طوال قرون من غير نص حيث لم تكن هناك نصوص دستورية كما هو الحال بالنسبة إلى دين الدولة الرسمي وهو الإسلام، وأصل هذه المادة الدستوري يرد من المادة149 من دستور مصر في سنة 1923م الذي استمر معمولاً به حتى 1953م، وهي المادة الأولى من الباب السادس من الدستور وعنوانه: أحكام عامة، ونصت على أن الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، وكانت شكلت لجنة وضع هذا الدستور في أبريل سنة1922م من ثلاثين عضواً[205] حوالي20٪ منهم أقباط، وواحد يهودي، وأغلب المسلمين لم يكونوا ممن يمكن وصفهم الآن بالتيار الإسلامي السياسي كما ذكر المؤرخ المستشار طارق البشري في مقالة حول هذا الموضوع في أهرام الأربعاء 28فبراير2007م، وكون دين الدولة الرسمي الإسلام يتضمن كون الشريعة الإسلامية مصدراً للتشريع.

قال المستشار طارق البشري :«معنى أن يكون الإسلام دين الدولة الرسمي أن تكون مرجعيتها الفكرية إسلامية، وأن تكون هذه المرجعية الإسلامية إنما تترجح من داخلها الآراء، والاجتهادات لما أورده الدستور من مبادئ أخرى تتعلق بالمساواة، والحقوق، والحريات، وذلك كله في إطار ما تسعه المرجعية الشرعية، وما تتقبله بأي من وجوه الاجتهاد الفقهي المعتبر مما يلائم أوضاع الزمان، والمكان، وتغير المصالح العامة للأمة.

(205)عدا رئيسها حسين رشدي باشا – رئيس الوزارة السابق ونائب– رئيسها أحمد حشمت باشا– وزير المعارف السابق– وكان أعضاؤها الثلاثون من النخب السياسية العليا ذات الاتصال الوثيق بالحكم ورجاله، وهم إما من رجال السياسة المتصلين بالملك، وإما من رجال حزب الأحرار الدستوريين، وهم جلهم من ذوي التعليم، والثقافة غير التقليدية، وليس فيهم من يمكن أن يكون ممثلاً لما نسميه اليوم بالتيار السياسي الإسلامي، وجلهم ذوو تعليم حديث، ونزوع ثقافي آخذ من الفكر الوافد ومدارسه، مثل: علي ماهر، وعبد اللطيف المكباتي، وعبد الحميد بدوي، ومحمد علي علوبة، وعبد العزيز فهمي، وإبراهيم الهلباوي، وفيها من ذوي الثقافة والتعليم الديني الشيخ محمد بخيت المطيعي المفتي الأسبق، والسيد عبد الحميد البكري شيخ الطرق ونقيب الأشراف، والشيخ محمد خيرت راضي، كما كان فيها من المسيحيين يوسف سابا باشا، وقليني فهمي باشا، وإلياس عوض بك، وتوفيق دوس بك،= =كما كان عضوا بها الأنبا يؤانس نائب البطريرك وقتها، وهو من تولي البطريركية عقب وفاة الأنبا كيرلس الخامس في سنة1927م، واستمر بطريركاً بضع عشرة سنة حتى وفاته، كما كان فيها يوسف أصلان قطاوي باشا من اليهود. المختار الإسلامي: العدد:17– صفر1428هـ مارس2007م.

ومعناه أيضاً أن يكون النظام العام الذي تشير إليه القوانين مشمولاً بهذه المبادئ، والقيم، وما تتوافق عليه الجماعة. وسنلاحظ تاريخياً أن النص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، إنما يتضمن إقراراً بأن تكون مبادئ الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع، ومصدرية التشريع تعني مرجعيته، وتشير إلى المورد الذي تستقي منه الأحكام؛ لأن دين الهيئة إنما يعني مصدريتها، وإلا كان النص لغواً[206].

ثانياً: إن هذا الحكم الدستوري ظل مرعياً ضمن التراث الدستوري الأصيل للدولة المصرية على مدى القرن العشرين، وكل دستور كامل صدر في مصر أورد هذا النص بهذا الحكم، دستور1930م (استمر نحو خمس سنوات ثم عاد دستور1923) ودستور1956م في عهد ثورة 23 يوليو1952م، ودستور1964م، ودستور1971م، ولم يشذ من ذلك إلا دستور1958م في عهد وحدة مصر مع سوريا؛ لأنه لم يكن دستوراً مكتملاً، بدليل أن مجلسه النيابي كان بالتعيين من رئيس الجمهورية من بين أعضاء مجلس البرلمان المصري، والسوري، وقد زال بانفصال سوريا في1961م.

إن دلالة استمرار النص على دين الدولة الرسمي الإسلام عبر الدساتير المختلفة دلالة مهمة جداً؛ لأن مقارنة هذه الدساتير بعضها ببعض تكشف عن أنه لم يكن ثمة نظام دائم لمصر على هذا المدى، فيما عدا الإقرار بعدد من المسلمات؛ منها أن دين الدولة الرسمي الإسلام كانت هذه الدساتير تتراوح بين النظام الملكي، والنظام الجمهوري، وتتراوح بين الملكية المستبدة 1930م والملكية البرلمانية 1923م، وتتراوح في النظام الجمهوري بين النظام الرئاسي، والنظام القريب من البرلماني، وتتراوح بين نظام الحزب الواحد، ونظام تعدد الأحزاب، وتتراوح بين النظام الاشتراكي القائم على تقييد الملكية العامة، وبين النظام الرأسمالي الذي يطلق حرية الملكية الخاصة، وبين...وبين...إلخ.

ولكن بقيت اللغة عربية، والدين الإسلامي، وهذا يكشف وجه الثبات الذي لا يوجده الدستور، ولكنه لا يملك إلا أن يعترف به، ويكشف عن أنه نص حاكم لغيره وليس محكومًا بغيره، والمعنى هنا يستفاد بالاستقراء العلمي للتجربة التاريخية للأمة ودولتها[207].

(206)أبو العلا ماضي: المسألة القبطية..والشريعة والصحوة الإسلامية، ص116: 117.

(207)**طارق البشري: حول المادة الثانية من الدستور المصري، المختار الإسلامي: العدد:17، صفر1428هـ مارس2007م.**

ثالثاً: هل صارت مصر إسلامية بقرار السادات؟ إن المادة2 من دستور1971م لم يضعها الرئيس السادات من عنده ليكسب شعبية زائفة، ولا كانت مجرد نص مصطنع ليدغدغ به عواطف الجهلة، والنص موجود من 1923م بإجماع واضعيه، وباق أيضاً باستقراء تاريخي كامل، وهو أثبت من غيره إطلاقاً، وهو ليس نصاً يقوم به حزب، أو جماعة سياسية من أجل الانتشار، ودغدغة العواطف، ودين الدولة الإسلام يقتضي بذاته الجزم بمصدرية الشريعة الإسلامية للتشريع، وإلا كان النص لغواً، وليس يصح في الأذهان أن يكون أثبت نص في الدستور هو ما يوصف بكونه لغواً، ولا يصح في الأذهان قط أن يقال: إن المجتمع المصري عرف الشريعة الإسلامية مصدراً للتشريع منذ اعتلاء السادات أريكة حكم مصر في1971م، وإنه عرف الشريعة بوصفها المصدر الرئيسي للتشريع منذ شهر مايو سنة 1981م بالتعديل الدستوري الذي أدخله السادات. والسؤال العجيب هو: هل صارت مصر إسلامية بقرار من الرئيس السادات، ولم تكن كذلك قبله؟.

أنا لا أجحد حقيقة أن الرئيس السادات إنما أراد بهذا النص أن يؤلف قلوب المصريين؛ ليتمكن من تعديل الدستور بما يتيح له الترشيح للرئاسة لأكثر من مدتين، ولكن هذا لا يعني أن مصدرية الشريعة الإسلامية كانت أمراً غير وارد، ولا مهم، بل إن محاولته استغلال هذا الهدف الشعبي العام لتحقيق مصلحة ذاتية له في أمر آخر إنما هو إقرار بأهمية هذا الهدف العام، وإلا لما كان سانحاً له أن يؤلف به القلوب.

ونحن نعرف في مناهج تحليل الأحداث التاريخية أن الحدث التاريخي، أو الحدث العام الذي يشمل، أو يؤثر في جماعة كبيرة يندر أن يكون له سبب وحيد، إنما هي مجموعة من الأسباب تتجمع لإحداثه بأثره البعيد، وفي وقت محدد بعينه، وفي مكان معين. هناك ما يمكن أن نسميه وعاء السببية لهذا الحدث، أو مجموعة الأسباب المحدثة له. ونقول أيضاً: إن أمراً حدث عندما توافرت أسبابه، وانتفت موانعه؛ لأن السبب عندما يتوافر يمكن أن يبطله مانع معاصر له، أو لاحق عليه، وتتراوح الأسباب بين الجوهري، والثانوي، وبين العام، والخاص، وكل ذلك يؤثر في تشكيل الحدث، وفي أنواع الآثار التي تترتب عليه.

فمثلاً، اشتعال الحرب العالمية الثانية في سبتمبر1939م، وهي الحرب التي استمرت على نطاق العالم لمدة ست سنوات، وحطمت مدناً، ودولاً، وقتلت عدداً من البشر يتراوح بين32 و60 مليون شخص، حسب اختلاف التقديرات. هذه الحرب يمكن أن يقال: إن سببها هو احتلال هتلر زعيم ألمانيا النازية وقتها لميناء دانزج التابع لبولندا رغبة في التوسع، والمجد الذاتي للزعيم الدكتاتور، ويمكن أن يقال: إن سببها أن هذا الميناء متنازع عليه تاريخياً بين ألمانيا، وبولندا، ويمكن أن يقال: إن ألمانيا كانت تثأر لنفسها مما فرض عليها من هزيمة في الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، ويمكن أن يقال: إنه صراع عالمي بين الدول الاستعمارية الكبرى حول إعادة تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ بينها حسب قوتها المتغيرة. وكل هذه الأسباب صحيحة، وإن تجمعها بين سبب خاص، وسبب عام هو ما أدى إلى حدوث الحرب في وقت معين، ومكان محدد، وشمولها للعالم، واستمرارها سنوات.

وبالمثل فإن نص المادة 2 من دستور1971م هو أولاً سار على نهج سوابقه فيما يتعلق بأن دين الدولة الرسمي الإسلام، ونص على مصدرية الشريعة الإسلامية، وهو حكم لا يزيد عن كونه تطبيقا؛ لأن دين الدولة الإسلام، لأن الدين هو المرجعية، أو المصدرية، والسادات أراد أن يؤلف قلوب المصريين لنفسه بأن يستجيب لمطلب لديهم له هذه الأهمية(208).

رابعاً: النصوص يفسر بعضها بعضًا فنحن عندما نفسر أي قانون، ونستقرئ أحكامه لا ننظر إلى كل نص فيه على حدة، نحن نتفهم كل حكم بما يعنيه، ثم نضع أحكام القانون كلها جنباً إلى جنب؛ لأن كل نص إنما يحد من إطلاق غيره، ولأن المعنى المستفاد من أي نص إنما يتداخل في المعاني المستفادة من النصوص الأخرى؛ ولأن السياق هو الذي يضبط المعنى ويظهر وجه التفسير، واللفظ الواحد يتكشف معناه من موضعه في الجملة، والحكم الواحد تتكشف حدود معناه، وضوابطه من موضعه من الأحكام الأخرى، وهذا ما يطلق عليه تعبير: النصوص يفسر بعضها بعضاً.

(208)السابق.

وطبقًا لهذا المفاد فإن وجود نص المادة الثانية من الدستور بين نصوص هذا الدستور، وبين الأحكام الأخرى المتعلقة بالمساواة بين المواطنين، وإن اختلفت أديانهم، أو مذاهبهم، إنما يجعل حكم الدستور دائراً في تفسير كل نص ما يفضي به النص الآخر، ومن ثم يكون ملزماً – من وجهة النظر الدستورية في تفسير مصدرية الشريعة الإسلامية للقوانين– أن يكون ما هو دستوري من هذه المصدرية ما يتجانس مع مبادئ الدستور الأخرى، وأحكامه الأخرى، وذلك في نطاق ما تسعه مبادئ الشريعة الإسلامية من وجهات نظر.

إن الفقه الإسلامي يقر تعدداً في الآراء، وتنوعاً في الحلول في إطار ما تسعه نصوص الأحكام، وفي هذا التعدد، والتنوع يعرف الفقهاء أن صاحب الولاية يمكن أن يرجح رأياً من هذه الآراء على رأي آخر، فيصير هو الرأي الفقهي الملزم للجماعة، ونحن عندما نحيط الدولة رسمياً بدين الإسلام، ونقرر مصدرية الشريعة في ذات الأحكام الدستورية التي تقر بالمواطنة، والمساواة في الحقوق، والواجبات العامة، والخاصة، نحن بذلك نكون قد أقررنا– بما للدستور من تنظيم الولايات العامة– بأننا ملتزمون دستورياً بتبني الرأي الفقهي الذي تسعه أحكام الشرع الإسلامي، وهو ما يدعم، ويؤكد مبدأ المساواة بين المواطنين، وغيره من المبادئ الواردة بالدستور مما تسعه مبادئ الشريعة.

أما إذا أسقطنا هذا الحكم الوارد بالمادة2 من الدستور، فإن الدستور يفقد هذه الصلة الوثيقة بين المبادئ التي يحرص على تثبيتها لدى الجماعة السياسية، وبين مبادئ الشريعة الإسلامية فيما تسعه من أحوال، ومبادئ، ومن ثم لا يقوم هذا الترجيح الذي يملكه ولي الأمر في الجماعة بين ما تحتمله نصوص الأحكام الشرعية، وأحكامها من تباين، وتنوع، واختلاف.

والإسلام، كما نعرف جميعاً، أياً كانت درجة إيماننا به، هو قديم لم يأت به نص دستوري، وهو باق لا يلغيه تجاهل دستوري، ولذلك فإن التعامل معه خير للدولة بمؤسساتها، وللجماعة بفصائلها من التجاهل له[209].

---

(209)السابق.

خامساً: إنه وباعتراف العقلاء أن الإسلام يحتوي على تشريع ينظم حياة الناس، تشريع يصلح في كل زمان، ومكان، تشريع معجز في صيانته لحقوق الإنسان، وتكوين مجتمع مثالي تسعد الدنيا على يديه، فقد جاء القرآن هداية للناس أجمعين، واشتمل على أحكام تشريعية تكفل سعادة العباد في الدنيا والآخرة، وتفي باحتياجاتهم الزمانية، والمكانية بخلاف ما عليه حال قوانين البشر، وشرائعهم التي ظهر عجزها، وما يزال عن معالجة متطلبات البشر، وثبت قصورها عن مسايرة الأوضاع المستجدة بين الحين والآخر، ولذا كان اليهود يحسدوننا على الشمولية فقالوا لسلمان قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ - كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ قَالَ أَجَلْ:(**لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ**) [210]. والشريعة الإسلامية فيها جانب ديني عند المسلم، وهي عند المسيحي فقه، وأحكام، ووجهات نظر، ومنذ الثلاثينيات من القرن العشرين اعترفت المجامع الفقهية الدولية بها باعتبارها من المدارس في الفقه العالمي، فقد عرفت البشرية في حقب التاريخ ألواناً مختلفة من المذاهب والنظريات، والنظم والتشريعات التي تستهدف سعادة الفرد في مجتمع فاضل، ولكن واحداً منها لم يبلغ من الروعة، والإجلال، مبلغ القرآن في إعجازه التشريعي، دستور تشريعي كامل، يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة، وأرقى مثال[211]، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ ﴾[212].

وتحضرني الكلمة المهمة لعميد كلية الحقوق في فيينا الدكتور شبرك النمساوي:«**إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها، إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمّته**»[213].

(210)أخرجه مسلم رقم57.

(211)انظر للمؤلف:القرآن الأمريكي أضحوكة القرن الحادي والعشرين، دار الرضوان، القاهرة، الطبعة الثانية، ص13.

(212)(**الإسراء/ 9**).

(213)**انظر للمؤلف تحت الطبع: قطوف الجنان في الرد على بابا الفاتياكان.**

وقد فاجأ الدكتور روان وليامز - كبير أساقفة كانتربري، ورئيس الكنيسة الإنجليكانية- المجتمع البريطاني بقوله«...**إن تطبيق أجزاء من الشريعة الإسلامية في بريطانيا قادم لا محالة... وإن التطبيق الجزئي لبعض قواعد الشريعة الإسلامية على مسلمي بريطانيا قد يساعد على تحقيق الانسجام في المجتمع**». كانت المحاضرة أمام حشد من رجال القانون، والسياسة. وقد دافع د. وليامز عن طرحه بأن الشريعة الإسلامية عبارة عن نظام قانوني كأي نظام آخر يمكن الاستفادة منه في المجتمع البريطاني الذي يضم ملايين المسلمين. وقد أثارت تصريحات رئيس الكنيسة الإنجليكانية عاصفة من ردود الفعل كشفت حالة الاحتقان الموجودة أصلاً في المجتمع البريطاني خصوصاً- وفي الغرب عموماً- تجاه الإسلام.

وبعيداً عن ردود الفعل المتسرعة، فإن ما قاله د. وليامز موجود بالفعل في الشريعة الإسلامية التي تقر للأقليات غير المسلمة أن تحتكم إلى شرعها إذا اتفقت على ذلك، وإلا رجعت إلى الشريعة الإسلامية. وهذا معمول به في مصر الآن، وفي أكثر البلاد الإسلامية، حيث يحتكم غير المسلمين إلى شرائعهم في الأحوال الشخصية على الأقل[214].

(214)صحيفة الوسط بتاريخ 9/ 2/ 2008م.

بابا الفاتيكان يستغيث بالشريعة الإسلامية

وفي مفاجأة مدوية أعلن بابا الفاتيكان (بنديكت السادس عشر)- أكبر رمز ديني كاثوليكي- الرجل الذي له كلمته المسموعة لدى ثلث نصارى العالم تقريباً- :«**أنه لا بديل عن تبني النظام المالي في الإسلام للخروج من الأزمة الاقتصادية**.. وقالت صحيفة الفاتيكان :«بأنه يتوجب على البنوك التقليدية أن تنظر إلى المصرفية الإسلامية بعناية فائقة على أنها الحل الأمثل للأزمة المالية العالمية التي تعصف بدول العالم، والتي أطاحت بكيانات مالية عملاقة، وأن استعادة الثقة لهذه الكيانات الاقتصادية العالمية يكمن في تطبيق نظام الاقتصاد الإسلامي في البنوك الغربية(215) .

البابا شنودة لا يمانع من تطبيق الشريعة الإسلامية

وتكفينا في هذا المقام شهادة البابا شنودة التي سطرها على صفحات جريدة الأهرام في (6 مارس عام1985م) حيث قال:«**إن الأقباط في ظل حكم الشريعة يكونون أسعد حالاً، وأكثر أمنًا.. ولقد كانوا كذلك في الماضي، حينما كان حكم الشريعة هو السائد.. نحن نتوق إلى أن نعيش في ظل «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا».. إن مصر تجلب القوانين من الخارج حتى الآن، وتطبقها علينا، ونحن ليس عندنا ما في الإسلام من قوانين مفصلة.. فكيف نرضى بالقوانين المجلوبة، ولا نرضى بقوانين الإسلام؟**» (216) .

---

(215)الغريب أن يصدر هذا الكلام منه بعد أن قام بإلقاء محاضرة في جامعة (ريجينسبورج بولاية بافاريا الألمانية الثلاثاء12(/ 9/ 2006م التاسع عشر من شعبان/ 1427هـ) كان عنوانها:« الإيمان والعقل والجامعة ذكريات وانعكاسات» ودار مضمونها حول الخلاف التاريخي، والفلسفي بين الإسلام، والمسيحية في العلاقة التي يقيمها كل منهما بين الإيمان، والعقل، واستشهد بهذه المناسبة بكتاب يفترض أنه للإمبراطور البيزنطي (مانويل الثاني1350هـ/ 1425م) وفي هذا الكتاب الذي يحمل عنوان (حوارات مع مسلم المناظرة السابعة)، وقدمه، ونشره في الستينيات عالم اللاهوت الألماني اللبناني الأصل: (تيودور خوري) من جامعة مونستر، يعرض الإمبراطور الحوار الذي أجراه بين (1394و1402م) على الأرجح مع علامة فارسي مسلم مفترض، يقول:« أرني ما الجديد الذي جاء به محمد؟ لن تجد إلا أشياء شريرة، وغير إنسانية، مثل أمره بنشر الدين- الذي كان يبشر به- بحد السيف!» وقد وفقني ربي للرد على كذبه وافترائه في كتابي قطوف الجنان في الرد على بابا الفاتيكان يسر الله نشره.

(216)د. محمد عمارة: أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر، ص14.

سادساً: لم تكن مصر- حفظها الله- بدعاً من الدول فمعظم دول العالم تنص في دساتيرها على هويتها الدينية[217] ، بل تصرح بالمذهب الذي هو جزء من الدين، وهذا بعض ما جاء في النصوص الدستورية، والمواثيق الأساسية الغربية مما يؤكد ما قلت آنفاً:

*جاء في (المادة1) من دستور اليونان: المذهب الرسمي لأمة اليونان هو مذهب الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية!.

*وفي (المادة47) منه: كل من يعتلي عرش اليونان يجب أن يكون من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية!.

*وجاء في (المادة1/ بند5) من دستور الدانمرك: يجب أن يكون الملك من أتباع الكنيسة الإنجيلية اللوثرية!.

*وفي (المادة1/ بند3): إن الكنيسة الإنجيلية اللوثرية هي الكنيسة المعترف بها في الدانمرك!.

*وجاء في (المادة 9) من الدستور الأسباني: يجب أن يكون رئيس الدولة من رعايا الكنيسة الكاثوليكية!.

*وفي (المادة6): على الدولة رسمياً حماية اعتناق وممارسة شعائر المذهب الكاثوليكي باعتباره المذهب الرسمي لها .

*وفي الدستور السويدي (المادة4): يجب أن يكون الملك من أتباع المذهب الإنجيلي الخالص!. وفيه: يجب أن يكون أعضاء المجلس الوطني من أتباع المذهب الإنجيلي.

(217)من الدول الإسلامية التي تنص في دستورها على الهوية الدينية: أفغانستان- البحرين- وبروناي- إيران- والمالديف- موريتانيا- عمان- باكستان- السعودية- واليمن - بنجلاديش - العراق- الأردن – الكويت- ليبيا- ماليزيا- المغرب- قطر- تونس- الإمارات- الجزائر.

*وفي الأرجنتين: تنص (المادة2): إن على الحكومة الفدرالية أن تحمي الكنيسة الرسولية!.

*وجاء في وثيقة الحقوق في انجلترا (المادة7): يسمح لرعايا الكنيسة البروتستانتية بحمل السلاح لحماية أرواحهم في حدود القانون! وفي ذات الوثيقة (المادة 8): لكاثوليكي أن يرث، أو يعتلي العرش البريطاني!.

*وفي (المادة3) من قانون التسوية: على كل شخص يتولى الملك أن يكون من رعايا كنيسة إنجلترا، ولا يسمح بتاتاً لغير النصارى، ولا لغير البروتستانتيين أن يكونوا أعضاء في مجلس اللوردات، ويعتبر ملك بريطانيا حامياً للكنيسة البروتستانتية في العالم!».

فقد أوردنا ذلك لنبين لهؤلاء الفتانين أن النص على الدين في الدستور كما هو معمول به عند المسلمين، معمول به عند غير المسلمين، ويصير المتحدث، أو الداعي لإلغاء النص على أن الإسلام دين الدولة في الدستور هو بمثابة من يتلاعب بالنيران، فيكون هو أول من تسعر به هذه النار، ويكون من يتابعه، ويشايعه وقود هذه النار.

سابعاً: خير من يجيب عن هذا المطلب هو البابا شنوده نفسه فقد رفض علانية تنفيذ حكم القضاء بالتصريح بالزواج الثاني للنصارى، وأعلن صراحة (**أنا لا أستطيع أن أخالف الكتاب المقدس!!**)، فهل من العدل، والمنطق أن نعتبر تمسك البابا بكتابه المقدس إيماناً، وتحضراً، وعدم انتقاص للدولة المدنية، وأن نعتبر مطالب المسلمين بالتمسك بكتابهم المقدس (القرآن) تطرفاً، وإرهاباً، وانتقاصاً من حقوق المواطنة، وهدماً للدولة المدنية؟!!.

ثامناً: لا توجد دولة في العالم يتم فيها تحديد النظام القانوني للدولة بناء علي رغبة الأقلية- أياً كانت دينية، أو عرقية- وحقوقهم تكون في عدم إجبارهم علي ما يخالف عقيدتهم، وفي حفظ حقوق الإنسان، ومساواة جميع المواطنين في الحقوق، والواجبات، أما النظام القانوني للدولة فتختاره الأغلبية في إطار نظام ديمقراطي سليم، والسؤال: هل يستطيع المسلمون في فرنسا وهم أكثر عدداً من النصارى في مصر أن يعترضوا، أو يغيروا من القوانين الفرنسية العنصرية الظالمة للمسلمين كقانون حظر الحجاب؟.

تاسعاً: إن هذا المطلب يثير الكراهية بين أبناء الوطن الواحد لأنه يشعر المسلمين بأن عليهم أن يتخلوا عن شريعتهم حتى يمكن أن يعيشوا في سلام مع الأقباط، وهذا ثمن باهظ لا يقبل مسلم أن يدفعه، ويوقع الخلاف الدائم بين المسلمين، وغلاة العلمانيين الذين يُنادون بهذا الطلب، رغم اشتراك الجميع في الإسلام؛ لذلك فالذكاء السياسي يحتم علي الأقباط اتخاذ موقف حيادي تجاه هذا الطلب، ويكفي جداً أن يطبق القانون (أي قانون) علي جميع المصريين بغض النظر عن دينهم، أو عرقهم ففي هذا تحقيقاً للمواطنة.

عاشراً: لا نعرف تشريعاً واحداً صدر في مصر بعد دستور 1971م يحتوى على أقل قدر من شبهة التمييز بين المسلمين، وغير المسلمين، أو على أن الدولة في مصر قد تحولت إلى دولة دينية يحتل فيها غير المسلمين مرتبة ثانية.

حادي عشر: أجرى المركز القومي للبحوث الاجتماعية، والجنائية بالقاهرة عام 1985م بحثاً تحت إشراف الدكتور أحمد المجذوب- رئيس المركز في ذلك الوقت- أفاد أن 98٪ من المسلمين و68٪ من النصارى يوافقون على تطبيق الشريعة الإسلامية؛ بل والحدود الإسلامية، وهكذا فإن مطلب الشريعة الإسلامية كمرجعية هو مطلب مصري عام، وصحيح أن أقباط 1985م غير أقباط 2010م فقد مرت كثير من المياه تحت الجسر، وتغيرت أمور كثيرة بسبب الاستقطاب الطائفي، إلا أن القدر المتيقن منه أن هناك نسبة لا بأس بها من النصارى لا تزال على موقفها من مرجعية الشريعة الإسلامية.

وفي الحقيقة فإنه من الممكن أن نقول ببساطة: إن الذين يقفون مع المشروع الوطني المناهض لأمريكا، وإسرائيل من إسلاميين، وقوميين، بل ويساريين، ونصارى هم مع مرجعية الشريعة الإسلامية على أساس أن الشريعة الإسلامية هنا تحقق نوعاً من الممانعة الحضارية، وتحقق نوعاً من الاستقلال، وتعني عدم الخضوع الحضاري، والتشريعي، والثقافي للحضارة الغربية، والأمريكية، والصهيونية، وأن الذين يقفون مع المشروع الأمريكي الصهيوني من كل الاتجاهات السياسية هم ضد مرجعية الشريعة التي تعطي الحق لغير المسلم للتحاكم إلى قانونه الخاص« في الأحوال الشخصية مثلاً كما هو معمول به في مصر»، إلا إذا طلب هو غير ذلك.

وبديهي أن مطلب مرجعية الشريعة هو مطلب شعبي عام، لا تصل قضية أخرى إلى القدر الذي يتمتع به من التأييد، ومن ثم فإن الليبراليين والديمقراطيين- إن كانوا كذلك حقاً – فإن عليهم احترام اختيار الشعب، فإذا كانت الشريعة واجب شرعي بالنسبة للمسلم فإنها- حتى بمقاييس الليبرالية- مطلب شعبي، ومادام الشعب في رأيهم مصدر السلطات فلماذا لا يحترمون تلك الرغبة الشعبية؟ [218] .

***

(218)) د. محمد مورو: الاختراق الأجنبي عن طريق الأقليات، ص58- 59.

إلغاء خانة الديانة من البطاقة

على الرغم من أن ممثلة المجلس القومي لحقوق الإنسان- لم تفلح في إقناعنا بجدوى حذف خانة الديانة، خاصة حين سُئلت أكثر من مرة من أكثر من طرف، وذلك أثناء استضافتها في برنامج العاشرة مساء[219] : هل يضمن هذا الإجراء القضاء على التمييز على أساس ديني؟.

فكانت إجابتها دائماً: **لا هذا إجراء رمزي!!**. فبما أن هذا الإجراء رمزي كما يقولون لماذا نشغل أنفسنا به وهو- باعتراف المدافعين عنه- لن يقضي على التمييز!! ولماذا يرفض البعض الإقرار بأن موضوع التمييز يحتاج لشيء بسيط للغاية لكنه حيوي جداً في نفس الوقت، وهو تفعيل القانون الذي يضمن لكل صاحب حق ضائع أن يحصل على حقه!! ولماذا نحل مشاكلنا بطريقة الكنس تحت السجّادة، ونفكر في التغلب على التمييز من خلال إجراء شكلي، ورمزي لا يقدم، ولا يؤخّر، ولا نتعامل مع المشكلة من جذورها، ونتعامل فقط مع الأعراض.

وعلى الرغم من أن ممدوح نخلة رئيس مركز كلمة لحقوق الإنسان قد طالب بحتمية إلغاء خانة الديانة من البطاقة الشخصية، أو الرقم القومي إلا أن نخلة قال لموقع «ولاد البلد» في تصريح خاص إن إلغاء خانة الديانة لن يقضى على التمييز بين الأقباط، والمسلمين في مصر!!.

ومن جانبه أكد اللواء د. حازم الحاروثي- ممثل وزارة الداخلية- أن الوزارة تطبق الدستور، والقانون، الدستور ينص علي أن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، وأن الإسلام لا يعترف إلا بالأديان السماوية الثلاثة، والقانون يلزم بكتابة الديانة في البطاقة الشخصية، وأشار إلى أن وجود خانة الديانة يسهل أموراً كثيرة في الأحوال الشخصية، والزواج، والميراث، والوفاة كما أنها تساعد في كشف هوية بعض المتورطين في حوادث الإرهاب.

(219)على قناة دريم2 حلقة بتاريخ14/ 8/ 2006م.

وقال المستشار سناء خليل- مساعد وزير العدل-:«إنه لا يجب أن تخلط بين جواز السفر، والبطاقة الشخصية فالأول يتم التعامل به في الخارج، أما البطاقة فتتعلق بالتعاملات داخل مصر، ووجود خانة الديانة ضروري، وأكد أنه لا خلاف مطلقاً علي حماية حقوق المواطنة بكل معانيها.

وأكد علي حماد- ممثل وزارة الشئون القانونية، والمجالس النيابية- أن الدستور يرسخ حقوق المواطنة بلا تمييز، وذلك لحرصه علي تدين المواطن، واعتزازه بدينه قدر اعتزازه بوطنيته، وقال : إن إلغاء الديانة قد يصلح في بعض الدول التي تنتهج فكراً علمانياً يفصل بين الدين، والدولة[220] عكس الواقع في مصر، وأكد أن الدعوة لإلغاء خانة الديانة لا تقوم علي سند قوي، وهذه الدعوة تحركها مشاعر، وأحاسيس تخطت الهدف، ومن الأجدى التفكير في أساليب واقعية تبعث روح التعايش السلمي بدلاً من اتخاذ إجراءات تعقد الأمور.

والمؤكد بأن بالدستور الكثير من المواد التي تدحض حجية أصحاب الرأي الذي يطالب بإلغاء الديانة من الهوية الشخصية كما تنص المادة46 على حرية العقيدة، وحرية ممارسة الشعائر الدينية، والمادة 9 التي تنص على أن الأسرة أساس المجتمع، وقوامها: الدين، والأخلاق، والوطنية، مشيراً إلى أن إلغاء خانة الديانة من بطاقة الهوية في دول الغرب يرجع إلى ما تنتهجه هذه الدول من فكر علماني يفصل بين الدين، والدولة عكس الواقع المصري حيث أن المواطن باختلاف عقائده متدين، ويعتز بقيد ديانته ببطاقة هويته، وبالتالي فإثبات الديانة ليس تمييزاً لطائفة على أخرى، وإنما هو إقرار واقع.

(220)أفادت وكالة أنباء الأناضول بأن حزب «الحركة القومية» اليميني المعارض في تركيا رفض خطة وصفها بأنها «خطيرة» تسمح للمواطنين الأتراك بعدم ذكر ديانتهم في بطاقات الهوية التي تصدرها الدولة، وقال نائب زعيم الحزب محمد سانديير «إننا نمثل أولئك الذين لن يقبلوا كل شئ يطلبه الاتحاد الأوروبي»، مضيفاً أن هذه الخطوة تهدف على ما يبدو إلى إعطاء مزيد من الحقوق لجماعات الأقلية. ويبحث البرلمان التركي حالياً إدخال تعديلات بسيطة على القانون الخاص ببطاقات الهوية من أكثرها إثارة للجدل حذف خانة الديانة من البطاقات. ويتعين على الأتراك حالياً ذكر الديانة التي ينتمون لها في بطاقات الهوية حتى ولو كانوا في الواقع لا يؤمنون بأي دين، وتأتي التعديلات المقترحة في إطار سلسلة إصلاحات قانونية لكي تتماشى تركيا مع قوانين الاتحاد الأوروبي الذي تسعى للانضمام لعضويته. جريدة الشرق الأوسط الأربعاء30 محرم1427هـ1 مارس 2006م، العدد 9955.

إن إلغاء الخانة يثير العديد من الإشكاليات الخاصة بمسائل الأحوال الشخصية من: الزواج، والطلاق، والميراث، والدعوة لإلغاء خانة الديانة لا تقوم على سند قوى، وأن الدفع في شبهة عدم الدستورية في ضوء ما تنص عليه المادة 40 من الدستور[221] هو دفع غير سديد، وإنما هذه الدعوة تحركها مشاعر، وأحاسيس تخطئ الهدف، ومن الأجدى التفكير في أساليب واقعية تبعث روح التعايش السلمي بدلاً من اتخاذ إجراءات تعقد من الأمور».

المفاسد المترتبة على إلغاء خانة الديانة :

ولعله لا يكون خافياً أن الإقدام على هذا العمل – إلغاء خانة الديانة– سوف يترتب عليه الكثير من المفاسد مع أنها لا تؤدي للغاية التي أرادوها، ومن هذه المحاذير:

* تسخين الجدل بشأنها يفسر على أنه ليس سوى محاولة لفرض تغييرات فوقية تستهدف المجتمع من خلال ضغط الاتجاه القبطي، والعلماني على الحكومة لإصدار قوانين معينة، أو إجراء تغييرات دستورية محددة.

* إحداث مشكلات قانونية خاصة بالفصل في منازعات الأحوال الشخصية طبقاً للقوانين المعمول بها في مصر، خاصة المادة الثالثة من القانون رقم1 لسنة2001م التي تنظم مسائل الأحوال الشخصية لغير المسلمين؛ حيث أنه لا يوجد قانون موحد للفصل في منازعات الأحوال الشخصية بين كل المصريين مما يدعوا إلى ضرورة التمسك بهذه الخانة، فتشريع الطلاق، والزواج، والميراث، والحضانة في الإسلام يختلف عنه في المسيحية كما هو معلوم.

* إن الإعلان عن الديانة هو جوهر الحرية الدينية، وليس حذفها الذي يؤكد فشلنا في قبول ثقافة الآخر، وليس للقضاء على التمييز كما يدعى أصحاب هذه المبادرة، ومع هذا فمن السهل التعرف على هوية الشخص الدينية من خلال طرق عديدة:

- **الصلاة وبيوت العبادة**: فالمسلمون لا يصلون في كنيسة، والنصارى لا يصلون في مسجد.
- **حمل الرموز الدينية**: فالمسلم لا يحمل صليباً، والنصراني لا يحمل رمزاً إسلامياً.

(221)نص المادة: 40: المواطنون لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق، والواجبات العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس، أو الأصل، أو اللغة، أو الدين، أو العقيدة.

- **رسم الصليب**: فمن الطقوس الدينية عند النصارى رسم الصليب على اليد، ولا يعد مسلماً من يفعل هذا.

- **الهدي الظاهر**: يتميز المسلم بهدي ظاهر عن النصراني يتمثل في لحيته، وأثر في جبهته من أثر السجود، ولا يختلف اثنان أن الشخص الملتحي من غير رجال الدين 99٪مسلماً. كما أن هناك اختلاف بين في ثياب رجال دين المسلمين، والنصارى.

- **الحجاب**: وعلى الرغم أن الحجاب مأمور به في الديانات السماوية إلا أن 100٪ من المحجبات مسلمات[222] .

- **الأسماء**: فهناك الكثير من الأسماء التي لا يمكن أن تشترك بين الديانتين، فمحمد، أحمد، ومحمود، وعلي، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وفاطمة، وخديجة، وعائشة، وأسماء، وإسراء...أسماء لا يمكن أن يحملها نصراني، أو نصرانية، ويسوع، ومايكل، وبطرس، وجرجس، وحنا، وميخائيل، وبيتر، وجورج، وبيشوي، وجورجيت، وكيرلس، وتادرس،....أسماء لا يمكن أن يحملها مسلم، أو مسلمة، وإذا كانت هناك الأسماء مشتركة[223] فعند أول أجازة في مناسبة دينية نصرانية ينكشف الأمر، ترى ماذا تصنع منظمة حقوق الإنسان في هذه الأمور؟ هل ستصدر توصياتها بإصدار تشريعات تمنع من:

- حمل الرموز الدينية، ورسمها على اليد!.

- تجريم، وتحريم التسمي بالأسماء المميزة للدين!.

---

(222)في اليهودية: دعت التوراة للحجاب، فجاء في سفر التكوين، (إصحاح24/ 64-65):« **ورفعت برقعة عينيها فرأت الحق فنزلت عن الجمل، وقالت: للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا؟ فقال العبد: هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت**». وفي النصرانية تأكد وجوب الحجاب من عدة أدلة، وشواهد، ونصوص تحث على الحجاب، وعدم التبرج، ووجوب التزام الحشمة، والتفرغ لإدارة البيت، والأسرة، من ذلك رسالة بولس يقول فيها عن النساء:« **وأمّا كلّ امرأة تصلّي أو تتنبّأ ورأسها غير مغطّى فتشين رأسها لأنّها والمحلوقة شيء واحد بعينه. إذ المرأة إن كانت لا تتغطّى، فليُقص شعرُها**». وفي (1كورنث11: 30) «**احكموا في أنفسكم: هل يليق بالمرأة أن تصلّي إلى الله وهي غير مغطّاة؟!**».

(223)يشترك المسلمون مع النصارى في الكثير من الأسماء: كإبراهيم- يوسف- عيسى ـ عبدالله - مجدي- صبري- إيهاب- السيد- توفيق- نصر- صفوت- أشرف- عاطف- ماهر- فايز- نادر- نسيم- هالة- مديحة- منى- مريم- جيهان- سها- ناهد- نها...

- تجريم، وتحريم إعفاء اللحى، والحجاب!.

- طمث، وإخفاء أثر الصلاة في جبهة المسلم!.

ولا أستبعد بتوصية بجعل بيوت العبادة مشتركة، ومباحة للجميع!!، وهكذا نزيد المسألة تعقيداً بسبب عدم وضع الحلول الناجعة، والمفيدة.

* إن إلغاء خانة الديانة من البطاقة يصب فقط في خدمة هؤلاء الذين يزعمون كذباً، وزوراً أن النصارى في مصر يزيدون عن 15٪ فإذا ما طالبنا بعمل حصر دقيق، وأمين لن نستطيع لأن الأوراق الرسمية قد غاب عنها تحديد الهوية الدينية!!.

المطالبة بتغيير اسم جمهورية مصر العربية

من الحلول الساذجة، والتي تؤجج الاحتقان بين أبناء الوطن الواحد محاولة بعض جيوب النصارى في الداخل، والخارج بين الحين، والآخر المطالبة بتغيير الاسم الرسمي لمصر من: جمهورية مصر العربية ليتم اختصاره إلى «جمهورية مصر» فقط!!.ومثل هذه المطالبات تؤدي إلى استفزاز مشاعر المسلمين.

فبعض النصارى في الداخل، والخارج يقولون بأن المسلمين دخلاء، ومحتلون جاءوا مع الجيش الإسلامي، ولابد أن يرحلوا.. وتعقد هذه الجماعات مؤتمرات تقول فيها ذلك علناً بدعم معروف، ومكشوف من منظمات يهودية، وصهيونية، وأمريكية، وكنسية غربية، ووصل الأمر بهؤلاء إلى حد تقديم شكوى إلى الأمم المتحدة بدعوى وجود اضطهاد في مصر للنصارى، كل هذا بالطبع يترك بصمات من المرارة لدى المصريين عموماً، والمسلمين منهم خصوصاً تجاه الكنيسة المصرية؛ لأن هذا الإحساس يزيد الاحتقان الطائفي ليصبح جواً عاماً من الغيظ، وعدم الثقة بين الطرفين، سيعبر عن نفسه يوماً بطريقة غير سوية إذا لم يتم علاجه[224] .

(224)شبكة الأخبار العربية محيط،4 شوال1430هـ/ 24/ 9/ 2009م.

وهذا التيار ليس وليد اليوم، بل هو تيار قديم يطفوا على السطح أحياناً، وينزل إلى القاع في أحيان أخرى حسب الظروف، والمناخ.

وهذا التيار الطائفي- العنصري- الانعزالي« يسعى إلى تغيير هوية مصر، وخلعها من المحيط العربي الإسلامي، واستبدال اللغة القبطية باللغة العربية، وتسويد النصرانية فيها بدلاً من الإسلام.. أي بدأ البعث، والإحياء لمشروع المعلم يعقوب حنا من جديد!..نعم.. بدأ تخلق هذه النزعة الطائفية، والسعي إلى تحقيق هذا الحلم- الذي يبدو مجنونًا!-.. وتناثرت، وتراكمت وتكاملت – في الطائفة الأرثوذكسية- تحديدًا- الأفكار، والوقائع التي تقود في هذا الاتجاه..اتجاه تفتيت مصر، وتغيير هويتها القومية والحضارية.. والارتداد بها إلى الوراء أربعة عشر قرنًا!..- فيكتب القمص سرجيوس (1883-1964م) في مجلة المنارة - بتاريخ 6/ 12/ 1947م – يقول:«**إن أرض الإسلام هي الحجاز فقط، وليست البلاد التي يعيش فيها المسلمون!** »

* ويعترف نظير جيد- في مقال له بمجلة مدارس الأحد- بتاريخ يناير سنة 1952م- بتزعمه لجماعة ذات نزعة طائفية سنة 1948م- العام التالي لتخرجه من الجامعة!- حتى لقد ذهب إليهم- أي إلى جماعة نظير جيد- نجيب إسكندر باشا- وزير الصحة في حكومة النقراشي باشا (1305-1368هـ 1888- 1948م) قائلاً لهم- كجماعة-:«**لحساب من تعملون؟!.. أنتم تهددون وحدة العنصرين!**».

كما يعلن نظير جيد – في هذا المقال-:«**إن المسلمين قد أتوا وسكنوا معنا في مصر!- أي أن المسلمين المصريين جالية محتلة لمصر منذ أربعة عشر قرنًا!**[225] .

(225)انظر نص هذا المقال في كتاب: د. سليم نجيب:الأقباط عبر التاريخ- تقديم: مجدي خليل، طبعة القاهرة، دار الخيال، 2001م.

* وفي أول شهر توت رأس السنة الفرعونية- وعيد الشهداء عند الأرثوذكس سنة (1669ق- 11سبتمبر سنة 1952م) تتبلور هذه النزعة الطائفية العنصرية الانعزالية في (جماعة الأمة القبطية) التي استقطبت خلال عام واحد92.000 من شباب الأرثوذكس..والتي أعلنت عن مشروع قومي، وليس مجرد مطالب لأقلية دينية، أعلنت:**أن الأقباط يشكلون أمة**[226] .. **ويطلبون حذف النص الدستوري الذي يقول : إن الإسلام دين الدولة...! وإن اللغة العربية هي لغتها!.. وذلك ليكون الدستور مصريًا.. وليس عربيا، ولا إسلاميا.. وإعلان أن مصر كلها أرضنا التي سلبت منا بواسطة العرب المسلمين منذ 14 قرنًا.. وأننا سلالة الفراعنة.. وديانتها هي المسيحية، وسيكون دستورنا هو الإنجيل.. وتكون لغتنا الرسمية هي اللغة القبطية..وكان لهذه الجماعة علمها وزيها الخاصين بها.. وكان المعلم يمثل صليبًا منصوبًا في الإنجيل.. كما كان لها نشيد خاص تنشده في جميع الاحتفالات، والاجتماعات.. كما افتتحت في المحافظات مدارس لتعليم اللغة القبطية بالمجان!!** [227] .

لقد اجتمعت الأمة، وأجمعت- بدياناتها المختلفة: الإسلام، والمسيحية، واليهودية- وتياراتها الفكرية المتنوعة – إسلاميين، وعلمانيين- على الهوية «العربية الإسلامية» لمصر..وتم النص على ذلك في دستور سنة 1923م :«الإسلام هو الدين الرسمي للدولة.. واللغة العربية هي لغتها الوطنية، والقومية»..

ـ وأعلن ابن مصر البار مكرم عبيد (1889-1961م)- وهو أحد أبطال ثورة سنة 1919م وقادتها- عن عروبة مصر والمصريين- حتى قبل قيام جامعة الدول العربية سنة 1945م- فكتب سنة 1939م يقول: «**المصريون عرب..وتاريخ العرب سلسلة متصلة الحلقات، لا، بل هو شبكة محكمة العقد..ورابطة اللغة، والثقافة العربية، والتسامح الديني هي الوشائج التي لم تقضمها الحدود الجغرافية، ولم تنل منها الأطماع السياسية منالاً، على الرغم من وسائلها التي تتذرع بها إلى قطع العلاقات بين الأقطار العربية، واضطهاد العاملين لتحقيق الوحدة العربية التي لا ريب في أنها أعظم الأركان التي يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة في الشرق العربي. وأبناء العروبة في حاجة إلى أن يؤمنوا بعروبتهم، وبما فيها من عناصر قوية استطاعت أن تبني حضارة زاهرة. نحن عرب، ويجب أن نذكر في هذا العصر دائمًا أننا عرب، وحّدت بيننا الآلام، والآمال،**

(226)قال الدكتور محمد عمارة: لقد لاحظت استخدام «بونابرت» مصطلح «الأمة القبطية» في مراسلاته مع خونة النصارى الذين تعاونوا معه.. وكذلك استخدامهم لهذا المصطلح- انظر: عادل جندي: المخططات الخطيرة - صحيفة «وطني» في2/ 7/ 2006م.

(227)د. سليم نجيب:الأقباط عبر التاريخ، ص184و185.

ووثّقت روابطنا الكوارث، والأشجان، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان، نحن عرب من هذه الناحية، ومن ناحية تاريخ الحضارة العربية في مصر، وامتداد أصلنا السامي القديم إلى الأصل السامي الذي هاجر إلى بلادنا من الجزيرة العربية.. فالوحدة العربية حقيقية قائمة موجودة لكنها في حاجة إلى تنظيم، فتصير كتلة واحدة، وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة..»(228) .

هكذا تحدث مكرم عبيد باشا -حديث العالم- عن عروبة مصر، والمصريين حضارة.. بل ومن ناحية الجنس، والعرق.. فالأصل القديم للمصريين سامي.. وهم قد تواصلوا مع الساميين العرب الذين هاجروا إلى مصر في التاريخ السابق على ظهور الإسلام(229) .

كما تحدث - سياسيًا- عن الوحدة العربية، التي يجب أن تجعل كل أوطان العالم العربي «جامعة وطنية واحدة..».

وهذه الحضارة التي أسهمت مصر في بنائها، وبلورتها، والتي تنتمي إليها هي «عربية.. إسلامية».. وعن إسلامية مصر الوطن، والحضارة أعلن مكرم عبيد فقال «**نحن مسلمون وطنًا، ونصارى دينًا.. اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك، وللوطن أنصارًا.. واللهم اجعلنا نحن نصارى لك، للوطن مسلمين**»(230) .

* نعم.. حدث هذا بفعل تأثيرات ثورة سنة1919م..وتطلع الكثيرون إلى مستقبل تتجاوز فيه الأقلية الأرثوذكسية شباك الغواية الاستعمارية.لكن قطاعات مؤثرة من نخب هذه الأقلية قد ظلت متطلعة إلى السير على ذلك الطريق.. طريق الغواية الاستعمارية.. والاستعانة بالغرب- وخاصة الثقافي والحضاري (أي التغريب)- لإلحاق مصر بالغرب، وتحويل رسالتها و«بوصلتها» الحضارية عن قبلة «العروبة، والإسلام».. فلقد ظل «مشروع المعلم يعقوب» يخايل هذه القطاعات من النخبة النصرانية المصرية - العلمانية منها، والكهنوتية- حتى لقد أطلقوا على هذا «المشروع» وصف: «المشروع الأول لاستقلال مصر»..دون الكشف عن طبيعة هذا «الاستقلال» -الذي لم يكن استقلالا عن الاستعمار الغربي- العدو التاريخي لمصر والشرق - وإنما كان استقلال عن الهوية العربية، والإسلامية لمصر..أي عن «الذاتية» و«الرسالة الحضارية» لمصر-.

(228)مجلة الهلال، عدد إبريل سنة 1939م.

(229)للمقريزي كتاب نفيس في هذا الموضوع، عنوانه:الإعراب عمن نزل بأرض مصر من الأعراب. تحقيق: د. عبد المجيد عابدين - طبعة القاهرة.

(230)صحيفة الوفد عدد21/ 1/ 1993م.

ويشهد على هذه الحقيقة، ما كتبه الدكتور لويس عوض (1915- 1989م) عن المعلم يعقوب- بعد قرابة القرنين من هلاكه- فلقد وضعه في مصاف عظماء الأمة، وأبطالها، من مثل: محمد علي باشا الكبير (1184- 1265هـ1770-1849م) وعلي بك الكبير(1140-1187هـ1728- 1773م).. وجمال عبد الناصر (1336-1390هـ 1918-1970م).

كما وصف لويس عوض اللغة العربية بأنها «لغة دخيلة.. وميتة.. وأنها الأغلال التي يجب تحطيمها»![231] ، وذلك فضلاً عن هجومه على عروبة مصر.. وعلى العروبة عامة.. ووصفه لها بأنها «عنصرية.. وفاشية.. وأسطورة من الأساطير»[232] .

*ومن قبل لويس عوض، دعا سلامة موسى (1888-1958م) إلى الذوبان الكامل في الغرب- حتى عندما كان هذا الغرب يحتل مصر-!-.. ودعا إلى الانسلاخ الكامل عن العروبة، والإسلام، فقال: «**أنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب.. وإذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، فإن الرابطة الدينية وقاحة!.. ونحن نريد العامية، لغة الهكسوس، لا العربية الفصحى، لغة التقاليد العربية، والقرآن**»![233] .

وهكذا ظل «مشروع المعلم يعقوب»: سلخ مصر عن العروبة، والإسلام، وتغريبها.. يخايل قطاعات من النخبة الأرثوذكسية... [234] .

* وكتب الأنبا غريغريوس (1919-2002م)- الرجل الثاني في الكنيسة.. وأسقف التعليم والبحث العلمي والدراسات العليا – يقول: «**إن اللغة القبطية هي لغتنا.. وهي تراث الماضي، ورباط الحاضر، وهي من أعظم الدعائم التي يستند إليها كيان الشعب المسيحي.. وهي السور الذي يحمينا من المستعمر الدخيل**»!![235] .

(231)د. لويس عوض: تاريخ الفكر المصري الحديث - طبعة دار الهلال- القاهرة، 1969م، 1/ 183و184و186و194و197و209.

(232)**الأهرام في: 8و20 أبريل، 11مايو1978م، والسياسة الدولية: عدد أكتوبر** 1978م.

(233)سلامة موسى: اليوم والغد، ص5 ـ7، 200 و201 طبعة القاهرة سنة1928م.

(234)**د. محمد عمارة: الفتنة الطائفية متى وكيف ولماذا؟** ص39.

(235)غريغريوس- مقال عنوانه «اللغة القبطية والألحان القبطية»- صحيفة وطني في 30/ 7/ 2000م.

فيتحدث عن لغة «مختلفة» عن اللغة القومية لمصر.. وعن ثقافة مختلفة عن الثقافة العربية.. وعن شعب مسيحي، متميز عن الشعب المصري، وعن المسلمين المصريين- أي95٪ من المصريين- كمستعمر دخيل!..أي يفصح- باسم الكنيسة- عن تبني هذه الكنيسة للمشروع القومي القبطي الذي أعلنته (جماعة الأمة القبطية) سنة 1952م!.

* ويدعو الدكتور كمال فريد إسحاق- أستاذ اللغة القبطية بمعهد الدراسات القبطية، التابع للكنيسة- إلى أن تكون اللغة القبطية هي اللغة القومية لمصر»- (!!!)- وليست اللغة العربية[236] .

* أما عميد هذا المعهد- معهد الدراسات القبطية- الدكتور رسمي عبد الملك فيدعو إلى :«**أن يكون محو أمية الشعب المصري باللغة القبطية، لا العربية»!!.. ويعلن عن مخطط إحلال اللغة القبطية محل اللغة العربية.. وكيف أنه «يوجد في كل كنيسة فصل لتعليم اللغة القبطية»!!..أي أننا- في مصر- بإزاء نظام تعليمي، فيه آلاف الفصول الدراسية التي تعمل الكنيسة - بواسطتها - على تغيير اللغة القومية- التي نص عليها الدستور.. ومثلت ركنًا من أركان ثوابت الهوية المصرية منذ نحو أربعة عشر قرنًا.. والتي اختارها الشعب المصري اختيارًا حرًا!!.**

كما أعلن عميد معهد الدراسات القبطية – هذا- أن المجال سيفتح لرسائل الماجستير، والدكتوراه في اللغة القبطية، ولعمل إحصائيات حول المتحدثين باللغة القبطية في تعاملهم اليومي داخل المنزل.. وأكد وجود أعداد كبيرة تقبل على تعلم اللغة القبطية، وعائلات لا تتحدث في منازلها إلا باللغة القبطية»!![237] .

(236)صحيفة الدستور في2/ 7/ 2008م.

(237)السابق.

أي أننا أمام انقلاب– فكري، وعملي– على الهوية العربية لمصر.. بلورتهُ (جماعة الأمة القبطية) سنة1952م.. وترعاه، وتنفذه الكنيسة الأرثوذكسية بعد استيلاء التيار الطائفي العنصري الانعزالي على قياداتها في 14نوفمبر سنة1971م.

– وإذا كان الأنبا مرقس– المتحدث الرسمي باسم الكنيسة الأرثوذكسية.. وعضو المجمع المقدس.. ورئيس لجنة الإعلام بهذا المجمع أي «وزير إعلام الكنيسة».. وأسقف شبرا الخيمة– قد أعلن: «أن مصر هي بلد الأقباط، وهم أصحابها!!»[238] .

فإنه قد طالب بأن يكون أول شهر توت– عيد النيروز الفرعوني– أجازة رسمية للدولة المصرية، باعتباره عيد رأس السنة الفرعونية[239] . وهو– للتذكرة– اليوم الذي أعلن فيه عن قيام (جماعة الأمة القبطية) سنة 1952م– التي أعلنت أن قضية النصارى– في مصر– هي «قضية قومية»– قضية لغة.. وثقافة.. وعنصر.. وأرض مغتصبة منذ أربعة عشر قرنًا–!!.

ـ وإذا كانت أدبيات الشعب المصري تتحدث عن «الشعب المصري» و«الأمة العربية» و«الحضارة الإسلامية– أي عن الوطنية، والعروبة، والإسلام باعتبارها هوية مصر، والمصريين جميعًا – بكل دياناتهم–.. فإن أدبيات الكنيسة الأرثوذكسية دائمة الاستخدام لمصطلحات:« الشعب القبطي» و«الأمة القبطية» و«شعب الكنيسة» و«الشعب المسيحي»!.. حتى لقد أعلن الأنبا توماس– عضو المجمع المقدس.. وأسقف القوصية– في محاضرته بمعهد «هديسون» الأمريكي بواشنطن– في18 يوليو سنة2008م– وهو المعهد التابع للمحافظين الأمريكيين الجدد، واليمين الديني– أعلن الأنبا توماس على العالم.. وأمام سمع الكنيسة، وبصرها– أعلن:

(238)المصري اليوم في 19/ 1/ 2007م.

(239)المصري اليوم في 25/ 8/ 2008م– (وفي نفس التاريخ)– أول توت سنة 1726ق–11سبتمبر سنة 2008م– عقدت الكنيسة «مؤتمر القبطيات»– الذي شاركت فيه أبحاث إسرائيلية ـ ومنعت الإعلاميين من حضور جلسات المؤتمر، ومناقشاته، «لأن المناقشات الدائرة بداخل المؤتمر يمكن أن يقال فيها أشياء تفسر إعلاميًا بشكل طائفي»؟!! – المصري اليوم في18 سبتمبر سنة2008م.

ـ أن الشخص القبطي يشعر بالإهانة إذا قلت له إنك عربي!.

ـ وأن اللغة القبطية هي اللغة الأم لمصر!.

ـ وأن الأقباط يعانون، ويحاربون خطري التعريب، والأسلمة!.

ـ وأنهم قد وجدوا ثقافتهم تموت، ووجدوا أنفسهم مسئولين عن حمل ثقافتهم، والمحاربة من أجلها حتى يأتي الوقت الذي يحدث فيه انفتاح وتعود دولتنا لجذورها القبطية.. وحتى يأتي هذا الوقت، فإن الكنيسة تقوم بدور الحاضنة للحفاظ على هذا التراث القومي المختلف!.

ـ وأن المسلمين قد خانوا الأقباط منذ الاحتلال العربي لمصر»![240].

وهكذا أفصح هذا الأسقف- في هذه المحاضرة- ربما أكثر من غيره-عن أن القضية هي قضية قومية.. وليست قضية مطالب لأقلية دينية.. فهي- كما جاء في المحاضرة التي صمتت عنها الكنيسة صمت الرضى- بل ودافع عنها رموز كبار فيها- هي ذات القضية التي أعلنت عنها (جماعة الأمة القبطية) سنة1952م.. قضية: لغة.. وثقافة.. وعنصر.. ووطن محتل، وأرض مغتصبة منذ أربعة عشر قرنًا!. لذلك، وجب التوقف أمام أهم الدعاوى التي جاءت بهذه المحاضرة : (صيحة الأقباط ضد التعريب والأسلمة..!).

فنحن- بإزاء الدعاوى التي جاءت بهذه المحاضرة- لسنا فقط أمام انقلاب على الانتماء للعربية- اللغة القومية لمصر- وعلى الدستور، والعقد الاجتماعي، والحضاري الذي توافق عليه المصريون، والتزموا به منذ قرون ـ أي أمام «نزعة خوارجية» على ثوابت العقد الذي ارتضته الجماعة الوطنية المصرية.. وإنما نجد أنفسنا-علاوة على كل ذلك- أمام انقلاب على الحقائق العلمية التي تعارف عليها علماء المصريات، واللغات في مصر، والعالم أجمع.

(240)صحف: الدستور والمصري اليوم، والبديل ـ في2008/ 7/ 20م- نقلاً عن وكالة «أمريكا إن أرابيك». وانظر ـ كذلك ـ ترجمة المحاضرة ـ في (الدستور) في 13/ 8/ 2008م- وأيضًا ترجمة محمود الفرعوني لهذه المحاضرة على موقع «مصريون ضد التمييز» على شبكة المعلومات العالمية.

ـ فليس صحيحًا أن اللغة القبطية- التي جاء الفتح الإسلامي فوجدها بمصر-هي اللغة الأم للمصريين.. وإنما هي المسخ الهجين الذي مثل التغريب اللغوي الذي أحدثه الغزو الإغريقي في لغة المصريين.. فكانت أثرًا من آثار هذا التغريب اللغوي، ولم تكن خالصة الوطنية.. فضلاً عن أنها كانت المرحلة الرابعة من المراحل الكبرى لتطور اللغة المصرية.. ولم تكن اللغة الأم بحال من الأحوال.. ذلك أن اللغة المصرية القديمة قد مرت بمراحل أساسية أربعة، قبل مرحلة سيادة اللغة العربية في مصر.. وهذه المراحل هي:

1- **مرحلة الهيروغليفية:** وهي اللغة المقدسة، المكتوبة بالصور.. والتي تعتبر اللغة المكتوبة الأم للمصريين- في التاريخ المعروف- والتي عبروا بها عن الكلام الشفهي..ولقد ظلت أداة الكتابة على المباني الأثرية بعد أن حلت الكتابات المختصرة محلها في الحياة العامة، بحيث لم يعد يفهمها إلا الكهنة.

2- **مرحلة الهيراطيقية:** وهي الكتابة المختصرة التي حلت محل الهيروغليفية- التي ظلت خاصة بالكتابة على المباني الأثرية-.. ولقد استعمل الخط الهيراطيقي حوالي سنة2000 ق.م.

3- **مرحلة الديموطيقية:** وهي اللغة المصرية الدارجة، ذات الخط المختصر الذي استعمله المصريون القدماء من حوالي سنة700 ق.م حتى القرن الثالث الميلادي، وخط هذه الديموطيقية هو اختصار للهيروغليفية.. وتطور للخط الهيراطيقي الذي استعمل حوالي سنة 2000 ق.م.. وهذه الديموطيقية هي التي وردت على حجر رشيد تالية للهيروغليفية.

4- **مرحلة اللغة القبطية:** وهي لهجة أكثر منها لغة.. تطورت عن اللغة الدارجة الديموطيقية.. ومثلت آخر مراحل اللغة المصرية القديمة- الهيروغليفية- كما مثلت مرحلة تغريب اللغة المصرية، حيث زاحمتها اللغة اليونانية الغازية.. فمنذ حكم الملوك البطالمة الإغريق (323-30ق.م) غدت اللغة المصرية تكتب بحروف يونانية، ولم يبق من حروفها المصرية سوى سبعة أحرف لم يجدوا لها نظير في الأحرف اليونانية.. كما استخدمت في قواعدها اللغة اليونانية.. ودخلها الكثير من الكلمات، والمصطلحات اليونانية.. فغدت «هجينًا» غير خالصة الوطنية المصرية[241].

---

(241)الموسوعة الأثرية العالمية: إشراف: ليونارد كوتريل- ترجمة: د. محمد عبد القادر محمد، د. زكي إسكندر. مراجعة: د. عبد المنعم أبو بكر- طبعة القاهرة، 1977م. وانظر –كذلك-: د. أحمد عثمان ـ مجلة (الهلال) عدد يونيو1995م.

.. وذلك فضلاً عن أنها لم تكن اللغة المصرية الأم بحال من الأحوال. ولذلك، فإن هذه الدعوة إلى إحلال اللغة القبطية محل العربية- والحديث عن أنها هي «اللغة الأم» لمصر، والمصريين، هو «كذب» في العلم، كما هو «خروج» عن ثوابت الهوية، والحضارة، والتاريخ بالنسبة لكل المصريين.

ونحن نسأل الدعاة إلى هذا الانقلاب القومي، والحضاري- بمن فيهم أصحاب الأصوات العالية في المهاجر- أية فوضى يمكن أن تحدث في العالم لو انتشرت الدعوات لعودة الأمم، والشعوب إلى ماضيها السحيق الذي تجاوزه التاريخ؟!.

ولم لا تدعون الأمريكان- الذين يحتضنون دعاواكم، لحاجة في نفس يعقوب- إلى أن يعودوا إلى اللغة الأم لأمريكا- لغة الهنود الحمر- خصوصًا مع قرب العهد بسيادتها في تلك البلاد؟!. وكذلك الأمر في أمريكا الجنوبية.. واستراليا.. ونيوزيلاندا؟!.. إلخ. أم أن أمر هذه الدعوة الشاذة خاصة- عندكم- بالكيد للعروبة، والإسلام؟!- اللذين اعتنقهما المصريون جميعًا- المسلمون منهم، والمسيحيون، واليهود-؟!.

لقد غيرت كل شعوب الدنيا- تقريبًا- لغاتها، أو ديانتها.. أو غيرتهما معًا.. فهل يجوز لعاقل أن يدعوا اليوم كل الجماعات اللغوية- والتي تبلغ ألف جماعة لغوية- إلى العودة إلى اللغات الأم، التي تكلمت بها في تاريخها القديم؟!. ثم.. ما هو المفهوم الدقيق لمصطلح «الأم» و«القديم»؟!.. وهل تقودنا مثل هذه الدعوات- المجنونة- إلى السعي للعودة إلى اللغة الأم- الحقيقية- لغة آدم- عليه السلام-؟!.

إن إيطاليا قد غيرت لغتها، ودينها.. وكذلك صنعت فرنسا.. وألمانيا.. وإسبانيا.. وهولندا.. وبلجيكا.. وكذلك الشعوب في أمريكا الشمالية والجنوبية.. وفي آسيا، وأفريقيا-.. فهل يجوز لأقلية- أو حتى أغلبية- في شعب من هذه الشعوب أن تدعو للانقلاب على الواقع، والهوية، والذاتية اللغوية، والقومية، والحضارية، وتطلب الهجرة إلى مكونات التاريخ السحيق؟!.

إن فارقًا كبيرًا بين الدراسات الأكاديمية المتخصصة للغات القديمة.. لأسباب تاريخية، ومعرفية- وبين الدعوة إلى الانقلاب على الحاضر- الذي غدا هوية.. وقومية.. حضارة..وثقافة- والهجرة إلى «القديم»، الذي غيرته، وتجاوزته كل هذه الشعوب. ثم.. هل صحيح ما قاله الأنبا توماس- في محاضرته-:«إن مصر كانت تدعى دائمًا «إجيبتوس»؟.. وأن العرب لم يحسنوا نطق اسمها، فسموها «إجيبت» أي قبط؟! [242].

ـ إن هذا الذي قاله الأنبا توماس هو عين الجهل، والكذب.. فمصر كان اسمها «مصر» دائمًا.. هكذا جاء اسمها في العهد القديم، وفي العهد الجديد، وفي القرآن الكريم- قبل الفتح الإسلامي لمصر.. بل وقبل الاحتلال الإغريقي لها- في القرن الرابع قبل الميلاد-.

ولقد ذُكرت باسمها - مصر - في كتاب يوحنا النقيوسي ـ وهو شاهد عيان على الفتح الإسلامي لمصر- وفي كتاب (فتوح مصر وأخبارها) لابن عبد الحكم (257هـ 870م).. وكذلك في كل كتب التاريخ العربية والإسلامية، التي أفردت بابًا ثابتًا لـ «فضائل مصر» خصّت به كنانة الله في أرضه، وإذا جاز الأنبا توماس أن يجهل كتب التاريخ المصري- وهذا غير جائز- فكيف تأتى له أن يجهل كتابه المقدس- بعهديه القديم، والجديد-؟! لقد ورد اسم مصر، ومصرايم، ومصري، ومصريات، ومصرية، ومصريون، ومصريين، في الكتب المقدسة عند هذا الأسقف- العهدين القديم والجديد- أكثر من سبعمائة مرة! [243]، كذلك، قال الأنبا توماس- عضو المجمع المقدس.. وأسقف القوصية - في محاضرته :«**لن أقبل أن أكون عربيًا.. فأنا لست عربيًا عرقًا.. وإذا توجهت إلى قبطي وقلت له: إنه عربي، فإن هذا تعتبر إهانة!!**» [244].

(242)أتعجب من كتابة مصر في اللغة الإنجليزية هكذا Egypt، بينما يجب أن تكتب هكذا MASR أسوة بالدول الأخرى.

(243)وردت مصر ومشتقاتها714مرة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ويعتبر سفر الخروج هو أكثر الأسفار التي ذكرت فيها مصر والمصريين 138مرة، كما أن33 سفراً من جملة أسفار العهدين البالغ عدده 66 سفراً ورد فيها مصر والمصريين. يُنظر: فهرس الأعلام في فهرس الكتاب المقدس: طبعة بيروت، سنة2005م، ص676 و677؛ القمص بيشوى عبدالمسيح: مصر في الكتاب المقدس، دار القديس يوحنا الحبيبي للنشر، الطبعة الأولى، 2000م، ص9.

(244)ولقد أيد الأنبا مرقس ـ وزير إعلام الكنيسة ـ وعضو المجمع المقدس الأنبا توماس في نفي عروبة المصريين، وقال :«نحن بالفعل لسنا عربًا، ولكننا مصريون» ـ فانطلق من المفاهيم العرقية للعروبة والمصرية ـ انظر صحيفة (المصري اليوم) في 21/ 9/ 2008.

هذا فكر عنصري، يتحدث عن العرق – حديث الفاشية، والنازية– والسؤال: هل هذا الأنبا مسيحي؟!.. وهل لفكره هذا أدنى علاقة بالمسيحية؟!.. أم أن النزعة العنصرية قد قلبت حتى المسيحية عند هذه الشرذمة الطائفية الانعزالية؟!. إنه يتناسى أن الحديث عن «النقاء العرقي» لأي جماعة بشرية هو محض خلافة– ناهيك عن تناقضه مع كل ألوان الإيمان الديني– سماويًا كان، أم وضعيًا هذا الإيمان–. كما يتجاهل– هذا الأنبا– أن مصر حكمها الإغريق، والرومان، والبيزنطيون عشرة قرون، اختلطت فيها الدماء، والأنساب، والأعراق، والسلالات.. ولو قرأ هذا الأنبا تاريخ الحملة الفرنسية، والغرام الذي قام بين المعلم يعقوب حنا، وبين الجنرال «ديزيه».. و«الانفتاح» الذي تحدث عنه الجبرتي بين نساء بعض الطوائف، وبين جنود الحملة الفرنسية!.. لربما انصرف عن هذا الحديث عن النقاء العرقي! [245].

ثم.. هل المسلمون المصريون وافدون على مصر من شبه الجزيرة العربية– من نسل عدنان، وقحطان؟!. إن الدراسة «الديموجرافية»– التي صدرت عن المعهد الوطني للدراسات الديموجرافية بباريس– تؤكد أن سكان شبه الجزيرة العربية إبان الفتح الإسلامي لم يتعدوا المليون.. وأن سكان الدولة التي أسسها الفتح الإسلامي– في مصر، والشام، والعراق، وفارس– قد بلغوا 29.000.000–[246] وإذا أضيف إليهم سكان شمال أفريقيا بلغ سكان تلك الدولة– يؤمئذ– نحو40.000.000 – ومن ثم فلو هاجر كل عرب شبه الجزيرة– المليون– لما غيروا من التركيبة الديموجرافية للبلاد التي فتحها المسلمون!

(245)أجريت دراسة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية عن الأصول العرقية للشعب المصري– تقول هذه الدراسة: إن 6٪ من المصريين عرب جاءوا مع الفتح و2٪ قبائل بربرية جاءت مع الفاطميين و2٪ بدو من سكان البلاد الأصليين و2٪ بوهيميون و88٪ لعائلات مسيحية تحول 90٪ منهم إلى الإسلام– انظر« د. كامل عبد الفتاح بحيري: التطور الفكري لدى جماعات العنف الدينية في مصر، طبعة شبين الكوم، 2008م، ص230.

(246)فليب فارج، يوسف كرباج (المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي ترجمة: بشير السباعي. طبعة دار سينا– القاهرة سنة 1994م، ص25، 44– وانظر– في دعاوى أن العروبة والإسلام استعمار استيطاني لمصر، والدعوة إلى تحرير مصر منهما: د. سليم نجيب– وهو رئيس الهيئة القبطية بكندا– (الأقباط عبر التاريخ) ص184، 185– وفيه يتحدث عن برنامج «جماعة الأمة القبطية»– وكيف أن هدف هذه الجماعة هو« استرداد مصر كلها، أرضنا التي سلبت منا بواسطة العرب المسلمين منذ أربعة عشر قرناً. إن أرضنا هي مصر، ونحن سلالة الفراعنة، وديانتنا هي المسيحية، وسيكون دستورنا هو الإنجيل، وتكون لغتنا هي اللغة القبطية»– طبعة القاهرة سنة2001م.

، وإذا كانت قد تمت هجرات عربية مسلمة محدودة العدد إلى تلك البلاد، فلقد تمت إليها هجرات أرمينية، ويونانية، وقبرصية مسيحية أيضاً. وعلى الذين يقولون إن الإسلام (وافد) على النصرانية في تلك البلاد، أن يتذكروا أن النصرانية (وافدة) على تلك البلاد أيضاً.. بل هي وافدة حتى على الفاتيكان؛.. كما أن اليهودية (وافدة) على كل البلاد التي دخلتها بما في ذلك فلسطين..وإذا كانت (الأقدمية الدينية) ميزة وامتيازاً! فربما كان الفوز بهذا الامتياز هو للذين يعبدون (العجل أبيس)!! [247].

إذن.. فالعرب في مصر هم المصريون الذين تعربوا لغويًا.. وليسوا وافدين من خارج مصر.. وكذلك حال العرب في كل البلاد التي اختار أهلها التعريب اللغوي، والثقافي، والحضاري..

ولو قرأ- هذا الأنبا- ما كتبه الأسقف يوحنا النقيوسي لعلم أن أكثر من نصف الشعب المصري-عند الفتح- قد بادر إلى الدخول في الإسلام قبل تمام الفتح، وقبل دخول عمرو بن العاص (50ق.هـ-43هـ574- 664م) إلى الإسكندرية... فالنصارى الموحدون- أتباع آريوس (265-336م) الذين كانوا يؤمنون- كما يقول يوحنا النقيوسي- «إن المسيح مخلوق».. وكذلك المصريون الذين كانوا على الديانة الوثنية القديمة.. كل هؤلاء المصريين دخلوا الإسلام...والنقيوسي يوجه إليهم الانتقادات، ويصب عليهم اللعنات!. فالمصريون المسلمون هم- كالذين ظلوا على نصرانيتهم- أحفاد الفراعنة.. والجميع قد تعرب لغة، وثقافة بعد ذلك.. وبالتدرج. وإذا كانت المسيحية ترفض التمييز بين الناس على أساس العرق والدم.. فإن الإسلام قد بلغ القمة في ذلك، عندما أكد أن الناس جميعًا قد خلقوا من نفس واحدة

(247)**العجل أبيس** في الديانة المصرية القديمة، عجل قدسه قدماء المصريين في ممفيس(منف)، وكان عجل أبيس يرمز للخصوبة، وكان يعبد في منف. واعتبره قدماء المصريين روح الإله بتاح. لهذا كان يتوج بوضع قرص الشمس بين قرنيه. وتم العثور علي تماثيل برونزية له ترجع للحكم الفارسي لمصر. وكان العجل يختار أبيض اللون به بقع سوداء بالجبهة والرقبة والظهر. وكان يعيش في الحظيرة المقدسة وسط بقراته. وعند موته كان الكهنة يدفنونه في جنازة رسمية. ثم يتوج عجل آخر كاله بالحظيرة المقدسة وسط احتفالية كبرى. سعيد أيوب ابتلاءات الأمم، دار الهادي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة1419هـ، ص89؛ د.محمد عمارة: الإسلام والأقليات الماضي والحاضر والمستقبل، ص51.

.. وأن البشر قاطبة مرجعهم لآدم- عليه السلام-.. كما أكد رسول الإسلام ﷺ- أن دعوى الجنس، والعرق هي دعوى الجاهلية.. وأنها منتنة.. وأن العروبة ليست عرقًا، وإنما هي اللسان :«**ليست العربية بأحدكم من أب، أو أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي**»[248]. كما يقول هذا الأسقف: « **لقد قام بعض الناس، لأسباب معينة- الضرائب.. أو الضغوط-.. أو الطموحات- بالتحول إلى الإسلام**». وهو- بهذا القول- يتجاهل حقائق التاريخ - وهي صلبة عنيدة**!**- فمصر- عند الفتح الإسلامي- الذي حررها، وحرر نصرانيتها من القهر الروماني، والبيزنطي- لم تكن كلها مسيحية أرثوذكسية.. وإنما كانت خارطتها الدينية تشمل خمس ديانات:

1- اليهودية.

2- النصرانية الآريوسية[249] الموحدة، والتي تقول عن المسيح- عليه السلام- إنه «مخلوق»- كما نص على ذلك يوحنا النقيوسي في تاريخه-.

3- والديانة اليونانية القديمة- الوثنية.. وفلسفتها-.

4- والمسيحية الكاثوليكية الرومانية-مذهب المستعمرين البيزنطيين-.

5- والمسيحية الأرثوذكسية- التي كانت محظورة، بلا شرعية، ولا كنائس، ولا أديرة- حتى حررها الفتح الإسلامي..وحرر بطركها بنيامين (39هـ 659م) وحرر كنائسها وأديرتها.

(248)رواه ابن عساكر (3/ 203رقم2) وقال الألباني في«السلسلة الضعيفة الموضوعة(2/ 325 رقم925): ضعيف جداً، وضعفه ابن تيمية في الاقتضاء، ص169.

(249)**الآريوسية**:هي الاتجاه الموحد في المسيحية الشرقية منسوب إلى آريوس وفي ميلاده خلاف بين سنوات 256، 270، 280م. وكانت وفاته سنة 336م.جمع بين علوم مدرسة أنطاكية، ومدرسة الإسكندرية، وكان واحداً من رجال الدين في الإسكندرية، وتتميز نزعته بإنكار ألوهية المسيح، فالله عنده جوهر أزلي أحد، لم يلد ولم يولد، وكل ما سواه مخلوق حتى **الكلمة** فإنها كغيرها من المخلوقات، مخلوقه من لاشىء، وليست من جوهر الله في شىء، ولقد أدانه هو وأتباعه، ونزعته التوحيدية مجمع نيقية الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين سنة 325م ثم نصره مجمع القدس بعد عشر- سنوات.لكن الآريوسية اضمحلت بعد مجمع القسطنطينية سنة 381م. ينظر: د. محمد عمارة:الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ دار الشروق الدولية، ص7.

وإذا كان المسيحيون الكاثوليك قد رحلوا- بعد الفتح- مع الجيش البيزنطي..وإذا كان اليهود المصريون قد ظلوا- في جملتهم-على يهوديتهم.. فإن النصارى الأريوسيين- الموحدين-.. وكذلك المصريون الوثنيون- الذين عانوا من اضطهاد النصارى عليهم- قد دخلوا الإسلام بمجرد بدء الفتح الإسلامي.. وحتى قبل فتح المسلمين للإسكندرية..

ويؤكد النقيوسي هذه الحقيقة- حقيقة أن الشعب المصري- لم يكن كله أرثوذكسيًا، عندما يشير إلى الصراعات بين المكونات الدينية لهذا الشعب، قبل الفتح وأثناءه- الصراعات بين اليهود، والنصارى.. ومناصرة اليهود للفتح الإسلامي.. والصراعات الأرثوذكسية الوثنية.. والصراعات العقدية بين أهل الوجه البحري.. ومحاربة أهل مصر لأهل الوجه البحري.. كما يتحدث عن انضمام الوثنيين- الذين «كانوا يكرهون النصارى»- إلى الجيش الإسلامي، والمحاربة في صفوفه(250).

ويصادق العلامة سير توماس أرنولد (1864-1930م) على شهادة شاهد العيان الأسقف يوحنا النقيوسي، فيقول: «**وليس هناك شاهد من الشواهد على أن تحول القبط عن دينهم القديم، ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعًا إلى اضطهاد، أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين. بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط- (أي المصريين)- إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حيث كانت الإسكندرية- حاضرة مصر يومئذ- لا تزال تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة**(251).

* وبعد كل هذه المغالطات، والجهالات يعترف الأنبا توماس- في محاضرته: « بأن عقلية مصر قد تحولت بالكامل إلى عربية، وإسلامية.. وإذا تسنى لك زيارة مصر فلا تجد فرقًا بين مسلم، ومسيحي، حيث يتقابل الناس، ويعاملون بعضهم بالمودة، والمحبة في الشارع، والمواصلات، والمدارس.. لكنك على الجانب الآخر ستجد أشخاصًا آخرين لهم مواقف أخرى**!**»

---

(250)يوحنا النقيوسي: تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، ص125و129 و206- 209 و223 ترجمة ودراسة وتعليق: د. عمر صابر عبد الجليل - طبعة القاهرة، 2000م.

(251)توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص123 و124م، ويؤكد «بتلر» على هذه الحقيقة - حقيقة أن النصارى المصريين الموحدين وجدوا في الإسلام النصرانية الحقيقية- فيقول: «لقد وجدوا في الإسلام المسيحية الحقة التي بشر بها المسيح والحواريون، ومن ثم لم يحسوا أنهم يخونون المسيح باعتناقهم الإسلام» ينظر:فتح العرب لمصر، ص387 - ترجمة: محمد فريد أبو حديد - طبعة الهيئة العامة للكتاب سنة 1999م؛ د. محمد عمارة: الفتنة الطائفية متى وكيف ولماذا؟ ص71.

* إذن.. فالدعوة العنصرية- دعوة النكوص إلى ما قبل أربعة عشر قرنًا- هي دعوة للخروج على عقلية مصر كلها، وإلى الصدام مع ذاتيتها الكاملة، وهي دعوة تريد شق صف شعب «لا فرق فيه بين مسلم ومسيحي»، لحساب بعض الأشخاص الآخرين!! باعتراف الأنبا توماس!- الحائز على جائزة «مركز الحرية الدينية» الصهيوني- بمعهد هديسون- اليميني- في أمريكا الإمبريالية سنة 1992م؟!.

إن العروبة- في مصر- هي خيار الشعب المصري، بكل دياناته.. ولقد غدت هذه العروبة ثقافة الأمة كلها، والرابطة التي تربط مصر بمحيطها العربي الكبير.. فهي خيار وطني.. ورابط قومي.. ومقوم من مقومات الأمن المصري.

وإن الإسلام- في مصر- هو خيار ديني لأكثر من 95٪ من المصريين.. وهو خيار حضاري لجميع المصريين- النصارى منهم والمسلمين-..وإذا كانت العروبة، والإسلام وافدين على مصر منذ أربعة عشر قرنًا.. فكذلك المسيحية وافدة على مصر.

وقد تبنى حديثا حملة تغيير هوية مصر العربية المفكر القبطي، والمحامي ممدوح نخلة- الذي يشغل منصب رئيس مركز الكلمة لحقوق الإنسان- أن منظمته تعد حالياً لإطلاق حملة حقوقية، وشعبية لتغيير مسمى الدولة المصرية.. طالب منظمو الحملة إعادة صياغة المادتين الأولى، والثانية من الدستور المصري، واستفتاء الشعب على هذه الصياغة[252]، واستنكر نخلة ما قام به الرئيسان جمال عبد الناصر، ومحمد أنور السادات بتغيير اسم مصر إلى الجمهورية العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية، واعتبره بمثابة تحد لهوية مصر، وخصوصيتها التاريخية، والحضارية. ووصف ما فعله عبد الناصر، والسادات بأنه كان أسوأ مما فعله بها العثمانيون الذين غيروا اسم الدولة المصرية إلى ولاية مصر.

وقال نخلة : إنه ملتزم بجمع مليون توقيع مصري لمطالبة مجلس الشعب بتعديل مسمى الدولة إلى مصر فقط دون كلمة «العربية.. وأكد أنه لا يجوز الطعن أمام المحاكم لإحداث هذا التعديل لأن تغيير اسم الدولة لم يكن عبر قرار إداري حتى يمكن الطعن عليه.

(252)ما يزيد عن95٪من المصريين يدينون بالإسلام هذه هي نتيجة الاستفتاء!!.

تأتي هذه الحملة استجابة للدعوة التي أطلقها مؤخرًا الدكتور كمال فريد إسحق على موقع الأقباط متحدون لتغيير مسمى الدولة إلى مصر دون «العربية»[253] .

وفي الوقت الذي يتطلع فيه العقلاء لتهدئة الأوضاع خرج علينا الأنبا بشوى سكرتير المجمع المقدس في محاضرته لتثبيت الإيمان في الفيوم، وهاجم بعض آيات القرآن، وزعم أنها أضيفت بعد موت الرسول، واتهم عثمان بوضعها!!!.

أقول: طبيعي أن يصدر من رجل لا يؤمن بالقرآن كوحي سماوي، والرد عليه في هذه الجزئية وغيرها سهل، وميسور ولكن هذا ليس مجاله لكن الغريب أن يزعم أن مصر بلد الأقباط، وأن المسلمين ضيوف عليهم»، والحق ما كنت أعتقد أن تصدر عن رجل مثله حيث تجاوز كل الخطوط بكافة ألوانها، واخترق جميع السقوف.

وقد توالت ردود الأفعال الغاضبة فقد تقدم115 محامياً في بلاغ رسمي للنائب العام، بإلقاء القبض على المواطن المصري مكرم إسكندر نقولا، المترهبن باسم توما السرياني وشهرته الأنبا بيشوى، سكرتير المجمع المقدس، لارتكابه جريمة ازدراء أحد الأديان السماوية هو الدين الإسلامي.

وقال البلاغ إن بيشوي منذ فترة يطلق تصريحات تثير الفتنة بين المسلمين، والنصارى غير آبه بأمن الوطن، والمواطن.

(253)أحمد الليثي: علمانيون وأقباط يطلقون حملة لتغيير اسم مصر وجعل القبطية لغة رسمية بجانب العربية. انظر: مصراوي: الثلاثاء28 يوليو2009م.

وقد قدم البابا شنودة اعتذاراً للمسلمين عن التصريحات التي أدلى بها مؤخرا الأنبا بيشوى، وشكك خلالها في صحة آيات قرآنية، وأضاف أنه لم يكن يعلم بمضمون المحاضرة التي ألقاها الأنبا بيشوى في مؤتمر تثبيت العقيدة، والتي أثارت عاصفة واسعة من الغضب بين المسلمين، قائلاً:« لو كنت أعلم بما سيذكره الأنبا بيشوى لرفضته»، وشدد على أن التصريحات التي أدلى بها الأنبا بيشوى سكرتير المجمع المقدس حول أن المسلمين ضيوف على النصارى ربما كتبت بغير فهمها، أو بغير قصدها، قائلاً:« الأرض ملك الله، وكلنا ضيوف عليه، ولا نستطيع أن نقول أن المسلمين ضيوف للأقباط، إنني مستعد أن أقول إننا نحن النصارى ضيوف على أخوتنا المسلمين فهم الأغلبية». واستطرد «أنا أسف جداً أن يحدث جرح لشعور أخواننا المسلمين، ومستعدون لترضيتهم بأي طريقة، لكن كون أن نشعر أنهم مستاءون من شيء فهذا أمر يؤسفنا، لأننا باستمرار علاقاتنا مع المسلمين علاقة طيبة[254].

وقد فتح الدكتور محمد سليم العوا[255] النار على الأنبا بيشوى الرجل الثاني في الكنيسة المصرية، وسكرتير المجمع المقدس، بعد تصريحاته التي قال فيها :«إن الأقباط أصل البلد، والمسلمين ضيوف عليهم».

وطالب العوا خلال حديثه لبرنامج «بلا حدود» الذي يقدمه الإعلامي أحمد منصور على فضائية «الجزيرة» الإخبارية، بيشوى بسحب تصريحاته، والاعتذار عنها، مشدداً على أن مثل هذه التصريحات لا يجب أن تصدر عن أسقف مسئول عن المجلس الإكليركي..وطالب بمحاسبة بيشوى عن هذه التصريحات كنسياً، متسائلاً كيف يقول مسئول مثل بيشوى تصريحاته هذه، والتي جاء فيها أيضاً :«عندما نتحدث في هذا الأمر يقول المسلمون هذه بلدنا وتريدوننا ألا نتحدث عن السياسة في بلدنا فأنتم معشر المسلمين ضيوف علينا»، وتساءل العوا

(254)في مقابلة على القناة الأولى بالتليفزيون المصري في برنامج «وجهة نظر» الذي يقدمه الإعلامي عبد اللطيف المناوي مساء الأحد الموافق26 سبتمبر2010م. ينظر:جريدة الأهرام: الثلاثاء 19من شوال 1431هـ 28 سبتمبر2010م، العدد45221.

(255)قبل الترشح للرئاسة بالطبع.

:«كيف يقول إن المسلمين ضيوف على أرض مصر بينما يشكلون96٪ من سكان مصر، ويعيشون على أرض مصر منذ14 قرنًا، واتهم العوا بعض رجال الكنيسة، وعلى رأسهم الأنبا بيشوى بمحاولة أحداث فتنة طائفية في مصر، وملأ النفوس بالضغينة، والكراهية، نافياً ما روج له بيشوى بمساعي المسلمين إلى حكم الكنيسة، رغم كون الكنيسة وبموجب الدستور تعتبر مرفق من مرافق الدولة المصرية، وتحكم بموجب الدستور، والقانون المصري التي تسعى الكنيسة لاختراقه.

وانتقد العوا التصريحات التي تصدر عن بعض المسئولين الكنائسيين الذين يؤكدون أن انتقاد البابا شنودة «خط أحمر» لا يجوز الاقتراب منه، مشيراً إلى أن الدستور والقانون ليس فيه خطا أحمر.

وقال :«هذه التصريحات تصدر عن مسئولين في الكنيسة من عينة الأنبا بيشوي وهم يسعون لجعل «الكنيسة فوق الدولة» وهذا وضع «مرفوض وخاطئ»، مشيراً إلى أنه عندما ينقلب الهرم، وتصبح الكنيسة رغم أنها «جزء من الدولة» فوق الدولة، فسوف تنهار الدولة، بحسب قوله.

وشدد العوا على أن ما حدث مع وفاء قسطنطين، وماري عبد الله هي قضايا انتهاك حقوق الإنسان، والحرية الشخصية، وانتهاك للمعتقدات التي يحميها الدستور، مشيراً إلى أن هناك ملفات حول هذه الانتهاكات، وأن هذه الانتهاكات لا تسقط بالتقادم، وسيحاكم عنها مرتكبيها بموجب الدستور مهما طال الزمن.

ونبه العوا على أن الكنيسة تحولت إلى إمبراطورية موازية للجمهورية المصرية، ولا يستطيع أحد التدخل فيما تفعله، مستدلاً بتصريحات الأنبا بيشوى التي أكد فيها على أن ما يحدث داخل الكنيسة لا يحق لأحد التدخل فيه، وأعرب العوا عن أسفه لتورط جوزيف نجل وكيل مطرانية بورسعيد بطرس الجبالاوي، ونجل الأنبا إسناسيوس مطران كنيسة «مرمينة» في جلب **سلاح من إسرائيل** بموجب ما ضبطته أجهزة الأمن لتخزينها في الكنائس، لمحاربة أبناء وطنه من المسلمين**!!!!**.وقال إن ضبط هذه الشحنة تعني كارثة محققة، خاصة وأن عرف أجهزة الأمن يؤكد أن ضبط شحنة تعني مرور20 شحنة سابقة غيرها.

وانتقد تعامل وسائل الإعلام مع مثل هذه القضايا بسياسة «تعتيمية»، موضحاً أن كل قضية يشم فيها رائحة الإسلام تنشر على أكبر مساحة، في حين يتم تجاهل القضايا الهامة مثل هذه القضية التي تهدد الأمن القومي المصري، على الرغم من أن النائب العام منع جوزيف نجل وكيل المطرانية من السفر إلى الخارج.

وقال العوا :«إن من يحرض أمثال هؤلاء من عينة جوزيف هي تصريحات الأنبا بيشوى الذي قال في أحد تصريحاته :«إننا على استعداد للاستشهاد في حالة إذا حدث تدخل في شئون الكنيسة»، وتساءل العوا متعجباً من هذه التصريحات اللامسئولة :«من هو الطرف الذي سيحاربه كي يستشهد أمامه غير أبناء الوطن من المسلمين؟.

وأرجع العوا تدهور العلاقة بين المسلمين والأقباط إلى عام2003 الذي أسلمت فيه السيدة وفاء قسطنطين، وقامت الدولة بتسليمها إلى الكنيسة بعد أن أصرت على إسلامها، على الرغم من «جلسات النصح» التي عقدتها الكنيسة بعضوية كل من الأنبا بيشوي، والأنبا موسى وآخرين، وأكد العوا على أن الأجهزة الأمنية تعرف الدير الذي تحتجز فيه وفاء، وتعرف مسار يومها من الصباح إلى المساء، مكذباً ما أدلى به الأنبا بيشوى من أن وفاء قسطنطين مسيحية.. قال :«كانت هناك محاولات امتدت على مدى11 يوماً لإقناع الكنيسة بأن وفاء أسلمت، ولا يجب تسليمها، ولكن كانت الكنيسة أقوى من الجهة المفاوضة، وهو ما اضطر هذه الجهة إلى تسليم وفاء.

وتابع العوا :«لقد بدأت وتيرة التصعيد في موقف الكنيسة ضد الدولة منذ قرار المحكمة الإدارية العليا التي نصر الأنبا شنودة على الرئيس السادات، وإعادته إلى كرس البابابوية، وتشكيل مجلس ملي لإدارة الكنيسة حتى عام2003م والذي شهد ذُروة التوتر بحادثة وفاء قسطنطين، وأشار إلى أن ما يزيد مشاعر المسلمين تأججاً هو المطالبات الكنسية بتحجيم العمل الإسلامي التطوعي، والعام مثل :التعليم الإسلامي، والخدمات الطبية الإسلامية، وغيرها من النشاطات التي لا تستهدف المسلمين فقط كما يدعي بعض رجال الكنيسة»أ.هـ.

أقول :إن ما قاله الدكتور محمد سليم العوا كلام خطير جداً، ولا ينبغي أن يمر هكذا بدون محاسبة، ومساءلة، لقد نُشر هذا الحوار، والذي قبله على شاشات الفضائيات، وهو موجود على مواقع الإنترنت، والسكوت عليه يعد جريمة كبرى في حق هذا الوطن، فإما أن ما قاله العوا صحيح وبالتالي يجب محاسبة المتورطين في هذه الأقوال، والأعمال حتى ولو كان رأس الكنيسة، وإما أن تكون هذه الأقوال غير صحيحة فيجب محاسبة من روج لها، ونشرها بصورة حاسمة، وقاطعة.

وللإنصاف فإن هذا السلوك من أقباط المهجر، أومن قيادات الكنيسة لا يزال يجد من يعترض عليه من عقلاء الأرثوذكسية الذين يؤكدون على الانتماء العربي لمصر، وأن الأقباط الأرثوذكسية هم جزء من النسيج المصري العربي، وأنهم ينتمون إلى الثقافة، والحضارة العربية الإسلامية وأنهم يرون أن سلوكيات هؤلاء تقود الكنيسة والمسيحية في مصر إلى كارثة فلن ينفع المسيحيون في مصر إلا الصلة الطيبة بإخوانهم المسلمين، وأن استخدام الورقة الخارجية والاستقواء بالأمريكان هو سلوك غير أخلاقي، وغير مضمون العواقب أيضاً[256].

(256)د. محمد مورو: الاختراق الأجنبي عن طريق الأقليات، ص25 بتصرف.

فرض العلمانية

العلمانية هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهى اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم، والمذهب العلمي[257]، وكلمة العلمانية اصطلاح غربي يشير إلى انتصار العلم على الكنيسة النصرانية التي حاربت التطور باسم الدين[258]، ولفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو (Secularite) بالفرنسية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ العلم، ومشتقاته على الإطلاق، فالعلم في الإنجليزية، والفرنسية معناه (Science) والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة (Scientism) والنسبة إلى العلم هي (Scientific)، أو (Scientifique) في الفرنسية.

والعلمانيون في معظمهم يعادون الشريعة الإسلامية؛ لأنهم ينطلقون من مفاهيم تغريبية ترى أن فصل الدين عن الدولة هو القاعدة الأصلية، وأن مرجعية الشريعة الإسلامية أمر لا يتفق مع المساواة في المواطنة، ولا يتفق مع روح العصر، ولا مع قيم العولمة، ولا مع التطور الديمقراطي المزعوم، ويجب أيضاً أن نفرق هنا بين أنواع العلمانيين؛ فالليبراليون، واليساريون بحكم تكوينهم الفكري غالباً ما يكونون علمانيين، أما القوميون فمعظمهم غير علمانيين، ومن ثم فإن العلمانيين منهم هم فقط الذين يريدون إلغاء تلك المادة من الدستور، أما غير العلمانيين من القوميين فيعتبرون الشريعة الإسلامية إحدى ركائز القومية العربية، أما غير المسلمين فالمسألة بالنسبة لهم مُركّبة، فهناك من النصارى المصريين من يتمسك بالشريعة الإسلامية باعتبار أن ذلك جزء من تراثهم الحضاري، فهم على حد قول السياسي النصراني المصري المعروف مكرم عبيد «**مسيحيون ديناً، مسلمون وطناً**.

(257)الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص367؛ د.عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، الطبعة الأولى،1423هـ/ 2002م، 219.

(258)ناصر بن عبدالله القفاري: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دارالصميعي، الرياض، الطبعة الأولى،1413هـ/ 1992، ص103.

وهناك كتابات للأستاذ رفيق حبيب – وهو ابن قس مصري معروف– يدافع فيها عن الشريعة الإسلامية[259].

الغريب أن هناك من النصارى في الداخل من يرقص على أنغام أقباط المهجر، ويطالبون بعلمانية مصر، ورفضها الدين في جميع مناحيها كحل زعموا للاحتقان الطائفي، فهذا القمص مرقص عزيز، كاهن الكنيسة المعلقة يقول :«**نحن نؤيد قيام الدولة العلمانية**[260]، **وإبعاد الدين عن السياسة، واحترام الأديان، وإلغاء كل المظاهر التي تميز بين المسلم، والمسيحي مثل : بطاقة الهوية، فما معنى وجود خانة الديانة فيها، مما يؤدي إلى عدم حصول المسيحيين على الوظائف التي ينالها إخوانهم المسلمون**[261].

قال الدكتور محمد عمارة[262]:«وإذ كانت هذه التحديات التي تواجه الأقليات في واقعنا الراهن.. ويواجه بها المشروع (الاستعماري– الصهيوني) أمتنا، محاولاً استخدام (أوراق) هذه الأقليات لتفتيت الأمة، فما هو الحل الذي نواجه به هذه التحديات؟؟.. إننا إذا استثنينا (حل) التجزئة والتفتيت للأمة، على أسس دينية، ومذهبية، وقومية– لأنه ليس (حلاً) وإنما هو (المشكلة والتحدي)– فإن هناك مشروعين يتم الحديث عنهما لتحقيق التحصين لجسد الأمة ضد هذه التحديات:

أولهما: الحل العلماني، الذي يبشر به العلمانيون، والذي يتصور أصحابه أن (العلمانية) التي تستبعد المرجعية الإسلامية من السياسة، والدولة، والقانون، والدستور، ومشروع النهضة– (هي الحل لمشكلة الأقليات) في بلادنا، كما مثلت– برأيهم– الحل لهذه المشكلة في النموذج الحديث، والمعاصر للمجتمعات الغربية.

---

(259)د. محمد مورو: الاختراق الأجنبي عن طريق الأقليات، ص 58– 59.

(260)فرض العلمانية قد يصلح ويتماشى مع المسيحية، لكنه والإسلام لا يجتمعان.

(261)انظر موقع العربية : www.alarabiya.net/about.html.

(262)د.محمد عمارة: الإسلام والأقليات، ص43: 53 بتصرف يسير.

وثانيهما: هو الحل الإسلامي، الذي بدأ به الإسلام التعامل مع (الآخر) كل ألوان (الآخر)، والذي حول الإسلام به هذا (الآخر) إلى جزء من (الذات) ذات الدين الإلهي الواحد، في ظل المرجعية الإسلامية الواحدة.. وهو النموذج، والحل.. والذي كان له الفضل في إنقاذ أهل الديانات الأخرى من الإبادة، حتى لكان وجودها، وبقاؤها في الشرق هو (هبة) هذا الحل الإسلامي.. كما أنه هو الحل الذي عرفته الأمة، واندمج به (الآخرون) مع المسلمين في أمة واحدة، عبر هذا التاريخ الطويل.

والحل العلماني[263]يمثل مأزقاً، وليس حلاً لما يسمى (بمشكلات الأقليات)، فالعلمانية وافد غربي، يستبعد المرجعية الإسلامية، التي هي هوية الأمة، والتي تتمسك بها الأغلبية، وقطاعات واسعة من الأقليات[264].. فاستبدال العلمانية بالمرجعية الإسلامية هو- في الحقيقة- بمثابة فرض قطاع محدود من الأقلية- أي أقلية الأقلية!- رأيه على أغلبية الأمة!.. وتحويل هذه الشريحة إلى (فيتو) ضد أغلبية الأمة، وهويتها، وتاريخها!..وفي هذا تعميق للشقاق على أسس طائفية، وتحقيق لمقاصد التحديات، وليس حلاً نواجه به هذه التحديات.. فضلاً عن أنه نفي وإلغاء لجوهر الديمقراطية التي يجتمع حولها ويتمسك بها الجميع، والتي تعطى الوزن المناسب لرأى الأغلبية في تحديد مقومات المجتمع، طالما إنها لا تنقص من عقائد الأقليات وحقوقها.. وفوق كل ذلك، فإنه يبدو غريباً الدعوة إلى العلمانية وهى وافد غربي- لحل مشكلة الأقليات، بعد أن سقطت، وأفلست كل الحلول الغربية الوافدة، التي أضاعت أمتنا قرنين من عمرها وهى تجرب النهوض وفق نماذجها!.

(263)للدكتور محمد عمارة الكثير من الكتب التي تفضح العلمانية والعلمانيين منها: الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين، ونهضتنا الحديثة بين الإسلام والعلمانية، وهل الإسلام هو الحل، والشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية.

(264)في استفتاء أجراه «المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية» في مصر، كانت أغلبية الأقباط مع تطبيق الشريعة الإسلامية على كل الأمة، أقباطا ومسلمين- الأهرام، في6- 3- 1985م؛ د.محمد عمارة: الإسلام والأقليات، ص43.

وإذا كان الحديث عن أقليات دينية، فإن المرجعية الإسلامية- التي عاشت في ظلالها هذه الأمة أربعة عشر قرناً- كانت في أغلبها (العالم الأول) على ظهر هذه الأرض ليست بديلاً لما تدين به هذه الأقليات، حتى تكون تعدياً على حريتها في الاعتقاد الديني؛ لأن هذه المرجعية الإسلامية تترك هذه الأقليات وما تدين به، وتقتصر بتطبيقاتها على الجانب المدني، والقانوني، والسياسي، الذي ليس له مناظر في النصرانية، التي تدع ما لقيصر لقيصر، وتقف عند ما لله، وخلاص الروح، ومملكة السماء، ففقه المعاملات الإسلامي هو اجتهادات بشرية، في ظل منظومة القيم الإيمانية التي لا تختلف باختلاف الشرائع السماوية المتعددة، والاجتهادات فيه مفتوحة أبوابها لكل أصحاب العطاء القانوني على اختلاف الديانات التي يتدينون بها.. فكما جعل الإسلام شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم ينسخها التطور التاريخي، فتح الباب أيضاً أمام كل أبناء الأمة على اختلاف مللهم للإسهام في البناء لحضارة الإسلام.. ومن ثم فهو يفتح كل الأبواب أمام عقول الأمة للإسهام في بلورة المشروع النهضوي المتميز لهذه الأمة- الأقليات منها والأغلبيات-.. ومن هنا تصبح المرجعية الإسلامية، فيما وراء ما جاءت به النصرانية من عقائد، حلولاً (وطنية.. وقومية.. وحضارية) لكل أبناء الأمة، تجمعهم على هوية حضارية واحدة، ومشروع نهضوي واحد، فيصبح نهوضهم المعاصر المنشود امتداداً لتاريخهم في النهوض، والازدهار الحضاري، ويصبح فقه (الشافعي) (150-204هـ767-820م) فقهاً وطنياً بالنسبة لكل المصريين، لا يمكن أن يتقدم عليه فقه نابليون، الذي جاء غازياً، وقاهراً لكل المصريين، وكذلك الحال مع فقه (أبى حنيفة) (80-150هـ956-767م) في العراق.. وفقه الإمام مالك(93-179هـ712-795م) في أقطار المغرب العربي.

إن وطنية النصراني الشرقي لا يمكن أن تفضل القانون الروماني، قانون (جستنيان) والذي اضطهد النصرانية الشرقية، على فقه (الليث بن سعد) (94-175هـ،713- 719م) الذي أفتى بأن بناء الكنائس هو من عمارة البلاد، وأكثر من هذا.. فلقد مثلت العلمانية عندما طبقت في تركيا- بعد إسقاط الخلافة الإسلامية سنة1924م- نكبة على الأقليات الدينية والقومية، ولم تكن حلاً لمشكلاتها بأي حال من الأحوال، ويكفي أن نعلم أن نسبة النصارى في سكان الخلافة العثمانية سنة1550م قد كانت41.8٪.. وإنها ظلت حتى بعد انفصال، واستقلال بلاد البلقان تمثل19.1٪ من السكان سنة1914م.. فلما جاءت العلمانية أجهزت على هذه الأقلية النصرانية، فلم يبق منها في1991م سوى2٪من السكان!.. [265]وحتى الاضطهاد، وما يقال عن (الإبادة) التي حدثت للأرمن سنة1915م فإن مرتكبيها هم العلمانيون من قادة (الاتحاد والترقي) الذين انقلبوا على المرجعية الإسلامية للخلافة العثمانية.

أما حال الأكراد، في ظل هذه العلمانية التركية التي يريدونها حلاً لمشكلات الأقليات فهو لا يقل سوءاً- رغم إسلامهم- عن حال النصارى، فهم محرومون من الحديث بلغتهم، فضلاً عن التعليم، والكتابة بها!، ومحرومون من أن يسموا أبناءهم، وبناتهم بالأسماء التي يريدون!! [266].

إن الأقليات غير المسلمة- وكذلك المسلمة- قد عاشت، وتعايشت، وازدهرت في ظل المرجعية الإسلامية، في ظل شريعة (لهم ما لنا، وعليهم ما علينا).. ولم تعرف المشكلات إلا في ظل الاستعمار، وغواياته، وفي ظل العلمانية التي جلبها إلينا هذا الاستعمار- وصدق (الأنبا موسى) عندما قال عن حال أقباط مصر في ظل الخلافة العثمانية:«**حينما تذكر الأقباط أيام الدولة العثمانية، كانوا مع إخوانهم المصريين لهم دور مشترك.. وكثير من الأقباط عملوا وشاركوا بشكل واضح في الحياة السياسية في عهد محمد علي..**» [267].

(265)د. سعد الدين إبراهيم: الملل والنحل والأعراق، القاهرة،1990م ص529-534.

(266)لم يتحسن وضع الأكراد في تركيا في ظل أي حكومة علمانية، وقد بدأ يلوح في الأفق انفراجة في الملف الكردي في ظل حكومة حزب العدالة والتنمية. انظر: للمؤلف: الجذور الصوفية وآثارها في صعود التيار الديني المحافظ تركيا دراسة حالة، رسالة ماجستير مقدمة لمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية – جامعة الزقازيق2009م.

(267)في استفتاء أجراه فليب فارج، يوسف كرباج (المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي) ص 216.

بل إن هذه العلمانية، ذات النشأة الأوروبية، قد تحولت إلى مأزق أوروبي للمسيحية في أوروبا، وجعل مجتمعاتها فراغاً دينياً، انصرف فيه أغلبية الناس عن الإيمان الديني، حتى لتغلق الكنائس وتباع!.. ثم عجزت هذه العلمانية عن أن تملأ هذا الفراغ، وتجيب على أسئلة النفس الإنسانية التي يجيب عنها الدين.. وبشهادة القس الألماني- عالم الاجتماع- الدكتور (جوتفرايد كونزلن):« **فلقد نبعت العلمانية من التنوير الغربي.. وجاءت ثمرة لصراع العقل مع الدين، وانتصاره عليه، باعتباره مجرد أثر لحقبة من حقب التاريخ البشرى، يتلاشى باطراد في مسار التطور الإنساني.. ومن نتائج العلمانية: فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً..وزوال أهمية الدين كسلطة عامة لإضفاء الشرعية على القانون، والنظام، والسياسة، والتربية، والتعليم.. بل وزوال أهميته أيضاً كقوة موجهة فيما يتعلق بأسلوب الحياة الخاص للسواد الأعظم من الناس، وللحياة بشكل عام.. فسلطة الدولة، وليست الحقيقة هي التي تصنع القانون.. وهى التي تمنح الحرية الدينية. ولقد قدمت العلمانية الحداثة باعتبارها ديناً حل محل الدين المسيحي، يفهم الوجود بقوة دنيوية هي العقل، والعلم لكن وبعد تلاشى المسيحية في أوروبا، سرعان ما عجزت العلمانية عن الإجابة على أسئلة الإنسان، التي كان الدين يقدم لها الإجابات، فالقناعات العقلية، أصبحت مفتقرة إلى اليقين، وغدت الحداثة العلمانية غير واثقة من نفسها، بل وتفكر أنساقها- العقلية والعلمية- عدية ما بعد الحداثة.. فدخلت الثقافة العلمانية في أزمة، بعد أن أدخلت الدين المسيحي في أزمة، فالإنهاك الذي أصاب المسيحية أعقبه إعياء أصاب كل العصر العلماني الحديث، وتحققت نبوءة (نيتشه) (1844- 1900م) عن (إفراز) التطور الثقافي الغربي لأناس يفقدون (نجمهم) الذي فوقهم، ويحيون حياة تافهة، لا يعرف الواحد منهم شيئاً خارج نطاقه.. وبعبارة (ماكس فيبر) (1864-1920م): «لقد أصبح هناك أخصائيون لا روح لهم، وعلماء لا قلوب لهم!.. »**.

لقد أزالت العلمانية السيادة الثقافية للمسيحية عن أوروبا، ثم عجزت عن تحقيق سيادة دينها العلماني على الإنسان الأوروبي، عندما أصبح معبدها العلمي عتيقاً!.- ففقد الناس (النجم) الذي كانوا به يهتدون[268]!».

هكذا تحدث (قس.. وعالم اجتماع) عن تحول العلمانية- في بلاد نشأتها- إلى مأزق، عندما هزمت الدين الإلهي ثم لحقت الهزيمة (بدينها الطبيعي) ففقد الناس النجم الذي به يهتدون!.

وفي هذا الإطار، علينا أن نتذكر ونُذكر بالكلمات العاقلة، والحكيمة التي رأت وترى (جوامع الإسلام) في الشريعة والحضارة- باعتبارها جوامع الأمة، وليست (خصوصية) للمؤمنين- بالإسلام، دون الآخرين.. أن نتذكر كلمات البابا (شنودة الثالث) بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية التي قال فيها:« **إن الأقباط في ظل حكم الشريعة الإسلامية، يكونون أسعد حالاً، وأكثر أمناً، ولقد كانوا في الماضي حينما كان حكم الشريعة هو السائد.. نحن نتوق إلى أن نعيش في ظل (لهم ما لنا، وعليهم ما علينا).. مصر تجلب القوانين من الخارج حتى الآن، وتطبقها علينا، ونحن ليس عندنا ما في الإسلام من قوانين مفصلة، فكيف نرضى بالقوانين المجلوبة، ولا نرضى بقوانين الإسلام؟»**[269].

ولقد رحب البابا شنودة أخيراً بالحلول الإسلامية التي يقدمها الفقه الإسلامي لمشكلات الأسرة المسيحية- ومنها قانون «الخلع»، وقال- رغم معارضات متعصبة ترفض «الخلع » لا لشيء إلا لمصدره الإسلامي!-: « **إن الخلع مبدأ موجود منذ القدم في الشريعة الإسلامية، ولم يكن عديد من الناس على معرفة به، وبمقتضى مبدأ الخلع من حق المرأة أن تطلب الانفصال عن زوجها لأسباب تبينها للمحكمة، منها استحالة الحياة الزوجية بينهما.. وإذا كان قانون الخلع يسمح للمرأة المسلمة بأن تستفيد من هذا الوضع، فما المانع من أن تستفيد منه المرأة المسيحية؟ فالمعروف في القانون هو عمومية القانون، فلا نطبقه في حالة لفائدة البعض، ونرفضه في حالة أخرى لفائدة البعض الآخر. إذن، الخلع يسمح للمرأة، مسيحية كانت، أو مسلمة، أن تتخلص من الزوج «المتعب»، وبخاصة لو كانت هناك أسباب تجعل استمرار الحياة المشتركة بينهما مستحيلاً[270]».**

(268)جو تفرايد كونزلن :مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا، تقديم: د محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة 1999م، ص28، 31، 32، 36.

(269)الأهرام في 6-3- 1985م.

(270)الأهرام في 26- 3-2002م.

فالوحدة الوطنية من مقوماتها- بعد وحدة منظومة القيم، ووحدة المدرسة- ووحدة المحكمة، ووحدة القانون، طالما لم يكن هناك نص ديني قطعي، وجلي مخالف للشريعة العامة الشريعة الإسلامية-.. ففيما يتعلق بمثل هذا النص يترك غير المسلمين، وما يدينون..أما في فقه المعاملات- ومنه أغلب قوانين الأحوال الشخصية..وكل القوانين المدنية، والجنائية، والتجارية والدولية- فالفقه الإسلامي فيها قانون مدني عام لكل الأمة، على اختلاف عقائدها الدينية..وأن نتذكر كذلك، كلمات القائد الوطني «مكرم عبيد باشا»(1307-1380هـ1889-1961م) التي يقول فيها: «**نحن مسلمون وطناً، ونصارى ديناً.. اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك وللوطن أنصاراً.. واللهم اجعلنا نحن نصارى لك، وللوطن مسلمين**[271]..».

ولقد فصل هذه الحقيقة أبو القانون المدني الحديث، القاضي العادل، الدكتور «عبد الرزاق السنهوري باشا »(1313-1391هـ1895-1971م) عندما تحدث عن «جامع الإسلام»..وشريعته..وفقه المعاملات فيه «باعتبارها مقومات الوحدة للأمة جمعاء»، فقال: «**إن الإسلام دين ومدنية..والمدنية الإسلامية لا تعنى مجتمعاً من المسلمين فقط، وإنما تعنى مجتمعاً ذا طابع فذ من المدنية قدمها لنا التاريخ كثمرة للعمل المشترك، ساهمت فيه جميع الطوائف الدينية التي عاشت، وعملت معا جنباً إلى جنب تحت راية الإسلام، والتي قدمت لنا بذلك تراثاً مشتركاً لجميع سكان الشرق الإسلامي.. إن المدنية الإسلامية هي ميراث حلال للمسلمين، والنصارى، واليهود من المقيمين في الشرق، فتاريخ الجميع مشترك، والكل تضافروا على إيجاد هذه المدنية..والشريعة الإسلامية لا ينبغي الاقتصار على كونها صالحة لتطبيقها على المسلمين وحدهم في العصر الحاضر، بل على غير المسلمين أيضاً، وذلك دون إرغام غير المسلمين على إتباع خلاف عقائدهم.. ولذلك يجب أن تكون حركة إحياء الشريعة الإسلامية مبنية على أساس لا يتناقض مع هذه المعتقدات.. وأن يشترك في هذه الحركة الإحيائية، إلى جانب المسلمين غيرهم من الشرقيين غير المسلمين، القانونيين منهم والاجتماعيين.. وأن نطبق قاعدة: إن الشريعة الإسلامية تكملها الشرائع الأخرى ما لم تتناقض معها هذه الشرائع**[272]».

---

(271)د. محمد عمارة :الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين، ص150.

(272)د. عبد الرزاق السنهوري:الأوراق الشخصية في تاريخ:11- 11-1922م و17-10- 1923م و18- 10- 1923م. و 24- 2- 1924م. إعداد: د. نادية السنهوري، د. توفيق الشاوي. طبعة القاهرة، سنة 1988م.

فالعلمانية ليست الحل.. بل إنها هي «المأزق» الذي يشكو منه عقلاء الأوروبيين، والغربيين الذين شربوا كأسها المسموم.. وحرام أن يظل العلمانيون في بلادنا مثل أصحاب قرون الظلام.. يبشرون «بالحداثة الغربية» بعد أن تجاوزها أصحابها إلى عدمية وتفكيك «ما بعد الحداثة»!!.. ويدعون إلى العلمانية، بعد أن أفلست في المجتمعات التي نشأت فيها، وشهد العالم، ويشهد صحوات دينية حتى عند أهل الديانات الوضعية، ورأينا ونرى «اللغة الدينية» و«المقاصد الدينية» تسود حتى في ميادين السياسة بالبلاد التي ظننا أنها علمانية حتى النخاع!.

إذن، يجب أن نتوجه جميعاً إلى الشرق، وأن نحذر، ونتخلص من غوايات الغرب.. وأن نخلص الولاء، والانتماء لمقومات حضارتنا الواحدة الجامعة، الحضارة الإسلامية، التي ورثت، واستوعبت، وأحيت كل المواريث الحضارية التي سبقت ظهور الإسلام، والتي شاركت في بنائها كل شعوب الشرق، على اختلاف عقائدها الدينية.. فالتغريب، والغوايات الغربية، والاختراق الغربي لأمن أمتنا القومي، والحضاري- هي المخاطر المحدقة بوحدتنا الوطنية، والقومية، والحضارية.

ولنتذكر كلمات شهيد الحرية عبد الرحمن الكواكبي(1270-1320 هـ1854-1902م)- قبل قرن من الزمان-: «**يا قوم، أليس مطلق العربي أخف استحقاراً لأخيه من الغربي؟!.. هذا الغربي قد أصبح مادياً لا دين له غير الكسب، فما تظاهره مع بعضنا بالإخاء الديني إلا مخادعة وكذبا، فالذين يطاردون الدين- (بالعلمانية)- في بلادهم، لا تكون دعواهم الدين في الشرق إلا كما يغرد الصياد وراء الشباك!** [273]».

فنحن جميعاً شرقيون، حضارة، ومدنية، وقيماً.. وبعبارة «السنهورى باشا» : «.. **فالشرق بالإسلام، والإسلام بالشرق، وإنها لشيء واحد.. وأمتنا ذات مدنية أصيلة هي أكثر تهذيبا من المدنية الأوروبية.. وليست هي الأمة الطفيلية التي ترقع لمدنيتها ثوبا من فضلات الأقمشة التي يلقيها الخياطون**»[274].

(273)عبد الرحمن الكواكبى :الأعمال الكاملة. دراسة وتحقيق: د محمد عمارة، بيروت، 1975م، ص208.

(274)جريدة السياسة في14/ 10/ 1932م. والأوراق الشخصية في تاريخ11/ 11/ 1922م. و28/ 8/ 1923م.

وإذا كان أسلافنا قد علمونا :«**أن صلاح آخر هذه الأمة لن يكون إلا بما صلح به أولها** ».. فإن المنهاج الإسلامي الذي جعل «الآخر» جزءاً من «الذات»- ذات الأمة.. والرعية.. والدولة.. والقومية.. والحضارة- بل والدين الإلهي الواحد، مع الاختلاف في الشرائع، هو أصلح المناهج لبناء الوحدة الوطنية، والقومية، والحضارية لشعوب الأمة الإسلامية، هذه الوحدة التي نواجه بها مختلف الغوايات، وجميع التحديات.

وعلينا أن نتذكر- كمنطلق لنا في هذا المقام- كلمات رسول الإسلام، ورحمة الله للعالمين، وخاتم النبيين، والمرسلين، والمصدق لما جاءوا به أجمعين، ومحرر الشرق، والشرقيين، وباني نهضة هذه الأمة، عندما أعطى العهد، والميثاق لغير المسلمين، **أن يكونوا «مع المسلمين أمة واحدة، بينهم النصر، والنصح، والنصيحة، والأسوة، والبر دون الإثم.. لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا شركاء فيما لهم، وفيما عليهم.. وأن أحرس دينهم، وملتهم بما أحفظ به نفسي، وخاصتي، وأهل الإسلام من ملتي..»**. ذلك هو دستور العدل، والإنصاف لوحدة الأمة، مع كل الحقوق والحريات في التنوع الديني، في ظل الولاء والانتماء لحضارتنا المشتركة والواحدة.. حضارة الإسلام. فقد سحبت العلمانية اللادينية، والفلسفة المادية البساط من النصرانية، وأصبحت النصرانية في أوروبا كالبيت الخرب تنعق فيه البوم، والغربان.

وإذا كان رفاعة الطهطاوي (1216-1290هـ-1801-1873م) عندما عاش في باريس(1826-1831م) قد وصف إفلاس تلك الكنائس الغربية عندما تحدث عن علاقة الأوروبيين بالنصرانية فقال: «**إن أكثر أهل المدينة - باريس- وبلاد الإفرنج- ليس لهم من دين النصرانية إلا الاسم فقط، حيث لا يتبعون دينهم، ولا غيرة عليه، بل هم من الفرق المحسنة، والمقبحة بالعقل وحده، أو من الإباحيين الذين يقولون: إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب، ولذلك فهم لا يصدقون بشئ مما في كتب أهل الكتاب لخروجه عن الأمور الطبيعية، ولهم في الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية، وحياتهم مشحونة بكثير من الفواحش، والبدع، والضلالات**[275].

(275)الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي: دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة، بيروت سنة 1973م، 1/ 544.

إذا كانت هذه هي شهادة الطهطاوي على خراب البيت النصراني الغربي منذ ذلك التاريخ.. فإن وقائع العصر الحاضر تشهد على عموم هذا الخراب فنقول وبالأرقام:-

*إن الذين يؤمنون- في أوروبا- بوجود إله في هذا الكون- مجرد وجود إله لا يتعدون14٪ من الأوروبيين!..

*والذين يذهبون إلى القداس مرة في الأسبوع في فرنسا بنت الكاثوليكية، وأكبر بلادها أقل من5٪ من السكان- أي أقل من ثلاثة ملايين- أي أقل من نصف عدد المسلمين الفرنسيين!.

*و10٪من الكنائس الإنجليزية معروضة للبيع لعدم وجود مصلين!.

*وفي جمهورية التشيك لا يذهب للقداس الأسبوعي إلا 3٪ من السكان، ولذلك فإن50٪ من الكنائس زائدة عن الحاجة، ومعروضة للبيع!.

*وفي ألمانيا توقف القداس في100كنيسة- من350كنيسة- في أبريشية «آيسن» وحدها..الأمر الذي دفع السلطات إلى تحويل الكنائس إلى أغراض أخرى!.. وكثير من الكنائس التاريخية في أوروبا قد تحولت إلى ملاهي، ومطاعم يغني فيها المغنون.. بعد أن تحولت مذابحها إلى أفران للبيتزا، وأغلبية الغربيين لا يلتزمون في حياتهم الخاصة، والعامة بمنظومة القيم النصرانية، والعلمانية، والدنيوية التي حولت الإنسان إلى شيء يعيش لإشباع غرائزه، وشهواته قد دمرت الأسرة فأدخلت الكثير من الشعوب الأوروبية في «**نفق الانقراض الديموجرافي**» حتى إن بلاداً مثل: ألمانيا، وإيطاليا، وأسبانيا تزيد فيها نسبة الوفيات عن نسبة المواليد.. وهي مهددة بالانقراض في نهاية هذا القرن كما يقوا بابا الفاتيكان بنديكتنوس السادس عشر على حين نجد المسلمين في ألمانيا وهم3٪ من السكان بلغت نسبة مواليدهم10٪ من المواليد في العشر سنوات الأخيرة!..[276].

(276)انظر في هذه الحقائق: «نيوزويك – الطبعة العربية- العدد 27/ 2/ 2007م، و«لواشنطون بوست» و«صحيفة الدستور» في22/ 9/ 2007م، و«البصائر الجزائرية» عدد4/ 12/ 2006م و« الشرق الأوسط»عدد26/ 4/ 2006م.

ولقد أدى هذا الإفلاس الكنسي الذي أشرنا مجرد الإشارة إلى طرف من نماذجه، ومعالمه إلى إفلاس كنسي أكبر، وأفدح قاد هذه الكنائس الغربية إلى خيانة سجيتها كما يقول الشيخ محمد الغزالي (1235-1416هـ1917- 1996م) فغدت هذه الكنائس تتعايش مع الشذوذ الجنسي!.. وتغض الطرف عن انتشاره ومهرجاناته!.. ومن هذه الكنائس من يزوج الشواذ زواجاً دينياً في محاريب الكنائس!..بل ومنها من يقود قداديسها، ويؤدي الخدمة الدينية فيها- باسم يسوع- قساوسة شواذ!.. وذلك فضلاً عن تستر كثير من هذه الكنائس على فضائح الشذوذ الجنسي في الكنائس، والأديرة!..

وأمام هذه المستنقعات التي غرقت فيها كثرة من الكنائس الغربية، وأمام هذا الإفلاس..رأينا ونرى قمة العبثية، واللامعقول... فبدلاً من أن تصلح هذه الكنائس من شأنها، وترمم، وتعمر بيوتها.. وتعمل على إعادة تنصير شعوبها.. رأيناها تعمل في دأب محموم على تنصير المسلمين مستغلة الكوارث التي يصنعها الاستعمار[277].

إن أوروبا بسبب غياب الدين تعيش موجة من الإلحاد، وتغط في إباحية عفنة فقد نشرت مجلة (نوفيل أوبسيرفاثير) الفرنسية في عددها16/ 12/ 1980م مقالاً مطولاً عن الدعارة، والعهر المنتشر في فرنسا كصناعة متعددة الأشكال، وكان مما ذكرته بأن الدعارة أصبحت توفر العمل لحوالي(30 ألف فتاة)، وتدر أرباحاً طائلة تحصل الدولة فيها على نصيب الأسد، وبحديث الأرقام هذا جدول يوضح حجم المبالغ التي تدرها مدن فرنسا كنموذج:

المدينة	المبلغ	المدينة	المبلغ
بوردو	3 بلايين فرنك فرنسي	مارسيليا	سبعة بلايين فرنك
جرينوبل	بليون ونصف فرنك	أزير	ثمانية بلايين فرنك

كما توجد شركة في مرسيليا لصناعة الأحذية رأسمالها من الدعارة، وأودعت في حسابها بالبنك أكثر من سبعة ملايين فرنك خلال أربع سنوات.

(277)د. محمد عمارة: الفارق بين الدعوة والتنصير، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الإسماعيلية،2007م، ص11.

ونظراً لضعف القوانين الوضعية، وتراخيها ضد الدعارة فقد ترك بعض المهربين للمخدرات مجالهم الخطير، وتوجهوا للعمل في بيوت الدعارة لأن العهر أكثر ربحاً، وأخف عقوبة. وذكرت المجلة في مكان آخر بأن هناك عاطلين عن العمل يقومون بالدعارة (اللواط) وبعضهم يعملون مع فتاة ما لجلب الزبائن.

وفي مدينة نيس الفرنسية تم إغلاق خمارة مؤخراً وصودرت ممتلكاتها لأن الفتيات كن يستقبلن فيها أكثر من (60) زبوناً في اليوم بطريقة غير رسمية، وغير صحيحة!!. كما أن بعض الشبان العاطلين عن العمل في مدينة مارسيليا يعملون كصبيان لدى العاهرين، ويتعلمون المهنة في نفس الوقت كما أن بعض البنات العاهرات يتخذن من هؤلاء الشباب العاطلين حارسين شخصيين ضد الزبائن المجرمين.

أما علاقة الدولة مع العاهرات فهي علاقة مصالح حيث تطالبهم الدولة بدفع ضرائب دورية منتظمة بعد أن يقوم كل منهم بإشعار الجهات الرسمية بمكانتها، ومهنتها والشيء الذي يدعو للاشمئزاز أكثر هو أن الدولة تسعى أحياناً لمطالبة بعض الفتيات بدفع تلك الضرائب حتى بعد أن يتركن مهنة الدعارة ليقمن بعمل شريف، ولو بأقل أجر... هذه هي حضارة القرن العشرين.. الدعارة، والعهر، والسقوط الأخلاقي الكبير!.

صدق أولا تصدق!!

ومن أطرف ما ابتدعه الأمريكان لمحاولة إعادة العفة هذا الخبر الغريب فقد أعلنت منظمة أمريكية تسمى :«**برنامج التربية من أجل العفة قبل الزواج**» عن منح جائزة قيمتها10ألاف دولار لكل خطيبين لا يوجد بينهما علاقة قبل الزواج، في إطار تشجيع المنظمة لثقافة العفة بين الشباب الأمريكي، وذكرت صحيفة «واست فرانس» الصادرة في باريس أن المنظمة قد حددت آخر موعد للتقدم للحصول على الجائزة التي تشترط عذرية الخطيبة قبل ليلة الزفاف في31 أكتوبر2008م.

وصرحت «فيليبا فوست» مديرة المنظمة أن الجائزة تهدف إلى تشجيع الشباب الأمريكي على عدم إقامة علاقات غير شرعية قبل الزواج بعد أن أصبح نادراً العثور على شباب يحترم العفة قبل الزواج، كما اشترطت المنظمة على المتقدمين لنيل الجائزة عدم تقديم المشروبات الكحولية في حفل الزفاف على أساس أن الخمور من أكثر العوامل التي تساعد على انتشار الرذيلة بين الشباب.

ودعمت الحكومة الفيدرالية الأمريكية المنظمة في مطالبتها للشباب بالعفة قبل الزواج بمبلغ مالي قيمته 3 ملايين دولار لمدة خمسة أعوام يخصص جانب منها لتوعية طلبة المدارس بضرورة «**الزواج الأبيض**» أي الامتناع عن إقامة علاقات جنسية قبل الزواج، اللافت أنه لم يتقدم حتى الآن أي خطيبين للفوز بالجائزة(278).

فهل يريد العلمانيون- بسبب الأقليات الدينية أن ندخل في هذا الطريق، (وهذا المأزق) الذي دخل فيه الغربيون؟!.. وهل تفيق النصرانية في بلادنا، فتعلن رفضها (لكأس السم) الذي تجرعته النصرانية الأوروبية.. وتدرك أن منظومة القيم الإيمانية- التي تتفق فيها كل الأديان- لا بد أن تكون لها السيادة في حياتنا، وأن الشريعة الإسلامية هي أوعى للنصرانية، والنصارى من العلمانية، والعلمانيين؟! (279).

تجاهل الحالة والتكتم عليها

كنت من أكثر المؤيدين لعدم نشر أخبار الخلافات التي تحدث أحياناً بين بعض المسلمين، وبعض النصارى، لكن اليوم وفي ظل هذا الانفتاح الغريب، والعجيب، والسريع في وسائل الإعلام المرئية، المسموعة، والمقروءة، وانتشار القنوات الفضائية المتحررة من كل قيد؛ ووجود هذا الشبكة العنكبوتية المذهلة التي أحدثت ثورة في عالم الاتصال بحيث أصبح العالم كالقرية الصغيرة، لم يعد من المناسب تجاهل هذه المشكلة، فما لم يُنشر هنا يُنشر هناك، وما لم يُذاع هنا يُذاع هناك، وما كان يخفيه تامر أمين، وخيري رمضان لن يتوانى عن نشره الآخرون، بل بالعكس فإخفاء الأخبار، والأحداث في القنوات الشرعية الرسمية يتيح الفرصة للقنوات الأخرى التي ربما نشرته بصورة مبالغ فيها، فتحقق سبقاً إعلامياً، وتضع القنوات الأخرى في حرج شديد، وتفقدها مصداقيتها، وتزيد المسألة تعقيداً.

(278)انظر:العفة قبل الزواج مقابل10آلاف دولار، جريد الأخبار المصرية السبت، 3ذو القعدة1429هـ1نوفمبر 2008م العدد3339 السنة64.

(279)د. محمد عمارة: الإسلام والأقليات الماضي والحاضر والمستقبل، ص47.

لا سبيل إلى تخطي هذه الأزمة إلا بمواجهة أسبابها، بأقصى قدر ممكن من الصراحة، والشجاعة، والحسم لأن أي سكوت، أو مداراة على تلك الأسباب هو بمثابة تجاهل لألغام مزروعة في الجسم العربي، والإسلامي، وإذا كان قد قدر لبعض هذه الألغام أن ينفجر بأشكال، وأحجام مختلفة في بعض الدول العربية: لبنان، ومصر بالأخص فيعلم الله أين، وكيف ستكون الانفجارات التالية إذا استمر الحال على ما هو عليه[280].

فنحن نواجه موقفاً يتهدد المسلمين، وغير المسلمين، والاستسلام له سيقود الجميع إلى قاع اليم، والسكوت عليه اشتراك في الجريمة يقترب من التواطؤ والتستر، وليس أمامنا– إذا أردنا لأنفسنا بقاء، واستمراراً – إلا أن نستجمع القوى، ونتشبث بما تبقى من خير، وعقل لدى هذه الأمة، لنثبت، ونقاوم، ونمسك بالزمام قبل أن يفلت.

ولا سبيل إلى تخطي هذه الأزمة إلا بمواجهة أسبابها، بأقصى حد ممكن من الصراحة، والشجاعة، والحسم.

جمع النصارى في محافظة أو مكان واحد

من الحلول التي لا تصنف إلا على أنها حلول متطرفة، وجاهلة جمع النصارى في محافظة واحدة، وتكون لهم استقلالية كدولة داخل دولة، والهدف الرئيس من ذلك هو: تقسيم مصر إلى دويلات، وهذا هو بيت القصيد. إن الهدف الرئيسي إشعال الحرائق في قلب وطننا.. الهدف ممارسة ضغوط من بعض مرتزقة الأقباط في الخارج[281].

فليكن تقسيم مصر، أو على الأقل إقامة دولة للأقباط في جزءها الجنوبي ولو باتحاد كونفيدرالي مع النوبيين، فقد نشر موقع يشرف عليه (مايكل منير)– رئيس منظمة أقباط الولايات المتحدة– مقالاً طالب فيه أحدهم بحصول الأقباط على حق تقرير المصير مثلما حدث لجنوب السودان، وكتب يقول : «نطالب الأقباط بتبني السعي لدى الأمم المتحدة، والدول الصناعية الكبرى لتخيير الأقباط بين خيارين في استفتاء دولي حر:

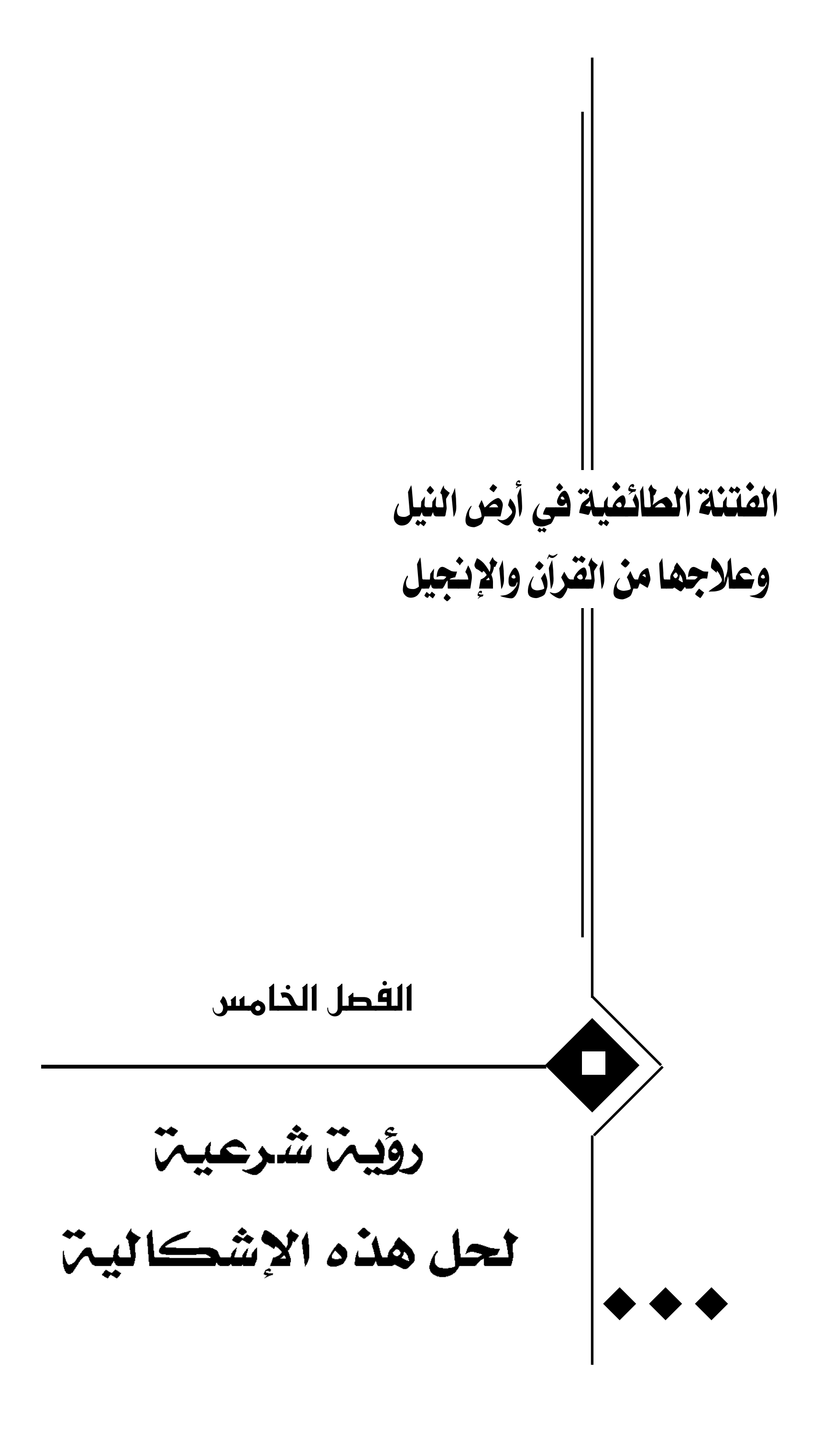
(280)فهمي هويدي: مواطنون لاذميون، دار الشروق، الطبعة الثالثة،1999م، ص7.

(281)أحمد عبد الهادي ـ رئيس حزب شباب مصر، انظر جريدة شباب مصر – جريدة إلكترونية تصدر يومياً على شبكة الانترنت، بتصرف.

الأول: البقاء بمصر موحدة مع وضع الشروط، والضمانات الدولية للحفاظ على ممتلكاتهم، وحقوقهم، وتوزيع عادل للمناصب، والثروات في دولة ديمقراطية علمانية تضمن نظامها الأمم المتحدة.

الخيار الثاني: الانفصال بجزء من مصر، وجزء من الثروات، وتكوين دولة مستقلة يحميها المجتمع الدولي بعد أن عرف العالم حقيقة خطة الإبادة المنظمة ضد الأقباط، هكذا يزعم.





الفصل الخامس

رؤية شرعية لحل هذه الإشكالية

بعد هذه الجولة السريعة جاء وقت وضع الحلول الشرعية لهذه الإشكالية، وهو اجتهاد أرجوا أن يكون صاحبه مأجور، كما أرجو أن يسهم في تخفيف حدة التوتر، والاحتقان بين المسلمين والنصارى في مصر.

احترام النصوص المقدسة لكل ديانة:

العمل على احترام النصوص المقدسة لكل ديانة، وعدم أهانتها بالقول، والفعل، ففي الإسلام ينهى القرآن صراحة عن سب من يدعو غير الله –تعالى- وعلل ذلك بأن لا يكون ذريعة إلى سب الله تعالى، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[282].

وفي أول لقاء بين الإسلام، والنصرانية عندما استقبل رسول الله وفد نصارى نجران بالمدينة المنورة(10هـ/ 631 م) كان احترام الإسلام لمقدسات الآخرين الدينية معلماً من المعالم البارزة التي أرساها الإسلام في النظر، وفي التعامل مع هؤلاء الآخرين.

ولم يكن ذلك مجرد سماحة من الرسولﷺ –، ولا محض سياسة في التعامل مع هؤلاء الآخرين غير المسلمين.. وإنما كان– فوق ذلك وقبله- انطلاقاً من الإيمان الديني الإسلامي الذي لا يكتمل إلا بالاعتراف بكل الشرائع، والكتب التي يتعبد بها هؤلاء الآخرون، فالمسلمون يتلون في قرآنهم الكريم قول الله تعالى – وصفاً لهم: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[283].

(282)(الأنعام/ 108).

(283)(البقرة/ 285– 286).

وكتابهم – القرآن الكريم- قد جاء مصدقاً لما بين يديه من وحي الله – سبحانه وتعالى- إلى جميع الرسل والأنبياء فالوحي القرآني هو الفصل الخاتم، والجامع المفصل في سلسلة الوحي الإلهي على مر تاريخ الرسالات، والنبوات، وفي هذا الوحي القرآني يصلي المسلمون، ويسلمون على كل الأنبياء والمرسلين..ويعظمون الهدى، والنور الذي أنزل الله على موسى- في التوراة - وعلى عيسى- في الإنجيل- ويؤكدون على الانتماء إلى ملة أبي الأنبياء، الخليل إبراهيم-عليه السلام-.

لهذا الإيمان الديني الإسلامي- الذي أسسه للسماحة الإسلامية- كان احترام الإسلام، والمسلمين لكل مقدسات أصحاب المقدسات الدينية منذ اللحظة الأولى للقاء الإسلام بأهل الكتاب- من اليهود والنصارى- وطول تاريخ الإسلام، بل إن هذه القاعدة الإسلامية قد طبقها السلمون مع أهل الديانات الوضعية – ومع مقدساتهم- انطلاقاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم - :«**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ**» [284]... فاحترم المسلمون الخصوصيات الدينية، ودور العبادة لأهل تلك الديانات، وعاش في عالم الإسلام، وحضارته المجوس، والبوذيون والصابئة، والهندوس، وكل ألوان الطيف الديني- مع أهل الديانات السماوية يتعبدون في معابدهم التي احترمها، وصانها، وقدسها الإسلام والمسلمون[285].

وإني أتعجب من قيام مجموعات تنصيرية في أول شهر رمضان سنة 2005م بتوزيع اسطوانة مدمجةCD على شباب الجامعات في:القاهرة والإسكندرية، والمنصورة، وبنها كُتب عليها:**هدية رمضان!!!** واتضح أن هذه الاسطوانة تحوي مسرحية سافلة مثلت في أحد كنائس الإسكندرية بعنوان:« **كنت أعمى والآن أبصر** » تحكي قصة شاب نصراني أسلم، ثم اكتشف أن الإسلام ديانة شيطانية- على حد قوله- فعاد للنصرانية، وحاول المسلمون قتله لكنه نجا ببركة العذراء!!، وقد أدت هذه المسرحية إلى قيام الكثير من المسلمين بمهاجمة الكنيسة التي عرضت بها، واستمرت أحداث العنف أكثر من شهر كامل[286]، ماذا نطلق على هذا العمل؟، وهل ينتظر هؤلاء أن يجنوا من ورائه عماراً، أو استقراراً؟.

---

(284)تقدم تخريجه.

(285)د.محمد عمارة: هذا هو الإسلام، الشروق الدولية، الطبعة الأولى2005م،3/ 9: 10.

(286)جريدة الميدان: 6/ 10/ 2005م، العدد625.

ومما يؤسف له أنه من المسلمين من يعني، ويهتم بمشاعر النصارى، ولا يعني بمشاعر المسلمين من قريب، أو بعيد، وأذكر نموذجاً هنا:**عادل إمام**. فقد استضاف الإعلامي محمود سعد عادل إمام في برنامج (البيت بيتك) فصال، وجال، وكان مما قال:«إنه عندما عزم على فيلمه الجديد(**حسن ومرقص**) والذي تدور أحداثه عن شيخ مسلم– حسن– ورجل دين نصراني– مرقص– جمعتهما الصداقة، والمحبة في الهروب من المتعصبين الذين يريدون التربص بهما، ومحاولة قتلهم لأعز ما تملكه مصر وهو وحدتها الوطنية، أقوم في الفيلم بدور مرقص، ويقوم عمر الشريف بدور حسن.

وقال عادل إمام:«...ذهبت إلى الكاتدرائية بالعباسية، وقابلت البابا شنودة، لأستأذن القيام بدور القسيس!!!، لاسيما بعد أن حذرني المقربون من أداء هذا الدور، إلا أن البابا شنودة رفض باعتبار أن القسيس له مكانة خاصة، وزي خاص، فاستأذنت أن أقوم بدور أستاذ في اللاهوت!! فوافق البابا على الأخير[287].

وفي المؤتمر الصحفي الذي عقد مساء يوم13فبراير2008م بسينما جود نيوز بمناسبة بدأ تصوير فيلم: حسن ومرقص أكد عادل إمام أيضاً أنه قبل الانتهاء من كتابة السيناريو عقد لقاءات مطولة مع البابا!!، وتحدث عن أشياء تفصيلية في العقيدة المسيحية حتى لا يقدم شيئاً خاطئاً!!!، وقد رحب البابا بالموضوع، وأعطانا كل التسهيلات...» [288]. الأمر الذي جعل الدكتور نبيل لوقا بباواي يُثّمن له هذا العمل؛ فكتب في جريدة الجمهورية :«**حيوا معي عادل إمام، وعمر الشريف، والوحدة الوطنية**»[289].

وأنا وكل عاقل لا يعترض على هذا، فللبابا شنودة كل الحق في الحفاظ على صورة، ومظهر رجال الدين النصراني، وهذا موقف يحمده له كل نصراني، ولكن لماذا لم يصنع عادل إمام مع شيخ الأزهر ما صنعه مع البابا شنودة ؟!!.

(287)جريدة الأهرام:13صفر/ 1428هـ/ 20/ 2/ 2008م، العدد44270.

(288)جريدة الأهرام المسائي:7صفر1428هـ14/ 2/ 2008م، العدد6136.

(289)د.نبيل لوقا بباواي: حيوا معي عادل إمام وعمر الشريف والوحدة الوطنية، جريدة الجمهورية: الثلاثاء 28محرم1428هـ5/ 2/ 2008م، العدد19762.

لقد أجلب عادل إمام- بحجة محاربة الفكر المتطرف- بخيله، ورجله على كل ما هو ديني، بدءًا من الاستهزاء بالمشايخ، والحجاب، واللغة العربية، واللحية في الكثير من أعماله السينمائية مثل :(الإرهابي، الإرهاب والكباب، زوج تحت الطلب– طيور الظلام- أمير الظلام- الواد سيد الشغال– شاهد ما شفش حاجة... وغيرها من الأعمال[290].

وفي فيلم **الإرهابي** تحديداً أظهر صور المتدين بكل الصفات السيئة، والمتناقضة في نفس الوقت: كذاب، وقاتل، ومكفر، وفي نفس الوق

ت سارق، وشهواني، يراقب أفخاذ النساء، وفي المقابل يظهر صورة النصراني بكل السجايا الطيبة فهو ينتمي لأسرة متدينة لدرجة أنها لا تشاهد التلفاز حتى في مباريات الكرة، ولا أنكر أن هناك نصارى محافظين، لكن هناك أيضاً من النصارى من يرتكب المحرمات، والمخالفات فهل يجرؤ عادل إمام، أو غيره أن يظهر صورة النصراني بصورة لا تليق كما يفعل مع المسلمين؟ [291].

(290)أحياناً كنت ألتمس العذر لعادل إمام بسبب الهالة الإعلامية الضخمة التي تحيط به من ناحية، ومن ناحية أخرى سكوت العلماء عن مخالفاته، وتجاوزاته، وقد حذرني أحد إخواني المقربين بعدم الحديث عن عادل إمام، وقال إنه دولة!!!.

(291)شن الداعية الإسلامي الشيخ خالد الجندي هجوماً عنيفاً على الفنان عادل إمام وقال : إنه لا يزيد عن «حتة ممثل، وليس زعيماً، وإذا كان زعيماً، فهو زعيم على نفسه، وليس على الشعب».وقال الجندي، بحسب ما جاء في تصريحاته على قناة أزهري الفضائية، أن عادل إمام دائماً ما يقدم اللحية، والجلباب في كل أعماله الفنية على أنهما صوراً للإرهاب، والتشدّد الديني، وانتقد الجندي فِيلم عادل إمام «الإرهابي» من حيث استخدامه فيه للألفاظ الإسلامية بشكل كوميدي، وكانت النتيجة من ذلك أنها أصبحت «إفيهات» رائجة لدى رجل الشارع. وأعرب الجندي عن استيائه الشديد من تصوير شخصية الإرهابي المسلم التي لعبها عادل إمام في الفِيلم على أنها مزدوجة الشخصية من حيث أنها لا تصلّي فرضاً واحداً، وأعجبت بالخمر بعدما شربته، ويرغب في ارتكاب الزنا، واستنكر خالد الجندي رد عادل إمام عليه في إحدى المرات بأنه فنان عالمي، موضحاً أنه لم ينل أي جائزة عالمية، كما استهزأ بقوله في برنامج «البيت بيتك»: «**إنه سيدخل الجنة لمجرد أنه يُضحك الناس**. وأكد خالد الجندي أنه مستعد لإجراء مناظرة مع عادل إمام على الهواء مباشرة بشأن تحرشه الدائم بدعاة الإسلام، والحديث عن التاريخ الثقافي للسينما المصرية، موضحاً أنه متذوق جيد للفن، وحاصل على المركز الثاني في الفنون التشكيلية بمصر. وقال الجندي موجهاً كلامه لعادل إمام بقوله:«أنا لست «هلفوت» ولا «منسي»، وليس لي زعيم آخر يا عادل سوى واحد فقط في بلدي».

لقد دأب عادل إمام حتى في بداياته على مهاجمة المتدينين فلم ينس الناس مشهد المدرس الأزهري الذي تراقص في مسرحية **مدرسة المشاغبين**، ولن أحدثكم عن الأثر التربوي السيئ الذي تركته هذه المسرحية في الأوساط التعليمية.

لقد استهزأ بالمأذون[292]، وكشف عن ساقيه، واستهزأ باللغة، وبموقف سيدنا سفيان بن حرب في غزوة بدر، وذكر أنه غير طريق القافلة إلى طريق صلاح سالم**!!** [293].

ويتكرر موقفه من المأذون[294]لدرجة أن المأذون ينسب للقرآن ما ليس منه، فيقول قال الله – تعالى- :**(أَبْغَضُ الْحَلاَلِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الطَّلاَقُ)** [295]وهذا حديث ضعيف بإجماع العلماء، وليس آية من كتاب الله، ولا أحسب أن مؤذوناً واحداً يجهل هذا، بل لا يجهل هذا أي طفل مسلم في المرحلة الابتدائية**!** والسؤال كيف مرَ هذا العمل على الممثلين، والمصورين، والمنتجين، والمخرجين، والمشاهدين، وأين مقصلة المراقبين**!!**؟.

وقد عمل في الكثير من أعماله[296]على الترويج لفكرة المحلل التي ترفضها الشريعة الإسلامية قولاً واحداً، دون الإشارة من قريب، أو من بعيد إلى عدم مشروعية هذا العمل.

وأجدني بحاجة ماسة أن أهدي لعادل إمام، وفريق العمل في فيلم **(زوج تحت الطلب)** ومسرحية **(الواد سيد الشغال)** نص ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: «**دين الله أزكى، وأطهر من أن يُحرم فرجاً من الفروج حتى يستعار له من تيس من التيوس، لا يرغب في نكاحه، ولا في مصاهرته، ولا يرغب بقاؤه مع المرأة أصلاً، فينزو عليها، وتحل بذلك، فإن هذا بالسفاح أشبه منه بالنكاح، بل هو سفاح وزنا، كما سماه أصحاب رسول الله ﷺ –، فكيف يكون الحرام محللاً؟**»

(292)أتحدى أن يخلو عمل فني من السخرية بالمأذون.

(293)في مسرحية الواد سيد الشغال.

(294)في زوج تحت الطلب.

(295)**ضعيف**:أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (2/ 638 رقم1056) ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم(44).

(296) على سبيل المثال: زوج تحت الطلب، ومسرحية الواد سيد الشغال.

أم كيف يكون الخبيث مطيباً؟، أم كيف يكون النجس مطهراً؟، وغير خاف على من شرح الله صدره للإسلام، ونور قلبه بالإيمان أن هذا من أقبح القبائح التي لا تأتي بها سياسة عاقل، فضلاً عن شرائع الأنبياء، لاسيما أفضل الشرائع، وأشرف المناهج، والله- سبحانه وتعالى- أعلم، وأحكم من أن يشرع مثل هذا، ولما رأت القلوب السليمة، والفطر المستقيمة أن حقيقة هذا حقيقة السفاح، لا النكاح، لم تلق له بالاً، فصار يتولد من فعل هذا من المفاسد أضعاف مفاسد المتعة[297].

ويتواصل مسلسل السخرية بالشعائر الدينية فلن يجد من يهزئ بهم إلا المصلين فيركب طائرة، وهو **أعمى**[298]، وأثناء ركوع المصلين تمر الطائرة من فوقهم، فيخرجون من الصلاة بدعاء غريب... ولم ينس عادل إمام السخرية من اللحية، والدعاء في الكثير من أعماله السينمائية[299]، والتي لا أكون مبالغاً لو قلت :إنه قل أن يخلو عمل من أعماله من النيل من الإسلام، وشعائره، ورجاله، وهديه[300].

الغريب أن يشن عادل إمام هجوماً صارخاً على ما أطلق عليهم الدعاة الجدد، أو دعاة الفضائيات، واستنكر أنهم يحصلون على أجر مقابل هذا العمل، وتعجب من وجود إعلانات كبيرة في الميادين تدعوا الناس لمتابعتهم. على الرغم أن عادل إمام « يتقاضى أعلى أجر في السينما المصرية والعربية، ويصل أجره إلى14 [301]مليون جنيه في الفيلم الواحد.!!.

---

(297)ابن تيمية: الفتاوى الكبرى3/ 347، 348.

(298)في فيلم أمير الظلام.

(299)على سبيل المثال: طيور الظلام – الإرهابي– الإرهاب والكباب- يقول في فيلم: حنفي الأبهة:«**عمتي من عائلة محافظة تصدق إن عمتي مربيا دقنها!!**.

(300)ولم تسلم الشهور الإسلامية هي الأخرى من سخريته فتجده مرة: رجب فوق صفيح ساخن، وتارة أخرى: شعبان تحت الصفر، وأخيراً: رمضان فوق البركان!!!.

(301)أرسل الصحفي محمود معروف تلكس إلى عادل إمام في جريدة الجمهورية الخميس24 شعبان5أغسطس2010م، جاء فيه: اللهم لا حسد..أجرك30مليون جنيه في مسلسل «العراب»..همه لامؤاخذة يجيبوا كام كيلو لحمة؟!.

بالطبع فإن المشايخ، والعلماء، والدعاة داخل المساجد، وخارجها على شاشات الفضائيات، أو خارجها لا يحصلون مجتمعين على ربع ما يحصل عليه عادل إمام في فيلم واحد**!!!!**. فالأول يعيش حياته بما فيها من ملذات يتقلب بين أحضان الممثلات الفاتنات، ويطبع على شفاههن مئات القبلات[302]ناهيكم عن اللمسات، والغمزات، والإيحاءات لدرجة أنه تذوق حتى الدنمركيات**!!!**.

قال طارق الشناوي :«تستطيع أن ترى آخر أفلام عادل إمام «**بوبوس**» لن تعثر سوى على لهاث لا ينقطع من «عادل إمام» لكي يغازل شباك التذاكر بالكلمة، والموقف، ودائماً وسيلته المؤثرة هي: العري، والجنس، والفياجرا اللعب بهذه المفردات هو طريق «عادل» لكي ينتزع الضحكات... هذا هو على الأقل ما يعتقده..دائماً أقراص الفياجرا لا تغادر جيبه يدفعها كرشوة على سبيل المساعدة لكل من يقابله ولا شيء أبعد من ذلك؟**!!** [303].

أما الدعاة فعلى الرغم من سمو رسالتهم، ودورهم الكبير، والخطير إلا أنهم يعيشون غربة حقيقية فإذا ذكروا في الإعلان فللهمز واللمز. فإذا كان عادل إمام صادق، وجاد في حرصه على الوحدة الوطنية، ووأد الفتنة الطائفية فيجب عليه أن يراعي المشاعر الدينية للمسلمين، فلا يجرح عقيدتهم، وشعائرهم، ورموزهم بالفعل كما صنع مع النصارى.

إن ما قاله عادل إمام في (البيت بيتك) وفي المؤتمر الصحفي جعل الكثيرون يتساءلون هل الحديث عن النصرانية، وشعائرها الدينية حرام، ويجب الاستئذان فيه أولاً، أما في الإسلام فبرد، وسلام أن ننهش فيه، وفي أحكامه، وشعائره، ورموزه؟.

(302)في مسرحية الواد سيد الشغال نالت رجاء الجداوي وحدها منه عشرات القبلات.

(303)طارق الشناوي: يكتب لمصراوى: عادل إمام ضد عادل إمام!!!:موقع مصراوي.

العمل على إبراز القواسم المشتركة

يحض كل من الإسلام، والنصرانية على عمل الخير، وعلى سلوك حياة صالحة نقية كريمة، وكلاهما سيتنكر الكذب، والخيانة، والنفاق، والظلم، والقسوة، والتكبر، والغدر، والغضب، كما يحرم كلاهما الطمع والشهوة، والغيرة، والأنانية، والجحود، والتجمد، واستخدام القوة، والكلمات القاسية، وكلاهما ينادي بالتوبة، وقول الصدق، والحياة النقية، والاتصاف بالشجاعة، والعدل، والإحسان، والعطف، والرحمة، واحتفاظ الإنسان بضبط النفس، والاستقامة(304).

هذه القواسم المشتركة بين أهل الأديان السماوية، يمكن أن تجمع بينهم، وإبرازها من شأنه أن يضيّق هوّة الخلاف الحضاري بين الناشئة من مختلف الأديان، والملل، ويقلّل من احتمالات نشوب الحروب، وعمليات الاقتتال بينهم، بسبب الدين، أو الجنس، أو غيرهما من أوجه الخلاف.

إن النصوص التي تدعوا للرحمة، والمحبة، والسلام، والصفح في القرآن، والإنجيل أكثر من أن تحصى، والمطلوب هو تسليط الضوء عليها، وتفعيلها عملياً في الحياة.

في الإسلام:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾(305).

(304)أحمد ماهر:الأناجيل دراسة مقارنة، دار المعارف، ص(131).

(305)(الإسراء/ 32: 38).

وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾(306)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾(307)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾(308). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾(309).

في النصرانية:

جاء في (إنجيل لوقا27: 42):«27وَأَمَّا لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ، فَأَقُولُ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ؛ أَحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ؛ 28بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ؛ صَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. 29وَمَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ، فَاعْرِضْ لَهُ الْخَدَّ الآخَرَ أَيْضاً. وَمَنِ انْتَزَعَ رِدَاءَكَ، فَلاَ تَمْنَعْ عَنْهُ ثَوْبَكَ أَيْضاً. 30أَيُّ مَنْ طَلَبَ مِنْكَ شَيْئاً فَأَعْطِهِ؛ وَمَنِ اغْتَصَبَ مَالَكَ، فَلاَ تُطَالِبْهُ. 31وَبِمِثْلِ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يُعَامِلَكُمُ النَّاسُ عَامِلُوهُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً. 32فَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَحَتَّى الْخَاطِئُونَ يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ! 33وَإِنْ أَحْسَنْتُمْ مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ مُعَامَلَتَكُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَحَتَّى الْخَاطِئُونَ يَفْعَلُونَ هكَذَا! 34وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَأْمُلُونَ أَنْ تَسْتَوْفُوا مِنْهُمْ، فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَحَتَّى الْخَاطِئُونَ يُقْرِضُونَ الْخَاطِئِينَ لِكَيْ يَسْتَوْفُوا مِنْهُمْ مَا يُسَاوِي قَرْضَهُمْ. 35وَلكِنْ، أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا الْمُعَامَلَةَ، وَأَقْرِضُوا دُونَ أَنْ تَأْمُلُوا اسْتِيفَاءَ الْقَرْضِ، فَتَكُونَ مُكَافَأَتُكُمْ عَظِيمَةً، وَتَكُونُوا أَبْنَاءَ الْعَلِيِّ، لأَنَّهُ يُنْعِمُ عَلَى نَاكِرِي الْجَمِيلِ وَالأَشْرَارِ. 36فَكُونُوا أَنْتُمْ رُحَمَاءَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ رَحِيمٌ.

(306)(المائدة/ 32).

(307)(الحجرات/ 11).

(308)(النساء/ 135).

(309)(فصلت/ 34).

ونفس الإنجيل: «[37]وَلاَ تَدِينُوا، فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَحْكُمُوا عَلَى أَحَدٍ، فَلاَ يُحْكَمَ عَلَيْكُمْ. اغْفِرُوا، يُغْفَرْ لَكُمْ. [38]أَعْطُوا، تُعْطَوْا: فَإِنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي أَحْضَانِكُمْ كَيْلاً جَيِّداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً، لأَنَّهُ بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ، يُكَالُ لَكُمْ». [39]وَأَخَذَ يَضْرِبُ لَهُمُ الْمَثَلَ، فَقَالَ: «هَلْ يَقْدِرُ الأَعْمَى أَنْ يَقُودَ أَعْمَى؟ أَلاَ يَسْقُطَانِ مَعاً فِي حُفْرَةٍ؟[40]لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَرْفَعَ مِنْ مُعَلِّمِهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ يَتَكَمَّلُ يَصِيرُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ![41]وَلِمَاذَا تُلاَحِظُ الْقَشَّةَ فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَلكِنَّكَ لاَ تَتَنَبَّهُ إِلَى الْخَشَبَةِ الْكَبِيرَةِ فِي عَيْنِكَ؟[42]أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لأَخِيكَ: يَاأَخِي، دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَشَّةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ! وأَنْتَ لاَ تُلاحِظُ الْخَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ أَنْتَ. يَامُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَعِنْدَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً لِتُخْرِجَ الْقَشَّةَ الَّتِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ. وفي (متى 5: 44)« أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَبَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَأَحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَضْطَهِدُونَكُمْ ».

وفي (الرسالة إلى أهل كورنثوس4: 12-13)« **نشتم فنبارك، نضطهد فنحتمل، يفترى علينا فنعظ**». وفي(في الرسالة إلى أهل رومية12 :14) «**باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا**».

وفي (متى 5/ 27:30)« 27 وَسَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: لاَ تَزْنِ! [28]أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ بِقَصْدِ أَنْ يَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ! [29]فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى فَخّاً لَكَ، فَاقْلَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْواً مِنْ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ![30]وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى فَخّاً لَكَ، فَاقْطَعْهَا وَارْمِهَا عَنْكَ، فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَفْقِدَ عُضْواً مِنْ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُطْرَحَ جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ!».

وفي (مرقس12/ 29: 31):« أُولَى الْوَصَايَا جَمِيعاً هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ [30]فَأَحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ وَبِكُلِّ فِكْرِكَ وَبِكُلِّ قُوَّتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. [31]وَهُنَاكَ ثَانِيَةٌ مِثْلُهَا، وَهِيَ أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. وفي (الرسالة إلى أهل رومية12/ 19):«**لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء**».

وأنا أسأل النصارى المتشددين منهم ألستم تؤمنون بهذه النصوص؟ فلما تعطلون العمل بها؟ إنني بالطبع لا أطالبكم كما يأمركم الإنجيل أن تعرضوا الخد الأيسر لمن ضَرَبَكَم عَلَى الخَدِّ الأيمن!! كلا، بل قليل من التسامح، والعفو، والمغفرة التي يأمركم بها الإنجيل.

وضع قانون واضح لبناء الكنائس

ومن الأمور التي يجب أن توضع تحت الدراسة وضع قانون واضح لبناء الكنائس يلبى الرغبة الحقيقية، ويسد الاحتياجات الفعلية للنصارى، قانون يحكمه الكثافة السكانية، والأهداف المرجوة من إقامة الكنيسة، قانون يضع حداً لجموح البعض، دون حاجة حقيقية، وتحويل هذا السباق المحموم إلى أعمال خيرية أخرى مثل: بناء المستشفيات، والمدارس، والمعاهد العلمية باعتبارها من الأعمال الجليلة التي يثاب عليها النصراني كما جاء في كتابهم المقدس. ففي إنجيل (متى:19/ 16-23) **¹⁶وَإِذَا شَابٌّ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لأَحْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ؟» ¹⁷فَأَجَابَهُ: «لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصَّالِحِ؟ وَاحِدٌ هُوَ الصَّالِحُ. وَلكِنْ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ، فَاعْمَلْ بِالْوَصَايَا». ¹⁸فَسَأَلَ: «أَيَّةِ وَصَايَا؟» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ؛ لاَ تَزْنِ؛ لاَ تَسْرِقْ؛ لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ ¹⁹أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ؛ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ...» ²⁰قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا عَمِلْتُ بِهَا مُنْذُ صِغَرِي، فَمَاذَا يَنْقُصُنِي بَعْدُ؟» ²¹فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً، فَاذْهَبْ وَبِعْ كُلَّ مَا تَمْلِكُ، وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاوَاتِ. وَتَعَالَ اتْبَعْنِي!» ²²فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ هَذَا الْكَلاَمَ، مَضَى حَزِيناً لأَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ ثَرْوَةٍ كَبِيرَةٍ. ²³فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى الْغَنِيِّ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ**[310].

ومما يؤسف له أنه وبضغط من النصارى في الداخل، والخارج بدأت إرهاصات مشروع قانون بناء دور العبادة الموحد، وقد تسرب هذا المشروع لعدد من وسائل الإعلام، وقد تبين أن من قام على هذا المشروع كأنه يزيد حالة الاحتقان اشتعالاً، وكأني به يُفصل مشروعاً لدولة غير التي نحيا عليها، وهذه بعض تداعيات ظهور مسودة هذا المشروع:

* فقد تقدم مجموعة من المحامين على رأسهم ممدوح إسماعيل عضو مجلس النقابة العامة للمحامين ببلاغ إلى النائب العام ضد الدكتور عصام شرف - رئيس مجلس الوزراء- طالب فيه بفتح باب التحقيق مع كل من ساهم في وضع مشروع قانون دور العبادة الموحد، معتبراً أنه يهدد السلام الاجتماعي والوحدة الوطنية...وحذر البلاغ الذي تم تقديمه بنسخة منه إلى المشير محمد حسين طنطاوي -رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة- من أن مشروع القانون- وفق ما تناقلته وسائل الإعلام- تضمن بنود لو طبقت لاشتعلت مصر غضبًا، وتهدد السلام الاجتماعي، والوحدة الوطنية بفتن خطيرة لا يعلم مداها إلا الله.

(310)هذا النص موجود أيضاً في إنجيل مرقص (10/ 17- 23) ولوقا(8/ 18- 24).

واتهم البلاغ واضع هذا القانون بأنه «يخلق الفتنة الطائفية خلقًا، ويؤسس للصراع، والنزاع، والفتنة في مصر تمهيدًا للتدخل الأجنبي، وتقسيم مصر وتحقيق أهداف الصهيونية»، على حد قوله، واعترض بشكل خاص على منح الترخيص لبناء المساجد، والكنائس وفق بالمسافة واحد كيلومتر بين كل مبنى للعبادة وآخر، في حين أن المعيار العالمي لحقوق الإنسان في توافر مباني العبادة مبنى على الكثافة، والمساحة المخصصة لكل فرد 60 في60، أو واحد متر في واحد متر في حين أن مساحة واحد كم مربع في القرى المزدحمة، والمناطق الشعبية، وكمناطق العمارات العالية تزيد الكثافة في كم المربع لتصل إلى عدة الآلاف لا يكفيهم مبنى للعبادة واحد.

وتساءل: أين يصلى عشرات الملايين من المسلمين؟ هل بالشوارع لعدم كفاية مساحة المساجد أم سوف تجرم الصلاة بالشوارع ؟ ولماذا يصلى المسلمون في الشوارع ؟ والمسيحيون يصلون في كنائسهم في راحة، ويسر؟!. وقال إنه وفق ذلك سيلجأ المسلمون لبناء دار آخر بالابتعاد واحد كيلو متر لبناء مسجد مما يدخلهم في حيز منطقة أخرى مبنى فيها بناء للعباد «مسجد»، وبالتالي يحرمهم القانون من حقهم العالمي من الحصول على دار عبادة وفقا لعددهم في المنطقة.

واستند البلاغ إلى أن وزارة المواصلات تجعل المسافة بين محطة الأتوبيس والأخرى لا تزيد عن 500 إلى 600 متر، لأنها تعتبر مسافة كبيرة على الأفراد للسير على أقدامهم لقضاء أعمالهم فتوفر لهم مواصلة لتنقلهم من مكان لآخر.

كما أن تحديد مسافة واحد كيلو متر كبيرة جداً على الشيوخ، والأطفال، والمرضى، والمعاقين لأداء الفروض الخمس بالمسجد كما تأمر بذلك الشريعة الإسلامية.. وذكر أنه وفق «القانون المشبوه، والمتهم بمعاداة المسلمين» فإن المسلم سيقطع يوميًا مسافة 10 آلاف متر ذهابًا وإيابًا، متسائلاً: هل يعقل هذا في أي قانون في العالم إنها الفتنة، والنار التي تطل برأسها لتشعل مصر. وحذر من أن القانون سيتسبب في أخطار تفجر الفتن باعتماده على معيار المسافة المشبوه، وعدم اعتماد الكثافة كمعيار عالمي في تحديد الحقوق في بناء دار العبادة، ويجعل الحق لكل مسيحي، أو أسرة في بناء كنيسة مادمت أقرب كنيسة تزيد على واحد كم، في حين أن ألف أسرة مسلمة، أو أكثر لا تملك قانونًا بناء مسجد لأن هناك مسجد على مسافة واحد كم متر على الرغم أن من يصلى في الشارع عشرات أضعاف من يصلى بالمسجد.

وهاجم البلاغ مشروع القانون لأنه لا يهتم أبدًا بالحق الإنساني، والإسلامي للمسلمين في حين يجعل من حق فرد واحد قبطي، أو أسرة واحدة قبطية على1000 متر من دور العبادة وبالتالي سيبنى عشرات الآلاف من الكنائس وهو حق محروم منه عشرات الملايين من المسلمين يصلون في الشوارع، واعتبر تقييد البناء على مساحة1000 متر مربع يعارض حديث النبيﷺ - القائل: **(من بَنَى مَسْجِدًا كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أو أَصْغَرَ بَنَى اللهُ له بَيْتًا في الجَنَّةِ)**[311]فالرسول، والشريعة الإسلامية لا يشترط مساحة للمسجد، بينما القانون يحدد مساحة 1000متر.

ومثل هذا المبنى يتكلف الآن عدة ملايين، والغالبية العظمى من المسلمين فقراء...، وبالتالي لا تملك الغالبية المسلمة البناء في الأرض الفضاء إلا بعد مرور عدة سنوات، لأنها لا تملك المبلغ المطلوب لبناء مسجد على تلك المساحة المحددة.

في المقابل، قال : إن مشروع القانون يسمح لمن يملك المليارات، والملايين من النصارى أن يبنى بسرعة الكنائس، فضلاً عن أن يشترى عدة عمارات في أماكن مزدحمة بالشراء مما يسمح ببناء كنائس بكثرة لا تتناسب مع عدد السكان النصارى، ولا احتياجاتهم التعبدية مطلقًا، ويتسبب في فتنة لا يعلم مداها إلا الله.

وأشار أيضاً إلى أن القانون يسحب الشرعية، ويجرّم عشرات الآلاف من الزوايا الموجودة حالياً والتي يجب أن تظل قائمة حتى تمام بناء الـ 52000 مسجد على الأقل، حتى يتم استيفاء حق المسلمين في المساجد بالنسبة لعددهم وحاجتهم.

كما أن القانون يجرم بناء المساجد على شواطئ الترع، وهو بذلك – كما يقول البلاغ- يمنع المسلمين من الصلاة، لأن الإسلام لم يشترط شكل المسجد للصلاة كما قال النبيﷺ -:**(وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)** [312]

(311)**صحيح**: رواه ابن ماجة برقم 738، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم6128.

(312)رواه البخاري برقم438.

وأكد مقدموا البلاغ أنهم مع حق كل إنسان في عبادته، ويكون ذلك بتطبيق الميثاق العالمي المعروف باسم الحق في العبادة الذي يؤسس الحق في دور العبادة على الكثافة السكانية، «أمّا اختراع مجلس الوزراء فهو يزيد الفتن، ويشعل مصر، ويجامل مجاملة خارج كل قواعد للعدالة عرفتها البشرية.

وطالبوا أيضاً بحتمية خضوع تمويل الكنائس من الداخل، والخارج لرقابة الدولة كما يخضع تمويل المساجد، مؤكدين أن النصارى في مصر رحبوا بالقانون إلا في نقطة واحدة جعلت البعض يحارب بكل طريق، وأسلوب، ويلجأ للضغوط الخارجية لمنع الاطلاع على مصادر أموال الكنيسة، والتبرعات الخارجية المجهولة المصادر، والأغراض التي تصرف فيها، والمخصصة لصرفها داخل، وخارج مصر.

وأشاروا إلى أن تمرير هذه النقطة يؤسس اعتراف للكنيسة بدولة مستقلة كالفاتيكان بإيطاليا، ولكن بمظهر آخر غير معروف في العالم إلا في عصور هيمنة الكنيسة على الدولة وهو أن يمتد سلطان الكنيسة بطول مصر، وعرضها على كل كنيسة، ودير، ومبنى إدارى مبنى حالياً، ومستقبلا.

لكنهم أكدوا أن دولة الفاتيكان تنحصر في مساحة محددة داخل مدينة روما الإيطالية فقط، ولا يمتد سلطانها الإداري سنتيمتر واحد خارج أسوارها في مساحة لا تزيد على 100 فدان بالملحقات ضاربين المثل بدير أبو مقار البالغ مساحته 2700 فدان، ودير أبو فانا 600 فدان، ودير مارمينا 600 فدان وغيره من عشرات الأديرة وكل الكنائس لا سلطان للدولة عليها.

وطالب البلاغ بإيجاد سلطان دولة القانون على الجميع، معبراً عن تأييده حق الجميع في العبادة باطمئنان، معتبراً أن هذا التشريع يؤجج الطائفية، ويجامل، ولا يهتم إلا بطائفة على حساب غالبية الشعب المسلم[313].

(313)اليوم السابع: الأربعاء، 8 يونيو2011م.

* وفي رد فعل لا يقل عن سابقه فجر المستشار حسين أبو عيسي- المحامي بالنقض، والمستشار السابق بالمحاكم العسكرية- مفاجأة من العيار الثقيل عندما نشر دراسة حديثة أعدها عن وضع المساجد، والكنائس في مصر، وأوضح المستشار المصري، وفق صحيفة «المصريون» الإلكترونية[314]:« إن صدور قانون دور العبادة الموحد الذي تطالب الكنيسة بسرعة إقراره لن يحقق مطالب الأقباط، بل إنه قد يتسبب في إلغاء تراخيص العديد من الكنائس، أو وقف أعمال البناء في كنائس أخرى، ما قد يزيد من حدة التوتر، والاحتقان الطائفي في مصر.

وأضاف إن عقلاء الأقباط يدركون هذه الحقيقة تماماً بعيداً عن التعصب الطائفي، ويدركون أن قانون دور العبادة الموحد سينصف المسلمين المحرومين من بناء المساجد، وسيفتح الباب علي مصراعيه للطوائف الأجنبية «البروتاستينية، والكاثوليكية، والإنجيلية، والسبتية» لتطالب بحقها هي الأخرى في دور العبادة، طبقاً للقانون الجديد، بل وأكثر من هذا، توقع أن يأتي القانون في مصلحة طوائف جديدة، مثل الأنبا ماكسيموس الذي لم يحصل على تصريح كنيسة حتى الآن.

وأضاف إن مشروع قانون دور العبادة الموحد يحدد بناء دور العبادة الإسلامية، والمسيحية، واليهودية بما يتناسب مع عدد السكان، وطبقا للاعتبارات، والمواثيق الدولية التي تنص على الحق في العبادة، فإن المصلي المسلم، أو المسيحي يحتاج إلى مساحة 46 سم كحد أدني، أو 100 سم كحد أقصي لأداء الشعائر الدينية الخاصة به، سواء كانت في المسجد، أو الكنيسة. وأشار إلى أنه طبقاً لميثاق «الحق في العبادة» بالأمم المتحدة فإنه سيكون هناك حاجة إلى مساحة إجمالية قدرها 36 مليون و800 ألف متر مربع كحد أدنى و 80 مليون متر مربع كحد أقصى تخصص كمكان يتعبد فيه 80 مليون مواطن مصري مسلم، ومسيحي، باعتبار أن جميعهم يؤدون الصلوات، والشعائر الدينية في دور العبادة.

وقال استنادًا إلى ذلك، فإن مسلمي مصر البالغ عددهم 72 مليون نسمة يحتاجون إلى مساحة تقدر بنحو 33 مليون و 20ألف متر كحد أدني و 72مليون متر كحد أقصي، في المقابل يحتاج الأقباط البالغ عددهم 8مليون[315]قبطي- طبقا لتقديرات الأمم المتحدة - إلى مساحة 3 مليون 680 ألف متر كحد أدني و 8 مليون متر كحد أقصى.

(314)نشرت هذه الدراسة على العشرات من مواقع الإنترنت.

(315)هذا على فرض أن النصارى في مصر 8 مليون!!!! لكن التقديرات المنصفة تثبت أن النصارى في مصر لا يتجاوزون نسبة5٪، فإذا كان عدد سكان مصر 80 مليون نسمة فإن عدد النصارى 4 مليون نسمة.

وذكر أنه انطلاقاً من مبادئ الأمم المتحدة فإنه لا ينبغي أن تقل أو تزيد مساحة المساجد، أو الكنائس، والأديرة عن المساحات السابقة، حتى لا يكون هناك ظلم لطائفة على حساب أخرى وهو نفس المبدأ الذي يستند إليه قانون دور العبادة الموحد الذي يعتمد على إحصائية رسمية بعدد، ومساحات المساجد، والكنائس لمعرفة نسبة الزيادة والعجز لدى كل طرف.

وأوضح أن الإحصائيات الرسمية تشير إلى أن عدد الكنائس المقامة في مصر تبلغ في الوقت الحالي نحو 3126 كنيسة تضاعفت خلال الفترة من عام 1972 وحتى عام 1996 إلى الضعف تقريباً.

إذ أن عدد الكنائس في عام 1972 كان يبلغ نحو 1442 كنيسة معظمها بدون تراخيص، وكانت نسبة الحاصلة على ترخيص، والمسجلة لدى وزارة الداخلية 500 كنيسة فقط، منها 286 كنيسة أرثوذكسية، والباقي للطوائف الأجنبية .

وارتفعت في عام 1996 لتصل إلى نحو 2400 كنيسة، ذلك بناء على إحصائية رسمية للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، بزيادة قدرها 1000 كنيسة تقريباً بواقع 40 كنيسة سنوياً تم بناؤها خلال 25 عامًا .

وزاد عدد الكنائس في نهاية 2006- أي بعد عشر سنوات- إلى نحو 2626 كنيسة رسمية، من بينها 1326 كنيسة أرثوذكسية و1100 كنيسة بروتستانتية و200 كنيسة كاثوليكية موزعة على محافظات الجمهورية علي النحو التالي: 183 كنيسة أرثوذكسية بالقاهرة، 82 كنيسة بالجيزة، 66 كنيسة بالإسكندرية، 67 كنيسة بالغربية، 60 كنيسة بالمنيا، 20 ببورسعيد، 8 بالسويس، 8 بدمياط، 32 بالدقهلية، 43 بالشرقية، 37 بالقليوبية، 11 بكفر الشيخ، 35 بالمنوفية، 35 بالبحيرة، 15 بالإسماعيلية، 50 ببني سويف، 37 بالفيوم، 178 بالمنيا، 425 بأسيوط، 260 بسوهاج، 80 بقنا، 26 بأسوان، 9 بالأقصر، كنيستان بالبحر الأحمر، كنيسة واحدة بالوادي الجديد، كنيستان بمرسى مطروح، كنيستان بشمال سيناء، كنيستان بجنوب سيناء، بالإضافة إلى بعض الكنائس الغربية التي تخص الطوائف غير الأرثوذكسية الشرقية.

بالإضافة إلى ذلك يوجد أكثر من 500 كنيسة بدون ترخيص تعمل تحت غطاء «جمعية قبطية» يتم إشهارها بوزارة التضامن الاجتماعي، وبالتالي يصبح إجمالي عدد الكنائس 3126 كنيسة، بالإضافة إلي عشرات الأديرة المنتشرة في ربوع المحافظات المصرية، والتي تتسع لنحو 24 مليون مصلي قبطي، حسب التقديرات الكنسية.

وأكبر الأديرة هو دير أبو مقار، الذي تبلغ مساحته نحو 2700 فدان، أي ما يعادل 11340000متر مربع تقريباً، ويتسع لنحو11 مليون و340 ألف مصل كحد أدني و 23.9 مليون مصلي كحد أقصي، طبقا للاعتبارات الأممية التي تنص علي أن حق الفرد 0.46 متر مربع للتعبد كحد أدنى، أي أنه يزيد عن عدد الأقباط في مصر.

وبمقارنة دير أبو مقار بأكبر المساجد الإسلامية في العالم وهو الحرم المكي الشريف الذي تصل مساحته نحو356000 متر مربع ويتسع لنحو 773000 مصلى، باعتبار أن المصلى لا يتحصل في المسجد الحرام إلا علي الحد الأدنى لمكان العبادة وهو 046 م، تكون مساحة الدير أكبر منه بما يزيد على أكثر من 15 ضعفًا.

أما ثاني أكبر الأديرة فهو دير أبو فانا بالمنيا الذي تبلغ مساحته نحو 600 فدان أي ما يعادل 520000 متر مربع وهذه المساحة تكفى 2.5 مليون مصل كحد أدنى و 5.5 مليون مصل كحد أقصى بنفس الحسبة السابقة.

أما مساحة دير ماري مينا، فتعادل تقريبًا نفس مساحة دير أبو فانا حيث تبلغ نحو 600 فدان تقريبا بما يعادل2520000 متر مربع، وهذه المساحة تكفى 2.5 مليون مصل كحد أدنى و5.5 مليون مصل كحد أقصى .

ويعني ذلك، أن مساحة أكبر ثلاثة أديرة في مصر تبلغ نحو 3900 فدان أي ما يعادل 16380000 مليون متر مربع، تكفي مساحتها لـ 16 مليون و380 ألف مصل قبطي كحد أدني، أي ضعف عدد الأقباط في مصر و 34.9 مليون مصل قبطي كحد أقصى[316].

(316)هذه الإحصائيات والصور مبثوثة عبر عشرات المواقع على شبكة الإنترنت.

فضلاً عن عشرات الأديرة المنتشرة في المحافظات المصرية، وأبرزها أديرة سوهاج، وتضم دير الأنبا شنودة الذي تبلغ مساحته 2775 متراً مربعاً، ودير الأنبا بيجول1000 متر، ودير الأنبا شنودة الشرقي، ودير الأنبا توماس 1000 متر، ودير الأمير تاوضروس، ودير القديسة، ودير الملاك ميخائيل الذي يضم خمس مذابح، وبها خنادق، ومغارة صغيرة تحت الأرض باسم القديس الأنبا بيشوى، ودير الشهداء، ودير السيدة العذراء، ودير الأنبا بيجول، ودير مارجرجس – الحديدي، ودير الملاك، فضلاً عن أديرة أسيوط وتضم دير العذراء، المحرق، العذراء، درنكة، العذراء، الجنادلة، الأمير تادرس، تليها أديرة المنيا، وتضم دير العذراء، جبل الطور، ثم أديرة بني سويف، وتضم دير العذراء، الحمام، العذراء، بياض، الأنبا بولا، بوش، الأنبا أنطونيوس، الميمون، مارجرجس، سيدمنت، تليها أديرة الفيوم، وتضم دير الأنبا إبرام، الملاك غبريال، ثم أديرة البحر الأحمر وتضم دير الأنبا بولا، الأنبا أنطونيوس، أما أديرة وادي النطرون فتشمل دير الأنبا بيشوى، والسريان، والبراموس، والأنبا مقار، ومارمينا بالإسكندرية .

أما أديرة الراهبات، فأبرزها ماري جرجس، وأبي سيفين بمصر القديمة، والأمير تادرس بحارة الروم، وماري جرجس زويلة، والعذراء بحارة زويلة، ودير المعلقة بمدينة مصر، وغيرها من الأديرة، فضلا عن 14 أسقفية «الإيبرشيات» منتشرة في معظم محافظات الجمهورية .

أما بالنسبة لعدد المساجد، فإنها تبلغ طبقاً للإحصاءات الرسمية الصادرة عن وزارة الأوقاف والجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء 92.600 مسجداً، منها 64676 مسجداً تحت ولاية وزارة الأوقاف، والباقي ما بين مساجد أهلية، وزوايا لا تتعدي مساحتها عن100 متر مقسمة على72مليون مسلم، وتبلغ مساحة أكبر مسجد في مصر، وهو مسجد عمرو بن العاص نحو13800 متراً، ويليه الأزهر الشريف الذي تبلغ مساحته12000 متر.

ويتراوح متوسط مساحة المساجد في مصر ما بين500 إلى1000 متر كحد أقصى، وبما أن نسبة تعداد المسلمين تزيد على نسبة تعداد الأقباط بتسعة أضعاف (1 مقابل 9٪) فمن المفترض أن يصبح عدد، ومساحة المساجد تسعة أضعاف الكنائس والأديرة، لكن الأرقام تؤكد أن نسبة الكنائس إلى المساجد في مصر هي فقط 3.015٪، أي أن هناك عجزًا في المساجد يصل إلي 6 ٪ تقريباً.

وعلى افتراض أن عدد المساجد في مصر هو92.600 مسجد أي بمتوسط 46 مليون متر تقريباً، فإنه وطبقاً لميثاق الأمم المتحدة فإن مسلمي مصر يحتاجون مساجد للعبادة تتراوح مساحتها ما بين33 مليون و120 ألف متر كحد أدنى و72 مليون متر كحد أقصى بمتوسط 48 مليون متر تقريباً، أي أن المسلمين لديهم عجز في المساحات المخصصة للمساجد يتراوح ما بين 2 مليون متر و26 مليون متر مكعب تقريباً، أي ما يعادل52 ألف مسجد تقريبا مساحة المسجد500 متر.

والسؤال هل يعرف أقباط المهجر هذه الحقيقة؟ وهل يراعي ترزية القوانين هذه الدراسة قبل الإقدام على مشروع بهذه الخطورة؟.

عدم استخدام الألفاظ المنفرة للآخر

ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، ولذا قال-تعالى-: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾[317].

وقد أمر الله – تعالى- رسوله أن يخاطب عدوه فرعون خطاباً ليناً هادئاً فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[318].

(317)(الإسراء/ 53).

(318)(طه/ 44).

وأمر الله تعالى المسلمين أن تكون محاوراتهم، ومجادلاتهم لأهل الكتاب بالتي هي أحسن فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾[319] ويكمن الرفق في التعامل مع الآخر اختيار الكلمات التي لا تسيء إليهم بحال فالبعد عن الأدعية الاستفزازية فليس من الحكمة، ولا من الموعظة الحسنة، ولا من الجدال بالتي هي أحسن :اتخاذ الأدعية الاستفزازية في صلوات الجمع، وفي قنوت النوازل وغيرها، فبعض الوعاظ، والخطباء يدعون الله تعالى :أن يهلك اليهود، والنصارى جميعاً، وأن ييتم أطفالهم، ويرمل نساءهم، ويجعلهم، وأموالهم، وأولادهم غنيمة للمسلمين!.

ومن المعلوم أن في كثير من بلاد المسلمين توجد أقليات من النصارى- وربما من اليهود وهم مواطنون يشاركون المسلمين في المواطنة، وليس من اللائق أن ندعو بدعوة تشمل هؤلاء بالهلاك، والدمار.إنما اللائق: أن ندعوا على اليهود الغاصبين المعتدين، وأن ندعو على الصليبيين الحاقدين الظالمين، لا على كل اليهود، والنصارى[320].

أن تتبرأ المؤسسات الدينية من دعاة الفكر المتطرف

مهم جداً أن تعلن المؤسسات الدينية الرسمية عند المسلمين ممثلة في: الأزهر، والأوقاف، ومجمع البحوث الإسلامية، وكذا المؤسسات الرسمية في النصرانية ممثلة في رأس الكنيسة: الأرثوذكسية، والبروتستانتية، والكاثوليكية البراءة صراحة من دعاة الفكر المتطرف، والمحرض.

فكما قام العديد من العلماء بالرد على التكفيريين، وجماعات العنف في مآت الكتب، والمحاضرات بما كان له مردود طيب في القضاء على هذا الفكر بصورة كبيرة يجب أيضاً على المؤسسة الدينية ممثلة في الكنائس(الأرثوذكسية – الكاثوليكية – البروتستانتية) من إعلان البراءة من كل صاحب فكر منحرف يسيء إلى الإسلام، ورموزه، وإصدار قوانين شلح بحق هؤلاء، وعلى رأسهم زكريا بطرس الذي يتطاول يومياً على الإسلام، ورسوله، وكتابه بصورة فجة.

(319)(العنكبوت/ 46).

(320)يوسف القرضاوي: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، الطبعة الأولى 1424هـ/ 2004م، ص (42).

ففي رده على سؤال لماذا لا يوقف البابا شنودة القمص زكريا بطرس؟ قال الدكتور نبيل لوقا بباوي :لابد أن نعرف عن قرب خط سير القمص زكريا بطرس في الكنيسة الأرثوذكسية بمصر. فالقمص زكريا بطرس كان راعي إحدى الكنائس التي تتبع محافظة الغربية علي حد علمي، وكان يتمتع بقدرة عالية في الوعظ بطريقة مسرحية في خفض صوته، وتعلية صوته وكان موهوباً في الوعظ، ومؤثراً علي المتلقي بقدرته المسرحية في الوعظ، وبثقافته اللاهوتية، وامتلاكه مفردات اللغة لذلك كانت تطلبه الكثير من الكنائس المختلفة في المحافظات، وأخيراً نقل إلي كنيسة ماري مرقص الرسول بمصر الجديدة وهي المشهورة بكنيسة كيلوباترا، وذاع صيته في هذه الكنيسة، ولكن شخصية القمص زكريا بطرس أنه يحب الشهرة بدرجة مغالي فيها، ولا يريد أن يكون كاهناً عادياً مثل كل الكهنة، اختصاصه الرعاية الكنسية فقط، وحباً في الشهرة قام بإنشاء، وخلق نظرية جديدة في المسيحية اسمها الخلاص في لحظة، وبدأ ينادي بها في عظاته في الكنائس، ولكن قداسة البابا شنودة اعتبر هذه النظرية مخالفة لتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، وأنها هرطقة في الديانة المسيحية لذلك قام بشلحه، وفصله من خدمة الكنيسة ولكنه باتفاقه مع سيدة ثرية في مصر الجديدة قام باستحضار أكثر من عشرين أتوبيساً كبيراً، وملأها بالمسيحيين من كنيسة ماري مرقص بمصر الجديدة، وتوجهوا بها إلي الكاتدرائية بالعباسية للمطالبة بعودة القمص المشلوح زكريا بطرس، وأمام رجاء الجماهير، وقد كنت في ذلك الوقت نائبا لمأمور قسم شرطة الوايلي الذي تتبعه الكاتدرائية وقد توجهت ومعي المرحوم قسيس موسي سليمان! وكان من أثرياء الأقباط لمقابلة قداسة البابا شنودة لرجائه بأن يعفو عن القمص زكريا بطرس، واشترط قداسة البابا شنودة أن يرجع عن نظرية الخلاص في لحظة، ولا يرددها في عظاته، ووافق القمص زكريا بطرس بعد الاتصال به، وقدم اعتذاره لقداسة البابا شنودة، ووعده بالكف عن ترديد هذه الهرطقة، والبدعة.

ورغبة من القمص زكريا في الشهرة بدأ في اللجوء إلي أسلوب إخراج الشياطين من أجسام المرضى، ورغبة منه في الشهرة خلق الكثير من المشاكل بسبب رغبته، وسعيه لتنصير بعض المسلمين، وحدثت بينه وبين قداسة البابا شنودة كثير من الخلافات بسبب تصرفاته فنقله إلي إحدى الكنائس باستراليا، وأحدث بعض المشاكل في أستراليا فنقله البابا شنودة إلى لندن، وأثناء وجوده في لندن تقدم منذ عدة أعوام باستقالته من الخدمة في الكنيسة الأرثوذكسية

، وقد قبل قداسة البابا شنودة الاستقالة فلا يوجد للبابا شنودة أي سلطة علي القمص زكريا بطرس من قريب، أو بعيد هذا بالإضافة إلي أنه كان دائم الخلاف مع قداسة البابا شنودة مما جعل قداسة البابا شنودة ينقله خارج مصر للخدمة في الخارج، رغم أنه يقيم مع زوجته، وأولاده في مصر الجديدة. وقد سأل أحد الصحفيين البابا شنودة عن ظاهرة القمص زكريا بطرس فقال : إنه لا يؤيد تصرفاته، أو أسلوبه، وأنه لم يعد قسيساً في الكنيسة الأرثوذكسية، ولعلي بذلك أكون قد أجبت علي السؤال لماذا لا يوقف قداسة البابا شنودة القمص زكريا بطرس، والإجابة أنه ليس قسيسا الآن حتى يوقفه.

قلت: كلام الدكتور نبيل لوقا جميل...ولكن مازال زكريا بطرس ينتمي، ويفاخر بالانتماء للكنيسة الأرثوذكسي، ومعنى هذا أنه يا دكتور يعترف بتعاليم، ورئاسة البابا!.

ودعني يا دكتور نبيل أنقل لك كلاماً للبابا شنوده ينسف ما قلته دفاعاً عن موقفه من زكريا بطرس فقد أجرى الإعلامي عمرو أديب مقدم برنامج «القاهرة اليوم» بقناة أوربت الفضائية لقاء مع البابا بمناسبة الاحتفال بعيد الميلاد[321]، وكان من ضمن الأسئلة التي وجهها للبابا عن إساءة قساوسة في المهجر للإسلام، وبخاصة القمص زكريا بطرس، فقال:« لا يوجد قساوسة يهاجمون الإسلام في مصر.. أما في الخارج فليس لنا حكماً عليهم.. وفى حالة شلح أحدهم سيطالب المسيحيون المسلمين بالمثل.. فهناك عشرات المسلمين يهاجمون المسيحية في كتب، ومجلات مطبوعة.. وما أسهل أن يقول أحد المسلمين إن الإنجيل كتاب سماوي محرف.. وأنا بصراحة لا أستطيع أن أقدم على هذه الخطوة فإذا لم يتكلم أحد ضدي فهناك من سيفكر ضدي.. لا تعتقد أن منع الناس من الكلام يمنعهم من الفكر..على الأقل سيقولون : إني تهاونت في حقهم عندما أعاقب الكاهن زكريا بطرس، وأترك المسلمين يهاجمون المسيحيين.

(321)حلقة الثلاثاء5 يناير2010م.

وأكد شنودة عدم معرفته بإساءة الكاهن بطرس للإسلام، مشدداً: « **نحن لا نقبل الإساءة للمسلمين**»، مستبعداً أن يوقف بيان منه هجوم بطرس على الإسلام، مشيراً إلى أن أيمن الظواهري على سبيل المثال وهو طبيب مصري به الذكاء المصري، والانتماء للقاعدة..ماذا تستطيع مصر أن تفعل حياله؟.

وليسمح لي البابا شنوده أن أقف مع كلامه الهادئ بهدوء لا يقل عنه: **أولاً**: إن الكفر هو نقيض الإيمان فكل مؤمن بشئ هو بالضرورة كافر، وجاحد، ومنكر لتقيض هذا الشيء، فالمؤمن بالتثليث كافر بالتوحيد.. والمؤمن بالتوحيد كافر، ومنكر للتثليث.. والمؤمن بأن عزيراً- عزرا- عبدالله كافر، ومنكر لعقيدة أن عزيراً ابن الله- والعكس صحيح-..والمؤمن بأن عيسى عبدالله، ورسوله منكر، وجاحد، وكافر بأن عيسى ابن الله وإله- والعكس صحيح-.. والمنكر لكون القرآن وحياً إلهياً، ولكون محمدﷺ - نبياً ورسولاً كافر بالإسلام ديناً سماوياً.

وكذلك الحال في ميدان المذاهب، والفلسفات و« **الأيديولوجيات**» فالمؤمن بالفاشية، والنازية كافر بالديمقراطية– والعكس صحيح- والمؤمن بالشيوعية هو كافر بنقيضه، أي أن كل إنسان– من غير اللاأدريين- في الحقيقة- مؤمن، وكافر في ذات الوقت.. فالكفر ليس سبة، ولا نقيصة بإطلاق، وتعميم، ولكن المعيار هو كفر بماذا؟...وكذلك الإيمان ليس ميزة إيجابية بإطلاق، وتعميم، وإنما العبرة فيه هي:الإيمان بماذا؟.

ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة التي يجهلها البعض، ويتجاهلها الكثيرون عندما صور الإيمان، والكفر وجهين لعملة واحدة فقال: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[322]فكل مؤمن بالله

(322)(البقرة/ 256).

الواحد الأحد هو كافر بالطاغوت، والطواغيت – والعكس صحيح-. فأين التهمة إذن في أن يصف المسلمون من يكفرون بالإسلام ديناً سماوياً، وبالقرآن وحياً إلهياً، وبمحمد بن عبدالله نبياً، ورسولاً في عداد الكافرين بهذا الذي هم به كافرون، وله منكرون، وجاحدون؟!..

وألا يصنِّف المؤمنون بالتثليث أهل التوحيد الخالص- المنكر للتعدد، والحلول والاتحاد- في عداد الكافرين بهذا التثليث؟ بل، وألا تعتبر المذاهب النصرانية الكبرى الأرثوذكسية.. والكاثوليكية.. والبروتستانتية- فضلاً عن الآريوسية لها في **قانون الإيمان** كافراً بهذا « **القانون**»- الذي هو جوهر، وجماع أصول الاعتقاد- داخلاً في «الحرمان الديني» الذي هو الكفر، والتكفير؟!.

لقد رفض قساوسة دير سانت كاترين – بسيناء- وهو من الروم الأرثوذكس- أن يصلي بابا الفاتيكان، والحبر الأعظم للكاثوليكية- يوحنا بولس الثاني- داخل الدير- عند زيارته له في فبراير سنة 2002م لأنه- في نظرهم-غير مؤمن حسب مقاييسهم للإيمان.. وما هي إلا شهور معدودة حتى صدر عن الفاتيكان أن هذا هو الموقف الطبيعي، والمتبع بين كنائس النصرانية فصدر في سبتمبر سنة2000م القرار الذي يؤكد، ويعلن أن الكنائس غير الكاثوليكية ليست كنائس بالمعنى الصحيح وأن الخلاص في اليوم الآخر محصور في الكنيسة الكاثوليكية وحدها[323].

ولماذا نذهب بعيد فالبابا يذكر جيداً الوثيقة الكاثوليكية التي وقعها بابا روما (بنديكت السادس عشر) في29 يونيو2007م التي وصفت البروتستانت والإنجليكان بأنهم ليسوا كنائس، وقالت عن الأرثوذكس إن كنائسهم معيبة. الأمر الذي أغضب البابا شنودة، فكتب في جريدة الأهرام 14/ 7/ 2007م تحت عنوان : بنديكت جرح المسيح والمسيحيين، وخسر كل المسلمين قال فيه :إن تصريحات البابا جرحت المسيحيين، وأنا متعجب من تصريحات (بنديكت) التي يخسر بها في كل مرة، فقد خسر من قبل كل المسلمين.

(323)محمد السماك :الفاتيكان والإيمان المختلف، الأهرام20/ 9/ 2002م.

ورداً على سؤال : ماذا وراء صدور مثل هذه الوثيقة، وفي هذا التوقيت، وما هو الهدف منها؟. قال شنودة:«الاعتزاز بالشخصية الكاثوليكية كما لو كانوا هم المسيحيين الوحيدين في العالم كله، وإن كانت الكنيسة الكاثوليكية تعتقد أنها الكنيسة الوحيدة فلا داعي أن تجرح شعور الآخرين، ونحن لسنا ضد اعتزاز الكاثوليك بكنيستهم، لكن ليس معني ذلك أن كل كنيسة لا تنضم إليهم هي ليست كنيسة، فقد قالوا في هذه الوثيقة إن الأرثوذكس كنائس حقيقية لكنها Defeetive معيبة، أو تعاني من نقصان؛ لأنها لا تؤمن برئاسة البابا- يقصدون بابا الفاتيكان-، ورئاسة بابا الفاتيكان لكل كنائس العالم لا تتفق مع تعاليم المسيح نفسه؛ لأن تلاميذ المسيح تصارعوا بينهم، وبين أنفسهم بسبب من يكون فيهم الأول، فالمسيح قال لهم من أراد فيكم أن يكون أولاً فليكن آخر الكل، ومن أراد أن يكون سيداً فليكن عبداً، وخادماً للكل، ففكرة أن يكون واحداً مسيطراً علي الكل فكره المسيح نفسه لم يوافق عليها، لكن الكاثوليك يريدون أن يقولوا: إن (بطرس الرسول) أحد تلاميذ المسيح هو رئيس الرسل، وإن بطرس أسس كنيسة روما، وبذلك تصبح روما رئيسة الكنائس، والكتاب المقدس لا يقول إطلاقاً أن (بطرس) أسس كنيسة روما إطلاقاً، الواضح في الكتاب المقدس أن الذي أسس كنيسة روما هو (بولس الرسول)، وآخر سفر أعمال الرسل يقال فيها أن (بولس) أسس كنيسة روما، وبولس في رسالته لكنيسة روما قال أنا وضعت مبدأ لنفسي أنني لا أكرز (أبشر) حيث يعرف اسم المسيح فإذن عندما ذهب إلي روما لم يكن يعرف اسم المسيح، وبالتالي هو الذي أسس كنيسة روما؛ لأنه أول من بدأ الكرازة، أو التبشير باسم المسيح هناك»[324].

هذا موقف الطوائف النصرانية من بعضها، ناهيكم عن موقف كل الكنائس من الإسلام، والمسلمين.. فهم- فضلاً عن تكفير المسلمين، لجحدهم الإسلام كدين، وكفرهم بالقرآن وحياً إلهياً وبمحمدﷺ - نبياً، ورسولاً- يمارسون، ويعلنون كفر، وتكفير بعضهم البعض داخل النصرانية الواحدة[325].

إذن هناك فرق كبير بين الإساءة، وبين تقرير واقع تفرضه الأديان، فلو سألت أي نصراني فضلاً عن البابا ما قولك في معتقد المسلمين، وكتابهم، ونبيهم، ومن مات منهم دون الإيمان بالآب، والابن، والروح القدس فماذا سيجيب؟.

(324)البابا شنودة للأهرام: بندكت جرح المسيح والمسيحيين وخسر كل المسلمين لست ضد تعديل لائحة انتخاب البابا، انظر جريدة الأهرام14/ 7/ 2007م السنة131 العدد 44049؛ وانظر للمؤلف: قطوف الجنان في الرد على بابا الفاتيكان، يسر الله نشه.

(325)د. محمد عمارة:الإسلام والآخر من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، ص5: 7.

سيجيبك أن المسلمين لا يشملهم الخلاص في الآخرة، وأن كتابهم ليس وحياً كما يزعمون، وهو تزوير، وانتحال من علماء أهل الكتاب، ومن كتابهم المقدس أما رسول الإسلام فهو... أليس كذلك؟. ولو سألت أي مسلم عن الكتاب المقدس يجيبك بما قاله الله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[326].

فما نعتقده أن الكتب السابقة حدث به نوع تغيير، وتحريف، وتبديل، ومع ذلك فبها بقايا من حق لذا نحن مأمورون فيما يحدثنا به أهل الكتاب أن لا نصدق إلا بما نعلم أنه الحق، كما لا نكذب إلا بما نعلم أنه باطل. فمن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ:(كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلام، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ- :(**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا:آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)[327].

* أما عن عقيدة التثليث (الآب، والابن، والروح القدس) فالإسلام يرفضها قولاً واحداً لقول الله – تعالى-: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾[328].

* وأما عقيدة الصلب، والقتل فالقرآن ينفيها نفياً قاطعاً، قال – تعالى- في رده على اليهود: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾[329].

(326)(البقرة:79).

(327)أخرجه البخاري رقم4215.

(328)(النساء/ 171).

(329)(النساء/ 157).

إن القرآن قد أثبت كفر النصارى بنصوص قطعية الدلالة منها قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾[330].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[331].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[332].

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ– أنه قال: **(والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)** [333].

هذه عقيدة لا يمكن التنازل عنها، ولا التفاوض فيها بالنسبة للمسلمين والنصارى، أم أن البابا يرى أن نقول إن كتابه المقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وأنه محفوظ من التحريف، والتبديل، والتغيير، وأن الأقانيم الثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس آله حقيقية، وأن المسيح صلب، وقتل تكفيراً لخطايا البشر، وأن النصارى من الموحدين، وأنهم سيدخلون جنة النعيم!!! ونضرب بالقرآن، والسنة عرض الحائط حتى لا يتهمنا أحد بامتهان عقيدة الآخر؟!!!.

(330)(المائدة/ 17).

(331)(المائدة/ 72).

(332)(المائدة/ 73).

(333)أخرجه مسلم رقم 143.

* إن تقرير هذه العقيدة بالنسبة للمسلمين، والنصارى لا علاقة له بالإساءة إلى الأديان بحال من الأحوال، بل الإساءة أن تفتري الكذب، وأن تدعي على الآخر ما ليس فيه كما يفعل زكريا بطرس، ومن على شاكلته، فالإسلام علمنا العدل حتى مع المخالفين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[334].

ويحذر الإنجيل كذلك من الظلم، وافتراء الكذب، ففي إنجيل لوقا: «**لاَ تَظْلِمُوا أَحَداً وَلاَ تَشْتَكُوا كَذِباً عَلَى أَحَدٍ**»[335].

ثانياً: صحيح أن أيمن الظواهري هو الرجل الأول حالياً في تنظيم القاعدة لكنه هارب خارج البلاد، وهو محكوم عليه بالإعدام، وصدرت ضده عدة أحكام أخرى من المحاكم المصرية، وهو غير مرحب به داخلياً. هذا على الرغم أن جل أعمال، وأقوال الظواهري تنصب على مقاومة المحتل في العراق، وفي أفغانستان، وليس من أدبيات هذه المنظمة إعلان الحرب على النصارى في داخل البلاد.

ثالثاً: يعلم البابا جيداً أن زكريا بطرس يفتري الكذب على الإسلام، ورسوله، وقرآنه مستغلة الإمكانيات المادية، والإعلامية الضخمة التي سُخرت له، ويتحدث باسم النصارى في مصر، فإن كان زكريا بطرس صادقاً في همزه، وغمزه للإسلام فليناظر أقل طالب مسلم في مقارنة الأديان ليرى، ويرى العالم حجمه الحقيقي إن كان له حجم، فإذا كانت المؤسسة الدينية النصرانية حريصة على الوحدة الوطنية، واستقرار الأمن، والسلام فعليها أن تقوم بدورها، وليس أقل من أن:

(334)(المائدة/ 8).

(335)إنجيل لوقا3/ 14.

- ترد على سفاهة هذا الزكريا، وتعلن ذلك في وسائل الإعلام المختلفة.
- تعلن براءة المؤسسة الدينية منه صراحة.
- يفقد هذا المنحرف ومن على شكلته موقعهم في هذه المؤسسة. نعم، فالاعتذار وحده لا يكفي، لاسيما ومازال مسلسل الهجوم، والوقاحة مستمراً.

التطبيق الكامل لحقوق المواطنة

تنص المادة الأولى من الدستور المصري على أن: جمهورية مصر العربية دولة نظامها ديمقراطي يقوم علي أساس المواطنة، والشعب المصري جزء من الأمة العربية يعمل علي تحقيق وحدتها الشاملة.

المواطنة تعني باختصار شديد أن يتساوى المواطنون في الحقوق، والواجبات، وقد سبقت الشريعة الإسلامية كل الشرائع، والنظم في تقرير حق المواطنة، ولم تقف الشريعة الإسلامية بآفاق التسامح الإسلامي، والمساواة الكاملة في حقوق المواطنة، وواجباتها، عند أهل الديانات السماوية - اليهود والنصارى - الذين قررت لهم الوثائق الدستورية الإسلامية هذه الحقوق منذ اللحظة الأولى لقيام الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة المنورة سنة (1هجرية وسنة662 م) لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم.

لم تقف الدولة الإسلامية، والشريعة الإسلامية بهذه الآفاق السامية عند أهل الديانات السماوية، وإنما عممتها حتى على أهل الديانات الوضعية أيضًا - من المجوس وغيرهم-.. فبعد الفتح الإسلامي لفارس، عرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- الأمر على مجلس الشورى- مجلس السبعين - وقال: نحن نعرف حكم اليهود والنصارى..فماذا عن حكم المجوس؟.. فوثب عبد الرحمن بن عوف- رضي الله عنه - قائلاً:« أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم- يقول« «**سنوا فيهم سنة أهل الكتاب**».. فعاملة الدولة الإسلامية - ذات المرجعية الإسلامية- طوال تاريخها أهل الديانات الوضعية- المجوس.. والزرادشت.. والبوذيين..والهندوس- معاملة أهل الكتاب، التي قررت مبادئها، ومواثيق رسول الله صلى الله عليه وسلم - لغير المسلمين في الدولة الإسلامية.

وإذا كانت المواطنة، وحقوقها قد عرفها الغرب على أنقاض الدين، بعد انتصار العلمانية على الكنيسة الغربية..ولذلك جاءت مواطنة علمانية.. فإن الإسلام هو الذي أنشأ المواطنة، وشريعته هي التي قررت حقوقها، وبذلك ضمنت القداسة لهذه الحقوق، حتى لا تكون «منحة» يسمح بها حاكم، ويمنعها آخرون.. وبعبارة رسول الله ﷺ -: «**فمن خالف عهد الله، وعصى ميثاق رسوله فهو عند الله من الكاذبين** ».

كذلك قرر الإسلام- في دستور دولة المدينة- أن الشريعة الإسلامية- كما هي ضامنة للحقوق، والواجبات في المواطنة- فإنها هي المرجع عند الاختلاف.. فنص هذا الدستور على «أنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله..».

هكذا أبدع الإسلام- الدين والدولة، والحضارة- كامل المساواة في حقوق المواطنة، وواجباتها، قبل أربعة عشر قرنًا..عندما كانت الدول، والحضارات الأخرى لا تعترف بالآخر..فالمواطنون في «أثينا» كانوا هم الرجال الأحرار الملاك الأشراف من اليونان..ومن عداهم برابرة ليست لهم أية حقوق.. وكذلك كان الحال عند الرومان..لكن الإسلام هو الذي قرر، وقنن، وطبق كامل المساواة بين الرعية، والأمة في الدولة الإسلامية- في تكافؤ الفرص.. وفي حرمة الأنفس..والدماء..والأعراض..والأموال..والعقائد..والحريات..ولذلك فتحت الأبواب الواسعة أمام مختلف الملل، والنحل والمذاهب فشاركوا في بناء هذه الحضارة الإسلامية، وصنع التاريخ الإسلامي.

وإذا كانت السنة النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآني، فإن هذه العهود النبوية التي قننت حقوق المواطنة، وواجباتها هي «سنة نبوية قولية» تحولت إلى «سنة عملية» عندما وضعت في الممارسة، والتطبيق.. وأمام هذه السنة النبوية لا مجال لأي اجتهاد يخالفها.. سواء أكان هذا الاجتهاد نابعًا من «ضيق الأفق» الذي لا يستوعب سماحة الإسلام..أم نابعًا من الاتجاهات التي تريد عزل الشريعة الإسلامية عن مكانتها، كمرجعية تحمي جميع الحقوق، والواجبات لسائر المواطنين، على اختلاف العقائد والديانات[336].

(336)د. محمد عمارة :حقوق الأقليات، جريدة المصريون28/ 9/ 2009م.

محاربة الشائعات

إن الشائعات من أخطر الحروب المعنوية، والأوبئة النفسية، لأنها تستهدف عمق الإنسان، وعطائه، وقيمه، ونمائه، بل هي من أشد الأسلحة تدميراً، وأعظمها وقعاً، وتأثيراً، وهي ظاهرة اجتماعية عالمية، لها خطورتها البالغة على المجتمعات البشرية، وهي جديرة بالتشخيص، والعلاج، وحرية بالاهتمام، والتصدي لاستئصالها، والتحذير منها، والتعاون للقضاء على أسبابها، ودوافعها، حتى لا تقضي على الروح المعنوية في الأمة، التي هي عماد نجاح الأفراد، وأساس أمن المجتمعات واستقرارها.

إن الذي يطالع التاريخ الإنساني، يجد أن الشائعات وجدت حيث وجد الإنسان، بل إنها عاشت وتكاثرت في ربوع كل الحضارات.

موقف الإسلام من الشائعات:

لما جاء الإسلام، اتخذ موقفاً حازماً من الشائعات، وأصحابها؛ لأن نشرها، وبثها بين أفراد المجتمع له آثار سلبية على تماسك المجتمع المسلم، وتلاحم أبنائه، بل قد عد الإسلام ذلك سلوكاً سيئاً، منافياً للأخلاق النبيلة، والطبائع، والسجايا الكريمة، والمثل العليا، التي جاءت بها شريعتنا الغراء، وحثت عليها، من الاجتماع، والمحبة، والإخاء، والمودة، والتعاون، والتراحم.

كما حذر الإسلام من الغيبة، والنميمة، والوقيعة في الأعراض، والكذب والبهتان، وقالة السوء بين الناس، وهل الشائعة إلا كذلك؟ وأمر بحفظ اللسان، وبين خطورة الكلمة فأخبر الله - سبحانه وتعالى- أن الإنسان مسئول أمام الله - عز وجل- ومحاسب عن كل صغير وجليل.

قـال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾(337).

وحرم الله القذف، والإفك، وتوعد مروجي الإشاعات بالعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾(338)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾(339)، وحث الإسلام على التثبت، والتبين في نقل الأخبار، يقول سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾(340).

كما نهى الإسلام أتباعه عن أن يطلقوا الكلام على عواهنه، ويلغوا عقولهم عند كل شائعة، أو ينساقوا وراء كل ناعق، ويصدقوا كل دعي مارق قال رسول الله ﷺ :(**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**) (341).

وسداً لباب الفساد أمام الوشاة المغرضين، ونقلة الشائعات المتربصين، ومنعاً لرواج الشائعات، والبلاغات الكاذبة الكيدية المجهولة، والأخبار الملفقة المكذوبة على الأبرياء الغافلين يقول ﷺ- فيما رواه البخاري في الأدب المفرد عن أسماء بنت يزيد- رضي الله عنها-:(**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ**)(342).

(337)(ق/ 16: 18)

(338)(النور/ 19).

(339)(الأحزاب/ 60).

(340)(الحجرات/ 6).

(341)صحيح: وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 4480.

(342)حسن:أخرجه أحمد رقم27640 والبخاري في الأدب المفرد رقم 323، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم323.

خطر الشائعات:

كم حدثت من جناية على الأبرياء الذين لهم كفاءة في أعمالهم بسبب إشاعة أطلقها دعي مأفون، ذو لسان شرير، وقلم أجير، في سوء نية، وخبث طوية، ومنذ فجر التاريخ والشائعات تنشب مخالبها، لاسيما في أهل الإسلام، يروجها ضعاف النفوس، والمغرضون من أعداء الديانة، ويتولى كبرها أعداء الإسلام من اليهود قتلة الأنبياء، ونقضت العهود بغية هدم صرح الدعوة الإسلامية، والنيل من أصحابها، والتشكيك فيها.

إن الشائعات جريمة ضد أمن المجتمع، وصاحبها مجرم في حق دينه وأمته، يثير الاضطراب، والبلبلة، والفوضى في الأمة، فهو شر من مروجي المخدرات؛ لأن كلاً منهما يستهدف الإنسان، فكم للشائعات من آثار سلبية على الرأي العام، وصناع القرار في العالم.

ومن المؤلم حقاً، أن تتلقى الإشاعات المغرضة وكأنها حقائق مسلمة، فيجلس أحدهم ساعات طويلة أمام أجهزة الإعلام، أو أمام الانترنت عبر المواقع المشبوهة، فيشوه سمعه، وبصره بالشائعات الباطلة، مما تتحرج النفوس المؤمنة من مطالعته، أو البوح به، فيصبح من حيث لا يدري أداة في أيدي اللوبي الصهيوني العالمي ضد أمن أمة الإسلام.

وقد رسم الإسلام المنهج الصحيح لمواجهة أخطار الشائعات، حتى يقوم المجتمع المسلم على بناء قوى متماسك يواجه الفتن، والعواصف العاتية، والأمة مطالبة بالتصدي لهذه الظاهرة المدمرة للمحافظة علي أمن المجتمع، واستقراره، وعلى البيت، والمسجد، والأسرة، والمدرسة، ووسائل الإعلام، دور كبير في الوعي، وتقوية الوازع الديني، ونشر الحقائق، وتبيينها، وعدم التساهل في نقل الكلام، وبث الأنباء، وخاصة في أوقات الأزمات، وعدم التهويل، أو الإثارة والمبالغة، في التحليلات المشبوهة.

ومن أولى الخطوات في مواجهة حرب الشائعات تربية النفوس على الخوف من الله، والتثبت في الأمور، فالمسلم لا ينبغي أن يكون أذناً لكل ناعق، بل عليه التثبت، والتحقق، ليسد الطريق أمام الأدعياء، الذين يعملون خلف الستور.

الشائعات للأسف الشديد تنتشر في بلادنا، بل وفي كل بلاد العالم بسرعة الصاروخ في كل المجالات، وبين مختلف فئات المجتمع، فقد وصلت الأمور لذروتها لدرجة أن حادثاً جنائياً يحدث يومياً آلاف المرات تم استغلاله في خدمة المؤامرة فقد قتلت أسرة مصرية مسيحية في الولايات المتحدة فثارت ثورة النصارى، وادعى بعض المخدوعين أن العائلة هربت من الاضطهاد من مصر فلحق بها الاضطهاد في أمريكا.... كلام لا يصدقه طفل صغير إلى أن بانت الحقيقة، وظهر أن الجريمة جنائية ارتكبها جار أمريكي بهدف السرقة، ولو لم تسرع الشرطة باكتشاف القاتل لربما تصاعدت الأمور إلى وضع مؤسف.

إشاعة خطف الفتيات وإجبارهن على الإسلام:

إن من يتابع الأخبار المزورة، والملفقة عن خطف الفتيات النصرانيات، وإجبارهن للدخول في الإسلام يُخيل إليه أننا نعيش في شيكاغو، وليس في مصر الذي أعظم ما يميزها: الأمن، والأمان.

تارة يزعمون أن الجماعات الإسلامية وراء هذه الحالات، وتارة أخرى ينسبون الأمر إلى ابن لادن! وتارة ثالثة يتهمون الدولة بضلوعها في هذه الجريمة.

ولأننا نعلم كما يعلم الإعلام المضلل، ويعلم كبار رجال الكنيسة بما فيهم أعضاء المجمع المقدس أنه لا يوجد شيء اسمه خطف، فقد قال الأنبا بخوميوس في مؤتمر تثبيت العقيدة باللفظ :« مفيش حاجة اسمها خطف بنات، محدش بيعرف يخطف قطة دلوقتي، وكل من تذهب تذهب بكامل إرادتها إما طمعاً في الإسلام، أو هروباً مع شخص»، والسؤال هو: لماذا لا ينشر وسائل الإعلام المضلل هذه التصريحات؟. فمن جديد عاد حديث بعض النصارى في مصر، ومنظمات أقباط المهجر عن ظاهرة خطف الفتيات القبطيات، وإجبارهن على الأسلمة بعد واقعة إسلام الفتاتين: ماريان، وكريستين وزواجهما من مسلمين...

قال مدحت قلادة المسئول الإعلامي لمنظمة أقباط متحدين في سويسرا إننا نملك سجلاً كاملاً موثقاً عن حالات الفتيات المسيحيات المختفيات منذ عهد السادات لأننا في عهد عبدالناصر لم نسمع أبداً عن قصص الحب بينهن، وبين شباب مسلمين.

ويوضح أنه لا يستطيع تحديد رقم لهذه الحالات لأنه لا يملك سجلاً كاملاً بكل محافظات مصر، لكن الأرقام موجودة في مديريات الأمن، وفي الكاتدرائية بالعباسية، ويشير إلى أن معظم المختفيات فتيات قاصرات «دون الثمانية عشرة من العمر» كما في حالة الفتاتين التي أثيرت مؤخراً «ماريان وكريستين» ويعتقد أنه سيتم الاحتفاظ بهما إلى أن يبلغا سن الرشد، ثم تجري عملية إشهار إسلامهما.

ويصف ما يحدث بأنه عملية تغرير بالفتيات القبطيات، بالوظائف، أو العاطفة، أو المال، ويعتقد أن ممولين خارج مصر لتلك العملية.

ويقول :«نحن لا نعارض علاقات الحب التي تكون فيها الفتاة القبطية كاملة الأهلية. عندنا في المسيحية (الله محبة)..هي حرة في ذلك ما دامت تملك أهليتها ولها حرية العقيدة»[343].

ولأن الأزهر يمثل الضلع الرئيس في هذه القضية، وهو المسئول عن إعطاء الإشهار الرسمي للمسلمين الجدد سألت «العربية.نت» الشيخ عبدالله مجاور- رئيس لجنة الفتوى الأزهرية التي تمتلك تلك الصلاحيات- فقال: «لجنة الفتوى يتبعها مكتب إشهار الإسلام للمصريين، وهناك مكتب آخر خاص بالأجانب في مقر المشيخة الأزهرية».

وأوضح أن«المسيحيين الذين يحملون الجنسية المصرية، ويرغبون في اعتناق الإسلام يأتون إلى المكتب الموجود عندنا في لجنة الفتوى للإشهار، يأتون طواعية، فلا إكراه على فتاة، أو امرأة، أو رجل من أجل أن يشهر إسلامه، لأننا نسير على المنهج الذي جاء في القرآن الكريم: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[344]وشدد الشيخ مجاور على القول:«إنهم يأتون إلينا طواعية ليشهرون إسلامهم فهل نردهم؟.. لا بالطبع، عندنا ضوابط لا يتم الإشهار بدونها منها:

(343)دنيا الوطن: 27/ 12/ 2005م.

(344)(البقرة/ 256).

- أن يكون بالغاً رشيداً عاقلاً.

- وأن يأتي بشهود معه لكي نتأكد أنه جاء طواعية.

- وأن يكتب عندنا إقراراً على نفسه بأنه جاء طواعية، ولم يكرهه أحد على الإسلام، وبدون هذا الإقرار نرفض أن نعطيه إشهار الإسلام، وهناك أمثلة كثيرة حصلت، كأن يتبين لي أنه جاء عن طريق أحد، أرفض ذلك إلى أن يتأكد لي أنه لم يمارس عليه إكراه، ويتضح لي من خلال مناقشته أنه رجل له فكر، وأنه اعتنق الإسلام عن إيمان وحب وهكذا».

وأكد أن اللائحة التي وضعها الأزهر بشأن إشهار الإسلام سواء من الفتيات، أو الشباب تنص على ألا يكون السن أقل من16 عاماً، فالشرع حدد ذلك بالبلوغ، والفتاة تبلغ عادة قبل 16عاماً، وبالتالي وضعت اللائحة هذا السن كحد أقصى لمرحلة البلوغ، نافياً ما تردد بأن لائحة الأزهر تحدد سن 21 سنة شرطاً لإشهار الإسلام، موضحاً أنه لا يمكن وضع لائحة مخالفة للشرع.

وسألت الشيخ مجاور: هل تنص لائحة إشهار الإسلام على إعلام الكنيسة، وإخضاع الفتاة التي تريد الإسلام لجلسات النصح بالكنسية؟. فأجاب بقوله: لا يوجد نص على ذلك. جهات أخرى لها اتصال بالكنيسة تقوم بذلك.

بالنسبة لنا من يأتينا طائعاً، مختاراً، بالغاً سن الرشد، والكمال– رجلاً، أو امرأة – ونجد فيه الرغبة الحقيقية في اعتناق الإسلام، ويكتب إقراراً على نفسه بأنه لم يكره على ذلك، نقوم بإشهار إسلامه، وعليه بعد ذلك أن يكمل إجراءاته مع الجهات المعنية الأخرى، وهذه الجهات قد تتصل بالكنيسة، أو غير ذلك وقد تعقد له جلسات».

وحول توصيف منظمات أقباط المهجر بأن اعتناق فتيات قبطيات للإسلام يأتي ضمن ظاهرة حوادث خطف، وأسلمة جبرية، قال الشيخ عبدالله مجاور- رئيس لجنة الفتوى الأزهرية-:«هذه مبالغة شديدة جداً جداً. هذا لا يحدث أبداً، ليس عندنا في مصر. إكراه على الإسلام، وهذا أقوله لك كشخص معايش للواقع، وأقوم بهذه الإجراءات بنفسي، لم يأت أحد أبداً مكرهاً على الإسلام، نحن لسنا في حاجة لمسلمين جدد حتى نقوم بذلك، ولكن من يأتي راغباً للإسلام عن حب، وإيمان لا نرده عملاً بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، طالما أنه يفي بجميع الشروط التي وضعها الأزهر».

وقال إن الجهات الرسمية لا تعطي أية أوراق للشخص الذي تحول للإسلام تتوافق مع ديانته الجديدة دون أن يقدم الإشهار الممنوح له من الأزهر، لكن هناك نصارى مصريين يشهرون إسلامهم في دول أخرى، ويأتون بوثائق تثبت ذلك ونحن نقوم بتأكيدها لهم.

وأوضح أن الإشهار الأزهري هي عملية رسمية نظامية من أجل البطاقات الشخصية، وجوازات السفر، لكن المتحول للإسلام يصبح مسلماً شرعاً بمجرد قراءته الشهادتين، وأداء فرائضه الدينية، وهذا يدخل في إطار الشأن الشخصي.

وقال الشيخ مجاور: «نحن في لجنة الفتوى بالأزهر نعمل في النور، ولا تعتيم عندنا على هذه الأشياء، ولا ضغط على كائن من كان، ولم يثبت قطعياً أن جاءنا شخص بالإكراه. وقد جاءني بعض المسئولين من إخواننا المسيحيين، وتحدثنا كثيراً عن ما يحدث في مكتب الإشهار وبمنتهى الحيدة، وقد أعربوا عن اقتناعهم تماما».

وتواصل العربية تقريرها فتقول: ...اتهام بعض الجهات القبطية لجماعات معينة جعلنا نسأل الخبير في شئون الجماعات، والحركات الإسلامية الدكتور كمال حبيب عن حقيقة ذلك فقال: «مراجعة أدبيات الإسلاميين تدل على أنه لا يوجد إطلاقاً استهداف للأقباط بكل طوائفهم بأي شكل من الأشكال، إنما العمليات التي حدثت مثلاً من الجماعة الإسلامية في الماضي بخصوص محلات الذهب، أو غيرها كانت جزءا من إطار تنامي صراع طائفي بين الأقباط، وبين الدولة.

وأضاف أن العنف الذي حصل في مصر لم يكن مقصوداً به مسيحيون إطلاقاً، وإنما استخدمت جهات يسارية، وعلمانية الورقة القبطية كجزء من تأجيج الصراع بين الدولة، وبين الإسلاميين».

وقال: «إذا كان التوتر الطائفي في الماضي حدث بين الكنيسة، وبين الدولة، فإن المصيبة حالياً أنه يحدث بين الكنيسة، وبين الجمهور المسلم كما حصل في الإسكندرية بعد حكاية الـ**CD** الشهيرة الذي كان يحمل مسرحية مسيئة للإسلام. كما أن الكنيسة بدأت تستغل الظرف الديني المواتي للضغط على الدولة، والحديث عن مظالم قبطية هو تكرار لنفس المظالم التي أثيرت في المؤتمر القبطي عام1910م. من بين هذه الأشياء ما يثيره الآن أقباط المهجر بشكل رئيسي بأن هناك أسلمة للقبطيات من قبل جماعات إسلامية، وهذا لم يحدث أبدا».

وطلب من يثير هذه الدعاوى «أعطونا دليلاً. فمثلا حادثة الفتاتين ملخصها أنهما أحبتا شابين مسلمين، وتم الزواج. إننا نريد من يتهم جماعات إسلامية أن يقول لنا أين هي هذه الجماعات؟..القول بأن هناك جماعات، أو منظمات دون ذكر أسماء يماشي العقل الغربي، ويغازل خياله، وليس له أي أساس حقيقي من الواقع، وغرضه الحصول على دعم من الجهات الأمريكية بالذات، وبعض المنظمات التي تدعم أقباط المهجر».

واستطرد الدكتور كمال حبيب :«لا يوجد إطلاقاً هذا الكلام. بالعكس فإن الخطاب الإسلامي بما في ذلك الجماعة الإسلامية نفسها حدث فيه تطور كبير جداً، واجتهادات تفسر النص الإسلامي باتجاه المواطنة، فمثلاً هناك اتجاهات قدمها المستشار طارق البشري في كتابه (المسلمون والأقباط) في اتجاه المشاركة».

وقال إن مراجعات الجماعات الإسلامية الأخيرة كلها تركز على فكرة المشاركة على أساس أخوة المواطنة، ولكل أن يظل على دينه، ويرى أن مسائل الخطف، والأسلمه ما هي إلا إشاعات: «قالوا عن وفاء أنها اختطفت، وأجبرت على الإسلام، ثم قالت هي بعد ذلك أنها خرجت بإرادتها، وقبل ذلك بعامين كانت تصوم، وتقرأ القرآن الكريم، إنه جزء من حملة على الدولة، وعلى الإسلاميين[345].

وقد نفى المفكر جمال أسعد أن يكون هناك عصابات منتشرة بشوارع أسيوط تقوم باختطاف الفتيات المسيحيات لإجبارهن على الزواج من شباب مسلم، مؤكدًا أن هذا الكلام عار تمامًا من الصحة.

وأشار إلى تفسير آخر لما يثار حول ذلك، قائلاً إن هناك قصص حب تنشأ بين فتيات، وشباب ينتج عنها تحول الفتيات القبطيات إلى الإسلام، وهو أمر لا يمكن أن نسميه اختطافًا حسب ما يروج بعض الأقباط .

(345)دنيا الوطن:27/ 12/ 2005م.

وأضاف أسعد متسائلاً: إذا كان هذا القس يملك المعلومات ولديه عنوان المنزل المشار إليه في تصريحه فلماذا لا يبلغ السلطات الأمنية، والمختصة حتى تتخذ إجراءاتها لإيقاف هذه الجريمة بدلاً من المتاجرة بالقضية على المدونات، واستغلالها من أقباط المهجر بهذا الشكل المثير، والخطير؟.

واستطرد قائلاً: أنا من أبناء أسيوط، ولم أسمع قبل ذلك عن تلك العصابات، وإن كانت موجودة بالفعل فهذه جديدة، وإن لم يتم الإبلاغ عنها فهذه جريمة أكبر، متسائلاً: هل من المعقول أن تسير الفتاة القبطية في الشارع، ويتم اختطافها في وضح النهار من قبل عصابات؟.وطالب أسعد بمحاكمة المروجين لمثل هذه الشائعات التي تمس الأمن القومي لمصر. وبعد أن أصبح الواقع خطيرًا، داعيًا الكهنة إلى الكف عن الحديث عن اختطاف الفتيات القبطيات، وإجبارهن على اعتناق الإسلام، والاهتمام بدلاً من ذلك برعايتهن، وحسن تربيتهن[346].

إشاعة زوجة أحد الرهبان:

خرجت شائعة مغرضة عن خطف إحدى زوجات راهب كنيسة بأبو المطامير في محافظة البحيرة السيدة (وفاء قسطنطين) وأن الذي خطفها زميل مسلم لها في العمل لإجبارها على الزواج منه... واعتصم مئات من الشباب في الكاتدرائية المرقصية بالعباسية مطالبين بتسليم السيدة إلى ذويها وإلا فإن اعتصامهم سيطول، ويطول... وأوقات مثل هذه تكثر الشائعات، وتزداد مثل كرة النار تزداد شيئاً فشيئاً، وكل واحد يسمعها لابد وأن يضيف لها قبل نقلها.

وشهدت الكاتدرائية أحداث مؤسفة من مصادمات بين الأمن، والشباب المعتصم أدت إلى إصابة50 رجل أمن، وإتلاف عدد من السيارات خارج الكاتدرائية.. وبدون الدخول في تفاصيل ما حدث... كانت السيدة (وفاء قسطنطين 40 سنة) زوجة الراهب يوسف عوض قد تركت أبو المطامير برغبتها، وإرادتها الحرة...وأعلنت إسلامها في إحدى أقسام الشرطة حتى تستكمل الإجراءات القانونية لإشهار إسلامها...إلا أن الدنيا قامت ولم تقعد حتى يسلم جهاز الأمن وفاء قسطنطين إلى رجال الكنيسة الذين كانوا مُصِّرين على إنها واقفة تحت ضغوط، وتأثير، وبحاجة إلى دروس نصح، وإرشاد.

(346)مجدي رشيد، جمال أسعد يُكذب وكيل مطرانية أسيوط: لا وجود لعصابات لاختطاف الفتيات القبطيات وعلى الكهنة الاهتمام بتربيتهن بدلاً من الترويج للشائعات، المصريون:10/ 9/ 2007م.

وعندما تأخر تسليم السيدة أعلن البابا رفضه لكل ما يحدث، وأنه متجه إلى وادي النطرون للاعتكاف احتجاجاً على ذلك، وأنه لن يرجع حتى تحل كافة المشاكل...وفي النهاية تم تسليم السيدة وفاء لتسلم إلى دير وادي النطرون لينتهي بها حال الله به عليم، وكنت أعتقد أن ملف السيدة وفاء قد انتهى للأبد لكن خاب ظني فعادت الصحف، والمنتديات تتراشق الاتهامات، والإدانات، فالمنتديات، والمواقع النصرانية يزعمون أنها عادت للنصرانية، وأنها كان مغرر بها، وواقعة تحت ضغوط.

ومما ألهب الحماس ما ذكره الدكتور زغلول النجار في تسجيل صوتي نشر على الكثير من مواقع الإنترنت أن السيدة وفاء قتلت في وادي النطرون لرفضها العودة للنصرانية، وتحدى قيادات الكنيسة أن تخرج للناس، وتعلن خلاف ذلك، كل ذلك وجمعيات ومنظمات حقوق الإنسان لاترى، لاتسمع، لا تتكلم، وأعتقد أننا لو التزمنا بتعاليم الإسلام، والتزم النصارى بتعاليم كتابهم المقدس ما حدث هذا.

أحداث نجع حمادي المؤسفة

كانت أحداث نجع حمادي المؤسفة مرتعاً، ومجالاً خصباً لخفافيش الظلام لهواة الصيد في الماء العكر ممن يتربصون بأمن مصر، ووحدتها، واستقرارها فكثرت الإشاعات، والافتراءات التي لا تمت للحقيقة بصلة، ومن هذه الإشاعات:

- إن المستهدف كان هو الأنبا كيرولس.
- أن هذا العمل مخطط له من الجماعات الدينية.
- وجود تواطأ أمني مع المجرمين.
- اتهام شخصيات سياسية بالضلوع في الحادث.

وغير ذك من الأكاذيب، والافتراءات، ولأن المصارحة مطلوبة، ووضع النقاط على الحروف، لاسيما عقب هذا الحادث لابد من بيان هذا الأمر:

* وقع هذا الحادث على خلفية اغتصاب طفلة مسلمة12 عاماً على يد أحد المسيحيين21 عاماً، ولم يكتف بهذا بل قام بتصويرها عارية بموبايل، وقام بنشر هذه الصور.

* قام عدد من المسلمين بمهاجمة ممتلكات قبطية في مدينة فرشوط جنوبي مصر- بعد هذا الحادث، وحاول البعض النيل من الفاعل أمام مركز شرطة فرشوط خلال نقله إلى المحكمة لنظر تجديد حبسه في قضية هتك عرض الطفلة.

* بدوره أرجع اللواء مجدي أيوب هجوم نجع حمادي إلى العديد من الحوادث التي مثلت استفزازا للمسلمين، ومن بينها واقعة اغتصاب طفلة مسلمة في فرشوط، وقال: أنا مسيحي ومحافظ قبطي، ولقد شرحت وقائع الحادث والتي بدأت بواقعة الاغتصاب للطفلة المسلمة، وتبعها نزع أحد الأقباط وهو صاحب محل للموبايلات لنقاب إحدى المسلمات أمام محطة الأتوبيس لشكه في قيامها بسرقة أحد أجهزة الموبايل من محله، فضلاً عن تداول صور شابات مسلمات بطريقة فاضحة على تليفونات محمولة للنصارى.

* ذكر نجيب جبرائيل المستشار القانوني للكنيسة، إلى أن البابا توجه إلى الدير بعد ما انزعج من الأسلوب السلبي لتعامل السلطات مع الحادث. نفي جبرائيل استقرار الأوضاع في نجع حمادي، وأشار إلى حدوث مواجهات في مناطق عديدة مثل الرحمانية، وبهجورة، ونجع حمادي.

وكشف «جبرائيل» في تصريحات للـ «الوفد» عن وصول بعثة دولية لتقصي- الحقائق عن الحادث، وتضم ممثلين عن الأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي، أكد جبرائيل أن الأقباط لن يسمحوا بمروره مرور الكرام هذه المرة.

وانتقد جمال أسعد تصريحات جبرائيل، واتهمه بإشعال النيران في مصر-، ولا يريد للفتنة أن تهدأ، كما اتهم المؤيدين لاتجاه جبرائيل بأنهم مستفيدون مادياً، وإعلامياً من خلال علاقاتهم مع الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، وصف أسعد وصول بعثة دولية لتقصي- الحقائق بأنها عار لمصر، وطالب البابا شنودة بإغلاق الباب في وجهها، ومحاكمة من طلبها، كما ندد بدخول الكنيسة طرفاً في حادث نجع حمادي، ووصف الحديث عن اعتكاف البابا، أو منع الاحتفالات بالعيد بأنه يؤجج الصراع، ويثير الفتن بين أبناء الشعب الواحد. وأشار إلى ضرورة التعامل مع الحوادث بمنطق وطني لا علاقة له بالدين، لأن القاتل مصري، والمقتول مصري أيضاً(347).

(347)جريدة الوفد:10/ 1/ 2010م.

وقفات مع هذا الحادث المؤلم

- إنه لمن الإنصاف القول إن حادث نجع حمادي أدانه كل طوائف الشعب، ولم أسمع أن واحداً عبر عن رضاه بهذا الحادث.

- إن الحادث بعيد كل البعد عن الطائفية فالمتهم في الحادث كما هو معلوم لدى النصارى قبل المسلمين مسجل خطر[348]، وباعترافاته ليس وراءه تنظيم من أي نوع.

- إن من أطلق النار لم يفرق بين مسلم، ونصراني بديل موت حارس الأمن المسلم.

- من طالبوا بمحاكمة القتلة إلى محاكمة عسكرية، ومعهم كل الحق كان يجب عليهم أيضاً أن يطالبوا بمحكمة مغتصب الطفلة أمام محكمة عسكرية فالأعراض له وزنها في الشرائع السماوية.

- دعني أسأل هؤلاء الذين يريدون فتنة لا تبقي، ولا تذر لو أن آخر اغتصب طفلتك بهذه الصورة الهمجية وصورها، ونشر هذه الصور فماذا أنت فاعل؟ أحسب أنك ستطالب البيت الأبيض أن يتدخل فوراً أليس كذلك؟.

التعامل مع أسباب وجذور المشكلة

على صناع القرار في الوطن الواحد العمل بجدية للتعامل مع أسباب وجذور المشكلة، وعدم الاكتفاء بالتعامل مع الأعراض، والمظاهر فقط، وهنا تتحمل المؤسسات التعليمية، والثقافية، ومنابر الفكر، ووسائل الإعلام مسؤوليتها، وأن تعيد هذه المؤسسات النظر في الخطاب الديني[349]لنزع كل ما يؤدى إلى الفتنة، وما يحض على التعصب، والتطرف وكراهية الآخر، والتعامل بجدية مع مختلف المشكلات القائمة، والقضايا المطروحة، وإيجاد الحلول لها دون تأجيل، أو تسويف بدعوى الاهتمام بالمشكلات الاقتصادية، والقضايا السياسية التي تحتل الأولوية دائماً في برامج العمل الوطني؛ لأن ترك الأزمات الطائفية تنمو، وتشتعل سوف يؤثر على خطط البناء، والتنمية في المجتمع، كما يتحمل علماء الدين مسؤولية تقديم صحيح الدين، وجوهر العقيدة إلى الرأي العام.

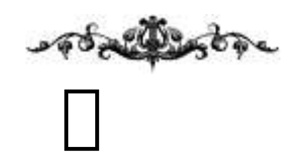
---

(348)حكم على القاتل حمام الكموني بالإعدام وتم تنفيذ الحكم يوم الاثنين10 أكتوبر2011.

(349)بما لا يخل بالثوابت.

لذلك كان الواجب هو البحث عن أسباب التوتر الطائفي، لتخفيف درجة حرارتها وحدتها، والابتعاد بها عن درجة الصراع المدمر لسفينة الوطن- التي تجمع، وتقل الجميع- والوقوف بهذه الاختلافات عند إطار التنافس، والتسابق، والحراك الذي يولد الحيوية الاجتماعية، والفكرية في إطار وحدة السفينة- الوطن- وإقلاعها المتوازن وسط الأعاصير، والمخاطر، والأنواء.

وهنا يأتي دور الدعاة في الإصلاح، والبناء، كما تتحمل المدارس، والمعاهد الدينية مسؤولية تأهيل دعاة نابهين، وقادرين على التعامل مع المتغيرات الدولية، والأحداث المعاصرة التي تفرض نفسها على الصعيدين الدولي، والمحلي لبناء إنسان سوي قبل بناء المصالح، وإصلاح الأراضي؛ لأن الإنسان هو الركيزة الأساسية، والعنصر الرئيسي في التنمية، وتقدم الأمم، فلا مجال للتقدم، والتحضر إذا لم يكن الإنسان هو الهدف الذي تتمحور حوله كافة الجهود لأي بناء مادي سوف ينهار مهما كان شامخاً، ويتحطم على صخرة الحقيقة الزائفة، وهنا تبرز أهمية بناء رأس المال البشري في المجتمعات العربية.



الخاتمة

* بات ضرورياً استبعاد الأوهام التي تروجها قطاعات أقباط المهجر، تلك التي سقطت في شباك الغواية الصهيونية- الغربية، والتي تزعم أن العروبة، والإسلام طارئين على الشرق، ويجب تحرير النصرانية الشرقية منهما!!.. فليست هناك- ولا يعقل أن تكون- امتيازات للأقدمية الدينية».. فدين الله واحد، والتعددية، والتوالي إنما هما في الشرائع، والنبوات، والرسالات، التي هي معالم على طريق الوصول إلى الله.. فالمسلمون الفرس هم إيرانيون زرادشتيون أسلموا، وليسوا طارئين، ولا وافدين على إيران.. وكذلك المسلمون المصريون، هم مصريون- أي أقباط- أسلموا، وليسوا مهاجرين من شبه الجزيرة العربية إلى مصر.. وعلى الذين يزعمون أن المسلمين في المشرق، والمغرب هم مهاجرون طارئون على البلاد التي فتحها المسلمون- أن يتعلموا ويعلموا حقائق «الديموجرافيا» التي كتبها، ونشرها العلماء غير المسلمين.

* إن إغراءات أقباط المهجر، ووعودهم الزائفة قد فتحت شهية البعض داخل مصر؛ ليسيروا في ركب أطماعهم الدنيئة، وليكونوا جزءًا من لعبة قذرة تحاول السياسة الأمريكية تفعيلها داخل بلاد المسلمين..وذلك بإثارة النعرات الدينية، والطائفية؛ تمهيدًا لتفجير المجتمعات الإسلامية من الداخل، والانقضاض عليها دون مواجهة أدنى مقاومة.

ولكن ينبغي على الجميع أن يعلم- وفي مقدمتهم نصارى مصر- أن الطوفان الأجنبي حين يثور يغرق الجميع، وأن الخاسر الأول في هذه اللعبة، هم أبناء الوطن جميعًا دون تمييز بين مسلم، وغير مسلم.. فلنكن على مستوى الوعي المطلوب لتلك المرحلة الدقيقة من عمر أمتنا، وأوطاننا.. ولنترفع عن الأطماع الذاتية، والمصالح الشخصية الضيقة، قبل أن يغرقنا الطوفان.

* أقول لأقباط المهجر إننا نملك لساناً كألسنتكم، ولدينا قاموس كلمات مثل الذي عندكم، لكن أبداً لن ننزل إلى هذا المستوى الوضيع من الردح الذي تمارسوه بين الحين، والآخر فقد علمنا قرآننا: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[350].

* لقد وضح لكل ذي عين اتفاق وجهة النظر بين القرآن، والإنجيل على: - جواز زواج النصرانية من مسلم وتحريم زواج النصراني من مسلمة.

- حرية التحول من النصرانية لأي دين آخر، بينما ترتب الشريعة الإسلامية عقوبة الردة على من خرج من الإسلام.

* إن التعصب رذيلة، بصرف النظر عن دين المتعصبين.. أما السقوط في شباك الغواية الاستعمارية فهو الخيانة للوطن، وللدين معاً، ولنتذكر مرة أخرى الخيار الصهيوني للأقليات كما جاء في مقررات (ندوة التسعينات) والذي قالوا فيه :«إن هذه الأقليات هي شريكة لإسرائيل في المصير، وفي الوقوف ضد الإسلام والقومية العربية».

* إلى من يصرخون بالداخل والخارج يطالبون بإلغاء المادة الثانية من الدستور المصري كفوا عن هذا المطلب فإنه منطقة ألغام يجب الابتعاد عنه فدين الأغلبية هو الإسلام، ومن حقهم أن يعبر دستور بلادهم عن ذلك، وهذه أبسط مبادئ الديمقراطية التي يطالب بها الجميع مع عدم تجاهل دين الأقلية وهو كذالك واقع في الدستور بجعل أمورهم الدينية من خلال أحكام شريعتهم، والباقي ينطبق عليه القانون المدني، وعلى النصارى أن يتنافسوا في الحياة السياسية، والاجتماعية، والعلمية طبقاً لقدراتهم، بدون المطالبة بحصة حمائية لهم فهذا منتهى العدل، والديمقراطية التي يطالبون بها، فالمسلمون ليس لهم مثل هذه الحصة لا في البلاد التي يشكلون فيها أغلبية، ولا التي هم فيها أقلية.

* إلى من يصرخون بالداخل والخارج يطالبون بقانون موحد للعبادة أقول هل ستقبل الكنيسة المصرية مثلاً أن يتضمن القانون: بنود تنطبق على المؤسسات، ودور العبادة للمسلمين، وتطبق على المؤسسات، ودور العبادة للنصارى؟، هل ستقبل الكنيسة أن تعامل كالمساجد في:

(350)(الأعراف/ 199).

1 -خضوع الكنيسة المصرية بكل فروعها، ومؤسساتها لرقابة، وتفتيش أجهزة الدولة المالية، والإدارية، والأمنية كما هو الحال مع الأزهر، وكل المؤسسات الدينية الخاصة بالمسلمين.

2- جعل منصب البابا بالتعيين من رئيس الجمهورية مثل شيخ الأزهر.

3- إغلاق الكنائس مباشرة بعد مواعيد تأدية العبادات إلا بأذن من السلطات الأمنية كما هو الحال في المساجد.

4- منع استخدام دور العبادة في الترويج لأفكار سياسية كما هو الحال في المساجد.

5- منع استخدام دور العبادة في الترويج لأفكار متطرفة تدعوا للفرقة، والفتنة الطائفية، وتفتيت المجتمع على أساس طائفي، والقبض على من يقوم بذلك مها كان درجته باعتبار أفكاره تهدد أمن البلاد.

6- إزالة كل المباني الدينية المقامة على أراضي الدولة، أو الأفراد بغير ترخيص، أو عقود ملكية، أو مخالفة للتنظيمات البنائية، والقوانين، وإعطاء الجزاء الرادع للمتسبب في المخالفة أي كان صفته، وعدم السماح ببناء غيرها دون استيفاء متطلباتها القانونية وهو مبدأ أساسي في العدالة، والمساواة.

7- أن يتنافس النصارى في الحياة السياسية، والاجتماعية، والعلمية طبقاً لقدراتهم، بدون المطالبة بحصة حمائية لهم فهذا منتهى العدل، والديمقراطية التي يطالبون بها، فالمسلمون ليس لهم مثل هذه الحصة لا في البلاد التي يشكلون فيها أغلبية، ولا التي هم فيها أقلية.

8- أن يعتبر البابا أن النصارى نفسهم جزء من شعب مصر بمحيطه الثقافي، والاجتماعي، وليس شعب الكنيسة كما يقول دائماً مما يكرس تقسيم البلد إلى طوائف، وهو ضد العمل بمبدأ المواطنة فالمسلمون لا يعتبرون نفسهم شعب الأزهر، ولكن يعتبرون نفسهم شعب مصر المسلم.

9- أن يكف مروجوا الفكر الإنعزالي، والمتطرف عن تزوير تاريخ مصر، وإدعاء أن المسلمين غير مصريين مما يكرس الطائفية، والكراهية، والانقسام بين الشعب الواحد.

10 - أن يكف المتعصبون، والمزورون للحقائق من النصارى عن أدعاء أن كل من أسلم قد أختطف، وأجبر على الإسلام، أو تمم التغرير به باعتبار أن كل من أسلم من النصارى ليس لديه الأهلية لاختيار دينه عملاً بمبدأ حرية العقيدة التي يطالبون بها ليل نهار.

* على منظمات حقوق الإنسان التي يتزعمها مصريون من النصارى أن تطالب بحقوق المصريين، بدون تفريق ديني حيث لا نرى منهم غير المطالبة بالحق، والباطل بحقوق النصارى، حتى ولو كانت في أمور من نسج خيالهم.



كتب للمؤلف تحت الطبع

❊ قطوف الجنان في الرد على بابا الفاتيكان.

❊ المادة الثانية من الدستور وخطر الانفجار الطائفي.

❊ معامل تفريخ الإرهاب .

❊ الابتلاء.

❊ أعظم من عرفته البشرية (لغير المسلمين).

❊ الميراث بين الحكمة الإلهية والانحرافات البشرية.



فهرس الكتاب

عدنان القصاب .... في الذاكرة

وليد رشيد العبيدي

دار .....للطباعة

عدنان القصاب

في الذاكرة

القاهرة

1431هـ 2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين .

صدق الله العظيم

الأعراف الآية 89

بطاقة الفهرست

اسم الكتاب : عدنان القصاب في الذاكرة

المؤلف : وليد رشيد العبيدي

الطبعة ....

رقم الايداع ب..........

إهـداء

الى روح أبي .....أمي .....أخي..... رحمهم الله

الى زوجتي.............

الى أختي ....

الى ريحانتي في الحياة إبنتي رزان وبنتيها رانيا وريا

مقدمة القصـاب

ان مسيرة حياتي منذ الولادة الى وقتنا هـذا تـم التعبـير عنهـا بكتابـات أصـدقائي ومعـارفي ، ولا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لكل مـن سـمحت لي الظـروف الاتصـال بهـم ، والى كـل مـن لم اتمكن من الاتصال بهم بسبب الظروف التي أحاطت بكل منا ، وأصـبح كـل واحـد منـا يعـيش في بلد بعيد عن الآخر .... ان المحطات الكثيرة التي تخللت مسيرة حيـاتي مـا كـان يمكـن ان تتحقـق دون مـؤآزرة ومسـاعدة زملائـي وأصـدقائي عـلى مختلـف الأصـعدة السياسـية والعمليـة والحياتيـة ....

وأخص بالذكر زوجتـي التـي كانـت لي العـون والسـند للتغلـب عـلى الصـعاب ، وهـي كثـيرة ، وآخرها وقوفها معي أثناء مرضي والعناية بي دون كلل أو ملل ، فلهـا مني كـل الحـب وجزاهـا الله عني كل الجزاء ....

عدنان القصاب

15 تشرين الثاني 2011

القاهرة

مقدمة المــؤلف

عندما نعلم اننا نحن رجال العراق قد أضعنا الكثير من أيامنا وسني عمرنا في تفاهات الأمور ، فإننا على يقين إن رجالاً قد سبقونا لم يكونوا مجرد عباقرة أو عمالقة ، بل كانوا أساطير الزمن الأول بكل ما تحمله الكلمة من معنى .

إن الهمة العالية أو علو الهمة في مجالات الحياة العلمية والعملية هي المنقبة المشتركة لهؤلاء الرجال منذ بداية تأسيس الدولة العراقية في العصر الحديث وحتى إحتلالها من قبل الولايات المتحدة عام 2003 ... وكل منهم يحتاج الى دهر للحديث عن مناقبه وآثاره ...

إننا نتحدث هنا عن شخصية ونموذج رائع قل أن يجود الزمان بمثله ، يمتلك خصائص إنسانية ومهنية استثنائية ، مناضل عانقته جبال العراق وسهولها ، وشطآنها ، قامته وطنية عالية ، عطاؤه زاخر بقيم وثوابت وطنية وأخلاقية بارزة ، لم تأخذه مزالق الأحداث على إمتداد أكثر من نصف قرن ، ولم يحد عن الثوابت الوطنية وأنجز أعمالاً عظيمة في أوقات قصيرة ... فصاحب هذه الشخصية التي كتبنا عنها أو إكتتبنا منها ، مناضل جسور تشهد له مواقفه الوطنية والسياسية منذ بداية تأسيس حزب البعث وإنخراطه في صفوفه ، مرورا بمشاركته في ثورات غيرت خارطة العراق السياسية ، ومهما قلنا من كلمات لا نفيه حقه لأنه ومسيرته النضالية أكبر من الكلمات ، فقد ترك بصماته واضحة على مختلف جوانب الحياة السياسية والعملية في الساحة الوطنية العراقية ، وهو من القلائل أو ربما يكون الوحيد الذي ظل يمارس عمله بإخلاص رغم ما شاب كل المراحل التي مر بها العراق من خلافات وانقلابات وتباينات في الرؤى والأفكار ، ومع ذلك كان موجودا وعنصرا مؤثرا في المسيرة الوطنية ومتصدرا للأحداث ، نذر حياته وكل جهده لخدمة العراق ، إنه بحق عَلم من أعلام البلاد ونجم من نجومها يتلألأ في سمائها بل هو إبناً باراً من أبنائها الذين أنجبتهم .

إنه (الاستاذ المهندس عدنان القصاب) أستاذاً فاضلاً وموجهاً صادقاً ومربياً مخلصاً ، أحبه الكبير قبل الصغير بأخلاقه وعلو همته وصدق عزيمته ، تراه إذا تفرق الناس جمعهم وإذا حاورهم أرشدهم ، يعرف مايريد وأهدافه واضحة ، عندما تقابله تجده بشوشاً رقيقاً ليناً فينشرح صدرك لذلك ولا ترغب بمغادرته ، أثبت على أنه شخصية فذة يفتح قلبه لجميع الناس ويتمتع برؤى مستقبلية ثاقبة لخدمة بلاده إيمانه منه بتحقيق الخير لمجتمعه .

هذا الرجل الإنسان ترك بصماته في المجالات التي إشتغل أو تقلد مسؤوليات فيها بالدولة العراقية منذ تخرجه من كلية الهندسة عام 1957م وحتى تاريخ كتابة هذه السيرة العطرة ، وكان نموذجا في الوطنية والعمل ، كرس حياته وجهده لخدمة وطنه ، وقدم الشيء الكثير له ، وساهم في تكوين أجيال من المهندسين ، وساهم في تطوير أسس وقيم وأخلاقيات المواطنة التي تربط الحق بالواجب وبالمسؤولية ، فهو بحق علم عراقي شامخ ، فله مني تحية إجلال وإكبار وتقدير وأطال الله في عمره وأعانه على تحمل المرض الذي أقعده وحرمنا من إبداعاته .

المؤلف

13 تشرين الثاني 2011

القاهرة

من هو المهندس عدنان القصاب

هو المهندس عدنان علي حسين عبد العزيز القصاب .

ولد في محلة سوق حماده بمنطقة الكرخ في بغداد سنة 1936م .

ينحدر من عائلة آل القصاب البغدادية المعروفة .

أكمل دراسته الابتدائية في مدرسة الكرخ الابتدائية في محلة الجعيفر ببغداد سنة 1946 م .

اكمل دراسته المتوسطة في متوسطة الكرخ سنة 1949م .

أكمل دراسته الثانوية في الاعدادية المركزية قرب منطقة الميدان وسط بغداد سنة 1951 م .

دخل كلية الهندسة جامعة بغداد سنة 1951 م .

تشبع بالافكار القومية منذ نعومة أظافره وأصبح عضوا في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي سنة 1952 م .

أصبح المسؤول الحزبي عن الكليات الطبية والهندسة سنة 1952 .

فصل من كلية الهندسة سنة 1956 بسبب ميوله السياسية القومية واشتراكه في التظاهرات المؤيدة لمصر وعبد الناصر إبان العدوان الثلاثي على مصر .

انتقل الى معهد الهندسة الصناعية العالي سنة 1956 م **وتخرج منه وحصل على شهادة الدبلوم من قسم المباني والانشاءات سنة 1957 م** بتقدير امتياز ، ونال شهادة تقديرية سلمها له الملك فيصل الثاني بنفسه تقديرا لتفوقه ..

ادى الامتحان الخاص بمعادلة شهادة الدبلوم وحصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة بغداد سنة 1974م .

أعتقل سنة 1959 م بتهمة الاشتراك في محاولة إغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم .

انتمى الى نقابة المهندسين العراقية بتاريخ 11/ 1/ 1960 م وكان رقم انتسابه 1292 .

تزوج سنة 1961 م من رفيقة دربه الطويل الصيدلانية مآرب احمد كمال العزاوي ، وهي من عائلة بغدادية قومية معروفة ، وقد تقلدت الكثير من المناصب في الحزب والدولة .

حضر المؤتمر القومي الخامس بحمص في آيار 1962م .

شارك في المؤتمر القومي السادس بدمشق في 5/ 11 / 1963 م بصفة عضو مؤتمر وتقاسم مع صدام حسين الغرفة نفسها في فندق قاسيون .

كلف من قبل الحزب بايصال عبد السلام عارف صبيحة ثورة 8 شباط 1963 م الى منطقة ابو غريب جنوب غربي بغداد ، حيث ينتظره احمد حسن البكر ورفاقه .

عُين بعد ثورة 8 شباط مباشرة في مديرية المشاريع الصناعية بوزارة الصناعة .

أُنتخب عضو قيادة قطر العراق للحزب بتاريخ 13 / 11/ 1963 م مع احمد حسن البكر ، صدام حسين ، طارق عزيز ، صالح مهدي عماش

عند انشقاق الحزب بعد بعد الثورة باشهر قليلة صدر أمر بمغادرته خارج القطر .

في عام 1964 م أعتقل بأمر من الرئيس عبد السلام عارف وأُدع في السجن رقم (1) في معسكر الرشيد جنوب شرقي بغداد .

بعد خروجه من السجن هرب بصحبة طارق عزيز الى سوريا ثم عاد بعد ثلاثة اشهر واختفى في أحد الأوكار التي خصصها له الحزب الى حين سقوط طائرة عبد السلام عارف ومقتله في 13/ 4/ 1966 م .

عُين مديرا عاماً للموانئ العراقية بتاريخ 2/ 11/ 1968 .

عُين رئيساً لشركة النفط الوطنية بتاريخ 2 / 7 / 1972 م .

عُين رئيساً للشركة العامة للمقاولات الإنشائية بتاريخ 20/ 9/ 1972 م .

عُين في ايلول 1980 أمين سر فرع محافظة ديالى للحزب .

في 3/ 3 / 1981 م وبدون سابق انذار أو معرفة الأسباب تم تنزيل درجته الحزبية الى عضو عامل .

انتخب نقيباً للمهندسين العراقيين اعتباراً من 29/ 3/ 1984 م .

تم انتخابه رئيساً لاتحاد المهندسين العرب سنة 1987 م .

تم تكريمه خلال احتفال اتحاد المهندسين العرب باليوبيل الفضي الذي اقيم في بغداد في نيسان / ابريل 1988 بمناسبة مرور 25 عاماً على تأسيس الاتحاد تقديراً للمساهمة الفاعلة التي قدمها لمسيرة الاتحاد .

في 1988 م تم تجميد نشاطه الحزبي وإحالته الى شعبة المناضلين .

في 1991 صدر قرار فصله من الحزب وأسدل الستار على تاريخه الحزبي والنضالي الطويل .

عين سنة 1989 امين عام اتحاد المقاولين العراقيين وظل في هذا المنصب لغاية 25/ 9/ 2011

في سنة 2002م أستدعي لتكريمه بسيارة نوع سيدرك هدية من صدام حسين .

نشأة القصاب

ولد عدنان علي حسين عبد العزيز القصاب في السادس عشر من كانون الثاني سنة 1936م بمحلة سوق حماده في جانب الكرخ من بغداد ، من أبوين عراقيين من عائلة آل القصاب ، وهي عائلة عربية مسلمة معروفة **استوطنت جانب الكرخ في بغداد وعرفت بالتقوى والصلاح والتمسك بالأخلاق الإسلامية الأصيلة والصدق في المعاملة ، فترعرع بين أحضانها متشبعا بروحها مؤمنا بمثلها مقتديا بهديها قولا وعملا سائرا على خطاها متبعا لتقاليدها برصانة واتزان وجدية وثبات** ، ويرجع سبب تسمية عائلته بآل القصاب الى جده الشيخ درع الجشعمي الذي كان يقيم المآدب والولائم وينحر الكثير من الأغنام ويدعو الناس إليها ، فأطلقوا عليه إسم القصاب .

وسوق حماده منطقة شعبية لها طابعها الخاص وإحدى المحلات البغدادية القديمة حيث تُعد من أقدم مناطق بغداد ، وكانت تسكنها أكثر العائلات العراقية المعروفة في ذلك الوقت ، وقد أنجبت منطقته سوق حماده الكثير من شخصيات ورموز وأعلام العراق ومفكريه وأدباءه وقادته ، بالإضافة الى الكثير من الفنانين وأساتذة الجامعات وقادة الرأي ومنهم على سبيل المثال وليس الحصر في مقدمتهم العلامة الشيخ عباس القصاب والعلامة الشيخ غلام رسول الهندي ، ابراهيم منير العبيدي المدرس ، الشيخ نجم الدين الواعظ ، المقرء الحافظ خليل اسماعيل ، المؤرخ والباحث سالم الآلوسي ، الفنان يوسف العاني ، الفنان رضا علي ، الفنان عبد الجبار الدراجي وكذلك عبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن عارف وغيرهم الكثير ....

وسوق حماده أطلق على المحلة التي كانت في عشرينيات القرن العشرين تبدأ من خط الترامواي مقابل شاطئ الجودي الى مقاهي (عكيل) وتتصل بسوق اللبن والشيخ علي ، وكان يسكن هذه المنطقة في ذلك الوقت عشائر السوامره والتكارته والجبور والعانيين والراويين ، وتشتهر بمقاهي عكيل والخانات واسطبلات الخيل ، ومقاهي عكيل في سوق حماده كانت أربعة مقاهي متجاوره أبتداء من سوق حماده باتجاه الشيخ معروف ثم منطقة سوق الجديد .

والده السيد علي حسين عبد العزيز القصاب بدء حياته العملية معلماً في مدينة العمارة مركز محافظة ميسان جنوبي العراق إبان فترة نهاية حكم الدولة العثمانية للعراق ، وبعد إحتلال البريطانيين للعراق سنة 1914م ترك مهنة التدريس في مدينة العمارة وانتقل الى محافظة بغداد وامتهن تجارة التبغ في سوق حماده ، استمر بهذا العمل لمدة ثلاث سنوات ثم عاد مرة أخرى الى مهنته الأصلية في التدريس بمنطقة الكرخ من بغداد .

وبعد ذلك انتقل من سلك التدريس الى العمل في مجلس الأمة (البرلمان)

بوظيفة مدير ادارة واستمر في هذه الوظيفة من سنة 1925م حتى سنة 1963م ، حيث ترك عمله أثناء حكم الزعيم عبد الكريم قاسم بسبب إستيلاء فاضل عباس المهداوي على مقر مجلس النواب وتحويله الى مقر لمحكمة الشعب التي أصطلح على تسميتها آنذاك بمحكمة (المهداوي) التي تحولت من محاكمة رجال العهد الملكي الى محاكمة الشعب وعلى وجه التحديد الضباط الأحرار المشاركين في ثورة 14 تموز 1958م ، وعلى رأسهم الفريق ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري ، بالاضافة الى القوميين والبعثيين .

تزوج والد عدنان من السيدة صبيحة عبد الرحمن القصاب سنة 1929م لكنها توفيت أثناء ولادة إبنها البكر إحسان ، وفي سنة 1931م تزوج من السيدة فاطمه القصاب إبنة العلامة الشيخ عباس حلمي القصاب المولود في بغداد سنة 1859م والذي أشتهر بورعه التام وحبه للخير والحق وله شعر رائق غالبه في التصوف ، حيث قال عندما ولد ابنه عبدالله في سامراء .

جاءت تبشرني بغلام حسن الوجه بسيم

فقلت لها لا تهني بل عزني فغلام الشيب يتيم

وعند عودته من سامراء الى بغداد وجد الأحوال غير الأحوال وطباع الناس قد تغيرت فقال هذه الأبيات من الشعر

خان أولي العلم واستبد أولي الأمر وضنت جميل فعلها ربت الخدر

ثلاث آفات فتكن بأمتي يوما وصلنا بها الى حافة القبر

وله مؤلفات كثيرة منها كتاب في الرد على بعض الفرق وآخر في حقائق التصوف ، عُين العلامة الشيخ عباس القصاب مدرساً في مدرسة جامع خضر الياس في الجانب الغربي من بغداد ، ثم أضيف إليه بعد ذلك التدريس في مدرسة جامع الشيخ صندل في الجانب الغربي من بغداد أيضاً ، ولبث قائماً بأمور التدريس حتى تعيينه سنة 1900م مدرساً في مدرسة سامراء الحميدية التي أنشأئها آنذاك الشيخ محمد سعيد النقشبندي ، فكان له من الطلاب فيها مائة وعشرون طالباً . ثُم عُين بعد ذلك مفتياً لمدينة سامراء سنة 1909م وبقي على ذلك حتى وفاته سنة 1916م ، وللعلامة الشيخ عباس القصاب العشرات من المخطوطات بلغت 150 مخطوطة مودعة في مكتبة جمعية التربية الاسلامية في العراق ، الكائنة في منطقة الكرخ شارع الإمام موسى الكاظم (ع)

أنجبت السيدة فاطمة للسيد علي القصاب مولودها الأول عدنان سنة 1936م وبعده مولودتها منى سنة 1941م ، عاش عدنان طفولته في منزل والده الكائن في محلة سوق حماده بمنطقة الكرخ ، وهو منزل كبير مكون من طابقين ، الأرضي منه يحتوي على غرفة كبيرة وكثيرة الشبابيك الزجاجية كانت تُعرف (بالجام خانه) مخصصة لإستقبال الضيوف والزوار ، كما يحتوي الطابق العلوي على ستة غرف للنوم .

دخل عدنان مدرسة الكرخ الابتدائية في محلة الجعيفر سنة 1940م وكان عمره لايتجاوز الخمس سنوات ، أكمل دراسته الابتدائية سنة 1946م ثم إنتقل بعدها الى متوسطة الكرخ بعدها أنهى دراسته الثانوية في مدرسة الاعدادية المركزية قرب منطقة الميدان في جانب الرصافة من بغداد سنة 1951م ، وخلال هذه المرحلة الدراسية بدأت تتفتح وتتبلور أفكاره القومية ....

تأثير نشأته على حياته العلمية والعملية

نشأ عدنان القصاب وسط عائلة بغدادية عروبية قومية محبة للخير والناس ، حيث تضم هذه العائلة العديد من رجالات السياسة المعروفين آنذاك ، وكانت عائلته ميسورة الحال ، خاله عبدالله القصاب كان وزيراً للداخلية ، وعم والدته عبد العزيز القصاب كان يرأس مجلس النواب منذ سنة 1945م كما إستوز عدد من الوزارات ، وزوج خالته (حميده) عبد المجيد القصاب كان وزيراً للمعارف بعد ذلك وزيراً للصحة ، وزوج خالته (جميله) من كبار المحامين في بغداد ومن عائلة لها شأن كبير في العراق وتدعى عائلة الشواف ، وزوج خالته(نعيمه) صالح المدلل أيضاً كان من كبار المحامين في بغداد .

وعلى الرغم من المستوى الاجتماعي والمادي الذي كانت تعيشه عائلته ظل والده السيد علي حسين القصاب متمسكاً بالعيش في منزل العائلة الكبير بمحلة سوق حماده الشعبية ، فهذا الجو العائلي الذي كان يعيش في كنفه وإنتهاءه من دراسته الاعدادية أصبح عدنان القصاب يؤهل نفسه ويتأهب لحياة جديدة أكثر نضوجاً وإدراكاً فيما يتعلق بالحياة السياسية التي كانت سائدة آنذاك

بالاضافة الى كل ذلك كان عدنان القصاب محاطاً آنذاك بالعديد من الاصدقاء القوميين ، حيث ترعرع وبدء عوده يصلب وهو متشبع بالأفكار العروبية والقومية ، وهذا ما جعل شخصيته تتبلور بهذا الشكل ، لكن العامل الأكبر الذي ترك أهم البصمات والانطباعات التي كان لها الأثر الكبير في تحديد مسار حياته وعلى وجه الخصوص منها الحياة السياسية ، كان ذلك بعد فترة وجيزة من عودة أخيه إحسان من سوريا الذي كان من أوائل العراقيين المنتمين الى حزب البعث العربي الاشتراكي عندما كان يدرس في كلية الحقوق بجامعة

دمشق ، الذي عاد وهو محملاً بأفكار الحزب القومية ، حيث كان عدنان يرافق شقيقه في معظم لقاءاته مع زملاءه وأصدقاءه الذين هم في طبيعة الحال من المنتمين الى حزب البعث .

لقد إمتاز بقوة الشخصية وشجاعة متميزة لا يأبه الى أي خطر يحيق به ، كان صريحا صراحة واضحة لكنها محببة دون أن يؤذي أحدا ، كان يخاط الكبار ككبير وصغير مع الصغار في لعبهم وخاصة أيام إحياء ليلة الاسراء والمعراج (المحية) وأيام الاحتفال بمولد سيدنا زكريا(ع) ، ومن الصدف ولتحركه المستمر في يوم الاحتفال بليلة الزكريا ، كان في احد المرات أراد ان يشعل الشموع فالتهمت النار القميص الذي كان يرتديه ، الامر الذي أفسد أجواء الاحتفال وسادت الفوضى وذهبوا به الى المستشفى لأن النار قد اصابت يده بحروق .....وكان عدنان يتصرف كالكبار وتحمل مسؤولية البيت عند غياب والده .

أخي عدنان كما عرفته

بقلم منى القصاب

ان اخي عدنان الذي يكبرني بخمس سنوات كان يدعو من الله قبل ولادتي ان تأتي له اخت معه واخي الكبير احسان ، ومنذ طفولته كان شجاعا وذكيا ويتصرف اكبر من عمره ، ويتحمل مسؤولية البيت والتسوق عند غياب والدنا .

دخل عدنان المدرسة وعمره خمس سنوات ، كان يقضي معظم وقته باللعب مع اطفال المحله في منطقتنا (سوق حماده) بالكرخ ، وكان يتزعم المجاميع في اللعب ولا يعطي من وقته إلا القليل للدراسة الامر الذي يغضب والدنا باستمرار ، لكنه بالنتيجة النهائية كان متفوقا بالدراسة .

بدأ الحس الوطني لديه وهو صغير جدا منذ سنة 1948م ، حيث حذا حذو اخي المرحوم احسان الذي يكبره بخمس سنوات ، وكان عدنان يتقدم مشيعي جنائز شهداء الوثبة ويحمل اكاليل الزهور ، بدأ نضاله السياسي وهو طالب في المتوسطة واصبح مسؤول منطقة الكرخ حزبيا وتفانى في ذلك رغم محاربة سلطة النظام الملكي ونظام عبد الكريم قاسم .

وكما اذكر في سنة 1956م في العهد الملكي اثناء العدوان الثلاثي على مصر ، حيث اشتعلت بغداد بالتظاهرات والمصادمات مع الشرطة ، وهو طالب في كلية الهندسة ، وكنت انا طالبة في ثانوية الكرخ للبنات ، وكان لنساء الكرخ موقف مشرف حيث اطلقت الشرطة علينا القنابل المسيلة للدموع واستخدمت الهراوات لتفريق المتظاهرين واعلنت الاحكام العرفية ، واستعد عدنان للاعتقال ، حيث اعتقل معظم شباب الكرخ ، وقمت بتجهيز حقيبته الصغيرة استعدادا لاعتقاله

وفي احدى الليالي الباردة طرق الباب في وقت متأخر من الليل المرحوم عبد الوهاب المختار الذي يحل محل اخيه في حينه لانشغاله بامر ما ، حيث يجب ان يحضر المختار مع الشرطة عند اعتقال احد الاشخاص ، فاحتال عليهم المرحوم عبد الوهاب بحجة ذهابه لجلب ختم المختار ، وحضر الى بيتنا لاخبارنا بان اسم عدنان مع الاسماء المطلوب اعتقال اصحابها ، واخذ عدنان معه ليختبئ في دار عمي ، وكان ذلك موقفا شجاعا من قبل عبد الوهاب حيث كانت الاحكام العرفية ، وبعد ذلك جاءت الشرطة الى البيت وحاولت انارة البيت فمنعوني اهلي من القيام بذلك حتى لاتفكر الشرطة باننا كنا على علم بموضوع الاعتقال ، وعند قدومهم فتح ابي الباب مستغربا من سؤالهم عن عدنان واخبرهم بانه خارج البيت ينام في بيت خاله ، ورغم كل الاحتياطات لاخفاء كافة الكتب والمناشير في المخازن السرية الموجودة في الدار إلا انه وعند دخولهم البيت للتفتيش كان على المنضدة بجانب السرير كتاب (في سبيل البعث) يقرأه عدنان قبل ان ينام ، فأعتبر ذلك الكتاب جرما كبيرا وارادوا الحكم علية لولا وساطة بعض الاشخاص فأطلق سراحه بكفالة .

استمر اعتقاله دائما وفي معظم المناسبات وفي عام 1959م وعند اعلان ثورة الشواف اثناء حكم عبد الكريم قاسم انتفضت منطقة الكرخ وقاومت الحكومة وكان عدنان وشباب المنطقة يعتلون سقوف الاسواق والمقاهي والدور العالية ويحملون السلاح لرد الهجوم المتوقع على المنطقة ، وكان في حينها عدنان ضابط احتياط وتم اعتقاله في سجن ابو غريب ، ولاقينا الامرين حيث لم يسمحوا لنا بالزيارة وكنا انا وخطيبته آنذاك مآرب ندخل اجهزة الراديو الصغيرة والبطاريات والنشرات ونخفيها في ملابسنا .

استمرت ايام النضال وبدأ التحضير الى ثورة 14 رمضان مع رفاقه حيث كانت الاجتماعات في دارنا في منطقة المأمون ولم نعرف اي شيء عن الثورة سوى ان هناك اجتماعات اعتيادية ، وليلة الثورة كان منظميها في دارنا حيث يسكن عدنان مع زوجته معنا ، وعند حلول ساعة الخروج أخبر عدنان زوجته مودعا لها وقال لها بانهم وهبوا انفسهم للشعب وقضيته ، واوصاها بالعناية بنا اذا حدث مكروه له ، وبعد خروجه حيث قام بايصال البعض الى اذاعة ابو غريب جاءت زوجته تخبرني انهم يذيعون البيان الاول للثورة ، وبعد سيطرة عبد السلام عارف على السلطة تم اعتقال عدنان في سجن رقم (1) بدون اي تهمة انما بأمر من رئيس الجمهورية عبد السلام عارف ، وظل بالسجن لمدة سنة ولم يسمحوا بزيارته الا نادرا .

وبد عام 1968 وعند تسلمه مناصب في الدولة (المديرية العامة للموانئ ، شركة النفط الوطنية ، الشركة العامة للمقاولات) كان يتفانى في عمله بكل تجرد واخلاص ، ولا اتكلم عن ذلك بل يذكره العاملين معه ، وكان يعمل لساعات متأخرة وفي ايام العطل حيث لم نعد نراه ، ولم يحاول استغلال هذه المناصب فطلب الموافقة من ديوان الرئاسة للسماح بنقل ابنته الصغيرة صباحا في سيارة الدولة لايصالها الى المدرسة .

من مميزاته انه قوي الشخصية ، ثابت على رأيه ، مستقيم في عمله ، وفيا لاهله ، حنونا علينا ، وكانت علاقتي به ليست علاقة الاخوة وانما تجمعنا المبادئ ، وادعوا من الله ان يطيل بعمره .

صورة رقم (1)

بطاقة اشتراك القصاب في الامتحانات العامة للدراسة الابتدائية 1946-1947

صورة رقم (2)

صورة القصاب مع عامر المختار في تظاهرة تضامنا مع الشهداء من اجل فلسطين 12-4-1948

صورة رقم (3)

بطاقة جواز لإشتراك القصاب في الامتحانات العامة للدراسة الإعدادية – الفرع العلمي 1951-1952

دخوله كلية الهندسة وانضمامه الى صفوف حزب البعث

إنظم عدنان القصاب الى صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي منذ كان طالباً في الاعدادية المركزية وفق السياقات والشروط التي كان يعمل بها الحزب آنذاك ، لكنه أصبح عضواً فعالاً في صفوف الحزب سنة 1952م عندما كان طالباً في المرحلة الدراسية الثانية في كلية الهندسة جامعة بغداد ، حيث أصبح المسؤل الحزبي للكليات الطبية (الطب وطب الاسنان والصيدلة) بالاضافة الى كلية الهندسة ، وكانت هذه الكليات تشكل المنطلق الفعلي والحقيقي للافكار القومية والوطنية وظل يمارس مهامه الحزبية حتى نهاية العهد الملكي في العراق سنة 1958م .

ومنذ سنة 1952 حتى سنة 1958 كان طلبة الجامعات المنتمين الى صفوف حزب البعث يمارسون نشاطاتهم بصورة سرية لكن الحزب كان له وجود في الشارع السياسي والسلطات الحكومية تعرف به وتقوم باعتقال كل من يثبت انتماءه الى هذا الحزب ، وكان الجو العام السائد في العراق يحمل الافكار القومية المؤيدة الى جمال عبد الناصر خاصة بعد العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م ، حيث كان ذلك واضحا وجلياً من خلال الاعتصامات والمظاهرات المستمرة ، خلال هذه الفترة فصل عدنان القصاب من كلية الهندسة بسبب ميوله السياسية واشتراكه في التظاهرات المنددة بالنظام الملكي والمؤيده لمصر وعبد الناصر.

بعد فصله من كلية الهندسة بجامعة بغداد إنتقل الى معهد الهندسة الصناعي العالي سنة 1956م حيث قُبل في الصف الثالث مباشرة وتخرج منه سنة 1957 بتقدير امتياز نال على إثرها شهادة تقديرية من الملك فيصل الثاني سلمها له الملك بنفسه .

وخلال فترة الدراسة هذه كان عدنان القصاب يعمل موظفاً في أمانة العاصمة الشعبة الاولى المختصة بفرز العقارات والاملاك ، حيث كان عمله يسمح له بأن يمارس نشاطه الحزبي بقدر من الحرية ، ثم تم نقله الى شعبة المرسم التي لاتمت الى إختصاصه بصله بسبب افكاره السياسية وانتماءاته الايديلوجية ، وعلى إثر ذلك قدم استقالته سنة 1957م وهو لايزال يمارس نشاطاته الحزبية ، ثم عُين موظفاً في متحف بغداد الذي كان يشرف عليه المهندس المقيم فؤاد الركابي الذي كان في حينها أمين سر حزب البعث العربي الاشتراكي والذي أصبح وزيراً للإعمار في العهد الجمهوري ، وظل يعمل في المتحف الى ان قامت ثورة 14 تموز سنة 1958م التي انهت الحكم الملكي في العراق وأقامت اول جمهورية في تاريخ العراق الحديث .

وفي خضم هذه الاحداث الجسام التي كانت تموج بالمجتمع العراقي بعد ثورة 14 تموز الجمهورية التحق عدنان القصاب بالجيش كضابط احتياط كونه خريج كلية الهندسة ، وبعد انهاء فترة التدريب الخاصة بالضباط الاحتياط بثلاثة اشهر تم الاستغناء عن خدمته لميوله السياسية ...

القصاب وسكرين والملك فيصل الثاني

عندما كان القصاب طالبا في الصف الاول بكلية الهندسة جامعة بغداد صدر قرار بتدريب طلاب الكليات في العطلة الصيفية في منطقة سكرين بدورة الضباط الاحتياط الثالثة عشر، وكانت فكرة معسكر سكرين في تلك الفترة نتيجة اشتداد إضرابات طلبة الكليات وكثرة المظاهرات التي يقومون بها إرتأت وزارة الدفاع بالتنسيق مع رئاسة الوزراء برئاسة نوري سعيد التخفيف من فوران ثورة شباب الكليات وإلهائهم بالتدريبات في المعسكرات وكذلك إبعادهم عن المركز الاساس بغداد .

وبعد ان تهيأ الطلاب تجمعوا في محطة القطار الرئيسية وسط بغداد وتوجهوا بالقطار الى مدينة الموصل للإلتحاق بالدورة المقامة من قبل وزارة الدفاع لطلبة الكليات ، وعند وصولهم محطة قطار الموصل كان في استقبالهم الرائد ابراهيم فيصل الانصاري ، الذي أعد لهم وجبة إفطار في محطة قطار الموصل الى حين وصول السيارات الخاصة بنقلهم الى منطقة سرسنك ومنها الى منطقة سكرين حيث اعد المعسكر لإستقبال الطلاب ، وقد قسمموا الى فوجين الفوج الاول والثالث ، علما ان الفوج الثاني بقي في بغداد الذي كان يقوده آنذاك الرائد احمد حسن البكر .

وفي تلك الفترة كان الملك فيصل الثاني وخاله الوصي عبد الإله في منطقة سرسنك للإصطياف ، لكون الجو في سرسنك جاف بارد ، حيث كان الملك مصابا بالربو ، وقد خالط الملك الطلاب ، وقد تقرب القصاب وعدد من زملاءه من الملك ولعبوا معه الرياضة المحببة له وهي لعبة البونغ بونغ والسباحة في المسبح الخاص بالفندق والقصر الملحق به في سرسنك ، وقد إلتفوا حوله ولقد كان فرحا بهم واستمر الملك فيصل وخاله بإلتقاط الصور الجميلة مع الطلبة الشباب والنخبة المثقفة من العراقيين ، لقد كانت أيام سكرين برغم الغربة والبعد عن الأهل والتمارين العسكرية ، كانت جميلة جدا لا تمحى من الذاكرة ، ومن الصدف ايضا كان عدد من طلاب مدرسة الاركان يقومون بتدريب الطلبة ومنهم الطالب الركن صالح مهدي عماش .

صورة رقم (4)

طلاب معسكر سكرين يحيطون الملك فيصل الثاني والوصي على العرش عبدالإله سنة 1952

ذكريات سكرينية بقلم المهندس خالد الفكيكى

كان مقدرا لدورة الضباط الاحتياطي الثالثة عشر أن تجرى في معسكر سكرين الواقع على امتداد الطريق بين بغداد بإتجاة الموصل وبالقرب من سرسنك وخلال العطل الصيفية للطلاب بعد أن كانت مثل هذة الدورات تجري فى بغداد بعد تخرجهم ، بعد اجتيازنا امتحان الصف الأول فى كلية الهندسة تم نقلنا بالسيارات الى المعسكر الكائن بالقرب من مصيف سرسنك حيث تم تشيد مخيمين للفوج الاول والفوج الثالث حيث كنت أنا ضمن الفوج الثالث والأخ عدنان القصاب وأخوه المرحوم إحسان القصاب في الفوج الأول. لقد تنسب أن يقوم بتدريب الطلاب خريجو الصف الاول من الكلية العسكرية .

مكونات المعسكر هى:-

حضيرتنا آمرها طالب الكلية العسكرية الأقدم منذر إبراهيم ادهم

أمر الفصيل ملازم أول هشام إسماعيل

أمر السرية رئيس أول رشيد العبدلى

أمر الفوج الثالث (احمد حقى محمد على) أمر اللواء الأول والثالث علاء الدين محمود ، ومن المدرسين اتذكر العقيد (خليل ابراهيم حسين) الذي اصبح وزيرا فى عهد (ناجى طالب) ، وقد اخبرنا آمر الفوج أن نورى سعيد رئيس الوزراء وبعض من الوزراء و أساتذة الكليات سيقومون بزيارة المعسكر للاطلاع على اوضاع الطلبة و الإلتقاء بالطلاب المكملين ومنافسة الطلاب فيها ،

وتمت الزيارة واختيار الطلاب من كل سرية طالب للتحدث مع (الباشا) حول احتياجات الطلبة وكنت أنا المتكلم عن سريتنا فتقدمت امام أمر الفوج واللواء وجها لوجه مع الباشا نورى السعيد وطلبت استبدال (الصمون الأسمر بالأبيض)وتزويد الطلاب بمستلزمات السباحة وفعلا تم ذلك وجهز المعسكر بكل المستلزمات وتم ترتيب ذهاب المتدربين الى المسبح (مناوبه) حيث التقينا هناك بالمرحوم الملك فيصل الثانى والمرحوم الوصى عبد الاله ، في صبيحة أحد الايام وكان يوم جمعة عثر على منشورات حزبية موزعة بين المخيمات تخص الاحزاب السياسية المحضوره أنذاك وطلب أمر اللواء حضور جميع المتدربين فى المعسكر والتحذير من هذه الاعمال ، اما بالنسبة للسباقات الرياضية جرى سباقا بين منتخب الفصائل والسرايا والافواج لإنتخاب أبطال يمثلون كل لعبة من الالعاب ، وكان المرحوم المهندس قصي مصطفى الخليل ورفيقه (عبد الحميد البازى) على رأس هؤلاء الابطال الرياضيين .

ملاحظه :- من الصدف الغريبة أن التقى آمر الفوج احمد حقي محمد علي بعد سنين طويله وكنت أنا والمهندس (أشرف الحكيم رحمة الله) نمثل مديرية الاسكان العامه للاشراف على اول مشروع اسكان الجيش فى زمن المرحوم عبد الكريم قاسم حيث وضع الحجر الاساسى وكان أمر الفوج المذكور واللواء نايف حمودى)يمثلان لجنة اسكان الجيش العراقى .

ومن الذكريات السكرينية التى تستحق ان لاتنسى هى زيارة المرحوم الدكتور حسين على الاعظمي مع استاذة الكليات العراقية في حينه للمعسكر وكان رحمه الله شاعرا رقيقا مطبوعا بالعاطفه العرقية فهيأت ادارة المعسكر منصة ليلقي على مسامع جميع الحاضرين وفي ليلة مقمره القى قصيدته العصماء (سكرين الهوى) وبالمناسبة فقد حقق ديوانه مطلع العام

الحالي أخي الشاعر عبد الهادي الفكيكي وبعد سنين طويلة وحين كنت مهندسا لصيانة مشروعي اسكان البصرة والعمارة زار (مشروع اسكان العمارة) في حينه اوائل الخمسنيات من القرن الماضي متصرف لواء العمارة اللواء (علاء الدين محمود) وسالنى عن علاقتى بالمرحوم عمى (الاديب توفيق الفكيكى) واخبرنى بانه كان احد تلامذته فى الثلاثينيات يا للصدف ؟؟

وختاما لا يحق لنا أن ننسى الحادثه التاليه :-

كنت أنا وصديق العمر (المرحوم قصي مصطفى الخليل) نغتنم أية فرصة للهروب من المعسكر والذهاب الى مسبح مصيف سرسنك حيث يقيم المرحوم الملك فيصل الثانى ووصى عرشه المرحوم عبد الاله حيث الجو الممتع والمسبح الجميل وفي غمرة لهونا وقفزنا فى الماء الواحد تلو الأخر في حوض السباحة الذي كان بجانبه تماما طاولة كرة المنضدة التي يمارسها المرحوم الملك فكان الماء المتناثر يتساقط عليه (أي الملك) رحمه الله فرجانا الوصي أن نكف عن ذلك وقال (أن جلالته يتأثر بالماء المتساقط عليه لأنه يشكو الربو ثم قال لنا تعالو معنا لنلتقط الصور التذكارية معا وهذا والدليل الصور الموجودة لديكم) .

رب يوم بكيت منه فلما صرت   في غيره بكيت عليه

أخوكم خالد الفكيكي

القصاب بعثي قبل ان ينتمي

لقد كانت افكاره الوطنية والقومية سابقة لعمره كشاب في مقتبل العمر بمعنى انه قد تشبع بهذه الافكار قبل ان يصلب عوده ويشتد ساعده حيث كان أخاه الاكبر احسان قد انتمى الى صفوف حزب البعث عندما كان طالبا في كلية الحقوق في سوريا سنة 1951 ، فكان عدنان يقرأ كل كتب وأفكار الحزب والنشرات الصادرة له الموجودة في مكتبة اخيه ، حيث كان الجو السياسي والاجتماعي والثقافي السائد في العراق آنذاك يميل الى القومية ومعادات النظام الملكي والتبعية للاستعمار ، بالاضافة الى تعرفه على أحد الاصدقاء زميله في الاعدادية المركزية للبنين المرحوم رشيد نوري الحيالي ، الذي عرفه بدوره على عدد من البعثيين ، وكان اول مسؤول حزبي له في التنظيم هو ستار الدوري في بداية سنة 1950م ، وفي سنة 1952م ردد عدنان القصاب قسم عضوية الانتماء الى الحزب أمام فؤاد الركابي الذي كان امين سر الحزب في حينها وكذلك تحسين معله ، وكان ذلك عندما كان عدنان طالبا في المرحلة الثانية كلية الهندسة جامعة بغداد ، وبعدها اصبح المسؤول الحزبي لكليات الطب وطب الاسنان والصيدلة بالاضافة الى كلية الهندسة وعضو مكتب الطلبة والشباب في الحزب .

ومنذ سنة 1952م شارك في جميع المظاهرات المؤيدة للثورة في جمهورية مصر العربية ، وفي سنة 1954م شارك مع طلبة وطالبات الجامعات وبتوجيه من الحزب بتوزيع الادوية واللقاحات وزيارة العوائل التي تضررت اثناء فيضان نهر دجلة الذي اجتاح بغداد في تلك السنة ، واقاموا الحفلات والتبرع بريعها لصالح منكوبي الفيضان ، وكانت المطربة عفيفه اسكندر قد تبرعت بريع حفلة احيتها مجانا وريعها اهدته الى منكوبي الفيضان .

وشارك وقاد التظاهرات المعادية والمنددة بحلف بغداد الذي تأسس في شباط 1955 على هيئة اتفاق عسكري في بداية أمره بين العراق وتركيا ، ثم انضمت إليه كل من بريطانيا والباكستان وإيران في نفس العام ، بالاضافة إلى الولايات المتحدة التي لم تكن عضويتها كاملة في سنواته الأولى ، وكان الدافع الأكبر وراء إنشاء هذا الحلف الذي جاء بتخطيط من الولايات المتحدة ، هو الموقع الاستراتيجي المتميز لمنطقة الحلف ، إذ أن هذا الموقع يمتلك العديد من العناصر المهمة ، وان منطقة الشرق الإسلامي كانت تشهد أوضاعا سياسية قلقة ، وهذا ما يستدعي من الدوائر الغربية تقوية الانظمة التابعة من خلال تحالف عسكري يربطها بها أكثر ويوفر الحماية الكافية للأنظمة الحاكمة.

هذه الأسباب دفعت المملكة المتحدة إلى انشاء حلف بغداد لتصل من ورائه إلى اهدافها السياسية ، ولقد أخذ هذا الحلف الكثير من اهتمام الرئيس الأميركي أيزنهاور في حينها ، اذ أنه كان يخطط لأن يضم الحلف إلى عضويته دولا جديدة من الشرق الإسلامي ، وقد كانت له ثلاث محاولات في هذا الخصوص فشلت كلها على حد سواء مع الاردن وسوريا ومصر .

كما قاد عدنان القصاب المظاهرات المعادية للعدوان الثلاثي على مصر سنة 1956م وكان مكان انطلاق المظاهرات العارمة من مقر كلية الطب ، وكان دور الحزب آنذاك وخاصة في اطار طلبة الجامعات له تأثير واضح وجلي لإثارة مشاعر الناس ضد العدوان الثلاثي على الشقيقة مصر . وكان من ضمن الهتافات والشعارات المعبئة للطلبة وطالبات الكليات حيث قال احد الشعراء (بلادي لقد قحط الرجال بها أما من فتاة لهذا الوطن) ، ما اثار حماس الطالبات ، وجاء ذلك ردا على اعتقال معظم الشباب من قبل سلطة رئيس الوزراء نوري سعيد .

وأثناء التظاهرات عقد مؤتمرا للطلبة تم انتخاب الدكتور مقداد العاني امين سر له ، وكان الهدف من المؤتمر تنظيم التظاهرات ، وقد استمرت التظاهرات المنددة بالنظام الملكي ، واثناء احدى التظاهرات وقف احد عناصر الشرطة بين المتظاهرين من الطلبة وقوات الشرطة لتهدئة التظاهرات الغاضبة ، الامر الذي اثار حفيظة المتظاهرين ضد هذا الشرطي ، لكن وفي زحمة الموقف والصخب الذي رافقه انبرى صوت لإحدى طالبات كلية الطب وهي تنادي بتهدئة المتظاهرين وتخبرهم بان هذا الشخص هو والدها وهو من المؤيدين للمتظاهرين

ظل عدنان مسؤولا للكليات الطبية وكلية الهندسة وعضو مكتب الطلبة والشباب للحزب الى سنة 1957م عندما اعتقل من قبل أمن النظام الملكي وفصل من الكلية بسبب اشتراكه في احدى التظاهرات التي عمت العراق آنذاك والتي كانت تندد بحلف بغداد حيث كان الوضع السياسي في العراق في حينها متأزم جدا .

ولنفس السبب فصلت طالبة الصيدلة مآرب احمد كمال العزاوي خطيبة عدنان القصاب في حينها من كلية الصيدلة مع ثلاث طالبات وزميل آخر هو هاني الفكيكي ، وقد حدث ذلك نهاية الفصل الدراسي 57–1958م ثم تمت اعادتهم الى الكلية بعد قيام ثورة 14 تموز 1958م ، حيث ذهب عدنان القصاب مندوبا عن جريدة الجمهورية لإجراء مقابلة مع عميد كلية الصيلة آنذاك الدكتور عبد الفتاح الملاح عن اسباب فصل الطلاب ، حيث انكر الدكتور عبد الفتاح قيامه بفصل الطلبة متهما الدكتور صائب شوكت عميد كلية الطب آنذاك ، وكان من ضمن قرارات ثورة 14 تموز 1958م اعادة جميع الطلبة المفصولين سياسيا للدراسة .

الهجوم على سينما الخيام في شارع السعدون

أثناء خدمة القصاب كضابط احتياط في الجيش بداية سنة 1959م كان برفقة خطيبته السيدة مآرب العزاوي ومعظم كادر حزب البعث مجتمعين في سينما الخيام ، وكان ذلك بتوجيه من قيادة الحزب آنذاك ، وخلال وجودهم داخل السينما تم تطويقها من قبل عناصر المقاومة الشعبية التي كانت تابعة لنظام الزعيم عبد الكريم قاسم (الشيوعيين) ، وكانت عناصر المقاومة الشعبية تبحث عن الضابط (عدنان القصاب) وخطيبته التي ترتدي سترة بيضاء حيث كانا مشخصين من قبل عيون النظام ، وأثناء محاولة إعتقاله من عناصر المقاومة الشعبية تدخلت مجموعة من منتسبي الانضباط العسكري ومنعهم من اعتقاله لكونه ضابط في الجيش ويحمل رتبة عسكرية ، في هذه الاثناء ولكون خطيبته ترتدي سترة بيضاء ومشخصه من قبل عناصر المقاومة الشعبية وأثناء الفوضى التي عمت في قاعة السينما قام الملازم الطيار خالد العاني بإعطاءها سترته وقامت بارتداءها لتمويه عناصر المقاومة الشعبية ، بالفعل قام باخراجها وأخيها من قاعة السينما دون ان يتعرف عليها المهاجمين ، وبعد خروجها من قاعة السينما استمرت عناصر المقاومة الشعبية بالبحث عنها حتى في حمامات السينما ، وفي هذه الأثناء تم اعتقال عدد من اعضاء الحزب من الرجال والنساء ومن بينهم هاني الفكيكي وحمدان الراوي وثامر لطفي علي حيث استمر اعتقالهم لفترة من الزمن ثم اطلق سراحهم ، وفي اليوم نفسه تم تطويق اكثر من سينما في بغداد وانتشر خبر اعتقال عدنان وخطيبته الى الاعظمية حيث تسكن عائلة خطيبته ، وخلال تلك الفترة مايزال عدنان القصاب المسؤول الحزبي عن كليات الطب والصيدلة وطب الاسنان بالاضافة الى كلية الهندسة .

قصة قطار السلام

بدء الموضوع بفكرتة على شكل سفرة سياحية تنظم لطلاب الجامعات في بغداد والمحافظات الى أم الربيعين (محافظة نينوى) من قبل إتحاد الطلبة العراقي الذي كانت تسيطر عليه عناصر الحزب الشيوعي آنذاك ، وبعد أن إجتمع طلبة الكليات من مختلف محافظات العراق للانطلاق الى الموصل أطلق على الرحلة اسم (قطار السلام) التي كان الغرض منها وهدفها الرئيسي هو تأديب القوميين في الموصل من قبل عناصر الحزب الشيوعي المدعومين من الزعيم عبد الكريم قاسم وقد حصلوا على مرادهم بالفعل ، فعند وصولهم الى الموصل أثاروا حفيظة المواطنيين من خلال الانتهاكات التي قاموا بها من اعتداءات وتنكيل واشاعوا الفوضى التي زادت عن حدها .

الأمر الذي أثار حفيظة القيادة العسكرية في الموصل وعلى رأسها العقيد عبد الوهاب الشواف وقرر التصدي للعناصر الشعوبية التي تعبث بأمن المحافظة وبعد تفاقم الاوضاع أضطر الشواف للاستغاثة بالزعيم عبد الكريم قاسم للسيطرة على الانفلات الامني ، ولكن أتت الرياح بما لاتشتهي السفن فبدلاً من أن يعينه ارسل قوات من بغداد لاغاثة الشواف وأهالي الموصل من بطش الشعوبيين وتهدئة الوضع قام بأرسل سلاح الطيران لقصف مقر العقيد عبد الوهاب الشواف وتم ذلك بالفعل حيث قُتل العقيد عبد الوهاب الشواف في شهر آذار 1959م وانتهت ثورته وتحققت أهداف الشيوعيين بالسيطرة على الموصل وقاموا بقتل القوميين والبعثيين وغيرهم من المختلفين معهم في الرأي والآيديلوجية وارتكبوا جرائم خلفت وراءها مقابر جماعية أشهرها مقبرة (الدملماجه) بالاضافة الى تعليق المناوئين لهم على أعمدة الكهرباء واعتقال المئات في معسكر الغزلاني .

ومن بين الأشخاص الذين تم تعليقهم على أعمدة الكهرباء (حفصه العمري) وغيرهم .

ونتيجة لذلك تم اعتقال عدنان القصاب الذي كان في حينها ضابط احتياط في الجيش الى جهة مجهولة ولم يعرف ذويه عنه شئ إلا بعد ثلاثة اشهر تبين انه كان معتقل في سجن ابو غريب العسكري غربي بغداد مع كبار ضباط ثورة الشواف ، ومنهم رفعت الحاج سري ورجب عبد المجيد ومحمد سبع ويحيى ثنيان وغيرهم .

وبعد التحرك على معارفهم تمكنت خطيبته ووالدتها واخته من زيارته ، وخاصة عندما تم نقل القادة من الضباط الكبار الى مكان آخر ، تم السماح لذويه بزيارته كل خمسة عشر يوما والجلوس معه في الفضاء خارج الزنزانات مع باقي المعتقلين الآخرين الى ان أطلق سراحه .

وبعد إطلاق سراحه من معتقل ابو غريب العسكري تم تسريحه من الجيش بسبب اعتقادهم بمشاركته في ثورة الشواف او له دور معين فيها .

إتهام القصاب بالمشاركة في محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم

بعد إطلاق سراح عدنان القصاب من معتقل ابو غريب العسكري وتسريحه من الجيش نهاية سنة 1959م بسبب اتهامه بالمشاركة في ثورة الشواف وافكاره القومية ، رشحه المهندس لويس ميشو الذي كان يشرف عليه اثناء فترة التدريب في كلية الهندسة للعمل في مدينة الناصرية جنوب العراق مع المقاول لويس شكوري الذي كان ينفذ تبليط شوارع مدينة الناصرية آنذاك .

وبناء على ذلك انتقل الى مدينة الناصرية ومارس عمله كمهندس في المشروع ونقل تنظيمه الحزبي الى الناصريه وكان حينها عضو قيادة شعبة في الحزب ، وخلال وجوده في الناصرية حدثت محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم بتاريخ 7 / 9 / 1959م ، وفي إحدى إجازاته التي قضاها مع اسرته في بغداد عاد الى مدينة الناصرية برفقة المقاول لويس شكوري في قطار بغداد البصره الذي يمر بمدينة الناصرية ، وعند وصول القطار الى محطة الحله قام ضابط أمن القطار المدعو هشام نافع وهو ضابط احتياط يسكن منطقة الاعظمية في بغداد ويعرف اهل خطيبة عدنان ، ويساوره شعور بالغيره من عدنان وخطيبته ، قام هذا الضابط بالدخول الى الكابينه التي ينام فيها عدنان القصاب والمقاول شكوري وقال لعدنان انا اعرفك انت وخطيبتك البعثية ، وقام بتفيش ملابسه وعثر حينها على رسالة من خطيبته مآرب العزاوي تعلمه بأنها لاتعرف من الذي قام بمحاولة اغتيال عبد الكريم قاسم ، حيث كان الجو العام في العراق متوتراً وقوات الامن والجيش مستنفره للبحث عن الذين قاموا بمحاولة الاغتيال مما حدى بهذا الضابط الى استغلال الفرصة للتنكيل به وخطيبته .

وبعد عثور الضابط على الرسالة في جيب معطف القصاب أمر باعتقاله والمقاول لويس شكوري واصطحابها معه الى مديرية أمن البصره وكان القطار متوقفا في مدينة الديوانية ، لكن ضابط المخابرات في محطة قطار الديوانية أصر على التحقيق مع عدنان ولويس في الديوانية وتم توقيفه وزميله في مركز شرطة الديوانية وتم التحقيق معهم وعرضت أوراقهم على حاكم التحقيق ولعدم ثبوت ادلة الاتهام أُطلق سراحهم بكفالة مالية وذهب برفقة شكوري الى مقر عمله في الناصرية .

وبعد عودة ضابط أمن القطار هشام نافع من البصره الى بغداد قام برفع مذكرة الى محكمة أمن الدولة التي تحقق بمحاولة اغتيال قاسم يتهم فيها عدنان القصاب وخطيبته مآرب العزاوي والمقاول لويس شكوري بمشاركتهم في محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم .

وعلى الفور قامت الأجهزة الامنية المعنية بالقاء القبض على عدنان القصاب ولويس شكوري في مقر عملهم بالناصرية وأحضرتهما الى بغداد حيث مقر أمن الدولة التي تحقق في ملابسات محاولة الاغتيال ، وفي هذه الأثناء تم إستدعاء خطيبته مآرب العزاوي الى المحكمة بإتهامها بالمشاركة في محاولة الاغتيال .

وتم التحقيق مع عدنان ولويس ومآرب كل على انفراد واتهامهم بالمشاركة في محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم بسبب ما جاء بالرسالة التي عُثر عليها في جيب معطف عدنان القصاب ، وكان قاضي التحقيق في حينها يدعى حافظ خالد والمحقق العدلي عبد القادر الجنابي ، ولم يُثبت التحقيق التهمه عليهم وتم الافراج عنهم جميعا بكفالة والد خطيبته احمد كمال العزاوي .

وفي بداية عام 1960م انتقل العمل الخاص بالمقاول لويس شكوري الى مدينة الديوانية حيث فضل عدنان القصاب العوده الى بغداد وانهاء ارتباطه بشكوري ، وبالفعل عاد الى بغداد حيث بيت العائلة الكبير في محلة سوق حماده وبعد عودته الى بغداد عمل في الشعبة الثالثة بمديرية المشاريع في أمانة العاصمة ، وكان مدير الشعبة في حينها هشام الجلبي ، واستمر بالعمل في أمانة العاصمة لغاية 1963م .

وخلال هذه الفترة نظم حزب البعث انتخابات لكوادره تم بموجبها انتخاب عدنان القصاب عضو فرع بغداد وتسلم مسؤولية مكتب العمال في الحزب . وكان مكتب العمال المركزي يحتوي على مختلف المهام الحزبية التي اوكلت له ، وكان عمله يقتصر على العمال حصرا ، وأماكن تواجدهم ، حيث التقى الكادر المتقدم من العمال ووضع خطة لإستراتيجية العمل ضمن التوجيهات الحزبية ، حيث قام بزيارة جميع المستويات الحزبية وصولا الى أصغر خلية في التنظيم للإطلاععلى طبيعة أعمالهم ومشاكلهم ووضع الحلول الناجعة لها .

زواج القصاب من مآرب العزاوي ، ومن هي مآرب ؟

بحكم مسؤوليته الحزبية المباشرة لكليات الطب والصيدلة وطب الاسنان والهندسة استطاع عدنان القصاب ان يقيم علاقات واسعة مع الطلبة ويتعرف على مجموعة من الطلبة والطالبات المنتمين الى حزب البعث وكانت من بينهم الطالبة مآرب احمد كمال العزاوي ، وكانت صديقتها المقربة جدا فوزيه الراوي من أقارب عدنان القصاب ، وعملت فوزيه كعامل مساعد لتقريب وجهات النظر بين عدنان ومآرب حيث نضجت علاقة بينهما إنتهت بخطبتها من اهلها ، وكانت مآرب في حينها في المرحلة الخامسة والنهائية في كلية الصيدلة ، وتم زواجهما عام 1960م .

ومآرب العزاوي من عائلة عربية قومية تسكن منطقة الاعظمية في بغداد والدها من تجار بغداد ووالدتها من إحدى العوائل البغدادية القديمة والمعروفة وهم (آل قره علي) ، عائلتها غنية وميسورة الحال وهي الثالثة بين خمس بنات وولدين .

عُينت مآرب بعد تخرجها من كلية الصيدلة في مستشفى الرمد في الصالحية ببغداد كمسؤولة عن صيدليات المستشفى ، ثم انتقلت الى مستشفى الاطفال في الكاظمية ، علماً بأن الغالبية العظمى من منتسبي مستشفى الرمد والكاظمية من الاحزاب الاخرى التي تتعارض آيديلوجيا مع توجهات مآرب القومية ، لكنها استطاعت ان تقيم علاقات واسعة مع الاطباء والموظفين في المستشفى ، حيث استمرت بالعمل في مستشفى الكاظمية لغاية شهر آب 1968م وانتقالها مع زوجها عدنان القصاب الى مستشفى الاطفال في البصره ، وبعد فترة وجيزة قامت بنقل خدماتها الى مستشفى الموانئ حيث عمل زوجها عدنان القصاب مديراً للموانئ العراقية .

وخلال وجودها في البصره مع زوجها أنتخبت عضوة فرع البصره للاتحاد العام لنساء العراق عندما كانت رئيسة الفرع منال النعمه ، وبعد تسلم عدنان القصاب رئاسة شركة النفط الوطنية عادت معه الى بغداد سنة 1971م وعُينت في مستشفى اليرموك حيث مقر سكنها ، وتم لها ذلك من خلال وساطة الدكتور عزت مصطفى وهو وزير الصحة حينذاك ، واستمرت في العمل بمستشفى اليرموك لغاية سنة 1975م وتم تفرغها جزئياً لشغل منصب عضوة المكتب التنفيذي للاتحاد العام لنساء العراق .

وفي سنة 1976 تفرغت بشكل نهائي للعمل في الاتحاد العام لنساء العراق وأصبحت مسؤولة الاعلام في الاتحاد ثم مسؤولة العلاقات الخارجية ، كما أنتخبت مرتين نائبة لرئيسة الاتحاد

وفي سنة 1980م عند تأسيس المجلس الوطني (البرلمان) وبتكريم من القيادة في الحزب والدولة رُشحت كعضوة ضمن المرشحين وفازت عن المنطقة الثانية وتشمل المنصور بعد منذر الشاوي وسعد قاسم حمودي ، وخلال الدورة الاولى للمجلس التي انتهت سنة 1984م أنتخبت في لجنة العلاقات الخارجية وشاركت بجميع المؤتمرات البرلمانية التي تخص المرأة في الخارج .

وفي سنة 1984م ايضاً وعند انتخاب نواب الدورة الثانية ولتقييمها من قبل القيادة للمتميزين في الدورة الاولى تم إعادة ترشيحها مرة ثانية لعضوية المجلس الوطني ، واستمرت بعملها في المجلس الوطني (البرلمان) الى نهاية الدورة الثانية سنة 1988م ، وكانت تمارس عملها في الاتحاد العام لنساء العراق إضافة الى العمل الحزبي .

وفي سنة 1989م أنهت تنسيبها في الاتحاد العام لنساء العراق وعادة الى وظيفتها في مستشفى اليرموك وأصبحت رئيسة قسم الصيادلة والمذاخر في المستشفى .

وبعد فترة قصيرة من عودتها الى مستشفى اليرموك وبأمر من رئيس الجمهورية صدام حسين نُسبت الى ديوان الرئاسة المنظمات الجماهيرية ، ومن خلال ذلك نُسبت الى منظمة الصداقة والسلم والتضامن ، وكانت نائبة رئيس المنظمة الاستاذ عبد الفتاح محمد أمين ، اول رئيس لمنظمة الصداقة والسلم والتضامن وبعدها تولى رئاسة المنظمة الاستاذ عدنان سلمان داود ،

عضو القيادة لطيف نصيف جاسم ، والاستاذ صلاح المختار ، الدكتور عبد الرزاق الهاشمي الذي كان اخر رئيس للمنظمة لحين احتلال بغداد عام 2003 ، واستمرت السيدة مآرب في العمل بالمنظمة الى أن أُحيلت على التقاعد بدرجة مدير عام من المنظمات الجماهيرية في ديوان الرئاسة سنة 2001 . ولكنها استمرت في العمل منسبة من ديوان رئاسة الجمهورية الى عام 2003 .

وقد سبق وأن رزقت عام 1966م ببنت أسمتها رزان ، وفيما بعد تزوجت رزان وأنجبت بنتين هما رانيا وريا .

صورة رقم (5)

والد القصاب ووالدته تحمل إبنته رزان في آذار 1966

صورة رقم (5أ)

عائلية

إيفاد القصاب الى سوريا لإبلاغ ميشيل عفلق نية الحزب القيام بالثورة

في نهاية سنة 1962 م تم ايفاد المهندس عدنان القصاب الى سوريا من قبل الحزب في العراق لإعلام ميشيل عفلق امين سر حزب البعث العربي الاشتراكي بنية الحزب القيام بثورة ضد نظام عبد الكريم قاسم ، وعند وصوله الى دمشق التقى أمين سر الحزب، وابلغه عدنان ما كان يحمله من تعليمات لعفلق وشرح له نيت الحزب القيام بالثورة ، وبعد هذا اللقاء سافر القصاب الى جمهورية مصر العربية والتقى مدحت ابراهيم جمعه ، كريم الشيخلي ، ومهدي بن بركه .

وبعد لقائهم وابلاغهم بالتعليمات الصادرة من الحزب ما عدا صدام حسين الذي لم يكن موجودا في القاهره في حينها وجه الدعوة الى مهدي بن بركه وبتعليمات من الحزب لزيارة العراق ، وما كان من بن بركة الى ان استجاب لدعوة عدنان القصاب وسافر معه الى بغداد ، علما بان بن بركه كان آنذاك من السياسيين المعارضين لملك المغرب ويعيش في مصر ، حيث تم اختطافه بعد ذلك في فرنسا .

لقد صاحبته زوجته في هذه السفرة وذلك للتغطية عليه وإيهام الدولة بأن السفرة عائلية وليست لغرض سياسي ، وذلك لحراجة الوضع آنذاك ضد السياسيين البعثيين علما انه قد سبق اعتقاله لأكثر من مرة ....

سفرة خاصة

الى : لبنان ، روما ، اليونان ، تركيا

بتاريخ 25 / 12 / 1962 قرر المهندس عدنان القصاب وزوجته السيدة مأرب أن يقوموا برحلة تكون محطتها الأولى بيروت في عيد الكرسماس لأن لبنان تشتهر بالاحتفال في هذه الأعياد في كل عام مثل هذه الأيام وبعد لبنان سافروا إلى ايطاليا حيث كان الاحتفال في روما مميزًا وكان الاحتفال له طقوسه الخاصة في ايطاليا حيث يقوم السكان يرمى كل ما هو قديم لديهم ويريدون التخلص منه قبل نهاية السنة وبالذات قبل الساعة الثانية عشر يرمونه في الشوارع. على أن نبدأ السنة الجديدة ولا يكون لديهم أي شيء قديم وفي الصباح تعمل بلدية روما على تنظيف الشوارع من هذه النفايات والشيء الذي لفت انتباههم واستحق المشاهدة هو خروج بابا الفاتيكان على الجماهير لتحيتهم بحلول العام الجديد- حيث يوجد آلاف السواح والإيطاليين لرد التحية والسلام. وبعد ذلك يكون ملفتًا للأنظارومعلم سياحي كبير وخاصة الفاتيكان

وبعد ايطاليا كانت المحطة التالية هي اليونان حيث الاحتفال في اليونان يختلف عن كل الاحتفالات بأعياد الميلاد في العالم حيث يكون الاحتفال في اليوم السادس من كانون الثاني وهو عيد الأرثزوذكس الشرقي والأرمن ويكون الاحتفال بهذا اليوم عن طريق رمي مفتاح المدينة الكبير في النهر.. ويرمي أعدادًا كبيرة من المواطنين والقادمين على السياحة في النهر لجلب المفتاح وتسلميه إلى الملك أو من ينوب عنه وذلك باحتفال رسمي في أثينا كلها وهذا شيء مميز في الاحتفال لأن الذي يجلب المفتاح يكرم بجائزة من قبل الملك.

والمحطة الأخيرة في الرحلة كانت اسطنبول ولكون تركيا بلد مسلم وصادف في أعياد رأس السنة حلول رمضان الكريم فقد كان احتفال الأتراك في رأس السنة مختلفًا عما سبقه من الدول التي زاروها حيث المآذن الملونة والزينة والأكلات الشعبية والموائد العامرة من قبل الناس وكذلك الحلويات والمشويات حيث كان كل شيء غريبًا وأثار إعجابهم كثيرًا وتمتعوا به كثيرًا.

وبعد انتهاء جولة تركيا قرروا العودة إلى الوطن من تركيا إلى بغداد. وقد استمر هذه السفرة لمدة أسبوع ولكنه كان من أجمل الأسابيع لديهم.

صورة رقم (6)

القصاب أمام بحيرة جلب الحظ في روما 1962

صورة رقم (7)

زوجة القصاب في ساحة الفاتيكان 1962

صورة رقم (8)

زوجة القصاب في عيد احتفالات 6 كانون الثاني في اثينا باليونان 1962

صورة رقم (9)

زوجة القصاب في اسطنبول 1962

صورة رقم (10)

زوجة القصاب أمام احد الجوامع في اسطنبول ، شهر رمضان 1962

عدنان القصاب وثورة 8 شباط 1963م

سبقت ثورة 8 شباط سنة 1963م إضرابات لطلبة الكليات والمدارس بالاضافة الى اعتصامات ومظاهرات عمت مختلف محافظات ومدن العراق تطالب باسقاط نظام عبد الكريم قاسم ، وفي هذه الأثناء إكتشفت سلطات قاسم وكراً يضم بعض قيادات حزب البعث بالاضافة الى عدد من القيادات العسكرية المنضوية تحت لواء الحزب وبات من الضروري تقديم موعد الثورة وتنفيذ خطتها بأسرع وقت ممكن لأن معظم عناصر قيادة الحزب ألقي القبض عليهم وأصبح هاجس الخوف يسيطر على باقي أعضاء القيادة من كشف أمرهم وإلقاء القبض عليهم .

وفي هذه الأثناء قررت قيادة الحزب والضباط المنضوين تحت لواءه جلب الأسلحة والذخيرة وإخفاءها في بيت المهندس عدنان القصاب في منطقة الداوودي في المنصور وتم بعد ذلك توزيع هذه الأسلحة والذخيرة على عناصر الحزب في مختلف مناطق بغداد ، وقد كلف القصاب من قبل الحزب الذهاب الى كركوك لإبلاغ حردان التكريتي آمر القاعدة الجوية في كركوك بموعد الثورة ، وبعد ذلك عقد الاجتماع النهائي لقادة فرع بغداد للحزب في بيت المهندس القصاب في الليلة التي سبقت تنفيذ الثورة ، وكان الاجتماع يضم المهندس عدنان القصاب ، فائق البزاز ، عبد المطلب الهاشمي ، ستار الدوري ، نجاة الصافي ، حازم جواد .....

وكانت مهمة المجتمعين توزيع المهام والأدوار على الأشخاص الذين سينفذون الثورة ، ووقع الاختيار من قبل قيادة فرع حزب البعث في بغداد بتبليغ عبد السلام محمد عارف على المهندس عدنان القصاب ، وكان رأي طالب شبيب أن يتم تبليغ عبد السلام في الساعة الثامنة صباحا ، بينما كان رأي حازم جواد أن يتم تبليغه في الساعة التاسعة صباح يوم الثورة ووضع عدد من إفراد الحرس القومي على داره في الأعظمية وعدم السماح له بالتحرك والخروج من الدار قبل إعلان ساعة الصفر التي حددت بقيام الطائرات الحربية بقصف مقر عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع .

وفي صبيحة يوم التنفيذ قام المهندس عدنان القصاب بايصال رياض قدو الى بيت حازم جواد في منطقة العطيفيه وتوجه الى عبد السلام فوصل الى بيته الذي يقع بالقرب من المقبرة الملكية في تمام الساعة التاسعة صباحا ودق جرس الباب لكن عبد السلام لم يسمع ذلك لأن الكهرباء كانت مقطوعة عن الاعظمية بأكملها في ذلك الصباح لعطب أصاب أسلاك الكهرباء مما أضطر عدنان القصاب الى التوجه الى مسكن الحاج احمد كمال عبد الوهاب العزاوي والد زوجته الذي يقع خلف ثانوية الاعظمية والاتصال بعبد السلام عارف هاتفياً ، حيث قال له سأصل الي بيتك بعد قليل فأرجو أن تفتح الباب لي لأمر هام ، فساءله عبد السلام عن هويته ، فقال له عدنان ستعرفني بعد قليل ، وعند وصوله وجد عبد السلام يتمشى في الممر الأمامي للبيت (وبلغه بكلمة السر المتفق عليها) فقال له عبد السلام لماذا لم يأتي حازم جواد أو عبد الستار عبد اللطيف لإبلاغي ؟ فقال له عدنان محتجاً (ليش آني مو بعينك !؟) فضحك عبد السلام وقال له على العكس تفضل أنا لا اقصد ذلك .

وكان عبد السلام يحمل في يده راديو صغير واثناء وجود عدنان القصاب في بيت عبد السلام عارف قامت الطائرات الحربية بقصف مقر وزارة الدفاع في منطقة الباب المعظم وسط بغداد وبدأت أرتال الدبابات تنزل الى الشوارع ، حيث بدء التنفيذ وقامت إذاعة الثورة باذاعة البيانات

فسأله عبد السلام عارف أي ملابس أرتدي فأجابه عدنان أعتقد لو ارتديت الملابس العسكرية سيكون أفضل ، فأجابه عبد السلام بعدم وجود ملابس عسكرية لديه ، علماً انه محال على التقاعد برتبة عقيد منذ عام 1959م ، فأجابه عدنان بأنه سيحضر له ملابس مع رتبة عسكرية من بيت زوج أخت زوجته (عديله) وهو المقدم طارق ابراهيم العمر الذي يسكن في الاعظمية أيضاً .

فبادره عبد السلام بسؤال عدنان وأي رتبة عسكرية ساحملها ؟ فقال له عدنان لم أُبلغ بشأن ذلك فأرتدي ملابسك المدنية (مهمتي ايصالك الى منطقة ابو غريب مقر كتيبة الدبابات الرابعة) ، حيث بدأت الثورة من هناك ، فأردف قائلاً لعدنان القصاب بأنه لايملك سلاحا في بيته فقام شقيق عبد السلام (سميع) بأعطاءه مسدسه الشخصي. وبعدها ركب عبد السلام الى جانب المهندس عدنان القصاب في سيارة عدنان التي تعود ملكيتها الى أمانة العاصمة

كون عدنان كان يعمل في أمانة العاصمة في حينها ، وكانت السيارة من نوع شيفروليت خضراء اللون وتحمل الرقم (32 هـ) وانطلقت بهما السيارة من بيت عبد السلام عارف قرب المقبرة الملكية في الاعظمية بأتجاه جسر الصرافية الحديدي ، وفي الطريق أخذ عبد السلام يشرح لعدنان القصاب نوعية القذائف الموجهة من وزارة الدفاع على الطائرات الحربية والقذائف الموجهة من جانب الكرخ نحو وزارة الدفاع مقر عبد الكريم قاسم .

وأثناء سيرهما في الطريق إلى منطقة أبو غريب واجهتهما جماهير تهتف للزعيم عبد الكريم قاسم فحاول عبد السلام أن يُحييها ظناً منه أن تلك الجماهير تؤيد الثورة فأخبره القصاب بأنها جماهير معادية وأن عليه أن يخفي شخصيته لأنه شخص معروف وطلب منه أنزال واقية الشمس لتحجب الرؤيا عنه خوفاً من ان يكشف أمرهما فتقوم الجماهير الغاضبة بقتلهما .

وعند مدخل الطريق المؤدي إلى منطقة أبو غريب شاهدتهما هناء العمري زوجة (علي صالح السعدي) فتقدمت نحو السيارة وصافحت عبد السلام وكانت أول من صافحه وهتفت (عاش عبد السلام عارف) .

وعند وصولهما إلى منطقة أبو غريب كان بانتظارهما العقيد أحمد حسن البكر والعقيد عبد الستار عبد اللطيف على متن ناقلة جنود مدرعة فسألهما أحمد حسن عن سبب تأخرهما وقبل أن يجيب عبد السلام عارف على سؤال احمد حسن البكر حمله عبد الستار عبد اللطيف وأركبه ناقلة الجنود المدرعة وهو يهتف (يعيش أبو الثوار) وتحركت ناقلة الجنود المدرعة وعلى متنها الضباط الثلاثة احمد حسن البكر وعبد الستار عبد اللطيف وعبد السلام عارف وتوجهت بهم إلى مقر الإذاعة في الصالحية .

كان عبد السلام على علم مسبق بالثورة ولكنه لم يكن يعرف ساعة الصفر أبدا لأنه سهر ليلتها مستمعا إلى الحفل الغنائي للمطربة أم كلثوم المنقول على الهواء من إذاعتي القاهرة وصوت العرب ونام في ساعة متأخرة من تلك الليلة حتى الفجر ، ولو كان يعلم بساعة الصفر كما كان يصرح بعد ذلك في مناسبات عديدة لهيأ ملابسه العسكرية ولنال قسطا من الراحة استعدادا لهذا الحدث الكبير ، وهو لايعلم نهائياً بأنه تقرر أن يكون رئيسا للجمهورية لأن الاتفاق قبل قيام الثورة في قيادة حزب البعث على أن يتولى هذا المنصب دون علمه .

انتهت مهمة عدنان القصاب بعد ايصال عبد السلام عارف الى مقر كتيبة الدبابات الرابعة في ابو غريب ، فتوجه بدوره بسيارته الى مقر الاذاعة في الصالحية وعند وصوله الى هناك التقى برفاقه منفذي الثورة الذين اتخذوا من مبنى الاذاعة مقراً لهم بعد اذاعة بيان الثورة الاول، وقامت الاذاعة بيث الاناشيد القومية والبيانات اللاحقة ، وخلال ذلك تم اطلاق سراح جميع المعتقلين من البعثيين والقوميين ومن بينهم الدكتور سعدون حمادي ، علي صالح السعدي صالح مهدي عماش وغيرهم .

عاد عدنان القصاب الى منطقة الداوودي بالمنصور بصحبة الدكتور سعدون حمادي حيث دعاه للمبيت في بيته كون الدكتور حمادي من محافظة كربلاء ولا يوجد لديه بيت في بغداد ، وبعد الانتهاء من ضيافته في عائلة القصاب خلد الدكتور سعدون الى النوم ، وفي ساعة متأخرة من نفس الليلة أعلنت قيادة الثورة عبر اذاعتها عن تشكيل الوزارة وكان من ضمنها الدكتور سعدون حمادي وزيراً للاصلاح الزراعي ، وفي الصباح استيقظ من النوم فأبلغه عدنان القصاب بأنه أصبح وزيراً للاصلاح الزراعي فقال له الدكتور سعدون حمادي (لاتمزح معي من الصبح) حيث لم يكن يخطر بباله بأنه سيخرج من السجن وفي صبيحة اليوم التالي يُعين وزيراً .

وبعد تناول افطار الصباح اصطحبه المهندس عدنان القصاب الى مقر الاذاعة في الصالحية وأدى اليمين واصبح وزيراً للاصلاح الزراعي رسمياً ، حيث اعلنت قيادة الثورة تشكيل الحكومة وعبد الكريم قاسم لا يزال محاصراً في وزارة الدفاع ، وكذلك معظم اعوانه من القيادات تمت محاصرتهم من قبل الثوار ، وبذلك انقطعت الصلة بينه وبين قياداته والشارع .

في تلك الاثناء كان عبد الكريم قاسم محاصرا في قاعة الشعب المحاذية لوزارة الدفاع فقام بتسليم نفسه الى ضباط الثورة ومنهم العقيد كريم مصطفى نصرت وعدد من الضباط ، وتم اصطحابه الى مقر الاذاعة في الصالحية مع عباس المهداوي وتمت محاكمته من قبل مجلس قيادة الثورة .

وبذلك عُين عبد السلام عارف رئيساً للجمهورية واحمد حسن البكر نائباً للرئيس وعلى صالح السعدي رئيساً للوزراء .

وقد شكل الحزب وقيادة الثورة وفدا شعبيا كبيرا برئاسة رئيس الوزراء علي صالح السعدي ووزير الدفاع صالح مهدي عماش وقائد القوة الجوية حردان التكريتي ووزير الخارجية طالب شبيب ومدير الاذاعة ستار الدوري والمهندس عدنان القصاب لزيارة القاهرة واللقاء بالقيادة المصرية وعلى راسها جمال عبد الناصر ، وبعد الإنتهاء من زيارة مصر. توجه الوفد الى الجزائر لتقديم الشكر للقيادة الجزائرية لموقفها الداعم لثورة 14 رمضان 1963 ، وتم خلال الزيارة لقاء الرئيس الجزائري أحمد بن بله

وبعد عودة القصاب من مصر. والجزائر تم تعينه مديرا بادارة مديرية المشاريع الصناعية في وزارة الصناعة ، واستمر بوظيفته لفترة سنة من تاريخ تعيينه .

صورة رقم (11)

القصاب مع الوفد أثناء عودتهم من زيارة القاهرة والجزائر1963

السفر الى القاهرة

في عـام 1963 عنـدما كـان المهنـدس عـدنان القصـاب عضـو في مجلـس نقابـة المهندسـين العراقيين نظمت النقابـة سـفرة للمهندسـين وزوجـاتهم إلى جمهوريـة مصرـ العربيـة في ضـيف عـام 1963 وكانت الرحلة تنظم أكثر من مائة مهندس بالإضافة إلى زوجاتهم. وكان معظم المهندسـين مـن القـوميين المعجبـين جمـال عبـد النـاصر، وعنـد وصـولهم إلى القـاهرة مكثـوا في فنـادق القـاهرة وحضروا حفلة أم كلثوم في مسرح الأزبكية وكانـت الحفلـة خاصـة بالمهندسـين العـراقيين أقيمـت عـلى إشراف الوفـد العراقـي. كـما زاروا أهرامـات مصرـ والتـي كانـت تسـمى آنـذاك "صـحراء الأهرامات" كما زاروا الآثار في الأقصر في محافظة أسوان؛ بالإضافة إلى قلعة محمد عـلي باشـا وقـبر أغاخـان في الأقصرـ ثـم زاروا القنـاطر الخيريـة في جولـة نهريـة ثـم عـادوا عـن طريـق السـيارات واستمرت الرحلة عشرة أيام، ثم عادت مجموعة المهندسـين إلى بغـداد تحمـل معهـا ذكريـات جميلـة عن الشعب المصري وعاداته.

وقـد صـاحبت هـذه السـفرة مأسـاة كبـيرة حيـث سـقطت الطـائرة المصرـية المتوجهـة الى الاسكندرية والتي كانت تقل عدد من الوفود العربية الهندسـية المشـاركة في هـذا التجمـع الهنـدسي الكبير، الأمر الذي احزن الجميع وسبب ازعاج كبير لهم .

صورة رقم (12)

القصاب يتوسط مازن المفتي وانطوان هلون وزوجته وسامي سليمان أثناء الحفلة الخاصة بالاضافة الى زوجته أثناء الحفلة الخاصة التي أقيمت على شرف الوفود الهندسية العربية في القاهرة وأحيتها السيدة أم كلثوم 1963

صورة رقم (13)

القصاب وزوجته في اسوان 1963

صورة رقم (14)

القصاب وزوجته في الأقصر 1963

صورة رقم (15)

القصاب وزوجته في العبارة لزيارة قبر اسماعيل أغا خان في اسوان 1963

صورة رقم (16)

القصاب في زيارة لآثار الكرنك 1963

إنتخاب القصاب عضوا في قيادة قطر العراق لحزب البعث

بعد قيام الثورة بأشهر قليلة حدث إنشقاق بين قيادات الحزب فانقسم الحزب الى جماعة مؤيدة لعلي صالح السعدي واخرى تؤيد الضباط البعثيين مما إنعكس ذلك سلباً على الحزب كله ، وفي هذه الأثناء أقيمت انتخابات القيادة القطرية للحزب بحضو ميشيل عفلق امين سر الحزب وأمين الحافظ بتاريخ 13/ 11/ 1964م ، أنتخب بموجبها عدنان القصاب عضو قيادة قطر العراق لحزب البعث بالاضافة الى طارق عزيز ، ستار الدوري ، حسن العامري ، احمد حسن البكر ، صالح مهدي عماش وآخرين ، وتم الانتخاب في القصر الجمهوري ، حيث كانت اجتماعات القيادات الحزبية تعقد داخل القصر الجمهوري .

وأثناء خروج عدنان القصاب من القصر الجمهوري برفقة عبد الستار الدوري تم اعتقالهم واصطحابهم الى المقر العام للحرس القومي في الاعظمية وتم احتجازهم لأكثر من ثلاث ساعات تدخل فيها احمد حسن البكر الذي كان نائباً لرئيس الجمهورية وميشيل عفلق أمين سر الحزب بالاضافة الى أمين الحافظ رئيس وزراء سوريا آنذاك ، وتم الافراج عن عدنان القصاب وعبد الستار الدوري بموجب هذه الوساطة على أن يغادر عدنان القصاب الاراضي العراقية فوراً ، وحدث ذلك بسبب سيطرة قيادة الحرس القومي من المنشقين عن الحزب الذين يتبعون علي صالح السعدي .

وخلال تهيئه لمغادرة العراق بصحبة عائلته حدث صباح يوم المغادرة إنقلاب 18 تشرين الثاني 1963م الذي سيطر بموجبه عبد السلام عارف على الحزب والدولة وانفرد بالسلطة من خلال قيامه باعتقال معظم قيادات الحزب آنذاك ، وفرض حظر التجوال ، وتم إلغاء موضوع نفي عدنان القصاب الى خارج القطر بسبب تواتر الاحداث وتوتر الاجواء ، حيث قام عبد السلام عارف بتجاهل الحزب وقياداته وانفرد بالحكم مع عدد من الضباط البعثيين المقربين منه مثل طاهر يحيى .

الرئيس عبد السلام عارف يأمر بسجنه في سجن رقم (1)

في الوقت الذي هدأت فيه الأمور نسبياً بعد سيطرة عبد السلام عارف على الحكم في البلاد واعتقاله لمعظم قيادات الحزب ، كان المهندس عدنان القصاب لا يزال يمارس عمله في وزارة الصناعة والذي كلف به بعد قيام ثورة 8 شباط سنة 1963م الى أن شاء القدر أن يشاهده عبد السلام عارف في منطقة الشالجية (دور السكك) حيث كان موكب عبد السلام عارف يمر من هناك متوجها الى القصر الجمهوري وأضطر بذلك عدنان القصاب الى إلقاء التحية عليه حيث كان عدنان وزوجته في سيارتهما متوجها الى بيت عائلة زوجته مآرب في الاعظمية ، في هذه الاثناء ظل عبد السلام عارف يركز نظره باتجاه عدنان القصاب الى حين ابتعاد موكبه عن سيارة عدنان ، ويبدو انه اراد ان يرد الجميل لعدنان الذي اوصله بسيارته الى ابو غريب ليصبح بذلك رئيساً لجمهورية العراق ، او لغاية في نفس الرئيس كان يريدها ؟ .

وخلال وجود عدنان وزوجته في الاعظمية بعد ساعات قليلة من إلقاء ه التحية على السيد رئيس الجمهورية تم تطويق بيته في منطقة الداوودي بالمنصور من قبل قوة عسكرية وبأمر من عبد السلام عارف لإلقاء القبض عليه ، فوصل خبر تطويق بيته الى الاعظمية حيث كان في بيت عائلة زوجته بنية السفر الى قضاء شهربان في محافظة ديالى لقضاء اجازة ايام الربيع هناك ، وعند سماع عدنان لخبر تطويق بيته بقوة عسكرية صمم على السفر الى محافظة ديالى كما كان متفق عليه مع عائلته ، وعند عودته من محافظة ديالى في اليوم التالي صمم ان يذهب الى مقر عمله في وزارة الصناعة رغم تحذير الجميع له بعدم الذهاب حيث كان بامكانه ان يختفي عن الانظار الى حين انجلاء الموقف .

واثناء وصوله الى مقر عمله اعتقلته عناصر الأمن التي كانت بانتظاره وكبلت يديه بالقيود واتجهت به الى مديرية الامن العامة ، وعند وصوله مقر الامن العامة سمع عناصر الأمن يقولون بأنه ألقي القبض على الشخص الذي حاول اغتيال رئيس الجمهورية عبد السلام عارف ، ولم يمكث طويلاً في مديرية الأمن العامة حيث تم نقله الى سجن رقم (1) في معسكر الرشيد جنوب شرقي بغداد بدون اوراق تحقيقية وأُودع السجن بأمر من رئيس الجمهورية ، وتم التحقيق معه وشكلت العديد من اللجان التي اتهمته بمختلف القضايا السياسية والمدنية ولم يثبت عليه شيئاً منها .

وخلال وجوده في السجن كانت زوجته مآرب العزاوي تقوم بنقل الرسائل بينه وبين الحزب بمختلف الطرق التي تتيسر لها ، وتقوم بايصالها الى الحزب لبثها من خلال اذاعة دمشق التابعة للحزب ، بحيث بثت الاذاعة من خلال الرسائل التي تنقلها زوجته كل مايدور في سجن رقم (1) من اعتصامات وتعذيب وغيرها .

وكان معه في سجن رقم (1) حينذاك صدام حسين ، جاسم قره علي فائق توفيق جعفر قاسم حمودي وغيرهم ، وبعد حدوث الانقلاب الفاشل الذي قام به عارف عبد الرزاق رئيس الوزراء ضد عبد السلام عارف ، شددت الرقابة على المعتقلين وتم نقل عدنان القصاب من سجن رقم (1) الى سجن معسكر التاجي شمال غربي بغداد ، وبعد فترة وجيزة من نقلة الى سجن التاجي توسط عدد من الوزراء أصدقاء لعائلته في محاولة لاخراجه من السجن وتم ذلك بالفعل وخرج عدنان القصاب بكفالة مالية ضامنة بتاريخ 22/ 5 / 1964م .

هروب القصاب من العراق وإختفاءه عن الانظار

بعد خروجه من السجن بشهرين اتصل به ممثل عن الحزب وأبلغه بمغادرة العراق لوجود أمر إلقاء القبض عليه من الممكن ان يؤدي به هذه المرة الى اعدامه ، نفذ عدنان القصاب الطلب وغادر العراق ، حيث رافقته زوجته مآرب العزاوي ووالدتها الى الموصل لغرض التمويه على السلطات الامنية ، وكان برفقته طارق عزيز ، وخرجا من خلال حدود محافظة الموصل مع سوريا عن طريق المهربين وكان ذلك بتاريخ 6/ 6/ 1965 م ،

وقد التحقت به الى سوريا وبعدها ذهبوا الى لبنان وبقيت معه لمدة شهرين ثم عادت الى بغداد ، وبعد عودة زوجته مكث القصاب لمدة شهر آخر في سوريا ثم عاد متخفيا الى بغداد ....

استمر القصاب في الاختفاء وقد اختار له الحزب احد البيوت في منطقة المنصور خلف نادي الصيد ...لكن رغم الأمان المتحقق له في تلك المنطقة إلا ان قيادة الحزب فضلت ان يترك تلك المنطقة في الكرخ والذهاب الى منطقة الرصافة وفي منطقة الاعظمية بالتحديد ، ووقع الاختيار على بيت أخت زوجته بيت السيد فائز الاعظمي الذي يقعنهاية شارع عشرين من جهة نهر دجلة ....

ولكنه اضطر للخروج من الإختفاء لمصاحبة زوجته الى مستشفى الرازي الواقعة في جانب الكرخ منطقة العطيفية عندما حان موعد ولادتها ، وفي هذه الاثناء شاهده مدير المستشفى الدكتور عزت مصطفى وطلب منه العودة من حيث أتى لأنه لا يزال مطلوب من السلطات الامنية ، ووعده بأنه سيسهر على راحة زوجته في المستشفى ، فأطمئن الى ذلك ورجع بعد ان سمع الصرخة الأولى لولادة

طفلته ، وطلب ان يكون اسمها رزان ، وكان ذلك في 3 / 2/ 1966م .. واستمر اختفاءه الى حين سقوط طائرة الرئيس عبد السلام عارف ومقتله في 13 / 4/ 1966م .

قصة القصاب مع الرئيس عبد الرحمن عارف

بعد مقتل الرئيس عبد السلام عارف في 13/ 4/ 1966 وانتخاب اخيه عبد الرحمن محمد عارف لرئاسة الجمهورية الذي كان آنذاك ضابطاً في الجيش العراقي برتبة عميد ، كانت تربط عدنان القصاب علاقات عائلية مع عبد الرحمن عارف من خلال عديل عدنان العميد طارق العمر الذي كان صديقا لعبد الرحمن عارف بحكم عملهم كضباط في الجيش .

ويذكر ان عائلة عبد آل عارف كانت تربطهم علاقات قوية ومتينة مع آل القصاب منذ كانا يسكنان في محلة سوق حماده في الكرخ ، حيث كان والد عبد الرحمن عارف رجل دين معروف في منطقة سوق حماده ويرتبط بعلاقة متينه مع والد عدنان بحكم تواجدهم في محلة واحدة وجيران لسنين طويلة .

لأجل كل ذلك ولتنقية القلوب والنفوس من الاحقاد وبعد خروج عدنان القصاب من المكان الذي كان مختفياً فيه ذهب الى الرئيس عبد الرحمن عارف في مقر رئاسة الجمهورية في القصر الجمهوري معزياً بمقتل أخيه عبد السلام ومهنئاً له بنفس الوقت بمنصب رئاسة الجمهورية ، وبعد استقبال الرئيس عبد الرحمن عارف له والترحيب به ، وأثناء الحديث الذي دار بينهما ، قال له الرئيس عبد الرحمن عارف (لكم طريقكم ولنا طريقنا ولا يمكن ان يلتقيا ابداً) ، ويقصد الرئيس عبد الرحمن عارف بأن اللقاء مع حزب البعث الذي كان عدنان القصاب عضو فرع بغداد فيه غير ممكن ابداً.

صورة رقم (17)

القصاب مع العقيد عبد الرحمن محمد عارف وزوجته قبل ان يصبح رئيسا للجمهورية وذلك عام 1962

إنتقال القصاب للعمل في شمال العراق

بعد سماع كلام الرئيس عبد الرحمن عارف أتضح لعدنان القصاب بأن لا مكان لحزب البعث في هذه الحكومة ، فضل العمل في شمال العراق المضطرب آنذاك على البقاء في بغداد ، فذهب للعمل مع المقاول خضير الحاج داوود لتبليط شوارع (عين سفني أتروش) شمال محافظة نينوى حيث تسكن في تلك المنطقة طائفة اليزيدية لوجود معبد الشيخ عادي حسب ما يطلق عليه عامية اليزيدية (عدي) .

ولكونه حلو المعشر وطيب اللسان والسريرة كَون علاقات واسعة مع التشكيلات المختلفة والمتناقضة في تلك المنطقة كون عمله مهندس مشرف يمتلك صلاحيات مطلقة خولها إياه المقاول خضير الحاج داوود ، وكانت هذه التشكيلات من العسكريين الموالين للدولة ومن أشهرهم اللواء عبد الجبار شنشل الذي كان في ذلك الوقت قائداً للفرقة العسكرية المتواجدة في تلك المنطقة بالاضافة الى عدد كبير من الضباط الكبار المحيطين بشنشل ، وذلك من قيام عدنان القصاب بتلبية طلبات العسكر الخاصة بتبليط الشوارع وسماحه بإعارت آليات المشرع لهم .

وكون ايضا علاقات واسعة مع قادة وعناصر (البيشمركة) وعلى رأسهم حسو مير خان وعبد الملك ، وتكونت هذه العلاقات مع البيشمركة كون مادة الحصو الخام المستخدمة في تبليط الشوارع موجودة في المنطقة التي تقع تحت سيطرة عناصر البيشمركة وتدعى منطقة (خنس) بالاضافة الى علاقاته مع الفرسان وطائفة اليزيدية في المنطقة التي كان مجال عمله فيها .

وكانت تلك الفترة التي قرر عدنان القصاب العمل فيها بتلك المنطقة تشكل منعطفاً تاريخياً في حياته كونها من أخطر مناطق العراق حينذاك ، ولذلك لم يصطحب عائلته معه ، علماً ان المشروع مخصص له حراسات من عناصر الفرسان ، وله حارسه الخاص ، وكان مقر المهندس عدنان القصاب الذي يتكون من بيت خاص بالمشروع محل استقطاب للشخصيات الموصلية وضباط الجيش والفرسان كون عم والدته عبد العزيز القصاب علاقات من العائلات المشهورة في الموصل ، عندما كان محافظاً لنينوى منذ سنة 1925م وله الفضل في بقاء محافظة نينوى تابعة للعراق خلال الاستفتاء على عائدية نينوى للعراق او تركيا سنة 1925م ، وخاله عبدالله القصاب الذي كان محافظاً لنينوى سنة 1946م .

بالاضافة الى كونه يتمتع بشخصية اجتماعية ومحبوبة من جميع الاطراف المكونة للنسيج الاجتماعي في العراق والمنطقة التي يعمل بها ، فنال ثقة واحترام وتقدير العوائل الموصلية ، وكانت بيوتهم مفتوحة له ومرحباً به في أي وقت يشاء ، وخلال فترة عمله في شمال العراق استأجر بيتاً لعائلته يأتون اليه في فترات متباينة حتى انهى عمله .

وطيلة فترة عمله في شمال العراق لم يكن لحزب البعث تنظيم يذكر بسبب البطش الذي تعرضت له قياداته اثناء فترة حكم عبد السلام عارف وانتهاج عبد الرحمن عارف نفس سياسة اخيه تجاه القيادات البعثية ، وكان ارتباط عدنان القصاب في تلك الفترة اتصال فردي مع الرئيس السابق احمد حسن البكر من خلال زيارته في بيته بمنطقة الاسكان غربي بغداد ، واستمر عدنان القصاب في العمل في شمال العراق لحين قيام ثورة 17-30تموز1968م واستلام حزب البعث للسلطة من جديد .

صورة رقم (18)

القصاب اثناء فترة عمله كمهندس شمال العراق 1967

صورة رقم (19)

القصاب في موقع العمل شمال العراق 1967

صورة رقم (20)

القصاب في خيمة العمل شمال العراق 1967

صورة رقم (21)

القصاب في الزي الكردي شمال العراق 1967

صورة رقم (22)

القصاب مع اللجنة الحكومية المشرفة على تنفيذ المشروع في الشيخان شمال الموصل 1967

ثورة تموز 1968 واستلام البعث مقاليد الحكم للمرة الثانية

في ليلة تنفيذ الثورة ليلة 16/ 17 تموز 1968م إلتقى عبد الرزاق النايف الذي كان مديراً للاستخبارات في زمن حكم عبد السلام عارف وأخيه عبد الرحمن عارف إلتقى بقيادة الثورة وأبلغهم بأنه على علم مسبق بنيتهم القيام بثورة ضد الرئيس عبد الرحمن عارف ، وبدء يساومهم ويهددهم بكشف أمر ثورتهم اذا لم تسند اليه رئاسة الوزراء وابراهيم الداوود وزارة للدفاع في حال نجاح الثورة فوافقة قيادة الحزب مرغمة على إبتزاز عبد الرزاق النايف .

ونفذت الثورة بيومها وتاريخها وبما خطط لها في 17 تموز 1968م ، وأصبح عبد الرزاق النايف رئيساً للوزراء في حكومة البعث الثانية ، وبعد قيام الثورة بأربعة ايام ألتقى عدنان القصاب برئيس الجمهورية احمد حسن البكر لتهنئته بمنصب رئاسة الجمهورية ومباركاً له نجاح الثورة ، وخلال هذا اللقاء نبه القصاب الرئيس البكر من خطورة عبد الرزاق النايف وابراهيم الداوود ، فطمئنه البكر بأن لايخاف فالامور تحت السيطرة وطلب من عدنان القصاب البقاء في بغداد ليومين قادمين لترتيب الاوراق والاتصال به ، علماً بأن عدنان لايزال مرتبطاً في شمال العراق ، وبعد مرور اليومين لم يحدث شئ جديد ولم يتم الاتصال به ، فقرر العودة الى عمله في محافظة نينوى لتصفية متعلقات عمله وفك ارتباطه مع المقاول خضير الحاج داوود .

وخلال وجود عدنان القصاب في مقر عمله شمالي الموصل حدث يوم 30 من تموز 1968م الذي ترتب بموجبه إلقاء القبض على عبد الرزاق النايف وابراهيم الداوود بشكل سلمي وتم تسفيرهما الى المغرب .

وبذلك سميت الثورة بثورة 17–30 من تموز وأصبحت الثورة بعثية نقية وخالصة بيضاء ، حيث أبقت الثورة على رئيس الجمهورية عبد الرحمن محمد عارف حياً وقامت بنفيه الى تركيا ولم تذرف قطرة دم واحدة أثناء تنفيذ الثورة ، ولذلك أُطلق عليها اسم الثورة البيضاء .

السفرة الى أوروبا

بعد إنتهاء عمل المهندس عدنان القصاب في شمال العرق ..وقيام ثورة 17-30 تموز عام 1968 وقبل عودته إلى بغداد خطط وقرأن يقوم بسفرة سياحية في السيارة إلى أوربا مع عائلته تستغرق شهرين ....

وكانت الخطة التي وضعها القصاب تتضمن شحن سيارته الخاصة بالقطار من بغداد إلى اسطنبول ثم يسافر مع عائلته إلى اسطنبول بالطائرة وينتظر وصول السيارة ثم يستقل السيارة ويبدأ رحلته من اسطنبول عبر ارضي الدول الأوربية وصولا إلى لندن.

وكانت خطة الطريق المقترحة أن تكون الانطلاقة من اسطنبول ، بلغاريا ، يوغسلافيا ، النمسا ، ألمانيا ، هولندا ، سويسرا ، باريس ، بلجيكيا ثم لندن . كما قرر أن يكون طريق العودة مختلفا هذه المرة عبر طريق البحر المتوسط والمدن الساحلية فكانت لندن المحطة الأولى لطريق العودة ، باريس ، ليون ،مرسيليا ، تورينا الايطالية ، فينا الايطالية ، سرايفو ، بلغاريا ، اسطنبول ، أنقرة ، أدنة ، اورفة ، غار عناب ، نصيبين ، وفي الحدود السورية يتم شحن السيارة إلى الموصل واستلامها مرة أخرى والعودة بها من الموصل إلى بغداد .

بداية السفرة

كانت الرحلة في بداية شهر آب عام 1968 عبر الخطوط الجوية العراقية من بغداد الى اسطنبول وعند وصولهم الى اسطنبول مكثوا في فندق الهلتون الذي يعرفونه وسبق ان سكنوا فيه قبل ذلك بانتظار وصول سيارتهم بعد عدة ايام من وصولهم . وقد استغلوا هذه الفترة للتعرف على معالم اسطنبول والمدن المحيطة بها .

فبدت لهم اسطنبول مدينة جميلة يفوح منها عبق الاسلام والتاريخ والحضارة وطبيعتها الخلابة الساحرة التي تبهر الابصار بحضارتها التي تعانق الحاضر بعمرانها العتيق واهلها المحبين لاهل الوطن العربي والمسلمين .....

وكان اليوم الاول لرحلتهم في اسطنبول زيارة متحف (توب كابي) الذي يشرح تاريخ العثمانيين في صور وتحف نادرة ثم زاروا المسجد الازرق (مسجد السلطان عبد الحميد) ومسجد سليمان القانوني ومسجد آيا صوفيا التي كانت في بداية الأمر كنيسة ثم حولته الى مسجد ايام الفتح وفي عام 1935 حولته الحكومة التركية الى متحف ، وبعد ذلك توجهوا لزيارة السوق (قبالي جاريج

وفي اليوم الثاني زاروا الجزر الغربية من اسطنبول مثل جزيرة الاميرات وقاموا برحلة بحرية في الجزر الاربعة التي تعد من افضل الموانئ في العالم حيث يتمتع بالهواء النقي والمناظر الخلابة

وفي اليوم الثالث تم زيارة (قصر دولة بهجت) الذي لا يمكن لأي سائح إلا ان يزوره حيث يعد من إبداعات الدولة العثمانية قبل زوالها من البهرجة والترف حيث زين بكمية من الذهب تقدر بميزانية دولة من الدول .

وفي اليوم الرابع قاموا بزيارة الاسواق التاريخية في اسطنبول فبداوا بزيارة جراند بازار الذي يعد من اكبر الاسواق المغلقة في المدينة ويتفرع منه نحو ستين شارعا ثم جادة الاستقلال وميدان تقسيم الساحة الكبيرة التي يطلق عليها جادة ، وهي مكتظة بالمحلات والمكتبات والمطاعم والفنادق ويوجد بها نصب بارز لمؤسس تركيا الحديثة (مصطفى أتاتورك) وبعد ذلك قضى القصاب وعائلته الايام الباقية في حدائق اسطنبول الجميلة لحين وصول سيارتهم التي صاحب استلامها بعض التعقيد وتم استلامها بعد دفع مبلغ من المال .

بلغاريا

وبعد استلام السيارة بدات الرحلة الطويلة من اسطنبول الى بلغاريا وكان الطريق شديد الازدحام في الحدود التركية البلغارية ، حيث ان بلغاريا تطل على البحر الاسود وعاصمتها صوفيا وبعد وصولهم نزلوا في احد الفنادق لكنهم واجهوا مشكلة تصريف العملة حيث لاتعامل بالدولار واتصلوا بالسفارة العراقية في بلغاريا حيث استقبلهم السفير منير البياتي وزوجته وقدموا لهم الرعاية والتسهيلات ومكثوا في بلغاريا ثلاثة ايام حيث ذهبوا الى مدينة فارنا التي تقع على البحر الاسود في منتجع إليتا ذو الرمال الذهبية وبها اشهر تلفريك وهي قريبة من نهر الدانوب ، وتعتبر بلغاريا قبلة السياح من جميع الدول الاوربية والوطن العربي .

يوغسلافيا

وبعدها تم توديعهم من قبل السفير وزوجته الذي أولاهم رعاية خاصة ورافقتهم في زيارة عاصمة بلغاريا الجميلة ، وبعد ذلك توجهوا الى بلد اخر وهو يوغسلافيا حيث وصلوا الى العاصمة بلغراد ليلا وقرروا البقاء ليلتين في بلغراد وتجولوا في بلد البطل تيتو وكانت تشتهر بالعديد من التماثيل البرونزية لتيتو وثورته ،ثم توجهوا بعد ذلك الى ايطاليا بعد ان ألغيت زيارته الى تشيكوسلوفاكيا التي تشهد في حينها محاولة انفصال التشيك والسلوفاك والاوضاع متوترة ومنعوا من دخول تشيكوسلوفاكيا ورومانيا وهنغاريا وبذلك اضطروا الى الذهاب الى زغرب في يوغسلافيا بغية الوصول الى ايطاليا ولم يجدوا فندقا ينامون فيه في زغرب مما اضطرهم الى ان يستاجروا غرفة في احد البيوت وكانوا خائفين جدا ولم يناموا تلك الليلة حتى الصباح .

النمسا

غادروا زغرب متجهين هذه المرة الى النمسا حيث فينا عاصمتها الجميلة ، وتنقسم النمسا الى ثلاثة وعشرين منطقة ، وكان هناك ابن خاله غازي القصاب الرجل الثاني في السفارة العراقية في فينا والشخص الاول كان عثمان العاني الذي كانت زوجة القصاب السيدة مارب العزاوي ترتبط بعلاقة قوية مع زوجته لانها كانت تسكن في منطقة واحدة في الاعظمية ببغداد.

وبسبب التقسيم الاداري الجميل للمدينة فلا يجد السائح اي معاناة في الوصول الى الاماكن التي يريد الذهاب اليها وبذلك تمكن من الوصول الى عنوان ابن خاله غازي القصاب دون عناء وقرر ان يفاجئهم حيث ضغط على جرس الباب فذهلوا عندما مشاهدتهم لهم ولم يصدقوا ذلك . وبعد ذلك ذهبوا الى الفندق ، ومن هناك بدات رحلتهم السياحية للمواقع المهمة التالية الا وهي الكنيسة التي يطلق عليها ستيصا نزدوم التي تعتبر من اقدم الكنائس بالعالم

ثم توجهوا الى حدائق الشتات باركstadt park التي تحتوي على بحيرة البط وملاهي وقصر- تعزف فيه الموسيقى لجوهان ستراوس ثم الى حديقة الفولكس جاردنvolksgarden التي تعتبر من اقدم حدائق فينا وكذلك قصر الشون برون schonbrunn palace وهو من اجمل قصور اوربا على الاطلاق ويسمح الدخول والتجوال فيه ، واخير زاروا مدينة الملاهي التي تعتبر من اكبر الملاهي في العالم وهي جميلة جدا حيث يوجد بها دولاب هواء فريد من نوعه . وهكذا كانت نهاية زيارتهم لمدينة ليالي الأنس والمدينة القديمة المرتبة ترتيبا متميزا ،

المانيا

بعد ذلك توجه القصاب الى المانيا بلد الساعات والشوكولاته والورود وقرروا ان يكون غدائهم في السيارة وهم في طريقهم الى المانيا . وبعد وصولهم الى مدينة ميونخ الالمانية ليلا مكثوا في احد الفنادق بالمدينة وبعدها تجولوا فيها وزاروا اشهر كنيسة في ميونخ وهي كنيسة السيدة العذراء التي تم بناؤها على الطراز القوطي في بناء القاعات الضخمة ، وكان الكثير من فرق الاوركسترا في ميونخ تعزف بهذا المكان.

وهناك الكاتدرائية الخاصة بابرشية ميونخ وتتكون قبتها على شكل حيث اشهر شوارعها الذي يشتهر ببيوتات الا زياء وتعتبر العاصمة الاقتصادية البصلة ويمكن رؤيتها من بعيد (كنيسة السيدات) وبعدها توجهوا الى فرانكفورت الالمانية بسبب وجود العديد من الشركات والبنوك وبورصة الاوراق المالية (داكس) وتقع على نهر الماين ويرمز لها في بعض الاحيان بمنهاتن تشبيها بمنهاتن في نيويورك ، وقضوا في فرانكفورت ثلاثة ايام .

هولندا

ومن فرانكورت الالمانية توجه القصاب وعائلته الى هولندا مدينة طواحين الهواء والاراضي المنخفضة ولقد سميت كذلك لان ما يقرب من نصف اراضيها تقع تحت مستوى البحر وتعتبر هولندا مدينة الورود واكبر مصدر لها ، واكبر مدن انتاج الالبان وتشتهر بطواحين الهواء التي تولد الطاقة الكهربائية وتطحن الحبوب ، حيث بنت الحكومة مزرعة ظخمة بها طواحين هواء بعيدة عن الساحل كي لاتمثل صورة غير جيدة للسياح وفيها طاحونة يعود تاريخها الى القرن الثامن عشر فيها مصنع لانتاج البيرة من الشعير وطواحين هولندا القديمة تتضمن اربعة ريش تتحرك عكس عقارب الساعة اما الطواحين الجديدة فهي بثلاث ريش وتتحرك باتجاه عقارب الساعة وكان للقصاب وعائلته ذكريات جميلة في هولندا

سويسرا

بعد جولتهم الرائعة حزموا امتعتهم للعودة الى المانيا من خلال طريق فرانكفورت الى سويسرا حيث كان الطريق بمثابة جنة على الارض لجماله ونظافته وانتظام السير فيه حتى وصلوا الى جنيف ومكثوا في الفندق المطل على بحيرة جنيف ، حيث المنظر الجميل اثناء تساقط المطر ثم زاروا ضاحية النافورة التي تضخ الماء الى ارتفاع يصل مئة واربعين مترا وتعتبر رمزا للمدينة ومعلما مشهورا وبعد ذلك توجهوا إلى المدينة القديمة التي تعود بالزمن إلى الوراء فكل شيء فيها يعود إلى أزمان قديمة حيث ساحة يرغ دي فور ، أقدم ساحة في المدينة ويطل عليها قصر العدل الذي بني في القرن الثامن عشر.

أما الأعياد وفي جنيف فأهم عيد فيها هو عيد السلالم والأدراج والصيف وهذا العيد تقليدي حيث تقوم النساء بسكب الحساء الساخن بالطناجر على الجنود الذين يحاولون تسلق الأسوار بواسطة السلالم لذلك أطلق عليه عيد السلالم" ولذلك يصفون الشيكولاتا على شكل طنجرة ومن المعالم المهمة التي تمت زيارتها ساعة جنيف الوردية التي تم بناؤها عام 1955 لتكريم حديثقة جنيف في صناعة الساعات ويبلغ قطرها خمسة أمتار فيها (6500) زهرة ويتم تغيير لونها مع تغيير المواسم وبجانب الساعة توجد الحديقة الإنجليزية المشهورة. فهي تعتبر معلمًا للدولة لا تقل أهمية عن النافورة. وهناك بجانب الحديقة الإنجليزية حديقة مون ريبو وحديقة المياه الحية وحديقة لؤلؤة البحيرة وحديقة النباتات الطبيعية حيث مئات الأنواع من الزهور وبذلك ودعوا مدينة جنيف الرائعة التي تعد ملكة الساعات والشيكولاتة والورود.

فرنسا

وبعد الانتهاء من زيارة سويسرا شدوا الرحال إلى فرنسا عبر طريق جنيف إلى باريس مروراً بالمدن الجميلة التي لا توصف لأنها كقطعة منحوتة من خضرة وسماء صافية وزهور ومدن صغيرة جميلة على الحدود بين الجانبين السويسري والفرنسي. وبعد وصولهم إلى باريس ليلا توجهوا إلى بيت إحسان القصاب أخو عدنان القصاب الأكبر وهو الشخص الثاني في السفارة (القنصل) في السفارة العراقية بباريس وقضوا الليلة في بيت أخيه وفي الصباح ذهبوا لأحد الفنادق ومنه انطلقوا لزيارة المواقع السياحية برفقة عائلة أخيه إحسان وزاروا برج إيفل قصر فرساي، ألبرت مارت، متحف اللوفر، حديقة الحيوان..

بلجيكا

ثم تركوا باريس وتوجهوا إلى بلجيكا حيث كانت الطريق جميلة ورائعة وعلى طرفي الطريق توجد الهوتيلات الجميلة وقبل وصولهم بلجيكا استأجروا غرفة في هوفيل وامضوا الليلة فيها وفي الصباح توجهوا إلى بروكسل العاصمة وهي مدينة جميلة تشتهر بدور الأزياء العالمية وفيها فنادق جميلة وشوارع متميزة وتجولوا في المدينة وشاهدوا معالمها المختلفة ثم غادروا بروكسل وعادوا إلى باريس وامضوا يومين فيها للاستراحة من التعب الرحلة الطويلة الشاقة لكنها من أجمل الرحلات في حياتهم لكونها تزخر بالتنوع والجمال. استعدادًا للذهاب إلى لندن

لندن

ومن باريس ذهبوا إلى لندن عن طريق كاليه، المانش وركبوا العبارة مع السيارة ثم وصلوا إلى ندن وكانت زيارتهم إلى لندن للاطلاع على المعالم السياحية ولكن لندن كانت مهمة بالنسبة لزوجته السيدة مأرب حيث المخازن العامرة وبيوت الأزياء المشهورة.. حيث قامت بجولة تسويقية عامرة واشترت الكثير من الأشياء الجميلة لها وأخرى هدايا لأقاربها وأصدقائها.

وبعد زيارة لندن القصيرة قرروا العودة ولكون الرحلة طويلة وشاقة ومتعبة اتفقوا أن يكون طريقة العودة يمر بدول البحر المتوسط وأن لا يمكثوا أكثر في يوم واحد في كل دولة من الدول التي يمرون بها وبعدها عادوا إلى باريس ثم ليون ومرسيليا .

وبعدها وصولا إلى تركيا نقطة انطلاق رحلتهم في السارة عبر أراضي الدول الأوربية وتوجهوا إلى أنقرة ثم مدينة أدنه ومنها إلى أورفة حيث أمضوا ليلة من أسوء الليالي وأطولها في حياتهم لأنهم لم يحصلوا على فندق إلا واحدًا من الدرجة الرابعة وكانت ليلة صعبة عليهم ولم ينعموا بالثوم خلالها إلى الصباح وعند الصباح توجهوا إلى مدينة نصيبين الحدودية مع سوريا حيث تم شحن السيارة في القطار واستقلوا القطار الدولي في الحدود التركية مرورًا بالأراضي السورية حتى وصلوا مدينة الموصل ومكثوا فيها لمدة يومين بعدها توجهوا إلى بغداد.

وبذلك انتهت رحلة لا يمكن أن تتكرر وتعد من أجل الرحلات وأكثرها جرأة على الإطلاق.

صورة رقم (23)

القصاب في تركيا 1968

صورة رقم (24)

زوجة القصاب في تقسيم جادة سي بتركيا 1968

صورة رقم (25)

زوجة القصاب وطفلتها رزان يشربون من المياه المعدنية في بلغاريا 1968

صورة رقم (26)

زوجة القصاب أمام ساعة الورود في جنيف بسويسرا 1968

صورة رقم (27)

زوجة القصاب قرب إحدى النافورات الشهيرة في جنيف 1968

صورة رقم (28)

رزان في إحدى حدائق الحيوانات امام بحيرة البجع في فيينا بالنمسا 1968

صورة رقم (29)

زوجة القصاب في اشهر مدينة ألعاب في فيينا وأعلى دولاب هواء في العالم 1968

صورة رقم (30)

القصاب وزوجته في مصعد برج إيفل بباريس 1968

صورة رقم (31)

القصاب وزوجته وطفلته رزان وابنت أخيه احسان أمام برج إيفل 1968

صورة رقم (32)

زوجة القصاب مع شقيقه احسان امام المسلة المصرية في باريس 1968

صورة رقم (33)

زوجة القصاب وطفلتها امام قصر فرساي بباريس 1968

صورة رقم (34)

زوجة القصاب امام قصر فرساي بباريس 1968

صورة رقم (35)

شقيق القصاب احسان وطفلتيهما .....

مديرا للموانئ العراقية

بعد عودته من رحلته الاوربية ووصوله الى بغداد إلتقى برئيس الجمهورية احمد حسن البكر ووزير الدفاع صالح مهدي عماش ، فقال له الرئيس سنوكل اليك وظيفة راتبها أقل من الذي تتقاضاه كمهندس مشرف في شمال العراق ، فقال له عدنان القصاب (أنا تحت إمرتكم بأي عمل أكلف به) وبذلك اصبح عدنان القصاب مديراعاما للموانئ العراقية .

وبعد تكليفه من قبل رئيس الجمهورية احمد حسن البكر باستلام وظيفة مدير عام للموانئ العراقية سافر بصحبة عائلته الى محافظة البصرة وباشر عمله في الموانئ بتاريخ 2/ 11/ 1968م ، وسكن في أحد البيوت المخصصة لموظفي الموانئ ، وكانت تنتظره مهام جسام وتركة ثقيلة حيث كان مدير الموانئ الذي سبقه السيد مزهر الشاوي يتمتع بحضور وشعبية واسعين بين منتسبي الموانئ ، لكنه في الوقت نفسه لم تكن تربطه علاقات ودية مع محافظ البصرة ، مما ترتب على المهندس عدنان القصاب تسخير موارد الموانئ لمحافظة البصرة بصورة عامة ولا تقتصر على الموانئ والعاملين فيها فقط ، وهي مسؤولية كبيرة تحتاج الى رؤية شاملة وثاقبة يتمتع بها المهندس القصاب .

وفي يوم وصوله التقى جميع المدراء العامين والمسؤولين في مديرية الموانئ واستمع الى كل واحد منهم والى العمل المناط به والمسؤولية المترتبة على عاتقهم ، ومن خلال هذه الصورة التي قدمها المسؤولين في الموانئ استمرت لعدة ساعات ، أصبح القصاب على علم بكل تفاصيل العمل بسلبياته وإيجابياته ، ومن خلال هذا اللقاء انطلق القصاب في بناء اللبنة الاساسية لإنجاح عمله حيث بدأ بتحقيق كل ما طلب منه لخدمة العمل العام ولمصلحة منتسبي وعمال الموانئ ، حيث قام بتنفيذ الاقتراحات التي قدمت له وعلى سبيل المثال لا الحصر نقابة عمال الموانئ ، حيث قام برفع الغبن الذي لحق بهم ، ووضع حجر اساس بناء قاعة ضخمة تابعة لنقابة عمال الموانئ ودار استراحة للعمال ودار حضانة لأطفالهم ونادي للأطفال وكذلك اسهامه في نشر الوعي الثقافي في صفوف الطبقة العاملة من خلال تسهيل مهمة مدارس محو الامية .

واولى القصاب مشكلة السكن اهمية بالغة ، حيث كان لا يسمح بالبقاء في السكن لمن يلتحق بخدمة العلم ولكنه وبعد دراسة الموضوع أمر ببقاء عوائلهم بالسكن لحين انهاء الخدمة العسكرية وباجور مخفضة وابقى موقعه شاغرا حتى يعود له بعد الانتهاء من الخدمة العسكرية . ومن المشاريع التي قدمت له اثناء لقاءه الاول مع المنتسبين بالرغم من معرفتهم بأنها صعبة التحقيق لكن القصاب أصر على معرفتها ومنها على سبيل المثال .

مشروع تبليط طرق ام قصر وانشاء المنطقة الحرة ومشروع مستشفى ام قصر ومشروع انشاء 512 دار للعمال والموظفين وغيرها ، لقد اخذها القصاب بعين الاعتبار وبكل جدية وعمل على تحقيقها ، الامر الذي ادى بالعاملين في الموانئ ان يطلقوا عليه بأنه احدث ثورة داخل ثورة ، وهكذا استمر القصاب بعمله بكا اخلاص وجدية وتفاني في العمل ، وهذا بعض مما قيل في القصاب من منتسبي الموانى الاصدقاء والاحباء له .

وكان من اسعد ايامه هو نقل الخبرة العراقية لمساعدة الأخوة العرب ، وما الاتفاقية التي عقدت مع حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لخير دليل على ذلك ، حيث مارست البواخر العراقية عملها في تعميق مياه ميناء عدن ولأكثر من مرة ، وكان ذلك يعد مفخرة للعراق وتقدير رئيس جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية . وكان العمل الذي يفتخر به القصاب دائما هو انتشال الجنبة الغارقة في ميناء ام قصر منذ الحرب العالمية الثانية ، بواسطة امكانيات مصلحة الموانئ وتوفير مبالغ كبيرة سبق وان طلبتها الشركات الاجنبية لذلك .

وكان القصاب يتمنى ان تكون البصرة قبلة العرب والعالم أجمع فقد تبنى انشاء نادي للفروسية ايمانا منه بجعل مدينة البصرة مدينة سياحية ، وشكل لجنة ضمن العديد من المهندسين التنفيذيين لتحقيق هذا الصرح الكبير الذي تم بجهود الجميع خلال فترة لا تتجاوز الستة اشهر مما حدى برئاسة الجمهورية بتكريم جميع العاملين في المشروع .

اما الباخرة زبيدي فكانت حلم القصاب الذي كان يطمح ان يعم الخير على جميع اهل البصرة وباقي انحاء العراق ، حيث كانت الباخرة زبيدي مهملة وامكانياتها محدودة ، لقد كان القصاب يعلم بأنها ستكون ذات امكانيات كبيرة لو استغلت بكامل طاقتها، وهذا ما تحقق بالفعل ، واصبح الصيد من سمك الزبيدي والروبيان في منازل الجميع بعد ان كان حكرا على طبقات معينة ومحدودة ، لقد كان القصاب يفخر بهذا الانجاز .

نقابة الموانئ تثمن دور القصاب في اسناد الطبقة العاملة

ضمن التزامات الثورة الاساسية لتحرير الطبقة العاملة مادياً ومعنوياً لتتمكن من ممارسة دورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي في بناء المجتمع ، وعلى هذا الدرب سار مناضل من مناضلي ثورة تموز إختارته الثورة ليكون الرجل المناسب في المكان المناسب مديراً عاماً للموانئ وهو الاستاذ عدنان القصاب ، فمنذ استلامه مهامه الرسمية قبل ثلاثة سنوات في تلك المؤسسة الحيوية التي تلعب دوراً بارزاً في اقتصادنا الوطني ، شعر جميع العاملين في تلك المؤسسة والتي تمثلهم نقابة الموانئ والملاحة ان جهوداً مخلصة تبذل وتتعاون لتذليل جميع الصعوبات والمعوقات التي تعترض مسيرة الحركة العمالية في هذه المؤسسة .

ومنذ أول مرة عرفناه توسمنا فيه العمل والتعاون والوفاء لخير ومصلحة طبقتنا العاملة ، وقد صدق حدسنا ، فقد استطاع ان يزرع الثقة في اعماق نفوس العمال وكل العمال ، ثقة لا تنتهي ، فقد كان ثائراً قبل أن يكون إدارياً ناجحاً واضعاً مصلحة الموانئ العراقية في خدمة الكادحين ، ليس للقطر العراقي فحسب وانما للعرب كذلك ، ويشهد بذلك تطوير ميناء عدن وتطويره ، وان الطبيعة التضامنية والعلاقة الموضوعية تجسدت في اللقاءات المثمرة والتعاون الوثيق بينه وبين مكتب النقابة العام الذي أرسى أرضية صلدة وطريقاً مشرقاً لكل جماهير عمالنا الكادحة ، كان هذا اللقاء ممثلاً بالمناضل الدؤوب والشخصية الفذة التي تنفذ الى أعماق نفس كل من يلتقي به ولو لمرة واحدة ، هذا الرجل الذي احتضن الكادحين وتجاوز الروتين منطلقاً من ايمانه بهذه الجماهير ، فقد استلم تركة ثقيلة من المهام والواجبات التي لها مساس مباشر في حياة العمال .

ان المعاني الحقيقية للتعاون بين السيد المدير العام عدنان القصاب ونقابتنا أعطى نتائج ملموسة لكل الجماهير العمالية وتحققت الانجازات والمكاسب بفضل هذا التعاون ، ونذكر بعض هذه المكاسب مشاركته الجادة والفعالة في بناء مقر جديد للنقابة وتعاونه الايجابي وموافقته على كثير من الاقتراحات التي تقدمت بها النقابة ورفع الغبن عن العمال ووضعه حجر الاساس لبناء قاعة ضخمة تابعة لمقر النقابة ودار استراحة للعمال ودار حضانة لاطفال العمال ونادي الطفل واسهامه في نشر الوعي الثقافي في صفوف الطبقة العاملة من خلال تسهيل مهمة مدارس محو الأمية التي تعتبر نموذجاً فريدا وحياً في محافظة البصرة .

كما تبنى الكثير من المشاريع ذات المردود العام كانشاء معمل الانابيب الحلزونية في ميناء ام قصر واهتمامه في بناء معمل تصليح السفن ، وكذلك تطوير المرافق السياحية في فندق شط العرب وجزيرة السندباد واخراج مدينة الالعاب الى حيز الوجود وانجاز نادي الفروسية واحتضانه للعمال الذي ساهموا في العمل الشعبي ، ستظل تلك الجهود التي بذلت موضع اعتزاز كل المخلصين .

هذا بالاضافة الى مساهمته الفعالة في انجاز مشاريع العمل الشعبي وتزويدها بكل ما تحتاج ليس في منطقة الموانئ فقط بل في محافظة البصرة بصورة عامة ، كما لاننسى تفقده لجميع العمال وزياراته المستمرة لمقر نقابتنا ومخاطبته رأي النقابة في كل الامور التي لها مساس بحياتنا نحن العمال .

ولا يسعنا إلا أن نهنئ الأخ المناضل الاستاذ عدنان القصاب بمنصبه الجديد في ادارة شركة النفط الوطنية متقدمين بالشكر والامتنان باسم كل الأخوة العمال في هذه المصلحة ، سائلين الله ان يوفقه لخدمة أهداف ثورتنا .

الأستاذ القصاب كما هو

بقلم غالب ناهي

أصابع الاصلاحات والتطوير في مصلحة الموانئ تشير إليه مدينة الألعاب وكازينو السندباد والفندق العائم تتنهد حصرة لفراقه ، واهالي البصرة يودعون القصاب توديع أخ عزيز عليهم ، كل هذا كان وقد حصل لأن الأستاذ القصاب قريب للنفوس حبيب للقلوب استطاع بخلقه الرضي وقلبه الكبير وروحه السمحة ان يحظى بعواطف البصريين عامة وليس موظفي الموانئ فحسب ، ان اعماله شاهدة على سموه ، ولا أقصد اعماله في الاصلاح وإنما أعماله الانسانية الاعمال التي رفعت رصيد حب الجماهير وتقديرها الثورة التي حققت لأبناء الشعب مكاسب لم تخطر على بال ، الثورة التي عرفت كيف تنتخب المسؤولين ليديروا ويتولوا شؤون الشعب ومنهم الأستاذ عدنان القصاب .

كان الميناء قبل ثورة 17 تموز لايسمح بالبقاء بالسكن لمن يلتحق بخدمة العلم ، ولكن حينما جاء القصاب أصدر أمراً ببقاء عوائلهم بالسكن حتى انتهاء الخدمة العسكرية وبالأجور المنخفضة ، وأبقى درجة المكلف بالخدمة العسكرية شاغرة حتى يعود لعمله ، وكذلك بذل الجهد لتعيين إبن أو أقرب الناس لمن يتوفى وهو يعمل في الميناء أو يحال على التقاعد لضمان بقاء الدار التي يشغلها له .

لقد كان الأستاذ القصاب مثلاً من أمثلة الكرم الخلقي والسماحة العاطفية وفتح صدره لكل العاملين في الموانئ بلا فارق وأفاض عليهم من حنانه وعطفه مايعجز البيان عن تصويرهما ، لقد عاش منتسبوا الموانئ فترات رهيبة قبل 17 تموز فقد فيها آلاف العمال وعشرات الموظفين وظائفهم وبيوتهم ، ولما جاء الاستاذ عدنان القصاب ألغى كل ذلك ومد يد المساعدة ودرس ظروف الناس كلها ، فبدت روحه المشرقة وتربيته الفاضلة الأصيلة .

ولم يقف مدى عملها الى هذا الحد ، بل تعداه الى مجال الأبناء صغاراً وكباراً ففتح مدينة الألعاب التي تعد فريدة من نوعها لتكون مجالاً للتفسح واللهو لأهالي المنطقة الجنوبية والخليج العربي ، إن القلم يكل وهو يعدد مآثر هذا الرجل العامل الصامت الذي خطا بالموانئ خطوات تسبق الزمن ، فلو تجولت معي من الجنوب الأقصى- الى الجنوب الشر-قي الى الجنوب لوجدت العجب العجاب ، فمنطقة الفاو المنطقة التي كانت منفى العهود البائدة إمتدت إليها يد الاصلاح فأحالت الأرض القاحلة المالحة الى أرض خصبة وأصبحت محط الانظار ، كما أنشأ بيتاً حديثاً ونادياً تقام فيه أمسيات أدبية تلقى فيه القصائد وتقام فيه السباقات الرياضية وبنى دوراً للعمال والموظفين ، والمدارس لأبناء الموظفين والعمال وعبد الطرق والارصفة .

وفي منطقة المعقل فالرجل لم يدخر وسعاً في تقديم مساعداته لأبناء الموانئ والعاملين فيه ولغيرهم ، فقد رفع في زمانه درجات الموظفين وأطلق العلاوات للعمال وأهتم بكسوات العمال ومناطق عملهم ومنحهم الأجور الاضافية ، وعين أبناء وأقارب المتقاعدين والمرضى والمتوفين ، وبنى دوراً للموظفين والعمال وطور المستشفى وجلب الأطباء الاختصاصيين والممرضات وجهاز تخطيط القلب وفتح مدرسة متوسطة مسائية للعمال والموظفين وأرسل بعثات على حساب الموانئ وأنشأ نشر-ة باسم الموانئ واحتضن الأدب والأدباء وقدم مساعدات قيمة لهم لطبع كتبهم ، وأسس مطبعة كبيرة في الموانئ تلبي احتياجات الموانئ والدوائر الاخرى وتدر واردات كبيرة للموانئ واستورد السيارات لسد حاجة الموانئ في نقلياتها ، وبنى بواخر جديدة وأصلح الباخرة زبيدي لصيد الاسماك وفتح نادياً للاطفال وكسى شوارع المعقل وأسس مدرسة للأدلاء.

هذا فيض من أعمال غمر فأخصب ، بارك الله فيه وفي باهر أعماله ، واننا في الوقت الذي ندعو له بالتوفيق لخدمة الوطن في عمله الجديد ، نريد أن نهمس في أذنه تقديراً لأعماله ولشخصه ، قائلين له ان كل قلب من قلوب أبناء المعقل ينبض بالحب لك ، وكل لسان من ألسنتهم تلهج بذكر العطر ، فسلام عليك بين ظهرانينا وسلام عليك في بغداد .

لقد طلب الي عدد كبير من اخواني الموظفين ان انظم أبياتاً أعبر بها عن شكرهم للأستاذ عدنان القصاب .

غدا سامياً تهوى المكارم شخصه   وما غربت عنه شموس المكارم

أعدنان يا فخر الرجال تحيــة تراعش فيها خافق بموائـــم

أفضت على من في رحابك نعمة   وليس مفيض غير نجـل المكارم

أحييك معروفاً على الفضل غادقاً وأطريك سباقاً لخير العوالـــم

المعقل : غالب ناهي

أم قصر في عهد الأستاذ المهندس عدنان القصاب

بقلم المهندس مصطفى جاسم

مسؤول ميناء أم قصر

في اليوم الأول لمباشرة الأستذ عدنان القصاب كأول مدير عام لمصلحة الموانئ بعد ثورة السابع عشر من تموز بتاريخ 2/ 11/ 1968م ، إجتمع مع رؤوساء الدوائر وبعد التعارف ألقى كلمة قصيرة كانت كلماتها تدل على ان هذا الانسان يتكلم بفكر وتجربة هما أكثر من عمره بكثير ، لقد كانت كلماته توجيهية ثورية مركزة ، وعندما سمعته قلت لابد ان رجال الثورة قد عرفوا كيف يختارون الرجل المناسب في المكان المناسب ، لابد انهم اختاروا رجلاً أهلاً لهذا المنصب الكبير ، وسألنا عن مشاكل الدوائر فوجدتها فرصة ولابد ان اتكلم حيث كنت المسؤول الاول في أم قصر- وكانت غارقة الى أذنيها في المشاكل لأنها مدينة وميناء جديد وتحتاج الى الكثير من المطاليب لم تتمكن الاداراة السابقة من تحقيق إلا الجزء القليل واليسير منها ، فلا مستشفى ولا طبيب ولا سينما ولا مسبح ولا حياة اجتماعية ولا طرق ولا ولا الكثير من المطاليب .

فقال لي ماهي المطاليب اشرحها ، قلت انها كثير ولا يسمح الوقت بشرحها الآن ، قال طيب قدم تقريرك بعد ساعة من انتهاء الاجتماع ، قلت ان المشاكل كثيرة سأقدمها بعد يومين ، تعجب وقال طيب قدمها غداً وأصر على ذلك ، ثم أقنعته بصعوبة لتقديم التقرير بعد يومين ، بعد الاجتماع عدت الى أم قصر- وفي الطريق تساءلت مع نفسي- ان مشاكل ام قصر- ومطاليبا كثيرة ومتراكمة ، هل يمكن تنفيذها جميعاً ، وهل ستنفذ بسرعة مثل السرعة التي طلب بها التقرير ؟ فكم من التقارير السابقة قدمت وذهب مع الريح ، وعلى كل حال فالنقدم التقرير ولننتظر ، فقدمت التقرير بعد يومين كما وعدته وكان التقريريحتوي الكثير الكثير من المطاليب ، كان منها صعب التنفيذ كما كنت أعتقد والبعض الآخر يمكن تنفيذه بعد مرور وقت ليس بالقصير ، فقدرت في نفسي انه سيبدأ بتنفيذ بعض فقرات التقرير بعد مرور شهر على تقديمه ، لقد أخطأت في التقدير ، لقد بدأت الأوامر بتنفيذ بعض فقرات التقرير بالبرقيات والاتصال التلفوني لأن الاستاذ عدنان القصاب كان لا يؤمن بالروتين وشكلياته ، وكان الروتين عدوه الاول واستمر بتنفيذ فقرات التقرير بسرعة لم أصدقها وأكثر بكثير مما جاء في التقرير .

وللحقيقة وللتاريخ فقد قام الاستاذ عدنان القصاب بثورة داخل ثورة ، واعلنها ثورة بلا هوادة على الروتين لإقامة مشاريع ضخمة في أم قصر وغيرها من الموانئ ، وهذه بعض من المشاريع التي قام بها الاستاذ عدنان القصاب ولا تتسع صفحات مجلة الموانئ لذكرها :

أولاً : مشروع تبليط طرق أم قصر

إذ لم يكن هناك اي شارع مبلط في ام قصر ما عدا الشارع الذي يوصل مفرق صفوان بميناء ام قصر ، حيث أمر بتشكيل هيئة سميت (هيئة تبليط الطرق) أعطاها صلاحيات واسعة ليقضي على الروتين .

ثانياً : إنشاء المنطقة الحرة

اقترح الاستاذ عدنان القصاب انشاء منطقة حرة في ميناء أم قصر وخاطب الجهات المسؤولة وحصل على الموافقة وتقرر تخصيص الرصيف رقم 3 والسقيفة والمخزن العائد له والمساحة العائدة لها وتم تسييج مساحة قدرها 66 الف متر مربع تابعة للمنطقة الحرة وانشأت فيها سقيفتان وبلطت مساحات واسعة منها ، وقد تهافتت المؤسسات الحكومية والشركات لتأجيرها قبل الانتهاء من المنشآت ، ان انشاء المنطقة الحرة سيزيد الحركة التجارية فيه حيث ستزداد كميات الاستيراد والتصدير كما سيعمل في المنطقة الكثير من العمال العراقيين وستكون مصدراً من مصادر العملة الصعبة للعراق كما ستكون مخزناً كبيراً للمواد يمكن الاستفادة منها عند الحاجة .

ثالثاً : مشروع مستشفى ام قصر يتسع الى خمسين سرير مع عيادة خارجية ومختبر مكيف .

رابعاً : مشروع سينما وقاعة مكيفة ونادي ومسبح بالاضافة الى مسرح ومطعم وساحات للتنس .

خامساً : مشروع انشاء خمسون دار للموظفين .

سادساً : مشروع انشاء 512 دار للعمال .

سابعاً: مشروع انشاء معمل الانابيب الحلزونية الخاصة بنقل النفط ، وقد اخذ الاستاذ عدنان على عاتقه تنفيذ المشروع بواسطة المهندسين والفنيين والعمال العراقيين حيث كان من المقرر تنفيذ المشروع من قبل شركات اجنبية .

ثامناً : مشروع انشاء ساحات ومخازن ومباني وارصفة لتصدير مليوني طن من الكبريت ، وهو من المشاريع الكبيرة والضخمة .

تاسعاً : مشروع انشاء رصيف الاوعية النمطية ، وهو من المشاريع الضخمة وينشأ لأول مرة في موانئ العراق والشرق الاوسط ، وقد احيلت مناقصة تصميمه الى احدى الشركات اليابانية .

عاشراً : مشروع اتصال ميناء ام قصر بشط العرب ، (مشروع شط البصره) وهو مشروع ضخم سمع به القاصي والداني وكتبت عنه الصحف والمجلات العربية والاوربية ، ويربط خور عبدالله بشط العرب بين طريق كرمة علي بطول 42 كيلو متر لنقل البضائع من ام قصر الى شط العرب وانهر العراق وبالعكس بواسطة وسائط النقل النهرية وله فوائد كثيرة .

حادي عشر : الحزام الأخضر حول مدينة ام قصر لحمايتها من العواصف الترابية وجلبت اعداد كبيرة من بغداد والكوت ، كما امر بزرع النخيل وقد تم زراعة اكثر من ثلاثة الاف نخلة خلال سنتين .

ثاني عشر : الرياضة

كانت الحركة الرياضية في ام قصر شبه ميته وعند مباشرة الاستاذ القصاب أمر فوراً بتشكيل لجنة لتنشيط الحركة الرياضية ومدها بالمساعدات المعنوية والمادية بقوة لم يكن يحلم بها رياضيو ام قصر ، فأنشأت الساحات وجهز الرياضيون بجميع ما يحتاجونه من ملابس وادوات رياضية مما كان له الأثر الكبير في نفوسهم وجعلهم يواصلون التدريب ليلاً ونهاراً وحصلوا على المرتبة الثالثة في السباق السنوي لسنة 1970م ، كما كان يفكر بانشاء مملحة الفاو في ام قصر ونصب معمل لانتاج الملح وهو قيد الدرس في الوقت الحاضر .

والآن عزيزي القارئ بعد ان استعرضت لك المشاريع الكبيرة والكثيرة التي نفذت او يجري تنفيذها في عهد الاستاذ عدنان القصاب المدير العام السابق للموانئ العراقية ، ألا تؤمن الآن معي وكما قلت في اول المقال ان الاستاذ عدنان القصاب قام بثورة داخل ثورة ؟ .

معمل بناء وتصليح السفن وهمة الأستاذ عدنان القصاب

بقلم المهندس علي حسين عجام

مدير معمل بناء وتصليح السفن

من المشاريع التي بحثت مع الجانب السوفيتي بعد ثورة 14 تموز 1958م مباشرة هو معمل بناء وتصليح السفن ، حيث أعد الخبراء السوفيت آنذاك مخططات ومرتسمات وتصميم للمعمل وقدمت هذه التصاميم للجانب العراقي سنة 1961م وبقي المشروع بدون تنفيذ الى شهر حزيران سنة 1969م عندما قرر مجلس التخطيط دفع المشروع وإعادة الدراسات على ضوء الاحتياجات الحالية للبلد ، وأناط مهمة تنفيذ هذا المشروع الى مصلحة الموانئ العراقية ، ومنذ ذلك الحين أخذ المشروع يمر بمراحل متعددة مصحوبة بأزمات مختلفة يرجع الفضل الكبير للأستاذ عدنان القصاب الذي كان له الدور الفعال والأساسي في دفع عجلة المشروع وإعطائه الزخم الكافي لينفذ على أحسن وجه وبالسرعة التي تتماشا وتخطيط المصلحة المنبثقة من تخطيط الدولة ككل .

فقد سافر الأستاذ عدنان القصاب ضمن الوفد العراقي الى الاتحاد السوفيتي في تموز 1969م أي بعد قرار مجلس التنفيذ آنف الذكر مباشرةً ووقع بروتوكولاً في موسكو حول إستقدام خبراء سوفيت لإعداد دراسات حول المشروع على ضوء متطلبات البلد الحالية والاستفادة من الدراسات القديمة ، وما لبث ان وصل الخبراء الى البصرة إجتمع بهم الاستاذ عدنان القصاب ولمرات متعاقبة ، موضحاً لهم خطة المصلحة في كيفية تنفيذ المشروع ، ومبيناً لهم بحرص ورغبة المصلحة في إكمال المشروع بأسرع وقت وبالصورة التي تؤمن انتاجية المعمل بأحدث الطرق والوسائل التي تتبع في هذا المضمار الصناعي وقد بين ذلك في كتب عديدة بعث بها الى المسؤولين السوفيت وفي اجتماعات مختلفة معهم .

وعندما شعر الاستاذ عدنان القصاب بعدم إمكانية تنفيذ المشروع بالصورة التي يعمل بها الجانب السوفيتي ، سارع الى مفاتحة دول اجنبية اخرى حول تنفيذ المشروع بالطريقة التي لا تتضارب وخطة المصلحة ، مثل جمهورية المانيا الديمقراطية التي أبدت تفهماً واستعداداً للتعاون في هذا المجال وقبل دعوة الجانب الالماني لزيارة معرض (لايبزك) ولمرتين للاطلاع على مصانع السفن للتفاوض مع المسؤولين الالمان حول كيفية الاستفادة من الخبرات والصناعات الالمانية ، واتفق معهم حول استقدام خبراء الماني لوضع دراسات مجددة والاستفادة من الدراسات القديمة ، واستمر العمل مع الجانب الالماني المعمل ، كما وقع الاستاذ القصاب عقداً مع مؤسسة (مشين اكسبورت) لشراء مزلق للمعمل يعتبر من احدث المزالق في العالم ، بالاضافة الى توقيع عقد حول دراسات استشارية تؤمن تنفيذ الخطة الانتاجية الموضوعة للمعمل .

هذا وللاستاذ عدنان القصاب الفضل الكبير في وضع منهاج للمعمل يفي بمتطلبات البلد ويخدم اغراض متعددة ، فقد وضع هذا المنهاج بصورة مرنة جداً يمكن للمعمل بناء وتصليح بواخر مختلفة الانواع والحمولات والقياسات تصل حمولتها الطنية الى 600 طن ، كما وضع كانتاج سوي للمعمل بمعدل خمسة عشر باخرة حمولة 1500 طن ، اضافة الى تصليحات بواخر مختلفة تقدر بنسبة 22٪ من الانتاج الكلي للمعمل .

ان وضع حجر الأساس الحقيقي للمشروع الذي ركز كل جهوده في اخراج هذا المعمل الى حيز الوجود ، هو الاستاذ عدنان القصاب الذي كان بمعاملته لنا كمدير عام وكصديق في نفس الوقت جعل منا مهندسين نبذل قصارى الجهد للتعاون معه في الوقت والكيفية التي أرادها ، ان دل ذلك على شئ فانه يدل على قدرة ادارته الفذة ، فلم يحاسب على الاخطاء حين وقوعها بقدر ما يحاسب الشخص عن عدم عمله ، وكان يدرك بأن القيام بالاعمال الكثيرة يصحب معه الاخطاء ، فكان دوماً المعلم الناجح في كيفية تدارك الأخطاء وتجنبها .

ولا يسعني هنا إلا ان أثمن جهود هذا الرجل الطيب الذي بذل كل ما استطاع من قوة لخدمة هذا الشعب الذي هو بحاجة ماسة لأمثاله ، فأتمنى له كل الموفقية والنجاح في أعماله المقبلة ، والله الموفق.....

صحة الموانئ في ذمة القصاب

رئاسة صحة الموانئ

ان من أولى المهام الأساسية لبناء مجتمع قوي قادر على تحمل المسؤوليات هو رفع المستوى الصحي بين أفراده وجعل الرعاية الصحية في متناول كل المواطنين ، كما ان رفع مستوى الخدمات الصحية وتطوير كفاءتها له الأثر الكبير في زيادة كفاءة العامل الانتاجية التي ينعكس أثرها في ازدهار اقتصاد البلد ورفاهيته .

بهذا المبدأ عمل المهندس عدنان القصاب مدير مصلحة الموانئ العراقية السابق خلال فترة ادارته للمصلحة ، فبذل الجهد في سبيل ايجاد جهاز صحي منظم ومتكامل في المناطق التابعة للمصلحة من اجل تقديم افضل الخدمات الطبية والصحية لكافة المنتسبين ، فقد كان يولي عناية خاصة بحل المشاكل التي تواجه المؤسسات الصحية ويبذل جهده في سبيل تذليل المصاعب والعقبات التي تعترض توفير المنشآت الصحية والأيدي الفنية العاملة والادوية والاجهزة الطبية الحديثة .....الخ .

ان المنجزات الصحية التي تمت خلال فترة ادارة الاستاذ عدنان القصاب للموانئ لا يمكن حصرها ، وفيما يلي بعض المنجزات على سبيل المثال لا الحصر :

توسيع وزيادة عدد الاسرى للمرضى في كل من مستشفى الموانئ بالمعقل والفاو ، فقد تم انشاء قاعة عمليات خاصة بجراحة العيون والانف والاذن والحنجرة في مستشفى الموانئ بالمعقل ، كما تم انشاء صيدلية خاصة بالعيادات الخارجية في المعقل اضافة الى فتح شعبة لمعالجة امراض الاطفال واخرى للانف والاذن والحنجرة والعيون.

تم توسيع طبابة مستوصف ام قصر باضافة بناية ثالثة للمستوصف ، وتم فتح شعبة لمعالجة امراض الفم والاسنان ونسب طبيب زائر من المعقل لزيارة المستوصف ومعالجة المرضى ، بالاضافة الى فتح مختبر للتحاليل المرضية

تم وضع حجر الأساس لبناء مستشفى في أم قصر وبأشر العمل في انشائه

تم وضع التصاميم والخرائط لبناء مستشفى للامراض الصدرية في المعقل .

تم افتتاح دورة للممرضات مدتها 18 شهراً في مستشفى الموانئ .

تم زيادة الأيدي الفنية العاملة في المؤسسات الصحية وتنسيب عدد من الاطباء الاختصاصيين والممارسين في فروع الطب والجراحة المختلفة .

توسيع مختبر مستشفى الموانئ بالمعقل ، ونتيجة لهذا التوسع تم الاتفاق مع مسؤولي وزارة الصحة على قيام مختبر الموانئ بالمعقل باجراء الفحوصات الخاصة بالامراض المعوية في محافظة ذي قار .

الاتفاق مع شركة الكهرباء الوطنية على معالجة مرضاهم في المؤسسات الصحية الخاصة بالموانئ العراقية مقابل اجور تعادل الكلفة .

الاتفاق مع شركة تكنو اكسبورت الجيكوسلفاكية التي تقوم بانشاء مصفى النفط في الشعيبة بمعالجة مرضاهم مقابل اجور حددت بموجب عقد .

تخصيص زمالات دراسية لمنتسبي الموانئ لمنهاج عام1971-1972م .

أيها القارئ الكريم هذه غرفة صغيرة من بحر الانجازات التي حصلت عليها صحة الموانئ في عهد الاستاذ عدنان القصاب ، والطريق امامنا من الحسن الى الاحسن .

القصاب يطور الشؤون البحرية

بقلم جاسم حمزه

رئيس الشؤون البحرية

دائرة الشؤون البحرية نموذج واحد من عشرات الدوائر التي حضيت باهتمام الاستاذ عدنان القصاب المدير العام للموانئ العراقية مما جعلها تندفع اندفاعاً سريعاً ومنظماً نحو التطور الذي جعلها أهلاً لتحمل مسؤوليتها في رفع سمعة الموانئ العراقية بين جميع الاوساط الملاحية والتجارية في العالم .

ولا يسعنا في هذا الوقت إلا ان نوجز الكلام بالنسبة لبعض ما شمل هذه الدوائر من التطوير في عهد القصاب ، ففي اول يوم من استلامه مهام وظيفته اهتم اهتماماً كلياً بتطوير ما يمكن تطويره من اقسام هذه الدوائر ، وقد تفهم لفترة وجيزة ما تتطلبه الملاحة وسلامة سير البواخر في شط العرب والطريق البحري المؤدي الى ميناء أم قصر ، وابدى اهتمامه بالاشراف التام والرعايا الكاملة لقضايا الملاحة والممرات المائية ، ولم يترك شارده او وارده إلا واهتم بها ووضع لكل مشكلة حلها الصحيح وبصورة جذرية لا تقبل المماطلة والتسويف ، وهذه اضمامة من مساعيه اعرضها كشاهد على ما اقول :-

1 – زيادة المخصصات للعاملين على بواخر المسح والحفارات والأدلاء البحريين تشجيعاً لما يكابدونه من اعمال مضنية ومسؤوليات جسام والعمل المتواصل قبل وخلال اوقات الدوام الرسمي .

2 – ملء الشواغر الاستخدامية والعمالية عن طريق التعيين مما ساعد على تشغيل الأيدي العاملة والتخفيف من حدة البطالة وتلافي النقص مما ادى الى زيادة الكفاءة في كافة مرافق هذه الدائرة .

3 – استلام الحفارة الحلة والرافعة العائمة المقداد وباخرة المسح الفاو وتشغيلها لسد حاجة مصلحة الموانئ.

4 – ارسال الحفارة الحلة الى ميناء عدن مرتين وكذلك الحفارتين السليمانية والموصل الى الميناء المذكور للقيام بعمليات تعميق ميناء عدن تنفيذاً للاتفاقية المعقودة مع حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

5 – التعاقد مع شركة آي أج سي هولندا لشراء الحفارات النهرية صلاح الدين والمثنى من نوع (جاينت) وسنحاريب والفلوجة والقرنة ودهوك من نوع (كنك) واستخدمت لحفر شط البصرة وتنظيف الانهار والسواحل وواجهات الارصفة ، وكذلك لتلبية طلبات الدوائر الرسمية الاخرى مثل حفر رصيف معمل الورق في البصرة وحفر رصيف مصلحة مصافي النفط الحكومية في الدورة ببغداد .

6 – مسح وفتح وتعميق كافة القنوات في شط البصره وام قصر لغرض قبول بواخر ذات حمولة وغاطس وطول اعلى .

7 – فتح دورة لتدريب وتأهيل 30 دليلاً بحرياً لسد احتياجات هذه الدوائر في المستقبل عند اعادة فتح ميناء تصدير النفط الخام في الفاو وتوسيع حركة البواخر في شط العرب وام قصر .

8 – التعاون مع شركة النقل البحري العراقية بتزويدها بالضباط والمهندسين والمستخدمين من البحريين لبواخرها القديمة والحديثة .

9 – انتشال الجنيبة الغارقة في ميناء ام قصر منذ الحرب العالمية الثانية بواسطة امكانيات هذه المصلحة وتوفير المبالغ الكبيرة التي طلبتها الشركات الاجنبية .

10 – انتاج معمل جديد لانتاج غاز الاسسيلين الذي يستعمل في اضاءة العوامات والمنارات الملاحية واعمال المصلحة الاخرى ، وقد رست المناقصة على شركة (كيموكو مبلكس) الهنغارية في بودابست .

11 – تجهيز علامات ملاحية بحرية لاستعمالها للاستدلال على القنوات الملاحية وخط سير البواخر في شط العرب والمياه العراقية الاقليمية ، وقد رست مناقصة تجهيزها على شركة (تيكنيكو) .

ولا اريد ان اطيل في التفصيل بهذه السطور القليلة لتبقى كلماتها اعجاباً وتقديراً للرجال المخلصين العاملين في عهد الثورة المجددة البناءة لما فيه الخير لهذا البلد العزيز .

الأستاذ القصاب والعمل الشعبي

بقلم المهندس محمد ناصر

المشرف على العمل الشعبي

قامت مصلحة الموانئ العراقية بتشكيل فرقة عمل شعبي في أواخر عام 1969م أنيطت بها أعمال إزالة المستنقعات وردمها وتعديل الشوارع وتحضير بعضها للتبليط ، وكذلك القيام ببعض المساعدات لأبناء مدينة البصرة خدمة منها للمناطق السكنية واظهار وجه مدينة البصرة الباسم بمنظره الجديد أمام السواح وتخليصها مما كانت تعانيه من خراب وعدم تنظيم ، وكان على رأس الفرقة السيد المدير العام لمصلحة الموانئ العراقية الاستاذ عدنان القصاب ، حيث أسند الفرقة بكل ما تحتاج من مواد ومعدات وأيدي عاملة وتوجية ، فأنجزت الأعمال المبينة أدناه بكلف زهيدة ، ولا يسعني إلا أن أقول كلل الله أيدي المخلصين من أبناء هذا الوطن لأجل إعماره والصعود به الى المجد وإلى تحقيق الأمل الذي ينتظره كل مواطن من العيش في ظل بلاد زاهية بجهود المخلصين من ابنائها ، وندرج موجز لانجازات فرقة العمل الشعبي للفترة من 28-11-69 ولغاية 20-7-1971م .

أولاً : شوارع الهادي الاول المعروف بشارع البيضان والثاني المعروف بشارع الشرطة والثالث المعروف بشارع الجامع والرابع المعروف بشارع الرباط والخامس المعروف بشارع السوق والسادس المعروف بشارع ضيدان والسابع المعروف بشارع حي المثلث والثامن المعروف بشارع الكزيزة الوسطى والتاسع المعروف بشارع الكزيزة الشمالي والعاشر بشارع الكزيزة الشمالي والحادي عشر الملقب بشارع الكزيزة الشرقي .

الشوارع اعلاه تم ازالة مستنقعاتها وتنظيفها وقشطها وردم مجاريها القديمة ، كما تم تعلية الشوارع وحفر مجاري من الجهتين .

ثانياً : شارع السيد غازي وحي المثلث بين شارعي الهادي الخامس والسادس وشوارع منطقة عتبة بن غزوان ، وتم خلالها ازالة المستنقعات وردم المجاري القديمة ومد انابيب لماء الحلو .

ثالثاً : المجرى الرئيسي لمدينة الجمهوري .

رابعاً : حفر نهر غرب منطقة الكزيزة لتصريف المياه .

خامساً : الاعمال الشعبية في المستشفى الجمهوري ، حيث تم صبغ جميع الاسرة والمناضد والكراسي وتصليح الابواب والشبابيك ، وكذلك مستشفى الامراض الصدرية في الزبير ودفن مستشفى الفروسية للولادة .

سادساً : تحضير مادة المكس لعشرين شارع انجزت عن طرق العمل الشعبي في مدينة الجمهوري وشارع الحسين وشارع المقام والتنومة .

وقد تفضل السيد المدير العام للموانئ العراقية المهندس عدنان القصاب بتوجيه الشكر والاعتزاز بجهود العمال واللجنة الذين ساهموا بالعمل تثميناً لاخلاصهم ، ولا يسعني إلا ان انقل شكر اهالي المناطق التي عملنا بها لشخص السيد المدير العام عدنان القصاب على الخدمة الانسانية والمساعدة التي أبداها لهم عن طريق فرقة العمل الشعبي متمثلين فيه الشخص الذي يسعى لإسعاد الاخرين وخاصة منتسبي الموانئ ، وختاماً تشكر فرقة العمل الشعبي جميع المسؤولين في الموانئ وفي المحافظة على اسنادهم ومساعدتهم التي بها استطاعت الفرقة تحقيق المنجزات المذكورة .

الأستاذ القصاب ونادي الفروسية

بقلم المهندس محمد ناصر

المشرف على اعمال نادي الفروسية

تبنت مصلحة الموانئ العراقية انشاء نادي الفروسية العراقي فرع البصرة ايماناً منها بجعل مدينة البصرة مدينة سياحية ، وذا يستلزم تكاتف الجهود ووقوف المسؤولين بكل طاقاتهم بجانب اي مشروع سياحي او انتاجي ، ودخلت مصلحة الموانئ كمقاول وتعاقدت مع نادي الفروسية بأنها مستعدة لانجاز جميع متطلبات المشروع وبفترة قصيرة بعد تعذر قيام المقاولين بالعمل وألفت مصلحة الموانئ لجنة مشتريات خاصة وباشرت اعمالها بكل جدية .

حيث ساند السيد المدير العام عدنان القصاب جميع اللجان والمهندسين المنفذين لتحقيق متطلبات العمل ، وبذلك ظهر كيان نادي الفروسية بعد ستة اشهر من العمل الجدي والنشاط الذي بذله الفنيين والعمال ، وتم مكافئة العاملين في نادي الفروسية مكافئات نقدية من قبل السيد نائب رئيس الجمهورية الفريق صالح مهدي عماش تشجيعاً للجهود المخلصة التي بذلوها والسرعة والجودة ، كما وجه السيد المدير العام الشكر لجميع العاملين الذين اتمو انجاز المشروع .

وبتوجيهات السيد المدير العام الاستاذ عدنان القصاب وتتبعه خطوات سير العمل اولاً باول وتم افتتاح النادي في 28-5-1971م وتكلل بالنجاح وشكر الجميع على المثابرة والجدية في انجاز المشروع وعلى راسهم السيد المدير العام الاستاذ عدنان القصاب .

أثر الأستاذ القصاب على دائرة الهندسة اللاسلكية

رئيس مهندسي اللاسلكي

كان للاستاذ عدنان القصاب المدير العام لمصلحة الموانئ العراقية الأثر الكبير في تطوير اعمال الموانئ ككل ، وكانت روح التعاون التي يتحلى بها تنعكس على اعمال الدوائر باختلاف اختصاصاتها ومستوياتها داخل الموانئ وخارجا ، وكانت دائرة الهندسة اللاسلكية باعتبارها دائرة فنية قد قامت بالكثير من الاعمال الفنية بتوجيه من السيد المدير العام نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

1 – تقديم المساعدات الفنية الى الكثير من دوائر المحافظة والقيام بتصليح الالات الدقيقة والاستشارات الفنية الى دوائر الشرطة وبلدية الشرطة ومصلحة المنتجات النفطية ، وذلك من خلال تزويدهم بالمواصفات الفنية لشراء الاجهزة اللاسلكية التي يحتاجونها لاعمالهم .

2 – ارسال مهندسين وفنيين لتصليح الاجهزة الطبية التابعة لمستشفيات المحافظة ومستوصفاتها ، اضافة الى تقديم الاستشارات الفنية لتطوير تلك الاجهزة .

3 – تقديم المساعدات الفنية لمديرية التلفزيون في البصرة كاجراء بعض التصليحات وتجهيز المواد الفنية وارسال بعض المهندسين لابداء مساعدتهم وتعاونهم مع فنيي التلفزيون .

4 – كان الاستاذ عدنان القصاب يمد يد المساعدة الى القوات المسلحة في مجال التعاون الفني سواء اكان في القاعدة البحرية او القاعدة الجوية في الشعيبة ، من خلال ارسال المهندسين والفنيين واعطاء الاستشارات والمساعدات في اصلاح الاجهزة وتدريب منتسبي القوات المسلحة ، هذا من ناحية الانفتاح الخارجي حيث لم يدع مصلحة الموانئ تنطوي على نفسها بل شارك خبرتها الفنية ومهندسيها الى جميع المحافظات .

اما من ناحية تطوير دائرة الهندسة اللاسلكية ، فقد كان للاستاذ عدنان القصاب أثر كبير بذلك ، فقد كان ابداً ودوماً تواقاً الى التطوير والأخذ بالاساليب العلمية الجديدة والاستفادة من اخر التطورات في مجال المواصلات اللاسلكية ، وان إلقاء نظرة على مخطط الخطة الخمسية 70-1974م يبين مدى التطور المذكور ، فقد عني بايصال المكالمات الهاتفية ما بين موانئ المصلحة والتمهيد للاتصال الخارجي بواسطة اللاسلكي ، بحيث يمكن الاتصال بأي باخرة تجارية في البحار ، خصوصاً وان الاسطول التجاري العراقي في دور التكوين بحيث لم يغب الاتصال اللاسلكي عن بال المدير العام ، هذا وقد جدد الاجهزة اللاسلكية لاغراض الطيران المدني بحيث اصبحت تضاهي الاجهزة الموجودة في اي مطار اخر.

ان ما ذكرناه ما هو سوى لمحات وجيزة جداً عن بعض الاعمال والتوجيهات ، أما التفاصيل فانها تحتاج الى صفحات وصفحات ، ولكنني اقول ان ما قدمه الاستاذ عدنان القصاب في دائرة الهندسة اللاسلكية ، هو الاساس الذي اعتمد عليه في بناء وتطوير المواصلات اللاسلكية في مصلحة الموانئ العراقية والنواة بالنسبة لدوائر الدولة .

الباخرة زبيدي والروبيان

المهندس مكي الياسري

المشرف على تجربة الصيد

عندما قرر السيد المدير العام لمصلحة الموانئ العراقية الاستاذ عدنان القصاب تهيئة الباخرة زبيدي لصيد الاسماك وخاصة الروبيان ، كان يترجم اكثر من احساس عابر او رغبة بالمغامرة ...كان يترجم رغبة الغيارى للافادة من الثروات غير المستغلة والتي تذهب تسرق بوضح النهار من الدول الاجنبية ، وحيث كانت توجد باخرة لصيد الاسماك كانت مصلحة الموانئ العراقية قد اشترتها قبل سنين عديدة وكانت تجرى عمليات صيد محدودة وترسل البضاعة الى (قصر الرحاب) في بغداد .

لم يكن احد ساعتها يفكر في توفير القوت للشعب والبحث عن الثروات الغير مستغلة ، ولأن هذه الباخرة المسماة زبيدي تملك امكانيات كبيرة في صيد الاسماك والروبيان خاصة ، وللمباشرة العملية في الصيد بالبحر لا على الورق ، فقد كان قرار الاستاذ القصاب بتهيئة الباخرة ضربة معلم ، وقد بوشر فعلاً بتهيئتها وجلب الشباك الخاصة حيث قام العمال والفنيون والمهندسون باجراء بعض التحويرات عليها لتكون صالحة لعملية الصيد على القاع ، اذ كانت مصممة للصيد الجانبي العائم للاسماك وليس الروبيان ، فقد اصبحت الآن تعمل بشبكتين على الجانبين .

ان التقارير الاولية وعمليات الصيد التي تقوم بها بعض البواخر تشير الى وجود ثروة سمكية هائلة في خور عبدالله والمياه الاقليمية العراقية الاخرى تذهب الى شركات الصيد الاجنبية التي تسرق ثروتنا في هذه المياه .

وعليه فان وجود الباخرة زبيدي طليعة اسطول صيد الاسماك العراقي سيكون له اكثر من دلالة ، فهي من الناحية الرئيسية ستقوم بعملية صيد الروبيان وتسويقه ، كما انها بامكانها في الوقت الحاضر ان تقوم بعمل الباخرة الام لاسطول صيد مكون من اربعة الى خمس سفن صيد .

ان زبيدي تجربة رائدة ستفتح افاقاً جديدة من اجل خير الشعب وستضيف الى ثروات العراق ثروة جديدة لم تستغل بعد ، ان توفير الغذاء للمواطنين وبطريقة مستمرة يعني حل جزء من المشكلة الغذائية والمعاشية التي يعاني منها العالم برمته ، كما ان آفاق تصدير هذا المنتوج مفتوحة في جميع اسواق العالم .

ملاحظة : كتبت الكلمة قبل بدء التجربة وقد بدأت بالفعل ونجحت وقُدم تقرير خاص بها الى السيد المدير العام وأرسلت نماذج مختلفة الى بغداد .

أثر القصاب في التنمية الزراعية

بقلم عبد المطلب الحاج هاشم

أود أن أبدأ باللقاء الاخير بين السيد المدير العام الاستاذ عدنان القصاب وبين منتسبي دائرتنا وذلك بعد ان قام سيادته بوضع الحجر الاساس وغرس النخلة الاولى في مشروع مزارع شط البصرة في صباح يوم الاثنين 26-7-1971م ، حيث احاط العمال الزراعيون والموظفين بسيادته والوفد المرافق له لتوديعه على اعتبار ان هذا اخر لقاء معه قبل انتقاله الى عمله الجديد كمدير عام لمصلحة الموانئ ، وقد كان التوديع حاراً وظهرت علائم الحزن على وجوههم وخيم الوجوم عليهم وذلك لما له من محبة كبيرة في قلوبهم وتقديراً عظيماً في نفوسهم ، حيث قبله الكثيرون منهم وقبلهم مودعاً وساروا معه حتى باب سيارته كانهم يرغبون التمسك به لأكثر وقت ممكن ، وما رأيت في حياتي توديعاً صادقاً كتوديعه ، وهذ حصاد ما زرعه خلال السنين القليلة التي مكث كمدير عام .

فالانسان يحصد ما يزرع ، فقد زرع المحبة باسمى معانيها والاخوة باجمل اشكالها وبحسن اخلاقه وادارته وصادق تقديره وتقييمه للعاملين معه جعلهم يثابرون باخلاص ونشاط لانجاز اعمالهم على الوجه الاكمل والافضل ، كما ان لتفهمه جوانب العمل وادراكه لحسن المقاصد وتجاربه معهم الاثر الطيب في انجاح الكثير من المشاريع والتوسع بها .

كما اود ان أبين جانب من الجوانب العظيمة المتعددة له وهو ما يتعلق بهذه الدائرة فبتشجيعه وارشاداته توسعت واتجهت الى الناحية الانتاجية اضافة الى اعمالها الاعتيادية ، فقامت بانشاء حقل الدواجن في الداودية بالاستفادة من نباتات قديمة مهملة فيها وذلك لتوفير المواد الغذائية لمرافق الموانئ واسواقالمنطقة للتوسع بالحقل المذكور بحيث يفي بالغرض الذي أنشأ من اجله ، كما قامت الدائرة بناء على اوامره بزراعة الخضراوات للاسواق المحلية وتهيئة الكمية الكافية في شتول النباتات اللازمة لزراعة الحزام الاخضر في ميناء ام قصر حيث أمر بتوسيعه وغرس النخيل فيه اضافة للنباتات الاخرى ، وقد تم انجاز القسم الاول وسنباشر بناء على رغبته بزراعة الحزام الثاني لمدينة ام قصر .

اما ما يتعلق بالمعرض الزراعي السنوي فقد أمر ان تتعهده مصلحة الموانئ برعايتها ، وقد اقامته بحدائق الاندلس وقد شمله برعايته وامر ان يكون المعرض المقبل اكثر شمولاً باشراك المؤسسات الزراعية في المحافظات الجنوبية ، وكانت اخر اعماله بهذه الدائرة اوامره بانشاء مزارع على جانبي شط البصرة وباشرت الدائرة بالمزرعة الاولى التي كان فيها توديع سيادته الذي ذكرته في بداية مقالي .

وانني اتقدم الى الله العلي القدير بالدعاء لأخينا الكبير ابو رزان بدوام التوفيق ونجاحات جديدة لخدمة هذا البلد الذي اخلص له وتفانى في خدمته ، وسيبقى أثر خالد في النفوس .

إهتمام القصاب بمشروع إنشاء الأنابيب الحلزونية في أم قصر ومشروع حفر شط العرب

بقلم احمد عذافه

لم يكن هذا المشروع غير واحد من مشاريع مصلحة الموانئ الكبيرة التي حظيت باهتمام الاستاذ عدنان القصاب وتوجيهاته القيمة ، حيث كان راعياً ومتتبعا لجميع مراحل انشائه مما ساعد على تخطي كافة الصعوبات التي واجهت تنفيذ الاعمال الانشائية وانشاء كل مرحلة من مراحل انشاء المعمل بالوقت المحدد ، وذلك باتخاذ الاجراءات الفورية اللازمة لإزالة كافة اسباب التأخير التي تؤدي الى تأخر العمل ، وبالتالي الى عدم الوفاء بالتزامات العقد معه ، وبفضل متابعته تم انجاز المشروع .

وكان من الممكن ان يتأخر العمل طويلاً بسبب تعذر حصول الشركة على حديد الزاوية المطلوب لعمل الجملونات ، وبعد ان تبين عجز الشركة المنفذة في تنفيذ المشروع بالموعد المحدد بتدخل السيد المدير العام شخصياً وأمر بايفاد احد المهندسين لشراء الكميات المطلوبة من حديد الزاوية من هناك وبالتعاون مع السفارة العراقية في الكويت تم التعاقد على شراء ما يزيد على 400 طن من حديد الزاوية بالاحجام المطلوبة . وتم تجهيز الحديد لموقع العمل وبنفس الوقت تم التعاقد مع شركة صباح اخوان على عمل الجملونات وتم اجاز الجملونات بوقت قصير ، ويمكننا اعتبار هذه النواحي شيئاً بسيطاً من مساعي القصاب في دعم المشاريع الهامة وعلى رأسها مشروع حفر شط البصرة الذي لا يسعنا التطرق له في هذه المناسبة لأنه اصبح حديث الكثير من ابناء الشعب العراقي.

أرصفة المعقل في عهد القصاب

فالح موسى

رئيس ميناء المعقل

كان لفترة اشتغال السيد المدير العام السابق المهندس عدنان القصاب أثرها الطيب في نفوس كافة منتسبي دائرة ميناء المعقل ، حيث كان متفهماً لكافة القضايا التي تتعلق بأعمال هذه الرئاسة مندفعاً في سبيل تحسين اوضاعها وتنظيم سير العمل فيها ، لقد كان أول من تقبل فكرة زيارة موانئ الخليج العربي للاطلاع عليها ومعرفة التطورات القادمة عليها لما لذلك من تأثير على مشاريع الارصفة في ميناء البصرة ، كما ساهم مساهمة فعالة في تسيير العمل في الأرصفة الجديدة في المعقل واكمال انشائها مما أسهم مساهمة فعالة في زيادة كفاءة الميناء الذي اكتضت فيه البواخر .

اضافة الى ذلك فان الاجراءات التي اتخذها السيد القصاب في سرعة تمشية مشاريع الارصفة في ام قصر كانت مثمرة خاصة فيما يتعلق بتصدير الكبريت وانشاء رصيف الأوعية النمطية .

هذا جزء قليل من اعمال كثيرة قام بها السيد القصاب وخير دليل على ذلك الأثر الطيب الذي تركه في نفوس منتسبي هذه الرئاسة وفقه الله لخدمة هذا الوطن .

المنطقة الحرة في ميناء أم قصر

أثناء فترة ادارة المهندس عدنان القصاب للموانئ العراقية فكر في انشاء منطقة حرة في ميناء ام قصر الهدف منها هو تشجيع وخلق اسواق تجارية عالمية جديدة بالنسبة للمنتجات العراقية وتطوير الاسطول التجاري العراقي مع زيادة الدخل القومي وتشغيل الايدي العاملة بالاضافة الى تعزيز الصناعة الوطنية .

وتم انشاء المنطقة الحرة في ميناء ام قصر وتشمل الرصيف الخرساني الواقع في الجهة الجنوبية من الارصفة من الارض الخرسانية الواقعة على خور الزبير في نقطة تلاقيه بخور عبدالله ولمساحة 117400متر مربع خصصت لتشييد المخازن حسب المواصفات المطلوبة .

مدينة الألعاب في البصرة

وخلال رئاسة المهندس عدنان القصاب لادارة مصلحة الموانئ العراقية قام القصاب باستيراد احدث المعدات الايطالية لتشييد مدينة العاب في حدائق الاندلس في البصرة تعتبر الاولى من نوعها في العراق ، وتم افتتاحها بتاريخ 30/ 5/ 1971م الغرض منها كان توفير متنفس لعوائل منتسبي الموانئ وكافة اهالي البصرة واستثمار مردودها المادي لتطوير الموانئ والحدائق العامة فيها .

وفي الافتتاح الاول للمدينة دعا القصاب كبار المسؤولين في محافظة البصرة والمسؤولين في مديرية الموانئ العراقية وزوجاتهم واشترط في الدعوة عدم اصطحاب الاطفال لأنه كرس يوم الإفتتالح وممارسة الالعاب لكبار المسؤولين في المحافظة والموانئ ، وخلال هذه الإلفاته الجميلة من القصاب لم يترك المسؤولين أي جهاز يخص الألعاب إلا ومارسوا اللعب فيه ، وبعد الافتتاح تم فتح مدينة الالعاب لكافة المواطنيين من المحافظة والزائرين من المحافظات الاخرى . وقد تم استغلال الواردات المتحصلة من مدينة الالعاب في تطوير حدائق الاندلس .

جزيرة السندباد

لقد تم في عهد المهندس عدنان القصاب مدير عام الموانئ العراقية انشاء افخم كازينو سياحية من نوعها في العراق ، حيث أقيمت هذه الكازينو في الطرف الجنوبي من جزيرة السندباد في المعقل بمحافظة البصرة ، وقد تم تشييدها على غرار مثيلاتها في البلدان المتطورة في هذا المجال ، وقد احتوت على سقائف معلقة مع ارضية مبلطة بأفخم انواع المرمر وجدرانها مغلفة بخشب الصاج وبطابقين فخمين ومكيفين بالهواء صيفاً وشتاء .

وتحتوي الكازينو على مطعم فخم يسع الى اكثر من 400 شخص مع ملحقاته الحديثة ، بالاضافة الى مسرح يدور اوتوماتيكياً مع شاشة سينمائية ضخمة ومن احدث الانواع ، ناهيك عن طائفة كبيرة من الحدائق والغابات والساحات ، وقد شيدت على مساحة 2867 متر مربع ، ويحتوي الطابق الاول من الكازينو على بار فخم وصالات حديثة للعب الروليت مع شرفات عصرية مكيفة .

واحتوت جزيرة السندباد على كافة انواع نخيل التمور التي توجد في البصرة بحيث زرع نخلة لكل نوع من انواع التمور ، واحيطت الجزيرة بسور من النخيل ، واصبحت الجزيرة قبلة لأهل البصرة والسياح من خارج القطر من الخليج العربي والعالم .

تجربة ميناء عدن

بعد استقرار الأحوال داخل الموانئ العراقية وبناء مختلف مرافقها الحيوية العامة بدء العراق يتطلع الى الدول العربية ، حيث وقع اتفاقية مع جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية لتعميق السبيل الملاحية في ميناء عدن بشقيه ميناء الزيت والميناء التجاري ، بعد ان قدم العراق اقل العطاءات التي تعتبر رمزية وعلى شكل قرض آجل الدفع وفاز بتنفيذ المشروع ، وقد هيئة ادارة الموانئ العراقية برئاسة المهندس عدنان القصاب كافة المستلزمات والحفارات الضخمة الخاصة بحفر الميناء .

وقام المهندس عدنان القصاب بزيارة ميناء عدن عدة مرات لمتابعة سير العمل والتقى برئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية آنذاك محمد علي هيثم ومدير ميناء عدن ، وقد صادف الكادر الهندسي العراقي اثناء حفر الميناء واحدة من اخطر الصعوبات ، حيث تم اكتشاف وجود قنابل غير منفلقة رماها الجيش البريطاني عند انسحابه من ميناء عدن مما اضطر المهندس عدنان القصاب الى جلب ضابط خبير بالمتفجرات من القوات العراقية المتواجدة في الاردن في حينها وتم تعطيل وتفجير القنابل ووضع شبكة كبيرة عازلة تحول دون وصول القنابل الى الحفارات الضخمة وبالتالي انجز العمل ، وبسبب هذه القنابل قلة نسبة الحفر 30٪ عن معدلها الطبيعي ، وبعد الانتهاء من حفر الميناء تم تسليمه الى الجانب اليمني الجنوبي باحتفال رسمي .

وفي حديث لمجلة بيروت اثناء مروره ببيروت وهو في طريقه الى عدن ، قال القصاب انه ذاهب الى عدن للاشراف على الترتيبات النهائية لعودة آخر الحفارات العراقية (الحلة) التي اوشكت على انهاء المشروع بكادر هندسي عراقي ، وان العراق يقوم بهذا المشروع لشعوره بالدور الذي يلعبه ميناء عدن في حركة التجارة العالمية على ضوء ما يتمتع به هذا الميناء من المكانة الاستراتيجية التي تمكنه من لعب دور حيوي في الحياة الاقتصادية لليمن ، وفي رده على سؤال عن شعوره تجاه المشروع ، قال المهندس عدنان القصاب بأن شعوره لايمكن وصفه ببضع كلمات لأنه مزيج من كوننا نفذنا ما تعلمناه خلال سنوات طويلة في صفوف الحزب وبدأنا مرحلة تنفيذ تلك الاهداف ، وشعور جميع العاملين في المشروع انهم يقومون بواجب نضالي في وطنهم الكبير ولمنفعة وتقدم الشعب .

وتابع قائلاً للمجلة انه يضاف الى هذا الشعور كوني مديراً عاماً لمصلحة الموانئ العراقية وخلال وجودي تم تنفيذ هذا العمل الضخم الذي هو مفخرة فنية وعملية أمام العالم ، حيث اثبتنا قدرات شعبنا على تنفيذ المهام الجسام وتجاوز العقبات والعراقيل وإزالة اليأس وعدم الثقة بقدراتنا ، وقال بانه لمس خلال زياراته للدول الاوروبية بان العمل يستأثر اهتمام الاوروبين اكثر منه في البلدان العربية .

الرحلة الى موانئ الخليج العربي

في السنة الثانية لتولي المهندس عدنان القصاب ادارة الموانئ العراقية أي في 5 / 9 / 1969م ترأس وفداً يضم ممثلين عن وزارات الصناعة والزراعة والخارجية والاقتصاد وغيرها من الوزارات ، حيث قامت كل هذه الوزارات بعرض ما لديها من منتجات لعرضها امام الدول التي سيقوم الوفد بزيارتها ، ومن ضمن هذه المواد فسائل من أجود انواع النخيل العراقية قدمت هدية الى دولة الامارات العربية

واستقل الوفد الباخرة ثورة التي كان يستخدمها الملك فيصل الثاني ، حيث تم صيانتها واعادة بنائها بعد ان كانت مهملة ومنتهية الصلاحية وتم اطلاق اسم الثورة عليها ، وبدأت الرحلة من ميناء المعقل في البصرة وتم توديع الباخرة ثورة من قبل اهالي البصرة ومنتسبي الموانئ وكانت اول محطة لها في ميناء الاحمدي في الكويت وتم استقبال الوفد العراقي من قبل مدير ميناء الاحمدي ، ومكثت الباخرة والوفد في الميناء ثلاثة ايام بعدها تم التوجه الى ميناء الدمام في المملكة العربية السعودية وجرى استقبال حافل للوفد الذي مكث لثلاثة ايام ايضاً في الميناء ثم توجهت الباخرة ثورة الى ميناء البحرين وجرى له نفس الاستقبال الحار في الموانئ السابقة ومكث ثلاثة ايام اتجه بعدها الى ميناء قطر ثم ميناء الشارقة ودبي وام القيوين والفجيرة في الامارات العربية وابوظبي ، علماً ان الوفد العراقي تكون لديه انطباع عام بأن الموانئ العراقية في حينها كانت تعتبر متقدمة قياساً لما رأوه في الموانئ الخليجية ، وبعد اتمام الجولة عادت الباخرة ثورة الى العراق وعند دخولها الموانئ مياه شط العرب قامت الطائرات الايرانية بالتحليق على ارتفاعات منخفضة جداً فوق الباخرة ونفذت

غارات وهمية لإثارة الخوف والفزع في نفوس الوفد العراقي ، وعند وصول الباخرة الى ميناء المعقل أستقبلت استقبالاً حافلاً وسط الأهازيج والاغاني بسلامة العودة الى ارض الوطن .

زيارة القصاب الأولى للهند

في سنة 1969م سافر القصاب كمدير عام للموانئ العراقية برفقة وفد كبير برئاسة وزير النقل والمواصلات (ايوب العزي) وعدد من مديري المديريات العامة في الوزارة للاطلاع على آليات العمل في وزارة النقل المواصلات الهندية وخاصة مايتعلق بمجال السكك الحديدية والموانئ .

وتم خلال الزيارة الاطلاع على مدن الهند الكثيرة والجميلة ومنها مدينة كلكتا ونيودلهي والموانئ الهندية .

صورة خاصة

القصاب مع وزير النقل عدنان ايوب العزي والوفد المرافق له

معرض لايبزك في المانيا الشرقية

في عـام 1969 م سـافر القصـاب الى معـرض لايـزك في المانيـا الديمقراطيـة للإطـلاع عـلى مصانع السفن والتفاوض مع المسؤولين الالمان حول كيفيـة الاسـتفادة مـن الخبرات والصـناعات الالمانية ، وقد وقع عقدا مع مؤسسة مشين اكسـبورتا لشرـاء مزلـق للمعمـل ، ووقـع كـذلك عقـدا حول دراسات استشارية تؤمن تنفيذ الخطة الانتاجية لموضوع المعمل .

وفي عام 1970م زار المهندس عدنان القصاب المدير العام للموانئ العراقيـة مدينـة لايـزك في المانيا الشرقية للاطلاع على احدث المعدات الخاصة بالموانئ والبواخر التجارية في معـرض لايـزك الدولي ، وكان برفقة القصاب عدد من رؤساء الاقسام المهندسين في مديرية الموانئ برفقة زوجاتهم .

وتم ابرام عقد مع الجانب الالماني لبناء مرسى لبنـاء وصـيانة السـفن بالاضـافة الى التعاقـد عـلى شراء مكائن لتبليط شوارع ام قصر ، وكانت الشركة المنفذة للمشروع هي شركة (تكنو اكسبورت) .

وخلال وجوده في في المانيا الشرقية كان موسم تساقط الثلـوج عـلى أشـده مما أدى الى سـقوط زوجته في اثناء السير وتعرضها لتمزق في الانسجة الرابطة للقدم .

وقد حققت تلك السفرة نجاحـا بـاهرا مـن حيـث توقيـع الاتفاقيـات وشراء المعـدات لتطـوير المـوانئ العراقيـة ، وفي جانـب آخـر كانـت السـفرة عبـارة عـن فـترة اسـتجمام وراحـة للمهندسـين وعوائلهم .

استقبال القذافي في الموانئ العراقية في البصرة

عندما كان المهندس عدنان القصاب مديراً عاما للموانئ العراقية سنة 1970 م قام العقيد معمر القذافي في زيارة الى العراق ، وضمن جولته في العراق قام القذافي بزيارة لمدينة البصرة وكان القصاب من ضمن المستقبلين له في المطار ، حيث كان القذافي برفقة وزير الدفاع حردان التكريتي ، وقام القصاب باصطحاب القذافي والوفد المرافق له بالباخرة ثورة وقاموا بجولة في شط العرب للاطلاع على تدريبات الضباط الليبيين المنضوين تحت لواء وحدات الجيش العراق آنذاك لغرض التدريب واكتساب الخبرة .

وكان محمد محجوب محافظ البصرة آنذاك ، وكانت برفقة القذافي السيدة عقيلته التي تم استقبالها من قبل زوجات المسؤولين ، وقد تم مرافقتها من قبل زوجة مدير الموانئ العراقية السيدة مآرب العزاوي .

الباخرة البريطانية وقصة العلم العراقي

في منتصف سنة 1970م عندما كان القصاب مديراً عاماً للموانئ العراقية دخلت احدى البوارج العسكرية البريطانية لزيارة الموانئ العراقية لكنها رفضت رفع العلم العراقي الى جانب العلم البريطاني في المياه الاقليمية العراقية ، ما ادى الى توتر الوضع بين المهندس عدنان القصاب بصفته مديراً للموانئ وقبطان السفينة البريطانية ، تدخلت على اثرها السلطة في بغداد وأعطت الضوء الأخضر للقصاب في التصرف في حال لم يتم رفع العلم العراقي يجب اخراجها من المياه الاقليمية العراقية ، وتم ذلك بالفعل بعد رفض البارجة البريطانية رفع العلم العراقي .

القصاب وقائد القوة البحرية العراقية

في أواخر فترة المهندس عدنان القصاب كمدير عام للموانئ العراقية حصل خلاف بينه وبين قائد القوة البحرية آنذاك العميد عبدو الديري ، حيث وعد القصاب في وقت سابق باعطاء أحد الارصفة الى قيادة القوة البحرية ، لكن قائد القوة البحرية استعجل الأمر واتهم القصاب بالمماطلة وبأنه لا يريد اعطاء الرصيف الى القوة البحرية وحصل خلاف بين الرجلين مما حدى بالعميد عبدو الديري بالذهاب الى بغداد وتقديم شكوى في وزارة الدفاع ضد القصاب ، وترتب على ذلك سفر وزير الدفاع آنذاك الفريق حماد شهاب الى البصرة لحل المشكلة ، وبعد عودة وزير الدفاع الى بغداد صدر أمر بنقل عدنان القصاب رئيساً لشركة النفط الوطنية ونقل العميد عبدو الديري سفيراً في احد الدول الاوروبية .

وداع وذكرى

بقلم محرر الرياضة

مجلة الموانئ

بالأمس صافحنا الاستاذ عدنان القصاب مصافحة الأحبة ، لقد كان التوديع حاراً وكان صعباً في نفس الوقت لأن القصاب لم يكن مديراً عاماً لهذه المصلحة فقط وانما كان أخاً عزيزاً لكل من عرفه وهو فوق ذلك مناضلاً صلباً نذر نفسه لعقيدته منذ اكثر من عشرين عاماً .

أما فضله على الرياضة في البصرة فلا داعي لأحدثكم عنها ، تكفي المدة القصيرة التي قضاها في هذه المصلحة والنتائج الباهرة التي حصل عليها فريق الموانئ ومنتخب البصرة وفي كل المجالات خير دليل على ذلك ، كان أميناً كل الأمانة على اخلاصه لهذا الهدف ، فكم من لاعب ارسله الى بغداد للمعالجة وكم من نوادي حصلت على معونته وكم من فريق استضافه في دار الرياضة وكم وكم ، كل ذلك ليثبت صلته الرياضية وليستعيد ذكرياته عندما كان من ابرز لاعبي كرة السلة في نادي الكرخ الرياضي في بغداد .

والكلام كثير وكثير لا تكفي صفحات هذه المجلة للحديث عن القصاب وذكريات القصاب ، لقد اخفقت القلوب وانت تصافحنا مساء 26-7-1971م ، فاليك يا استاذنا العزيز كل محبة ووفاء ومزيداً من التقدم .

التحية الى عدنان القصاب

كاظم الجوراني

غادرت مصحوباً بألف دعاء يا من وهبت الحسن بالأسماء

عدنان والاسماء منك تفرعت وأبو رزان وفيك صح ثنائي

وأقولها والحزن ملئ جوانحيأ أراك ثانية بخير لقــاء

أوجدت للميناء بعض مفاخر فشدي الأولى بمفاخر الأبناء

لا حاجة للعد أن قليلها الدور للعمال خير عطاء

ومدينة الالعاب كان وجودها كالمستحيل بحوزة الميناء

أما الثقافة في الموانئ بعضهاورعاية الشعراء والادباء

فاهنأ رحلت وأنت لست مقصراً   ما دمت مذكوراً بحسن ثناء

كلمة توديع

بقلم الدكتور محمد طارق الكاتب

قد تمر بالانسان ساعات يعترف فيها بالعجز والقصور عن اداء ما تستلزمه من حق وأعتقد اني بهذه المناسبة أمر باحراج ما يواجهه من ساعات ربما أعجزت اللسان والتفكير في آن واحد ، فقد اعطى الشعراء البلغاء منذ أن عرفت الكلمة المعبرة مناسبات التوديع كما تستحق من إكبار واعجاب ، فكيف إذا كان التوديع مقروناً بذكريات يصعب على الانسان ان يفصل عواطفه من واقعها ، خصوصاً اذا كانت تلك الذكريات متعددة الجوانب مختلفة فيما تتركه من الأثر والانطباع حباً من جهة وتقديراً من جهة اخرى فمن الصعب على كل ذي وجدان ان يودع مثل ابي رزان .

ولكن اريد اليوم ان اقول كلمة التوديع التي فرضها علي الواجب وحتمتها الحقوق والذكريات فكلنا طلاب مصلحة عامة ومصلحة الموانئ العراقية في الصدارة وهي من المؤسسات التي تكفلت كل أبعاد المصلحة العامة وخدمة الجماهير ، وقد جاء هذا الرجل واستلم مسؤوليته الضخمة كمدير عام لهذه المؤسسة ، ومهما كانت الصحائف التي استلمها فقد أضاف الى سجلها التاريخي العام أعمالاً كان لها أثران ساميان في آن واحد ، فقد رفعت تلك الاعمال من مستوى هذه المصلحة الى الحد الذي جعلها أهلاً ما أنيط بها من مسؤوليات هذا من جهة ومن جهة اخرى كانت تلك الاعمال سبباً قوياً في ابراز معالم هذه الشخصية الفذه الى العيان وشهادة الوجدان ليس معنى ذلك ان المهندس عدنان القصاب لم يكن بارزاً قبل استلامه مصلحة الموانئ العراقية ولكن صحائفه واعماله في هذه السنين الثلاث كونت منه الشخصية التي كان قد هيأ نفسه لأن يتلبس بها منذ أول ولوجه معركة الحياة الاجتماعية ، ان المشاريع في البلدان العربية الأسس القويمة لتنفيذها كانت من المستوى الجيد بحيث تجعله نصب العين والقلب دائماً وفي كل زمان ومكان ، فالجرأة والاقدام على حفر شط البصرة والتصميم على تأسيس معمل الانابيب الحلزونية ومعمل السفن وميناء تصدير الكبريت والمنطقة الحرة في ام قصر. واستيراد الرافعة العائمة حمولة 1000 طن كل ذلك دليل تكامل هذه الشخصية ، كما ان مشاريع الاسكان الواسعة والاهتمام بالناحية السياحية في البلد التي تمثل في تشييد كازينو ابي نؤاس ومدينة الالعاب وغيرها من المشاريع يضيف ملامح اخرى الى هذا الوجود .

وإذا أجرينا عملية حسابية بسيطة بين الايام التي قضاها الاستاذ عدنان على رأس المؤسسة وبين ما تمخضت تلك الايام من مكاسب ومنجزات لوجدنا ان الاعجاب والاكبار أقل ما يستحقه في هذا السبيل فليس من السهل ان تستجيب شركة نفط البصرة لتسدد ما لا يقل عن ثلاثة ملايين ونصف مليون دينار ديوناً كانت متراكمة لمصلحة الموانئ العراقية منذ زمن بعيد وليس من السهل أيضاً ان يحتضن الخليج العربي اول بادرة قومية من نوعها تقوم بها الجمهورية العراقية في حقل التعاون العلمي لانعاش الاقتصاد وبناء المشاريع في البلدان العربية الشقيقة وذلك بتبني مشروع حفر ميناء عدن الذي بدأ التفكير به ونفذ وأنجز في فترة قصيرة جداً وبكلفة لاتذكر ما افترضته الشركات الاجنبية من الكلفة ، وان مشروع صيد الاسماك والاستفادة من الباخرة زبيدي بعد ان كان احتمال تلفها اقرب في ذهنية الفشل من احتمال الاستفادة منها حسب تصميم ذهنية الخلق والعمل المبدع ، كل هذه الاعمال كانت مشفوعة بما حققه الاستاذ القصاب من إلتحام واندماج بين الموظفين والعمال وبين الادارة وكوادر الانتاج بحيث كان التجاوب بين الطرفين مدعاة اعتزاز .

اني بهذه المناسبة أؤكد مشاعر منتسبي مصلحة الموانئ العراقية وهم يودعون مديرهم العام وصديقهم الحميم تقديراً منهم للثقة العظيمة التي وضعها مجلس قيادة الثورة لتسلمه مسؤولية شركة النفط الوطنية ، راجين للاستاذ القصاب في مسؤولياته الجديدة التوفيق الذي من الله به عليه في مسؤولياته القديمة آملين ان يكون من سيحل محله على نفس المستوى من التقدير والهمة ، والله ولي التقدير .

عواطف وامنيات

آخر لقاء صحفي مع مجلة الموانئ

قبل ان يصافح الاستاذ عدنان القصاب المدير العام لمصلحة الموانئ العراقية أيادي مودعيه من رفاق وأخوة وزملاء عمل بساعة واحدة تقدم سكرتير تحرير مجلة الموانئ اليه بهذه الاسئلة وقد اجاب على كل سؤال بما يستحق وبقدر ما يسمح له وقته الضيق في خضم انشغاله بتهيأة نفسه للسفر ولمواجهة المودعين

سكرتير التحرير : ما هي انطباعاتك وانت تغادر مدينة البصرة الفيحاء بعد ان قضيت زمناً في قيادة مصلحة الموانئ ؟

المهندس عدنان القصاب : لا استطيع ان أحدد الانطباعات التي غرزتها هذه المناسبة في نفسي- فهي كثيرة ومتعددة الجوانب وقد كان أهمها حين صدور أمر مجلس قيادة الثورة باسناد مثل هذه المهمة الصعبة الكبيرة إلي ، حيث بدأت أفكر فيها بتهيب شديد لما تتضمنه من خطورة بالنسبة لمركزها ومقامها من الاقتصاد الوطني في العراق ولاتصالها بالتخطيط الذي وضعته الثورة للتنمية الاقتصادية ولكن عواطف وحماس جمهور البصرة الكريم وعلى الخصوص من قبل عمال ومنتسبي مصلحة الموانئ كان عاملاً قوياً في زيادة الثقة والاطمئنان والتحمس للمسؤولية الجديدة ، وقد كانت العواطف الكريمة التي شملوني بها وأنا على وشك مغادرتي هذه المدينة قد جددت جميع الذكريات التي عشتها خلال الاثنين والثلاثين شهراً بما قدموه من هدايا رمزية ساحملها معي طوال حياتي وعبر كل مراحل النضال في مستقبل العمر ولست مغالياً إذا قلت في هذه الساعة بأني أشعر وكأني أغادر أهلي وأحبائي وأحس وكأني على جناح سفر لبعثة علمية ، عواطف كل من سيفارق احبة واهلا، ان هذه المشاعر جددت في نفسي كذلك العزم والثقة على الاندفاع بالعمل والمسير نحو الافضل مدخراً لجماهير البصرة كل فضل في نجاحي في عملي ان قدر لي ان اكون ناجحاً .

سكرتير التحرير : ما هي عواطفك تجاه اخوانك من عمال وموظفين في مصلحة الموانئ .

المهندس عدنان القصاب : لم تكن عواطفي في هذه الساعة إلا أثراً طبيعياً من عواطفهم التي غمروني بها فلا يسعني إلا ان أقابلها بالشكر والثناء والاحترام واتمنى لهم دوام التقدم والنجاح .

سكرتير التحرير : ما هي امنياتك وتطلعاتك في عملك الجديد .

المهندس عدنان القصاب : لا شك ان عملي الجديد يحتاج الى جهد كبير جداً ربما اعتبرته اكثر مما كانت تتطلبه مسؤوليتي القديمة ، لذلك فان أمنيتي ان أوفق لما ينسجم مع ذلك الجهد ، وانني اتطلع في نفس الوقت الى ان تكون مسيرتي مع اخواني منتسبي شركة النفط الوطنية مسيرة ناجحة وموفقة لنتمكن من تنفيذ خطة الشركة للسنوات الخمس ونستطيع تحقيق كامل ما تتطلع اليه الجماهير من نهضة اقتصادية .

لقد كان تحقيق الانجاز بأعلى كفاءة وبأقل كلفة هو اسلوب عملي منذ اول مسؤولية تحملتها وسوف لن أتخلى عن هذا الاسلوب واضعاً خدمة الجماهير صاحبة المصلحة الاولى في العمل أمام عيني وكما كنت في مصلحة الموانئ فان توجيهات قادة الثورة والحزب هي نقطة الانطلاق في مراحل التخطيط والتنفيذ ، وأخيراً لا يفوتني أن أقدم شكري للمجلة التي كم أتاحت لي أكثر من فرصة للمساهمة في عملية الوعي والتثقيف ، وللأخ ضياء الخاقاني لإندفاعه دوماً نحو الاسمى ، مع حبي واحترامي لجميع العاملين من اجل امتهم ومصلحة شعبهم .

من أجل الثورة

ضياء الدين الخاقاني

من أجل الثورة .. يا عدنان

من أجل المبدأ

من أجل البعث

لأجل الانسان

من أجل الثورة

كي يصبح قادتها شجعان

من أجل الشعب

لئلا يحكمه خائن

كي لا تبنى من عرق الفلاح

كي لا تشرب مومس عرق العامل

وسنبقى

عيناً للتاريخ

وروحاً وحناً وجمال

ليكون العربي نبياً

قديساً

يهب النعمة

ليكون العربي أمان

ليكون العربي كما شئنا انسان

من أجل الثورة .... من أجل

الثورة يا عدنان

صورة رقم (36)

المديرية العامة للموانئ العراقية في ميناء المعقل بالبصرة

صورة رقم (37)

القصاب في احدى البيوت المبنية من القصب البردي

صورة رقم (38)

القصاب يضع حجر الاساس لبناء دور العمال

صورة رقم (39)

القصاب يفتتح دور العمال في الموانئ

صورة رقم (40)

القصاب ومحافظ البصرة المرحوم سعدي عياش عريم يتقدمون مسيرة الاتحاد العام لنقابات عمال البصرة

صورة رقم (41)

القصاب في احدى مشاريع العمل الشعبي مع نخبة من المهندسين مدراء المشاريع

صورة رقم 42

القصاب يفتتح مدينة الالعاب في ميناء المعقل

صورة رقم 43

القصاب يلقي كلمة افتتاح مدينة الالعاب في الموانئ

صورة رقم 44

القصاب ونائب المحافظ وزوجاتهم

صورة رقم 45

القصاب وعدد من المسؤولين في البصرة وزوجاتهم

صورة 46

القصاب مع رئيس اليمن الجنوبي محمد علي هيثم وسفير مصر في عدن

صورة 47

القصاب مع رئيس اليمن الجنوبي ومدير ميناء عدن

صورة رقم 48

القصاب مع رئيس اليمن الجنوبي ومدير ميناء عدن ورئيس نقابة عمال الموانئ العراقية اثناء زيارة الرئيس اليمني للحفارة (حلة)

صورةرقم 49

القصاب في ميناء عدن

صورة رقم 50

القصاب في استقبال احدى البواخر السوفيتية مع محافظ البصرة وقائد القوة البحرية ورئيس جامعة البصرة

صورة رقم 51

القصاب مع طاقم الباخرة ثورة

صورة رقم 52

القصاب مع نائب مدير عام الموانئ طارق الكاتب مع ممثل عن وزارة التجارة

صورة رقم 53

القصاب في الباخرة ثورة

صورة رقم 54

القصاب مع الوفد المرافق له في احدى الموانئ الخليجية

صورة رقم 55

القصاب في احد الموانئ الخليجية

صورة 56

القصاب مع المهندس لؤي بركات في مدينة لايبزك بالمانيا الشرقية

صورة رقم 57

القصاب مع الوفد المرافق له وزوجاتهم في لايبزك

صورة رقم 58

القصاب اثناء استقبال القذافي خلال زيارته للموانئ العراقية في البصرة

صورة رقم 59

القصاب ووزير الدفاع حردان التكريتي ومحافظ البصرة محمد محجوب خلال استقبال القذافي في الموانئ العراقية

صورة رقم 60

القصاب ووزير الدفاع اثناء توجههم مع القذافي الى الباخرة ثورة

صورة رقم 61

القصاب يرعى الرياضة والرياضيين في الموانئ بالبصرة

صورة رقم 62

القصاب وزوجته وطفلته رزان في احدى حفلات نقابة العمال في الموانئ

صورة رقم 63

القصاب يوزع الهدايا على الاطفال في نقابة عمال موانئ البصرة

صورة رقم 64

القصاب وزير النقل عدنان ايوب صبري في ملعب الموانئ بالبصرة

القصاب رئيسا لشركة النفط الوطنية

قبل تأميم النفط في العراق في حزيران سنة 1972م كانت شركات النفط متعددة الجنسيات تسيطر على انتاج وتسويق النفط في العراق ، وبعد قيام الثورة مباشرةً شكلت شركة النفط الوطنية لتضاهي او تنافس هذه الشركات ، وكان يرأسها الدكتور سعدون حمادي ، وبعد تعيين حمادي وزيراً للنفط كَلفت قيادة الثورة المهندس عدنان القصاب الذي كان مديراً لمصلحة الموانئ العراقية برئاسة شركة النفط الوطنية .

إستلم القصاب رئاسة شركة النفط الوطنية بتاريخ 1 / 8/ 1972م ، ومنذ اللحظة الأولى لإستلامه مهام عمله كانت تنتظره مسؤوليات ضخمة ومهام حساسة جداً بسبب مراهنة شركات النفط الاحتكارية على فشل العراق في إدارة وتسويق نفطه .

وبدأت التحديات التي واجهته بعد قرار تأميم النفط مباشرة ، حيث كان القصاب أثناء اعلان قرار التأميم في مؤتمر الطاقة العربي في الجزائر ، وكان كل شئ معد مسبقاً ومتفق عليه والناقلات محملة بالنفط في عرض البحر وتنتظر الأوامر فقام المهندس عدنان القصاب بصفته رئيساً لشركة النفط الوطنية بالاتصال بقبطان إحدى الناقلات المحملة بالنفط وابلغه ان يتحرك بالشحنة الى النقطة المتفق عليها في عرض المحيط الاطلسي- ثم يفتح الرسالة التي استلمها من القصاب ويتوجه وفق ما جاء في الرسالة التي كانت تأمره بالتوجه الى البرازيل سافر بعد ذلك القصاب الى البرازيل لانتظار وصول الناقلة المحملة بالنفط ، وبعد سبعة ايام وصلت الشحنة الى الموانئ البرازيلية وقامت الحكومة البرازيلية بحفظ النفط في شركة بترو براس البرازيلية بسبب النزاع القائم بين العراق وشركات النفط الاحتكارية التي قررت الاستيلاء على اي شحنة نفط تخرج من العراق مما حدى بالحكومة العراقية الى اتباع هذه الحيلة او الخطة لغرض التمويه على هذه الشركات الاحتكارية وتم بيع هذه الشحنة من النفط بواسطة شركة النفط الوطنية ، بحيث تعتبر أول شحنة تقوم ببيعها شركة النفط الوطنية العراقية خارج اطار الشركات الاحتكارية .

علماً بأنه هناك شحنة متزامنة مع شحنة البرازيل اتجهت بنفس الوقت الى اسبانيا كهدية من الحكومة العراقية تثميناً لمواقف اسبانيا بتزويد الشركة بناقلات النفط والتعاون معها ، ثم عاد القصاب الى بغداد وتوالت عمليات تصدير النفط العراقي وكسر الاحتكارات التي فرضتها شركات النفط متعددة الجنسيات التي راهنت على فشل العراق بعد التأميم في ايجاد منافذ لتصدير نفطه وبيعها في الاسواق العالمية .

وبدعوة من الهند واليابان لبناء ميناء العميق (البكر لاحقاً) مقابل شحنات من النفط العراقي ، سافر القصاب مع وفد من شركة النفط الوطنية الى نيودلهي والتقى برئيس الوزراء الهندي وعدد من المسؤولين ووقع عقداً مع الجانب الهندي ، ثم توجه الى طوكيو ووقع العقود مع الجانب الياباني بصفته رئيساً لشركة النفط الوطنية . وتم التوقيع على افتتاح حقل الرميلة بتاريخ 7/ 4/ 1972

التحديات التي واجهت القصاب داخل شركة النفط الوطنية

عندما تسلم القصاب مسؤولية شركة النفط الوطنية واجهته تحيديات كبيرة كانت متمثلة بالانتماءات الايديلوجية للعاملين في الشركة ، فقدم للقصاب تقرير من قبل عضو المكتب الفرعي للحزب قاسم زغير تضمن جملة من التحذيرات التي يمكن ان تؤثر على سير العمل بالشركة ومنها الاتجاه الرجعي الذي يكن الولاء للشركات الاحتكارية والاتجاه الشيوعي والاتجاه الشيوعي الذي يمثل كتلة قوية وفعالة في الشركة وعلى مختلف المستويات ، والاتجاه البعثي الذي كان ضعيفا في حينها ولم يكن له تأثير كبير حيال الوجود الشيوعي ، بالاضافة الى جملة من التحذيرات والامور التي تعيق سير عمل الشركة .

وما كان من المهندس عدنان القصاب الا ان بادر بدراسة التقرير ووضع له الحلول الناجعة بنظرة شمولية بعيدة عن ضيق الافق والسطحية في طرح المشاكل في الشركة الفتية ، وكان الهم الاول له هو رفع مستوى العاملين للشركة للنهوض بها .

إدارة القصاب لشركة النفط الوطنية لم تكن طويلة لكنها كافية لترك بصماتها

بقلم عصام الجلبي

بعد ان اسندت حقيبة وزارة النفط الى الدكتور سعدون حمادي في منتصف سنة 1971م ، تسلم المهندس عدنان القصاب منصب رئيس شركة النفط الوطنية العراقية منقولاً من موقع مدير عام مصلحة الموانئ العراقية ، ورغم قصر الفترة التي أمضاها القصاب في إدارة شؤون شركة النفط الوطنية إلا أنها كانت حافلة بعدد من التطورات والانجازات الرئيسية التي كان لها أثرها البالغ في تطوير الصناعة النفطية وتعميق مسار القطاع النفطي بشقه الاستراتيجي ، ونذكر منها ما يلي :

أولاً : إنجاز المرحلة الأولى من تطوير حقل شمال الرميلة

كان حقل الرميلة من ضمن الحقول والمواقع التي تم إنتزاعها من شركات النفط الاحتكارية بموجب القانون رقم 80 لسنة 1961م ، حيث ان شركة نفط البصرة أبقت ذلك الحقل دون تطوير ، وبعد إعتماد الاستثمار الوطني المباشر كسياسة ومنهج في تطوير حقول النفط بعد ثورة 17-30 تموز 1968م وذلك وفقاً لأحكام المادة 3 من القانون 97 لسنة 1967م والذي تم تفعيله بالايعاز لشركة النفط الوطنية بالمباشرة الفورية لتطوير هذا الحقل وبالتعاون مع عدد من الدول الصديقة ومؤسساتها ، وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي وفق معاهدة التعاون التي أبرمتها الشركة مع مؤسسة مشينو أكسبورت السوفياتية .

تم ابرام عقد تنفيذ المشروع مع مؤسسة تكنو اكسبورت السوفياتية بالنسبة للمنشآت السطحية ومد الانابيب ، في حين تولت شركة النفط الوطنية تهيأة الآبار الانتاجية من خلال عدد من عقود للحفر أبرمت مع مؤسسات سوفياتية وهنغارية اضافة الى عقد شراء انابيب من فرنسا .

وأوكل تولي مسؤولية أعمال الهندسة المدنية بشكل مباشر الى كادر عراقي أشرف عليه المهندس عدنان الجبوري في حين أوكل للشركة العامة للاستشارات والتخطيط للمشاريع النفطية التابعة لوزارة النفط برئاسة الدكتور مهدي الشيخ علي مسؤولية تدقيق التصاميم والاشراف على عمليات التنفيذ ، وعُين المهندس عصام عبد الرحيم الجلبي مديراً لمشروع الرميلة ضمن إطار شركة النفط الوطنية لأغراض المتابعة والتنسيق مع الجانب السوفياتي وشركة الاستشارات النفطية وبقية دوائر الدولة ، يذكر ان المهندس عصام الجلبي عين لاحقاً وزيراً للنفط .

لم يكن العمل سهلاً وخاصة في صحراء قاحلة في منطقة الرميلة التي كانت تفتقر الى الطرق وأية منشآت اخرى وفي جو تصل فيه درجة الحرارة الى نحو 50 درجة مئوية ، وشملت منشآت الرميلة محطات العزل والخزانات وأنابيب الجريان ، في حين تم انشاء مستودع رئيسي في منطقة الفاو التي كانت تربتها بحاجة الى تقوية وجهد خاصين تم الاستعانة بشركة هولندية من أجل ذلك ... وكان الطريق المؤدي الى الفاو يبلغ نحو 150 كيلو متر ويستغرق أكثر من ستة ساعات للوصول الى منطقة العمل ، وكثيراً ما كانت السيارات تغرز في الطريق لوعورته ، علماً ان طريق الخدمة لأنابيب نقل النفط التابعة الى شركة نفط البصرة لم يكن يسمح لنا باستخدامه .

وقد تعرض المشروع للتأخير وتولت شركة النفط الوطنية باشراف مباشر ومتابعة يومية من السيد القصاب أعمال الهندسة المدنية والعمل بالضغط على الجانب السوفياتي بالتنسيق مع شركة الاستشارات النفطية من اجل الاسراع بإيصال المعدات التي كان يفترض وصولها لغرض افتتاح المشروع وتشغيله في 7 نيسان سنة 1972م .

ونتيجة لذلك اضطرت رئاسة الشركة للجوء الى لجنة المتابعة لشؤون النفط وتنفيذ الاتفاقيات برئاسة صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة آنذاك حيث تولت هذه اللجنة الاتصال مع أعلى قيادة في الاتحاد السوفياتي والتي تم بضوئها المباشرة بارسال معدات بواسطة طائرات شحن خاصة وبشكل مباشر الى محافظة البصرة .

ولدى إقتراب موعد انجاز المشروع تولت شركة النفط الوطنية بالاشتراك مع مؤسسة نفط الجنوب التابعة لها مهام الاعداد لاحتفال كبير لما لذلك من أبعاد سياسية واقتصادية ووطنية ، وبدون ان يتم تحديد الجهات المدعوة التي ستتولى افتتاح المشروع .

وقبيل الموعد المقرر للافتتاح وصل رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي أليكس كوسيفين الى العراق ، وبعد توقيع معاهدة الصداقة بين البلدين توجه برفقة صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة الى موقع الرميلة ، حيث قاما سويةً بقص شريط الافتتاح وتدشين عمليات تشغيل المشروع .

ثانياً : شراء ناقلات النفط

كانت شركة النفط الوطنية تعمل على بناء مشروع حقل شمال الرميلة والتهيأة للانتاج في الوقت الذي كانت تجابه باعتراضات من شركات النفط الاحتكارية ولم يكن للشركة أن تعتمد على شركة نفط البصرة في عمليات نقل وتصدير النفط المنتج وطنياً ، ولهذا تم تصميم وتنفيذ المشروع بشكل مستقل بالكامل عن كافة منشآت وأجهزة شركة نفط البصرة التي وجدت نفسها مضطرة للاستغناء عن ارصفة الفاو الخشبية التي كانت قد تخلت عنها لصالح استخدام ميناء خور العمية في أعالي الخليج العربي .

وعليه وبالتزامن مع منهاج تنفيذ المشروع عملت شركة النفط الوطنية بالتعاقد مع جهات اسبانية وبتدخل مباشر من (الجنرال فرانكو) آنذاك لتجهيز العراق بسبع ناقلات نفط متوسطة الحجم تبلغ طاقة كل منها نحو 35 الف طن ، وبوشر باستلامها قبيل تشغيل المشروع وتم تحميل أول ناقلة أطلق عليها اسم الرميلة من النفط المنتج وطنياً في 7 نيسان سنة 1972م وقررت القيادة السياسية في حينيه اعتبار هذه الشحنة هدية من العراق الى اسبانيا ....في خطوة ذكية من اجل ضمان وصول أول شحنة من النفط العراق الى اوروبا بدون اعتراض شركات النفط الاحتكارية التي اعتبرت نفط شمال الرميلة نفطاً مسروقاً وسعت لمنع العراق من انتاجه وتسويقه .

ثالثاً : قرار تأميم النفط في 1 حزيران 1972

تولت لجنة عليا باشراف صدام حسين مسؤولية ادارة المفاوضات مع شركات النفط الاحتكارية في حين تولت وزارة النفط بقيادة كل من مرتضى- سعيد عبد الباقي الحديثي وزير الخارجية والدكتور سعدون حمادي وزير النفط التفاوض المباشر مع وفد الشركات .

لم تكن شركة النفط الوطنية مسؤولة عن ذلك الجانب بل كانت كوادرها تعمل باشراف وزارة النفط ... وعندما صدر قرار التأميم في 1 حزيران كان الوفد العراقي الى اعمال مؤتمر الطاقة العربي في الجزائر برئاسة المهندس عدنان القصاب ....

رابعاً : مشاريع خطوط الانابيب الستراتيجية

وخلال نفس الفترة استمرت اجهزة شركة النفط الوطنية بشكل مباشر وبالاستعانة مع استشاريين أجانب الاعداد لمشروعين اساسيين هما :

مد خط انابيب عبر تركيا من اجل توفير منفذ اضافي على البحر المتوسط ، وصادف وجود وفد نفطي من الشركة في تركيا مكون من عصام الجلبي ورمزي سلمان حيث تم التوقيع على الاتفاق الاولي لمبادئ انشاء خط الانابيب العراقي التركي .

كما اعدت الشركة دراسة انشاء خط نقل النفط من البصرة الى البحر الابيض المتوسط والذي تم بعد صدور قرار التأميم إعادة النظر باهدافه واطلق عليه تسمية الخط الستراتيجي ليمتد من حديثة وصولاً الى الفاو مع انشاء ميناء عميق الذي تم تسميته لاحقاً بميناء البكر ، وصمم الخط على اساس امكانية نقل النفط بالاتجاهين شمالاً وجنوباً .... وبالفعل تم انجاز الخط الستراتيجي وميناء البكر في سنة 1975م .

خامساً : الهيكل التنظيمي

تم خلال ادارة السيد القصاب تعزيز الهيكل التنظيمي ورعاية كوادره الفنية والادارية وبشكل خاص ما يتعلق ب (مؤسسة نفط الجنوب في البصرة) التي كانت تعمل بتحد واضح لشركة نفط البصرة التي كانت تتعارض مصالحها ولغاية تأميم تلك الشركة خلال الفترة من 1973–1975م ....

وفي الاول من حزيران 1972م تم تأميم عمليات شركة نفط العراق IPC وحلت محلها شركة العمليات النفطية التي ألحقت فيما بعد بشركة النفط الوطنية العراقية ، كما تم استحداث شركة ناقلات النفط العراقية لغرض ادارة ناقلات النفط وتهيأة الكوادر البحرية وتدريبها ، وفي اوائل عام 1972م استحدث قسم التسويق النفطي ضمن هيكل الشركة وبادارة الدكتور رمزي سلمان الذي استمر لاحقاً بادارة مؤسسة تسويق النفط SOMO ولغاية عام 1991م .

انجازات وبدايات لمشاريع تحققت خلال فترة سنة امضاها القصاب في ادارة شركة النفط الوطنية لم تكن طويلة ولكن كانت كافية لترك بصماتها .

تصميم فكرة تمثال

خالد الرحال

5 / 8 / 1972 م روما

(سكنر)

الاستاذ عدنان القصاب المحترم

تحية طيبة

أهدي اليكم أجمل التحيات ، راجياً الله ان يجعلكم في كمال الصحة والسعادة ...

ارسل اليكم بطي هذه الرسالة وكما وعدتكم سابقاً في روما عن المشروع الذي استوحيته من تأميم شركات النفط الاحتكارية ، وهذا المشروع كما هو واضح في الصورة يمثل عائلة عربية كاملة تعيش في خيرات هذا الوطن .

فالمرأة ترمز الى الخصب ، حيث رفعت يديها واحدة تحمل علامة النصر المتمثل بالصقر والثانية تحمل إناء يمثل ينبوع الخير والبركة في دجلة والفرات ، وفيه ايضاً ابراج النفط والخزانات التي اصبحت اليوم ملك شعبنا العظيم ، وبجنب المرأة طفلة تشرب الماء العذب وتأكل الخيرات ، وكذلك الطفل وقد حمل على رأسة كل خيرات وطني ، وأما الرجل فانه يمثل الرجل العربي وبيده مشاريع المستقبل ، وخلف هذه العائلة توجد بساتين النخيل والاشجار المثمرة وجبال العراق والثورة الزراعية في بلدنا .

وأما الحصان فانه يمثل المسيرة الكبرى للمستقبل الأفضل ، وأما الثور فانه يمثل القوة والخصب عند العراقيين القدماء .

هذا ولكم كل تقديري ، وعسى ان تسعوا الى تحقيق هذه الفكرة بالحجم الكبير من البروز .

المخلص خالد الرحال

ملاحظة : الرسالة نقلت نصاً كما جاءت في اصلها .

السفر إلى اليابان والهند

بعد تأميم النفط في 1 حزيران عام 1972 من الشركات الاحتكارية احتاج العراق إلى بناء موانى لتصدير نفطه إلى مختلف دول العالم وعندما كان القصاب رئيسا لشركة النفط الوطنية عام 1972 وحيث له الدعوة من الهند واليابان وكذلك لزوجته السيدة مآرب فسافر المهندس القصاب برفقة مدير التسويق في الشركة رمزي سلمان ورئيس المهندسين طارق العمري لغرض التفاوض مع الجانب الهندي والياباني لتمويل وبناء ميناء البكر العميق.

وكانت البداية في الهند حيث زار القصاب نيودلهي والتقي العديد من رجالات السياسة فيها وتلقي دعوه خاصة من رئيس الوزراء الهندي. وتمت المقابلة معه وكانت ناجحة ومثمرة علي المستويات كافة وبعد الانتهاء من الزيارة الرسمية قام السفير العراقي في نيودلهي بمرافقته القصاب وزوجته والوفد المرافقين لها للاطلاع علي الآثار التي تزجر بها الهند وكان علي رأس تلك الآثار المهمة وهي زيارة قصر تاج محل.

وتاج محل هو قصر التاج ولم تعرف لحد الآن أصل تسمية القصر بتاج محل وذلك لآن المؤرخين في عهد الشاه كانوا يطلقون عليه روزا (ممتاز محل) أي ضريح ممتاز محل. وبعدها شاع اسم تاج محل وترجمه علي أنه قصر التاج أو تاج القصر.

ويعتبر تاج محل من أعجب عجائب الدنيا بل ويعتبرها بعض الباحثين الغربيين تحفه معماريه لم يولد لها مثيل حتى الآن ولا عجب في ذلك فتاج محل أجمل صرح بناه المغول خلال فتره حكمهم للهند.

زيارة اليابان

بعد زيارة الهند ولقاء مسؤوليتها وزيارة الأماكن الأثرية الجميلة فيها سافر القصاب وزوجته مآرب والوفد المرافق لهم إلي اليابان لنفس الغرض وتم خلال الزيارة التفاوض مع الجانب الياباني لتمويل وبناء ميناء البكر العميق وبالفعل تم ذلك ووافق الجانب الياباني علي طلب المهندس عدنان القصاب وأبرم الاتفاق ووقعه عن الجانب العراقي المهندس عدنان القصاب رئيس شركة النفط الوطنية العراقية مع مجموعة من الشركات اليابانية المختصة وكان باستقبال وضيافة القصاب وزوجته سفير العراق في طوكيو جاسم العزاوي.

وبعد الانتهاء من توقيع العقود وإبرام الاتفاقيات قرر القصاب وزوجته الاطلاع علي المعالم الأثرية والعمرانية والطبيعية في اليابان وكانت أكثر الأماكن التي أثارتهم هو جبل فوجي ياما أعلى قمة جبل في اليابان ويبلغ ارتفاعه 3776 متر ويمكن أن ترى الجبل في الأجواء المشمسة من العاصمة طوكيو ونظرا لموقعه الاستراتيجي وبعده عن الأماكن الحضرية قام اليابانيون بإنشاء مرصد فضائي في أعلى قمة الجبل ، ويعتبره اليابانيون جبلاً مقدساً منذ القدم كان يحظر على النساء الاقتراب منه، ورفع هذا الحظر أثناء فتره ميجى وأصبح اليوم الجبل مكاناً مفضلاً للسياح وهواة التسلق من مختلف أنحاء العالم ويعتبر أحد أبرز المعالم الجغرافية وتحيط به خمس بحيرات ويقع إلي الغرب من شاطئ هوشتسو على المحيط الهادي.

وكانت محطتهم التالية في بلاد العجائب بكل شيء وما أثار فضولهم واستغرابهم فهي فتيات الجيشا اللواتي كنا يعشنا في قصور الملوك وعندما يقيم الأمير أو الرجل الغني حفله غداء أو عشاء يدعو فتيات البيت. ولكن بعد ذلك انتقلت فتيات للعمل في بيوت الشاي وهو أشبه بالمقهى حيث توجد الحياة الاجتماعية في اليابان.

وترتدي الفتيات الكيمونو وهو ثوب اسود يعد الزي التقليدي في اليابان مع وشاح مقصب وتغطي وجهها بمساحيق الزينة بيضاء اللون تلمسه الحمرة فوق العينين. وهنا يمارس بعض الطقوس والتقاليد مثل:

- الانحناء المهذبة ، ارتداء الكيمونو، الحديث بلكنة هادئة التدريب على الرقص، والغناء، المراسم التقليدية لتقديم الشاي مع الموسيقى ويستمر اليوم بالحفلات،

أما الشيء الآخر المهم الذي أثار القصاب وزوجته السيدة مأرب فهي شجرة (الساكورا) وهي رمز من رموز اليابان وهذه الشجرة تتفتح أوراق الكرز فيها فيها في فصل الربيع فقط.

قصر الأمبراطور: وهو مقر الإقامة الرسمي لامبراطور اليابان ويقع في حي تشيودا بطوكيو بالقرب من محطة طوكيو ويتكون من مجموعة من الحدائق والمباني كالقصر الرئيسي والمنازل الشخصية للعائلة الإمبراطورية وتبلغ مساحة القصر 7.41 كم.

الدخول إلى القصر ممنوع لكن أبواب الأسوار الخارجية تفتح للجميع في يوم 23 ديسمبر حيث يقام احتفال في عام النصر الإمبراطوري حيث تفتح أبواب القصر للعامة للدخول إلى أقسام مبنى الحديقة ويظهر الإمبراطور مع الامبراطورة وبعض أفراد العائلة الإمبراطورية لإلقاء التحية على الوافدين من على شرفة القصر الإمبراطوري المحمية بزجاج مضاد للرصاص من أجل شكر الوافدين على حضورهم.

والمعلم الأخير الذي هو برج طوكيو "طوكيو ثاو" وهو عبارة عن برج اتصالات يقع في حديقة شيبا في حي فيناتو. ويبلغ ارتفاع برج طوكيو 332.5م. وهو مطلي باللونين البرتقالي والأبيض ويعتبر أطول بناء فولاذي في العالم وترتيبه ضمن 20 أطول برج في العالم تم بناؤه عام 1958 يشبه إلى حد كبير برج إيفل في بنيته و يستخدم في البث الإذاعي و التليفزيوني و شبكات هيئة الإذاعة اليابانية ، ويعتبر مزارًا لأعداد كبيرة من السياح يوميًا و ملحق به مباني في أسفله مبني مكون من أربع طوابق وتحته الكثير من المحلات والمناطق وللبرج حالتين للمراقبة- وميزة البرج أنه مبني من الفولاذ المأخوذ من مواد الدبابات الأمريكية المدمرة في الحرب الكورية. والبرج مصمم لأن يصمد أمام أي زلزال وهو أطول من برج إيفل ب13 متر وبعد أن انتهت رحلة العرض الناجحة جداً وحققت غايتها لكنهم استمتعوا بهذا الخزين الكبير من المعلومات عن اليابان وأهلها وعاداتها وصفاتها وتطورها وآثارها والأهم من ذلك يتمتعوا بجوها المعتدل اللطيف.

أمر إنهاء خدمات القصاب من رئاسة شركة النفط الوطنية

رغم حداثة استلامه لرئاسة شركة النفط الوطنية وعمله من اجل النهوض بالشركة واستثمار موارد البلاد والوقوف ضد الاحتكارات الاجنبية وبعد تجاوز كل الصعاب قبل وبعد التأميم ، استلم المهندس عدنان القصاب كتاب إنهاء علاقته برئاسة الشركة والمغادرة فوراً صادر من لجنة المتابعة لشؤون النفط وتنفيذ الاتفاقيات التي كان يرأسها صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة دون ان يعرف القصاب سبب ذلك القرار المفاجي .

صورة رقم 65

القصاب مع وزير النفط الاماراتي مانع سعيد العتيبه خلال مؤتمر وزراء النفط العرب في بغداد

صورة رقم 66

القصاب مع وزير النفط العراقي سعدون حمادي ووزير النفط الاماراتي مانع العتيبه

صورة رقم 67

القصاب مع وزير الدفاع صالح مهدي عماش والوفد الروسي النفطي ووزير التخطيط

صورة رقم 68

القصاب في استقبال الوفد الروسي النفطي بحضور وزير النفط العراقي سعدون حمادي

صورة رقم 69

القصاب مع الوفد الالماني الشرقي

صورة رقم 70

القصاب والرئيس احمد حسن البكر في معهد التدريب النفطي

صورة 71

صورة رقم 72

القصاب اثناء استقبال نائب رئيس الجمهورية صدام حسين وظيفه رئيس الوزراء الروسي كوسجين والوفد المرافق له

صورة رقم 73

القصاب مع نائب رئيس مجلس قيادة الثورة صدام حسين ورئيس الوزراء الروسي كوسجين أثناء حفل افتتاح مشروع الرميلة النفطي

صورة رقم 74

القصاب مع صدام حسين رئيس الهيئة العليا لمتابعة شؤون النفط

صورة رقم 75

صدام حسين يلقي كلمة افتتاح مشروع الرميلة النفطي

صورة رقم 76

القصاب يلقي كلمة افتتاح مشروع الرميلة النفطي كرئيس لشركة النفط الوطنية العراقية

صورة رقم 77

القصاب مع رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي كوسجين اثناء افتتاح مشروع الرميلة النفطي

صورة رقم 78

القصاب والوفد المرافق له مع وزير النفط الهندي في نيودلهي

صورة رقم 79

القصاب مع زوجته في تاج محل أ – ب

صورة رقم 80

الوفد العراقي امام تاج محل

صورة رقم 81

القصاب مع رؤساء شركات نفط يابانية أ – ب – ج – د

صورة رقم 82

القصاب والوفد المرافق له في زيارة احدى الشركات في اليابان

صورة رقم 83

القصاب امام جبل فوجي في اليابان

صورة رقم 84

القصاب امام التلفريك المؤدي الى جبل فوجي في اليابان

صورة رقم 85

القصاب والوفد المرافق له اثناء المباحثات مع الجانب الياباني

القصاب رئيسا للشركة العامة للمقاولات الإنشائية

بعدما أن غادر القصاب رئاسة شركة النفط الوطنية بناءا على الأمر الصادر من لجنة المتابعة لشؤون النفط وتنفيذ الاتفاقيات التي يرأسها صدام حسين آنذاك وأثناء الاجتماع الحزبي مع طاهر العاني الذي كان يعمل في مكتب رئيس الجمهورية احمد حسن البكر قال له العاني بأن السيد رئيس الجمهورية يسأل إذا كانت لديك رغبة في تسلم ادارة الشركة العامة للمقاولات الانشائية ، فأجابه المهندس عدنان القصاب بأن السيد رئيس الجمهورية لو طلب مني العمل مدير ناحية في ابعد نقطة في شمال البلاد فجوابي سيكون الموافقة ، لكنني تعبت وأرغب في التفرغ الحزبي فقط .

وبعد سماع جواب القصاب دخل طاهر العاني على رئيس الجمهورية احمد حسن البكر وأبلغه بموافقة عدنان القصاب على التكليف ، فخرج احمد حسن البكر من مكتبه للسكرتارية وقال للقصاب بعد مصافحته بحرارة (لقد خلصتني من نار جهنم) لان هذه الشركة كانت من افشل الشركات منذ تأسيسها ، وكانت مصدر قلق لرئيس الجمهورية ، وبعد ذلك قام احمد حسن البكر بتسليم القصاب عدد من الدراسات التي أجريت حول الشركة من قبل مهندسين مختصين من بينها تقرير المهندس ساجد الأمين والمهندس محمد المخزومي والدكتور إحسان شيرزاد وبارك للقصاب بمنصبه الجديد .

خرج القصاب من مكتب السيد رئيس الجمهورية يحمل الدراسات حول الشركة وعاد إلى بيته وقرر الذهاب بسفره مع عائلته الى مصيف صلاح الدين بشمال البلاد ، وهناك قام بدراسة الملفات والاطلاع على مواطن الخلل فيها ، وبعد انتهاءه من دراستها وقضاء عدد من الايام مع عائلته في المصيف عاد الى بغداد وباشر بمهام عمله في الشركة العامة للمقاولات الإنشائية بتاريخ 20/ 9/ 1972م ، وقد تمتع القصاب بصلاحيات مفتوحة أثناء إدارته للشركة كون الشركة مرتبطة بشكل مباشر برئيس الجمهورية .

وبعد أن درس القصاب الملفات والتقارير التي زوده بها رئيس الجمهورية واطلع على النواحي الايجابية والسلبية ، وضع خطة إستراتيجية لتجاوز تلك المعوقات التي واجهت الشركة وصمم على النهوض بهذه الشركة العريقة التي وجد نفسه من خلالها كونه مهندس مدني ، وقرر لقاء العاملين بالشركة والسماع بشكل مباشر عن الأسباب التي أدت إلى تأخر تنفيذ الشركة للمهام التي أوكلت لها ، وبعد ذلك ومع خبرته وعمله الدؤوب وإطلاعه على كل صغيرة وكبيرة في الشركة والمتابعة المستمرة كان له شرف النهوض بها ، حيث كان إيمان القصاب عميقا بعدم وجود مشكلة مستعصية الحل وان الإنسان قادر على ان يشحذ طاقاته ومنهجه لحل كل المشاكل ، وقد كان حبه للعمل الجماعي واضح وملموس مما ترك أثرا طيبا على جميع منتسبي الشركة التي أمضى بها ثماني سنوات لم يشعر خلالها بالكلل أو الملل وكان محبوبا من منتسبي الشركة صغيرهم قبل كبيرهم ، لأنه جعل من الشركة مدرسة لهم يتعلمون منها ويضيفون لها .

لقد أولى القصاب للكادر أهمية كبرى حيث أدخل أسس جديدة في كيفية البحث عن الكادر الجيد القادر قد على إدارة العمل والتفاعل لمواكبة حركة التطور وتحمل المسؤولية للنهوض بالشركة الى الأمام .

بذل كل جهوده لتشييد سايلوات الحبوب في القطر وأطلق على أحد هذه السايلوات العملاقة اسم سايلو التحدي ، حيث أكد أحد المسؤولين والمتابعين للعمل بأن هذا المشروع سيفشل ، لكن كادر شركة المقاولات الإنشائية أصر على إكمالها وفق المواصفات العالمية ، وقد تم ذلك بالفعل ونال إعجاب الجميع بما فيهم هؤلاء المسؤولين .

لقد كان القصاب يواكب أي عمل سواء على مختلف الأصعدة سواء كان ذلك شارعا او بناية أو منشأة منذ وضع حجر الأساس الى أن ينجز العمل وفي كل الأوقات في الصباح والمساء وحتى في الليل ، لغرض التأكد من سير العمل بالشكا اللائق والمطلوب وحسب ما يريد .

وفيما يأتي بعضا مما قيل بحق المهندس عدنان القصاب من قبل بعض زملاءه من المهندسين والإداريين وغيرهم :

عدنان القصاب ..شكرا لك ،ولن أنسى فضلك بعد الله

بقلم المهندس سنان عبد الملك رشيد

علم من الأعلام الذين جاد بهم الزمن على عراقنا الحبيب وأحد الأعمدة الرئيسة التي قامت عليها نهضة كبيرة وشاملة كانت البداية لانطلاق ثورة البناء والإعمار ، قدر الله لي أن أنهل من علمه وخلقه وخبرته وتجاربه وإخلاصه وحرصه وتفانيه ، كما اعتز وأتشرف به ، كان بالنسبة لي قائداً معلماً ناصحاً أميناً

تعرفت على القصاب أواخر عام 1972م ، حينها كان يرأس الشركة العامة للمقاولات الإنشائية ذلك الجهاز الهندسي العملاق المتكامل ، وقد أدركت منذ أول لقاء لي معه أني أمام رجل اجتمعت فيه صفات القيادة بكل معانيها في آن واحد من طيبة وحزم وحرص وتسامح ، رجل يحرص كل الحرص ان يعطي الآخرين أفضل ما لديه من خبرة وعلم ، يمزج ذلك كله بحب عميق لبلده العراق ، رجل يعرف ما يريد وكيف يصل الى أفضل بذل وعطاء يقدمه لوطنه وأهله .

لم يكن يحابي أحد على أحد ، كل العاملين أمامه سواء ، لايفاضل بينهم إلا بمقدار الإخلاص والتفاني في القيام بالواجب ، لم ينس ان مبدأ الثواب مرافق لمبدأ العقاب ، وكثيراً ما كان يعفو ويصفح عن المخطئ والمقصر ويأخذ بيده ليشعره بالانتماء الى هذا التشكيل الكبير ، الأسرة الواحدة التي اسمها (الشركة العامة للمقاولات الإنشائية) .

كان القصاب حريصاً على ان لا يفقد أحداً من العاملين فيها ، يتفقد كل صغيرة وكبيرة بالعمل ، غير غافل عن القيم والروح الإنسانية في تعامله مع الآخرين ، يشاركهم أفراحهم وأحزانهم ولا يتردد في التدخل لحل مشاكلهم حين يلجئون إليه يشعرهم بأنه واحد منهم ، فهو خليط تمتزج فيه العاطفة بالعقل قلما وجدته مجتمعاً في من عرفتهم .

وهو بحق مدرسة في علوم الهندسة والتعامل والأخلاق والشجاعة في اتخاذ القرار ، غير مبال بالعواقب ما دام يرى ان في هذا القرار إنصافاً وتحقيقاً لمصلحة إنسانية دون إفراط أو تفريط أو مجافاة للواقع ، ولئن كان القلم عاجزاً ان يفي هذا الرجل حقه من التقييم والعرفان بفضله ودوره في النهضة التي شهدها العراق في إنشاء البنية الأساسية والتقدم في مجال الإنشاء والهندسة والنهضة العمرانية والصناعية التي تظهر آثارها واضحة جلية أينما جلت في أرجاء العراق شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً في المشاريع الإستراتيجية والحيوية التي ترى بصمات قيادته وإدارته لفريق العمل واضحة فيها ، سواء كان ذلك في شبكة الطرق الممتدة طولاً وعرضاً أو المشاريع الصناعية والإستراتيجية أو المباني العامة ، فليس من الصعب تأشير أبرز ما في تلك الانجازات والدروس التي تركها لدى مجتمعه ووطنه وأهله .

فلم يكن اختلاف الدين أو المبدأ أو العرق أو الطائفة ليشكل لديه أي فرق في التعامل مع الآخرين ، كان معيار التقييم الوحيد لديه هو الاخلاص والحرص على العمل ، يحب الجميع ويحترم الجميع ، لذا كان الجهاز الفني والاداري للشركة مزيجاً متنوعاً في العادات والثقافات والميول والاتجاهات يجمعهم رابط واحد هو تقديم أفضل خدمة لهذا البلد ، وولاء منقطع النظير الى المؤسسة التي يعملون فيها فالجميع يشعر انه جزء لا يتجزء منها .

وبعد ان كانت مشاريع السايلوات والجسور والركائز والخرسانة الجاهزة والمسبقة والقوالب الحديدية والقوالب المنزلقة وغيرها من ركائز البنية التحتية الأساسية حكراً على الشركات الأجنبية أصبح كل ذلك بمتناول الأيدي العراقية الوطنية ، كل ذلك بفضل إصرار هذا الرجل وروح التحدي لديه على تمكين العراقيين من إدارتها وانجازها وقد تحقق له ذلك بالفعل ، حيث عد جيلاً من المهندسين الكفوئين الذين يشهد لهم القاصي والداني في الدقة والمهارة وترك بذلك بصمته واضحة في أداء المهندسين والفنيين والإداريين الذين عملوا معه أينما توجهوا للعمل سواء كان داخل العراق او خارجه .

كان للقصاب الأثر الكبير في إدخال النظم الهندسية الحديثة الى القطر لم يسبقه في ذلك احد من المسؤولين ، فشكل بذلك نقلة نوعية في مجال الهندسة علماً وفناً ، فهو طراز يصعب أن يتكرر مرة أخرى .

عدنان القصاب ....

شكراً لك ، ولن أنسى فضلك بعد الله تعالى ، وأسأل الله العلي القدير أن يحفظك ويبقيك لنا أخاً كريماً جليلاً ، كان ولا يزال مثلاً رفيعاً في الأمانة والشرف والشجاعة والصدق والإيثار والتفاني في حب الوطن وخدمة الناس .

علمني الكثير الكثير في العمل وكيفية القيادة

بقلم محسن فاهم الفرهود

بدء العمل في الشركة العامة للمقاولات الإنشائية في سنة 1969م ، وكان لي الشرف أن أكون من أوائل العاملين فيها ، وكانت بدايات العمل بسيطة حتى طرق العمل والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية كانت ليس بالأمر الواضح سيما وان العمل اعتمد على قدرات الآخرين وليس بالقدرات الذاتية ، وبذلك تعثر العمل في بداياته وتدخلت الأمور الشخصية والمنفعية حتى وصلت الى التأثير على سير الأعمال في المشاريع كافة ، وهذا عكس ما أريد للشركة ان تكون تجربة رائدة في البناء الاشتراكي للبلد في بدايات السبعينات من القرن العشرين .

كان عدد العاملين محدوداً جداً وكذلك عدد المشاريع ، وقد لعب قانون تأسيس الشركة ونظامها الداخلي في بداية تشكيلها الدور السلبي والعائق أمام تقدمها ، وكان لي الشرف أن عملت في القسم الإداري للشركة في ذاتية الأفراد وشؤون العاملين .

أقول للحقيقة والتاريخ بأن التغيير النوعي في عمل الشركة ورسم السياسة العامة لها ووضع علاقات العمل الجيدة قد بدأ عند تولي الاستاذ المهندس عدنان القصاب العمل في قيادة الشركة ، فقد أدخل أسساً جديدة في كيفية البحث عن الكادر الجيد والقادر على ادارة العمل في الشركة بعد أن وضعت السياسات الجيدة لتقدمها ، وكانت عنصر جذب للكوادر الجيدة وعنصراً طارداً للذين ليست لديهم القدرة على التفاعل مع عملها ومواكبة حركة التطور فيها ووجود تحمل المسؤولية الأكبر .

وعند الانتهاء من قانون الشركة ونظامها الداخلي الذي أسهم في دفع مسيرة العمل نحو الأمام وجعلها قادرة على تنفيذ مئات المشاريع في القطر ، حيث غطى عمل تلك المشاريع كل المحافظات ، وقد ارتفع عدد العاملين فيها الى نحو مئة ألف منتسب في بداية سنة 1980م ، وكان عدد العاملين العرب والأجانب يزيد عن ثلاثين ألف منتسب معظمهم كوادر هندسية وفنية وإدارية .

وللحقيقة أقول بأن الشركة العامة للمقاولات الإنشائية كانت الرائدة في تسيير نقل العمالة العربية إلى القطر ، وكنت ترى العامل المصري والتونسي والفلسطيني والسوري يعملون جنباً إلى جنب مع إخوانهم العمال العراقيين ، وقد حظيت الشركة بمحبة وتقدير هذه العمالة العربية ، إضافة لذلك كان هناك عمال وكوادر أجنبية باكستانية ، هندية ، بنغلادشية ، يونانية ، يوغسلافية وغيرها .

اضافة الى ذلك قامت الشركة في مجال عمل الإدارة والنظم الإدارية والمالية بتوجيه مباشر من رئيس الشركة الأستاذ المهندس عدنان القصاب ومنها :

1 – الاهتمام بالعاملين وصحتهم من خلال إنشاء مطاعم في داخل المشاريع ومقر الشركة لتقديم وجبات الطعام للعاملين بشكل متساوي دون تمييز بين العاملين وخاصة في المشاريع النائية ، مما كان له الأثر الأكبر في استقرار العمالة في تلك المناطق ، وهذا بالطبع أسهم في زيادة الإنتاجية في حينه .

2 – نظام نقل العاملين الى مواقع عملهم وبالعكس ، وتم استيراد عجلات حديثة لهذا الغرض ، وكان ذلك محط إعجاب العاملين والعراقيين جميعاً .

3 – وضع أنظمة للحوافز والمكافآت ، مما كان له الأثر الكبير في زيادة الإنتاج وتحسين نوعيته وجعل الشركة محط تقدير وإعجاب ورغبة الآخرين للعمل فيها.

4 – كانت الشركة من أوائل الذين عملوا على ربط الأجور بالإنتاجية ، وذلك من خلال سعيها لإصدار قانون تحديد أجور العمال في قطاع البناء والتشييد .

5 – قامت الشركة بتأسيس مدرسة إنشائية تقوم بتعليم الصغار وخلق كوادر في مهن كادت ان تندثر ، ولغرض الحفاظ على تراث البناء كانت هذه المدرسة تدرس بناء القباب والمنارات والأقواس وغيرها من إعمال البناء التراثية .

6 – تميز العمل في الشركة بفضل قائد مسيرتها آنذاك الأستاذ المهندس عدنان القصاب من خلال خلق علاقات عمل جيدة جعلت كل منتسب يشعر بالفخر والاعتزاز لانتمائه الى الشركة .....

7 – سعت الإدارة العليا للشركة ممثلة بالأستاذ المهندس عدنان القصاب الى إيجاد السكن المناسب والملائم للعاملين في بغداد ومن ثم تم تعميمها الى المحافظات .

هذه بعض من الأنشطة التي كانت سائدة في عمل الشركة إلا ان الحالة لا تسمح لي بالتوسع في الكلام عنها ، علماً اني أتكلم الآن عن العمل في الشركة قبل خمسة وثلاثين سنة وما زالت ذكراها حاضرة ، ومازلت أتشرف ان أكون اصغر عامل يعمل مع الأستاذ المهندس عدنان القصاب ، لأنه علمني الكثير الكثير في العمل وكيفية القيادة ، مما كان له الأثر الكبير في حياتي .

النزر اليسير من مواقف كنت شاهدا عليها

بقلم المهندس طلال أحمد مرعي

بمجرد أن أبدأ بالتفكير في الكتابة عن شخصية فذة كشخصية معلمنا وأستاذنا عدنان القصاب أجد نفسي أمام فيض من المواقف التي تتمثل فيها قيم الرجولة من شهامة ونخوة وإيثار ونزاهة وتقديم العام على الخاص مما يضعني في موقف الحائر وأنا أسأل نفسي من أين أبدأ ، وهذا ما كان حالي عليه للأسابيع الثلاثة التي سبقت الكتابة .

أعلم إن علي أن أختصر ، ولكن وأنا الذي لم اكتب في حياتي إلا في الأمور المتعلقة بعملي وبعض الرسائل الشخصية أجدني وكأن في وسعي أن أسطر كتاباً عن سيرة هذا المعلم الفريد ، أقول معلم لأنه أكثر شخص عاصرته أثر في نفسي وتعلمت منه بعد والدي رحمه الله ، ويشرفني أن يكون معلمي وأنا تلميذه .

عرفته أول مرة سنة 1974م وانتهت علاقتي الوظيفية به سنة 1980م ، لكن العلاقة الإنسانية مستمرة منذ ذلك التاريخ وليومنا هذا ، ليس بالنسبة لي فحسب بل بالنسبة لجمهور من زملائي ومدرائي الذين عملوا معه في نفس الفترة ، فهو يسأل عنا ويتقصى أخبارنا باستمرار ، ونحن بدورنا نفعل الشئ نفسه ، ففي لقاءاتنا واتصالاتنا ونحن موزعون في بلاد المهجر يكون أحد أول الأسئلة التي نتبادلها ، ما هي أخبار أستاذنا عدنان القصاب .

سأحاول وباختصار ان اذكر بعض المواقف التي تعكس للقارئ جانباً من جوانب هذه الشخصية ، ففي سنة 1976م أبلغت أنا وأكثر من ستين من العاملين في الشركة بأنه سيتم تكريمنا في احتفال صغير ، فذهبت الى مكان الاحتفال وأنا لا اعلم أكثر من ذلك ، حيث قام الأستاذ عدنان القصاب بالقاء كلمة أشاد بها بالحاضرين ثم قام بتسليم كل واحد مظروف يحتوي على 150 ديناراً ،

وكان من بين المكرمين رئيس لأحدى الهيئات وعدد من المهندسين والفنيين والمشرفين ،بعد ذلك بأيام علمت ان هذا المبلغ هو قيمة سيارة كان قد أهداها له رئيس الجمهورية احمد حسن البكر تطيباً لخاطره ، وذلك لعدم تلبية طلبه بتزويد مهندسي الشركة بسيارات يقومون بتسديد قيمتها بالتقسيط لتصبح ملكا لهم وفي نفس الوقت يستخدمونها لأغراض الشركة ، فقام المهندس عدنان ببيع السيارة المهداة له من رئيس الجمهورية ووزع المبلغ على من اعتقد انه يستحق التكريم ، إيثار ما بعده إيثار ، في زمن أصبح كثير من الناس لا يخجل بأنه يجاهر بقول اللهم نفسي .

في سنة 1977م وفي زيارة له للمشروع أخبرته عن مشكلة تسرب العاملين الفنيين الى القطاع الخاص ، وان مشاريعنا تحولت الى مراكز تدريب لمن يأتينا وهو لا يعرف شيئاً عن المهنة ولأن معظم هؤلاء من الشباب الذين حصلوا على تعليم أولي ، فبعد اشهر قليلة يحصلون على خبرة تمكنهم من العمل في القطاع الخاص بأضعاف الأجر في الشركة ، فكان جواب القصاب التالي : اسمع طلال هذا هو بالضبط دورنا ، نحن لا نقوم فقط بتنفيذ المشاريع ولكن تقع على عاتقنا مسؤولية رفع مستوى المقاولات في البلد كله ، فليكن ذلك جانباً من عملنا وهو تدريب ابناء البلد ، فهم سيعملون في بلدهم في نهاية الأمر ، كان ذلك درساً آخر في الوطنية والنظرة الأوسع للأمور .وفي سنة 1978م حصل لي خلاف مع المهندس المقيم للمشروع الذي كنت أديره وانتشر الخبر بسرعة في شركتنا وفي وزارة الإسكان والتعمير التي كان المهندس المقيم موظفاً فيها ، وبعد الحادث بأيام زارني في المشروع الأستاذ عدنان القصاب واخبرني بأن الموضوع قد وصل الى الوزير ، وكان ذلك الوزير في حينها أحد أعضاء القيادة البارزين والمتنفذين ، وان الطرفين اتفقا على ان تشكل لجنة مشتركة تنتهي بتوجيه عقوبة إدارية لي وللمهندس المقيم ، فسكت الأستاذ عدنان ولم ينطق ببنت شفة ، فإذا به يسألني لماذا لا تعلق على الموضوع ، فأجبته وهل مطلوب مني التعليق ، فقال لي طبعاً يجب ان اعرف رأيك ، فقلت له أستاذي انت خير من يعلم اني في عملي الذي اعلم انك تقدره ، لم يكن هدفي يوماً الحصول على مكافئة أو حتى كتاب شكر ، ولكن بعد كل هذا ينتهي بي الأمر وفي ملفي الشخصي عقوبة إدارية ، فوا الله هذه كبيرة علي ولا اعتقد إنني سأتمكن من التعايش مع وضع كهذا ، فما كان منه إلا ان جلس أمامي وهو يفتل بشاربه وقد بدت عليه الجدية ، وبعد دقائق تركني وخرج ، بقيت بعدها انتظر تبليغي بالحضور امام اللجنة المشتركة ، لكن ذلك لم يحصل أبداً ، ولم اعلم ما حصل ، كما اني لم أكلف نفسي العناء لمتابعة الموضوع ، وكان يمكن ان لا اعرف ما الذي حصل حتى كتابة هذه السطور .

وفي سنة 1983م أي بعد خمس سنوات من الحادث أخبرني أخي العزيز امجد الدوري وكان في تصوره إني على اطلاع بما جرى ، ان الأستاذ عدنان القصاب دخل على مكتب مدير عام المباني العامة في وزارة الإسكان والتعمير وقال له لن يعاقب المهندس طلال وإذا كنتم مصرين على ذلك فابحثوا عن مقاول يكمل المشروع ويجب ان تخبروني لكي أوعز للشاحنات لنقل معدات الشركة خارج المشروع وسيشرف المهندس طلال بنفسه على ذلك ويخرج مع آخر شاحنة من المشروع ، وبذلك ألغيت العقوبة ، حينئذ فقط عرفت كيف تمت تسوية الموضوع من قبل الأستاذ القصاب وهو موقف رجولي ، تصور انه لا يحملك حتى منة أخبارك بما فعله من أجلك .

أخيراً أقول ، حفظ الله أبا رزان وأمد في عمره ، فقد كان وسيبقى أستاذنا ومعلمنا الذي نفخر بأن القدر أتاح لنا ان نعمل معه في مسيرته في الشركة العامة للمقاولات الإنشائية التي مع كل الأسف لم تنصف ولم تعط حقها ، إلا إن القليل من المنصفين والمعنيين بقطاع المقاولات يعلمون كم كان دور هذه الشركة رائداً وكبيراً في تطوير قطاع المقاولات في العراق خلال الفترة التي أدارها أستاذنا ومعلمنا المهندس عدنان القصاب .

مهما كتبت فإني لا أستطيع أن أفي أستاذي حقه

بقلم غسان رضوان

كان أول لقاء لي ومعرفتي بأخي الكبير وأستاذي العزيز أبو رزان في أواخر سنة 1956م ، بعد العدوان الثلاثي على الشقيقة مصر ، حيث كان في الصف الثالث كلية الهندسة جامعة بغداد ، وكنت أنا في الصف الأول منها ، لمست فيه حينها الدور القيادي المتميز بين طلبة الكلية بعد تلك الأحداث ، ولم أكن على قرب منه حيث كان في الصفوف المتقدمة من الكلية .

وفي أواخر السبعينات من القرن العشرين التقينا لمرات عديدة لأمور تتعلق بالعمل الهندسي وتنفيذ المشاريع عندما كان القصاب يشغل في حينها منصب رئيس الشركة العامة للمقاولات وكنت أنا مديراً عاماً للأشغال ثم رئيساً للمؤسسة العامة للمباني ، وفي ذلك الوقت قامت الشركة بتنفيذ عدد من المشاريع لصالح مؤسسة المباني ، حيث توثقت علاقتي المهنية بأستاذي ، وكان من أروع القياديين في نطاق العمل المهني وتنفيذ المشاريع .

سافرت مع الأستاذ القصاب الى خارج القطر لأكثر من مرة ، وكانت من أجملها سفرة فنلندا ، التي تمت بدعوة من الشركة الفنلندية التي شاركت الشركة العامة للمقاولات بتنفيذ عدد من المشاريع في العراق ، حيث كنت مع الأستاذ القصاب وعدد من الزملاء منهم (المهندس عدنان عبود والمهندس عبد الاحد عبودي وانا) ، وبقينا ليلة في مدينة إيفالو شمال فنلندا ، وهي مدينة لا تغيب عنها الشمس ليلاً في ايام الصيف ، لقد كانت توجيهات القصاب وآرائه في الأمور الهندسية متميزة وسديدة ، حيث ادخل العديد من الأساليب الحديثة لتنفيذ المشاريع .

مع عدنان القصاب المدير والمربي والإنسان

بقلم علاء محسن القزاز

كان يوم 24/ 3/ 1977 الأول في عملي في الشركة العامة للمقاولات الإنشائية بعد تسريحي من الخدمة العسكرية وتعييني إلزامياً في هذه الشركة، أخبرني أحد الأصدقاء بأن الأستاذ عدنان القصاب اختار أسماء ممن يرغب في تعيينهم تحت إدارته.

أتذكر ذلك اليوم جيداً وباستمرار حيث كان لقائي الأول مع الأستاذ عدنان القصاب الذي طلبني للتداول في أمر ما، إلتقيته في مكتبه في مقر الشركة بمنطقة حافظ القاضي بعد الترحيب اتصل بعدنان الجبوري، رئيس هيئة المشاريع الخاصة وقال له حرفياً " أرسل لك أحد الشيوخ ليرافقك غداً إلى قاعدة الوحدة ، أخبر سنان للقائه في إحدى مقاهي الخالص وبعدها أوجزني المهمة ".

كان ذلك اليوم الأول في مسيرتي الوظيفية في الشركة العامة للمقاولات الإنشائية ولقائي الأول بهذا الرجل الأسطورة الذي صار رائد النهضة الحضارية في العراق.

بعد مباشرتي في الهيئة العامة لمشاريع الطرق والجسور والمطارات التي كان يديرها حينذاك الأستاذ الفاضل المرحوم عبد الرحمن رسول ، بدأت عملي مهندساً ووضعت برنامجاً لزيارة مواقع أعمال الهيئة كافة ، ولم أعرف بأن عدنان القصاب كان يتابع نشاطي عن كثب.

بعد فترة وجيزة صدر الأمر بتعييني رئيساً لهيئة الجسور وكان مكتبي في غرفة صغيرة في البناية المؤجرة لحساب الهيئة في منطقة الشورجة وكان يزاملني فيها كل من سنان عبد الملك رئيس هيئة الطرق وعقيل عبد المجيد الأنصاري رئيس هيئة السكك.

تكررت مقابلاتي بالأستاذ عدنان القصاب صحبة المدراء العاملين والزملاء وكنت في كل مقابلة ازداد معرفة بهذه الشخصية الفذة حيث التفاني والإخلاص للمهنة والالتزام العالي بالعلاقات المهنية.

رشحني الأستاذ عدنان القصاب بمرافقته وآخرين من مسئولي الشركة في زيارة للهند تلبية لدعوة وزير الصناعة الهندي العام 1978، كانت هذه فرصة نادرة لي لمعرفة المزيد عن جوانب شخصية الأستاذ عدنان القصاب حيث طلبني لمرافقته مترجماً فورياً من العربية إلى الإنجليزية في لقاءاته كافة، كنت لصيقاً به أترجم ما يقوله في الاجتماعات والمداولات الجانبية.

كان الأستاذ عدنان القصاب يعاني من مرض السكري وبالرغم من ذلك كان ذو أعصاب حادة جداً ويبدو متوتراً وكانت هذه الصفة لازمة له بالرغم من تأثيرها السلبي على مستويات السكر في الدم.

تعلمت من الأستاذ عدنان القصاب أن لا مشكلة دون حل وأن الإنسان المتعلم يجب أن يسخر منهجية تفكيره لتحليل أية مشكلة تصادفه وعندها يكون الحل ماثلاً أمامه، كانت قراراته جريئة وحاسمة وقاطعة والويل لمن لا يفهم حيثيات هذه القرارات.

زرع الأستاذ عدنان القصاب في نفوس منتسبي الشركة كافة على مختلف مستوياتهم الوظيفية حب العمل الجماعي حيث كنا نعمل كأسرة واحدة وبقينا هكذا لغاية الآن فعندما يضمنا مجلس نعيش تلك اللحظات السعيدة وكأنها في حاضرنا.

مهنياً، لم أسمع عن فشل أي من منتسبي الشركة إدارياً أو مالياً أو فنياً في حياته المهنية بل كان الجميع في أي موقع من مواقع المسئولية الحكومية وخارجها رائداً في عمله وتصرفاته مع الآخرين، لقد كانت الشركة العامة للمقاولات الإنشائية مدرسة يديرها الأستاذ عدنان القصاب كما كانت أسرة واحدة كبيرة تربط أفرادها علاقات الود والاحترام الدائم.

إلى أستاذ عدنان القصاب أقول:

أحمد الله على معرفتي بك وأشكرك جزيل الشكر على ما علمتني، وسأكون لك ممتناً ولن أتوانى عن خدمتك طول العمر ...

كلمة للتاريخ

بقلم المهندس مصطفى عبد الرحمن العبيدي

إلى الأستاذ المهندس عدنان القصاب :

عملت تحت إمرة الاستاذ المهندس عدنان القصاب رئيس الشركة العامة للمقاولات الإنشائية للفترة من(1973-1979) .. وبعده مواقع تنفيذية بصفه مدير مشروع .

وإذا كانت هناك كلمه تقال للتأريخ ..

فإنني أقول إن الأستاذ المهندس عدنان القصاب هو مدرسة نموذجية متميزة في الهندسة والبناء والإدارة .. تعلمنا منه روح المثابرة في العمل ، واحترام الوقت واستثمار وحب روح المهنة بإحترام وإبداع ، وتعلمنا منه فنون الإدارة في العمل في ظرف كان يحتاج ذلك ، ومواكبة التطور السريع للعلم والمعرفة ، والبحث والتحري عن أحداث المعدات في تكنولوجيا البناء والحصول عليها وإدخال الى العمل مما جعل الشركة العامة للمقاولات من الشركات العالمية المعروفة.

كان الأستاذ عدنان القصاب مهندسا مدنيا بارعا يدخل في تفاصيل العمل ويعرف حيثياته ، ولديه فراسة واضحة في معرفة كادره وتفهمهم ، كفاءة والتزاما وحبا للعمل ، وفي نفس الوقت كان إداريا حازما له مهابته الجلية من قبل مرؤوسيه رغم تعامله المستمر معهم بإنسانية عالية والاستيضاح عن مشاكلهم وحتى العائلية أحيانا والتدخل باتجاه المساعدة في حلها .

وخلاصة القول فإنني اعتبر الأستاذ عدنان القصاب هو أستاذ أول في الهندسة المدنية وولوج ساحات العمل ، تخرج من مدرسته المئات من المهندسين المتميزين الذين أبدعوا في مجالات البناء و الإعمار في عموم بلدنا العزيز....

وأخيرا نسال الله العزيز الحكيم أن يمد في الأستاذ عدنان القصاب وان يعزه ويوفقه انه نعم المولى.

علامات مضيئة في حياة القصاب

بقلم/ أمجد عبد الحميد الدوري

رئيس ديوان مجلس النواب

هناك رجال تركوا علامات مضيئة في تاريخ حياتهم السياسية والوظيفية والاجتماعية وبقيت هذه العلامات شاخصة تشير إلى دورهم الكبير في بناء الوطن وإعماره وبناء مؤسساته واختفوا من مسرح الحياة بسبب القرارات الجائرة والظالمة بحقهم وهم في أوج طاقاتهم وحماسهم وقدراتهم على مواصلة المسيرة وتحقيق أهدافهم وطموحاتهم إلى النهاية.

ومن هؤلاء الرجال المهندس عدنان القصاب رئيس الشركة العامة للمقاولات الإنشائية الذي كان علماً من أعلام السياسة والبناء والإعمار والذي استطاع أن يحدث ثورة في أساليب البناء والإدارة تبقى مسجلة في ذاكرة الذين عملوا معهم في تلك الفترة الرائدة.

وأنا أرى من واجبي ووفاءً لهذا الرجل أن استعرض ما قدمه للعراق من خلال توليه إدارة الشركة العامة للمقاولات الإنشائية التي كنت سكرتيراً لرئيس الشركة فيها وسكرتيراً لمجلس الإدارة ومن ثم مديراً للمكتب الخاص والتي تعد إحدى المؤسسات التنفيذية الهامة في تلك الفترة ومن خلال عملي هذا استذكر بعض الجوانب المهمة في شخصية هذا الرجل وهي كثيرة لا يمكن حصرها.

تسلم عدنان القصاب رئاسة الشركة عام 1972 بعد مرور ثلاث سنوات على تأسيسها، فقد أسست عام 1969 ومرت بظروف صعبة وعقبات كثيرة وتعثرت أعمالها لأسباب عدة منها أنها تعد تجربة جديدة في محاولة جريئة في دخول الدولة قطاع المقاولات في إطار مؤسسة رسمية هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن مثل هذا العمل يتطلب وجود عقليات ذات رؤية وبعد نظر لإدارة مثل هكذا مؤسسة وهذا ما كان يفتقر إليه مجلس إدارة الشركة آنذاك قبل مجيء عدنان القصاب ليتولى رئاسة الشركة، ليحدث التغيير الجذري في إدارتها وإعادة هيكليتها مجدداً وفق منظور جديد وأهداف طموحه كان همه الوحيد أن يحققها.

وبدأ في إصدار قانون خاص للشركة وهو القانون رقم 7 لسنة 1974 وتشكيل مجلس إدارتها من أعضاء غير متفرغين يمثلون وزارات الدولة التي لها علاقة بأعمال الشركة بعد أن كان مجلس إدارتها متفرغاً وأعطى القانون المذكور بعض الامتيازات للشركة والمرونة في أعمالها ومنها ارتباطها المباشر بديوان رئاسة الجمهورية وهذا بحد ذاته يعد امتيازاً ودعماً لها على أنها بقيت تعمل في إطار القوانين النافذة في الدولة لكونها مؤسسة حكومية وهذا لا يتماشى مع أعمال المقاولات التي تحتاج إلى مرونة كافية وقوانين خاصة لتسهيل الأعمال وأن سياسة الدولة آنذاك تميل إلى تقوية القطاع الحكومي وتنشيط أعماله دون أن تجد له القوانين الخاصة به التي تتلاءم مع النشاطات المختلفة.

استطاع عدنان القصاب بقوة شخصيته وخبرته وحنكته وجرأته المعهودة في اتخاذ القرارات الهامة والاستراتيجية أن يجعل من هذه المؤسسة مؤسسة قوية قادرة على تنفيذ المشاريع الكبرى والاستراتيجية وجعلها في مصاف الشركات العالمية في قطاع البناء والإنشاءات من خلال عدد من القرارات والإجراءات فقد أعاد هيكلية الشركة وتوزيع النشاطات والفعاليات حسب الاختصاصات واستحدث الهيئات المتخصصة وهي الهيئة المتخصصة لمشاريع المباني والمشاريع الصناعية المتخصصة لأعمال الركائز والأسس والهيئة المتخصصة للطرق والجسور والهيئة المتخصصة للأعمال الكهربائية والميكانيكية واختار لإدارتها المهندسين الأكفاء ومن ذوي الخبرة العالية دون النظر إلى انتماء الشخص السياسي أو القومي أو المذهبي وإنما كان اختياره الأكثر كفاءة ومهنية وانتماء وولاءً للشركة، وفي مرحلة لاحقة حول هذه الهيئات إلى مديريات عامة ومتخصصة واختار لها المديرين العامين من الكفاءات العالية والخبرة الواسعة والمهندسين الأكفاء وشكل في كل مديرية مجلس إدارة برئاسة المدير العام وكانت القرارات التي يتخذها المجلس شبه مستقلة.

وبذلك توسعت أعمال الشركة ودخلت في التزامات ومشاريع عملاقة وإستراتيجية في فترة قصيرة وبلغ ملاك منتسبيها من المهندسين والإداريين والفنيين بحدود 45-50 ألف منسب.

واستطاع عدنان القصاب بجرأته المعروفة أن يمكن هذه المديريات من الدخول في التزامات كبيرة وهيأ لها من الإمكانيات المادية والبشرية والآليات والمكائن من المناشئ العالمية المعروفة ما جعلها تتنافس مع كبرى الشركات العالمية المتخصصة وكان يحسب لها ألف حساب من الشركات التنافسية وهذا وحده مكسب كبير لقطاع البناء في العراق حققه عدنان القصاب.

من الأهداف الاستراتيجية التي كان عدنان القصاب يطمح لتحقيقها هي بناء القدرات لدى المهندس العراقي وكسر حاجز الخوف عنده في تنفيذ المشاريع الكبرى التي كانت حكراً على الشركات الأجنبية وأدخل مبدأ عقود المشاركة مع الشركات الأجنبية في تنفيذ الأعمال وليس الطريقة التي كانت سائدة آنذاك سيما في المجالات التخصصية كبناء الجسور والمنشآت الصناعية والجامعية والتي كانت تحال بعهده الشركات الأجنبية والاكتفاء بقيام الجهات العراقية بالإشراف والمراقبة فقط وبهذه الطريقة زج المهندس العراقي في صلب تنفيذ الأعمال وتحمل المسئولية ونقل التجربة وخبرات الشركات الأجنبية إلى الملاكات الهندسية العراقية وإكسابها الخبرات التخصصية الهندسية العالمية.

كما أنه حرص على نقل الخبرات والتقنيات الحديثة في البناء والإنشاءات باستيراد المعدات والمكائن التخصصية والتي لم تكن موجودة ومستخدمة في قطاع البناء وبهذا يكون له الفضل الكبير عل تنمية قدرات المهندسين العراقيين سيما العاملين في وزارة الإسكان والإعمار الآن والذين قادوا إدارة شركاتها فيما بعد بكفاءة عالية ومن خلالهم كان يهدف إلى بناء العراق بناءً قوياً صحيحاً متيناً.

شخصية عدنان القصاب:

كان عدنان القصاب يمتلك شخصية فريدة فهو يجمع ما بين الشدة والحزم والبساطة والتواضع فتراه تارة حاد المزاج ويغضب بسرعة إلا أنه يملك قلباً طيباً متسامحاً سرعان ما يتغير وتظهر (النكتة) على لسانه والبسمة على وجهه وينسى الأمر الذي أغضبه إلا أن هذه الحالة أفقدته الكثير من أصدقائه الذين لا يعرفونه جيداً سيما المسئولين منهم حيث كان يغضب للمصلحة العامة ومصلحة العمل وليس لأمور شخصية، والقريبون منه يعرفونه جيداً ولهذا الأمر استطاع أن يؤسس لحاله اجتماعية فريدة من نوعها في الشركة وهي شعور جميع منتسبيها أنهم ينتمون إلى (عائلة المقاولات) ويعتزون أنهم ينتمون لها وهذه هي سمات القائد الإداري الناجح.

ومن شخصيته أيضاً أنه يملك جرأة قل نظيرها ويتخذ قرارات لا يجرؤ الآخرون على اتخاذها من منطلق الثقة العالية بالنفس والنظرة الصائبة للمستقبل وبهذه الجرأة استطاع أن يبني هذه المؤسسة المهمة، اذكر على سبيل المثال أن إحدى الحالات التي اعتاد عدنان القصاب القيام بها هي أنه يدعو دون تردد رؤساء وممثلي الشركات الأجنبية الكبيرة التي كان لها حضور سنوي في معرض بغداد الدولي في بيته دون أن يكترث لمراقبة الجهات الأمنية الكثيفة آنذاك لثقته بنفسه ولا يوجد شئ يخفيه طالما أنه يعمل لمصلحة العراق وليس للمصلحة الشخصية واستطاع من خلال هذه اللقاءات والاجتماعات أن يبني الثقة العالية والصداقة مع رؤساء الشركات الأجنبية الكبيرة سيما المجهزة للمعدات والمكائن الثقيلة وبحيث أصبحت الشركة العامة للمقاولات بمثابة الوكيل العام لتلك الشركات العالمية في العراق وليس باستطاعة أية جهة سواء كانت حكومية أم أهلية شراء أية ماكنة أو معدة من تلك الشركات دون موافقة الشركة العامة للمقاولات ، وهذا لم يأت من فراغ وإنما كان للقدرة العالية على الأداء والثقة بالنفس والشخصية القوية المؤثرة علماً بأن هذه اللقاءات والجلسات رغم أنها لا تخلو من المجاملات إلا أن عدنان القصاب كان يستثمرها في مجالات العمل والحصول على تنازلات كبيرة من الشركات الأجنبية، مع احتفاظه بصداقاتهم وبناء الثقة العالية معهم بما يحقق مصلحة البلد.

من سمات عدنان القصاب القيادية أنه كان يجمع بين القائد السياسي والقائد الإداري بنجاح وهذه الصفة قلما تجدها عند القادة السياسيين فلا تجد قائد سياسياً ناجح إلا وجمع المتخاصمين والمتناحرين لإزالة جميع هذه السلبيات ويعم الصفاء والوئام بينهم وهذه واحدة من الممارسات المهمة التي لم أرى غير عدنان القصاب يهتم بها والتي بقيت آثارها في أذهان الموظفين الذي عملوا معه إلى يومنا الحاضر.

ومن الأمور المهمة التي كان عدنان القصاب يمارسها هي خلق الأفكار والوسائل المناسبة والأجواء الملائمة لتحقيق أهدافه التي يريد أن يحققها فمثلاً إذا أراد أن يجتمع مجلس الإدارة في أحد مواقع المشاريع الكبيرة المهمة والتي تقع في محافظات بعيدة وينبغي أن يطلع المجلس بشكل موقعي على مشاكل العمل وإنجازات المشروع فكان يجعل من هذا الأمر بمثابة سفره سياحية وترويحية لكون جميع أعضاء مجلس الإدارة هو مسئولون في دوائر الدولة، فبداية كان يحدد مكان التجمع في داره صباحاً وتناول وجبة الفطور في داره مع تهيئة سيارتين خصصتا للسفرات البعيدة وهو نوع GMC موديل حديث ومريح وكان يحضر جميع متطلبات السفرة من وجبات خفيفة ومشروبات غازية وكرزات وغيرها من نفقته الخاصة ولم يفكر في يوم ما أن يكلف الشركة أو الدولة أية مصاريف جراء ذلك.

وفي إحدى المرات اجتمع مجلس إدارة الشركة في مشروع المدينة السكنية في منطقة عكاشات وكنت أنا معهم كسكرتير لمجلس الإدارة وبعد القيام بزيارة موقعيه للمشروع وعقد الاجتماع الرسمي والاطلاع على المشاكل طلب تشكيل فريقين فريق من أعضاء مجلس الإدارة وفريق من موظفي ومهندسي المشروع لممارسة لعبة كرة القدم في إحدى الساحات المتخصصة لذلك وفعلاً تم ذلك ولم يتردد أعضاء مجلس الإدارة من ارتداء ملابس الرياضة أمام الموظفين وهذه المبادرة لوحدها تعد مدرسة لعدنان القصاب حول كيفية كسر الحاجز النفسي لدى القائد الإداري وكذلك لدى الموظف أمام المسئول الإداري وخلق أجواء إنسانية اجتماعية فريدة من نوعها ولم أرى أحد مارسها من قبل رؤساء الشركات الأجنبية الكبيرة كما نسمع التي تهتم بأساليب الإدارة الحديثة أو الإنتاج العالي ومستقبل شركاتهم وتطورها...

اذكر من الأمور الأخرى الإنسانية والاجتماعية التي كان يهتم بها والتي تصب في تشجيع الزواج للموظفين وإيجاد الوسائل الترفيهية والاستجمام هي قيامه بشراء قطعة ارض اعتقد كانت مساحتها بحدود 39 دونم في منطقة أبي الخصيب في البصرة كان ينوي إنشاء فندق سياحي عليها خاص بالشركة يطل على شط العرب لغرض قضاء شهر العسل للمتزوجين الجدد أو الموظفين الآخرين

وطلب من قسم التصاميم المباشرة في ذلك وكان ذلك في عام 1980 إلا أن عدنان القصاب غادر الشركة قبل أن يتحقق حلمه ولم ينفذ المشروع والذين جاءوا بعده قاموا بإعلان بيع الأرض بالمزايدة العلنية وهذا هو الفارق بين النظرة المستقبلية لقائدٍ إداري في بناء البلد ونظرة الآخرين الضيقة.

وأخيرا فهذا غيض من فيض فإن مآثر وخصائص وسمات عدنان القصاب لا تعد ولا تحصى. فهو رجل ولد في غير زمانه ولو أتيح له القدر أن يستمر لغير وجه بلاده في الإعمار والبناء فقد غاب عن مسرح الحياة السياسية والاجتماعية والتنمية في فترة عصبية أحوج ما يكون فيها البلد لمثل عدنان القصاب الذي فقده البلد في ساعة غضب ظالم في حقه وهو في قمة عطائه وحماسه وكان مخلصاً في فكرة ونزيه في عمله وثاقباً في نظريته وصائباً في رؤيته وقد غادر هذا الرجل مكانه وهو لا يملك غير مسكنه وسيارته القديمة التي نعرفها ولا يملك غيرها وهو الآن بعيد عن وطنه الذي كان يحلم في بنائه ورقيه وتقدمه ويعاني من مرضه العضال الذي أفقده إحدى ساقيه فلك الله يا أبا رزان فهو خير عون لك وعسى أن يكون صبرك على مرضك كفارة لك وعتبنا على بلد ضيع رجاله وفرط بالمخلصين منهم وهو أحوج ما يكون لمثل هؤلاء الرجال في زمن عز فيه أمثالهم.

رحلاتي مع القصاب

بقلم المهندس/ عاصم حميد

أولاً: سافرت إلى خارج العراق بصحبة رئيس الشركة العامة للمقاولات حسب الأمر الإداري 2627 في 27/ 3/ 1974 وحدد الأمر الإداري السفر إلى إيطاليا وألمانيا الغربية لحضور معرض ميلانو ومعرض هانوفر الصناعي السنوي وكذلك للتفاوض المباشر مع الشركات المتواجدة في المعارض وزيارة شركة زبلن للفترة من 18/ 4/ 1974 ولمدة عشرة أيام.

وقد ضم الوفد المهندس عبد الرحمن رسول والمهندس مجيد المعتوق والمهندس رمزي سليم النقاش.

17/ 4: سافرنا على الطائرة العراقية (الترايدنت) وتوقفت في القاهرة في طريقها إلى روما وفي القاهرة منع ركاب الطائرة من غير القادمين من مغادرتها حيث صادف ذلك اليوم قيام جماعة التكفير والهجرة بهجوم بقيادة الفلسطيني صالح عبد الله سرية.

وصلنا روما عصراً وذهبنا إلى فندق (أورينت برنس) حيث أمضينا الليلة وبقيت مع الأستاذ عدنان القصاب في المنطقة وتجولنا حوالي ساعة، وذهبنا إلى شلال صغير في وسط روما يسمى (الفونتينا) وتناولنا العشاء عند أحد مقدمي الوجبات السريعة أما أعضاء الوفد الثلاثة فقد ذهبوا لقضاء ليلتهم في مكان آخر وأن المرحوم عبد الرحمن يعرف الكثير عن روما حيث سبق له أن اشتغل في مشاريع الإسكان مع استشاريين على الأغلب (كودسيادس) وقال أيضاً- خسارة ان ينام احدنا الليل بروما- وأن الأستاذ عدنان القصاب حاول منعهم واحتج أبو كاميران أن من الواجب عليه زيارة العائلة التي سكن عندها عندما كان في الإسكان وفي صباح اليوم التالي ذكروا لنا مشاهدتهم الطريفة.

18/ 4: ركبنا بالقطار السريع إلى ميلانو حيث وصلنا ظهراً وبقينا فيها ثلاثة أيام زيارة المعرض يومياً وكانت لنا لقاءات مع شركة مريني وسيفا وغيرها.

22/ 4: سافرنا على طائرة (لوفتها نزا) إلى سيلدورف ومنها إلى مدينة ديوسبرك القريبة منها حيث مقر شركة زبلن وكانت شركتنا قد اتفقت معها على تقديم عطاء مشترك في مقاولة مشروع ري الحويجة، ولم يكتب للعطاء المشترك الفوز في المنافسة.

23/ 4: الأستاذ عدنان القصاب والأستاذ عبد الرحمن كانت لهم زيارة إلى موقع عمل في المنطقة حيث تنفذ المجاري العميقة ذات الأقطار الكبيرة وبطريقة الدفع تحت الأرض، وأن زبلن تنفذ مشروعاً مماثلاً لأمانة بغداد وذهبت ومعي مجيد المعتوق ورمزي النقاش إلى مدينة بادن في الجنوب.

24/ 4: كانت لنا جولة في مدينة كيل على الحدود الفرنسية حيث معامل شركة زبلن لصناعة قوالب الأنابيب الكبيرة وتصنيع الأنابيب الكونكريتية بأحجام مختلفة ومنتجات أخرى، ثم ذهبنا إلى مدينة (ستراسبورغ) الفرنسية حيث يفصلها عن ألمانيا نهر السين وتناولنا الغداء فيها ثم عدنا إلى ديوسبورك وكان سفرنا ذهاباً وإياباً بالقطار السريع.

25/ 4: سافرنا إلى هانوفر بالسيارة (باص صغير) وسكنا في موتيل في ضاحية هانوفر عمالة مغاربة.

26/ 4 و 27/ 4: نتردد ونتجول في معرض هانوفر الدولي وكانت لقاءاتنا في جناح ABG المختصة بصناعة معدات الطرق والأسفلت المتقدمة تقنياً وكذلك القطار الكونكريتي لصب المطارات.

28/ 4: ذهبنا في طريق عودتنا إلى فرانكفورت بالقطار السريع.

29/ 4: العودة إلى بغداد على الطائرة العراقية.

ثانياً: الإيفاد إلى الهند الباكستان حسب الأمر الإداري 7047 في 20/ 8/ 1978 وضم الوفد حسين راضي محسن وعلاء حسين محسن وسعدي الخياط.

26/ 8: من بغداد إلى بومباي والتوقف في مطار دبي

27/ 8: زيارات موقع في بومباي

28/ 8: إلى منطقة POONA وزيارة الأكاديمية العسكرية ومعمل TATA الصناعية للسيارات

29/ 8: زيارة معمل (السيبوركس) ومواقع أخرى

وكان السفر بالطائرة – رحلة داخلية

30/ 9: إلى نيودلهي بالطائرة– رحلة نظامية

1/ 10: في نيودلهي وزيارة السفارة العراقية وكان السفير لبناني الجنسية وقد شكا من تعرض السفارة إلى احتجاجات بسبب تسفير الخميني من العراق إلى فرنسا

2/ 10: أنا وعلاء وسعدي الخياط ذهبنا إلى تاج محل بالسيارة والعودة في نفس اليوم

3/ 10: زيارة الموقع من جهة المطار في دلهي

4/ 10: جولة في نيودلهي القديمة

5/ 10: إلى كراجي بالطائرة– رحلة

6/ 10: في كراجي وقد علمنا أن الطائرة التي نعود بها إلى بغداد يوم 6/ 10 قد ألغيت بسبب تخصيص أغلب الطائرات العراقية لأغراض الدعوات لعقد مؤتمر القمة العربية في بغداد بسبب زيارة السادات لإسرائيل

8/ 10: حولنا السفر على طائرة الخليج إلى دبي ومنها العودة إلى بغداد بطائرة عراقية.

ومن الطريف وبسبب تأخرنا يوم فقد نفذت نقودنا كلنا وكل ما جمعناه لليوم الأخير لأكلات بسيطة لا يتعدي الموز والمنكا واليوم الأخير وجبتي الطائرات.

ولا بد أن أذكر حسن إدارة الأستاذ عدنان القصاب للوفود وبساطته في التعامل والمشاركة سوية في المصاريف والتأكيد على الحصانة في التعامل والتعامل الشخصي- مع مرافقه دون التأثر بالمسئولية الإدارية.

وتنمى له مخلصاً في هذا الشهر المبارك موفور الصحة والعافية ومع تحياتي وأمنياتي له وللسيدة المحترمة أم رزان جنبهم الله كل مكروه

السفر الى تونس

في عام 1975 نظمت نقابة المهندسين العراقيين سفرة لأعضائها من المهندسين إلى الجمهورية التونسية ضمت عددًا كبيرًا من المهندسين وزوجاتهم، وكانت السفرة نشاط مهني نظمته نقابة المهندسين العراقيين لأعضائها من المهندسين للاطلاع على البناء والعمارة في الدول العربية وكانت السفرة عن طريق الجو في الخطوط العراقية..

نزل الوفد في العاصمة تونس وقاموا بعدها بزيارة مدن تونس، بنزرت بالإضافة إلى سوسا مسقط رأس الرئيس أبو رقيبة، ومنطقة الحمامات السياحية، القيروان، والتعرف على معالم تونس وفنونها الشعبية وعادات وتقاليد أهلها، واستمرت الرحلة 14 يوم.

لقد امتازت تونس بخضرتها الجميلة وبناياتها البيضاء المميزة بالطراز التونسي ، وكانت السفرة مميزة حيث تم استأجار سيارة خاصة قام بقيادتها بنفسه برفقة زوجته وابنته بالاضافة الى المهندس رشيد صالح العلي وعائلته ، وتجولوا في تونس الخضراء من شمالها الى جنوبها حتى وصلوا الى مدينة القيروان ، حيث جامع القيروان الشهير والآثار الاسلامية الواضحة.

وقد التقى الرئيس بورقيبه الوفد الهندسي العراقي وعوائلهم ، حيث بدأت النسوة بالزغاريد عند ظهور الرئيس مما افرح الرئيس الذي كان محمولا من قبل حراسه بسبب كبر سنه وعدم تمكنه من الحركة .

واثناء ذلك قام احد المهندسين في الوفد العراقي بحمل رزان ابنة القصاب ذات الخمس سنوات ، فما كان من الرئيس ابو رقيبه الى ان ينحني عليها ويقبلها ، الامر الذ اشعرها بفرح شديد بذلك .

لقد كانت تونس الخضراء مشهورة بكبر حجم ونوعية برتقالها ، حيث يقوم البقالون بترتيبها وعرضها للزبائن بشكل ملفت للنظر ، هذا الأمر استوقف عائلة القصاب لإلتقاط الصور أمام إحدى المحلات لشدة اعجابهم بذلك .

سكنر لقصيدة سليمان العيسى ورسالة القصاب لصدام

العمرة الأولى

في صيف عام 1978 توجه المهندس عدنان القصاب وعائلته وعائلة عديله فائز الأعظمي إلى الديار المقدسة في السعودية لأداء فريضة العمرة ، وكانت في حينها أجواء المسيطرة على الصغير والكبير هو عرض فلم الرسالة الذي كان له الأثر الكبير في نفوس المسلمين ولهم شوق لأداء لكل تلك الفريضة والإطلاع على المواقع التي حدثت فيها المآثر الإسلامية التي برزها فلم الرسالة ورسمت في أذهان جميع المسلمين صغارًا وكبارًا .

إستقلوا سيارتهم الخاصة وتوجهوا ارض بغداد طريقين عمان القضية إلى الحدود الأردنية السعودية وأثناء تدقيق جوازات السفر من قبل ضابط جوازات الجانب السعودي سمح الضابط للجميع بالدخول إلى الأرض السعودية إلا المهندس عدنان القصاب لم يسمح له بحجة انه ممنوع إلى الدخول إلى السعودية فرد عليه القصاب بأن الكعبة المشرفة وزيارة قبر الرسول مشاعر لكل مسلمين العالم ولا يجوز منعهم من أداء هذا الواجب وصمم الضابط على عدم دخول القصاب وحدثت مشادة كلاميه فقال له القصاب بأنني سيد وأجدادي يعودون لأصل رسول الله (ص) ولم يستجيب الضابط له ، وأثناء الحديث مع الضابط إنفجر المصباح على رأس الضابط فاستغرب الضابط وسأل القصاب من أنت ؟ ، فقال له القصاب أن الله يسمع ويرى ، ووسط هذه الأجواء خاب أمل الجميع صغارا وكبارا من الوصول إلى الديار المقدسة .

ورجعوا بخف حنين إلى العقبة في الأردن وحجزوا كابينات على البحر وقضوا الليل هناك وصباحا توجهوا إلى عمان ومن عمان اتجهوا إلى سوريا لزيارة مقام السيدة زينب في دمشق وبعد ذلك تجولوا في دمشق وزاروا كافة الأماكن الأثرية والسياحية .

بعد ذلك توجهوا إلى بغداد طريق الرطبة وعند وصولهم خائبين إلى بغداد قدم القصاب عريضة إلى وزير الخارجية ووزير الداخلية وكان في حينها اجتماع لوزراء الداخلية العرب يعقد في بغداد ومن ضمن الحضور الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي ، وبعد وصول عريضة القصاب إلى وزير الداخلية عزت الدوري والتي طلب فيها القصاب تدويل موضوع الإشراف على الكعبة المشرفة والمدينة المنورة من قبل لجنة دولية إسلامية

ولا يمنع من خلالها اى مسلم من دخول الأراضي السعودية لأداء فريضة الحج والعمرة ، وقد تبنى عزت الدوري هذا الطلب وقدمه إلى وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز ، علماً بأن القصاب كان يشغل في حينها رئيس الشركة العامة للمقاولات الإنشائية بدورة استجاب الأمير نايف وبلغ عزت الدوري وقدم دعوة ضيافة إلى جميع الأشخاص اللذين منعوا بسبب منع دخول القصاب على ضيافته وصادفت الدعوة أثناء الدوام المدرسي فأجلت إلى العطلة الربيعية في شهر شباط من عام 1979 .

وفى شباط عام 1979 تم التهيؤ من قبل العائلتين وتوجهوا من بغداد إلى البصرة مروراً بالأراضي الكويتية ومن الكويت وعند الحدود الكويتية السعودية حدثت نفس القصة الأولى ومنع القصاب من الدخول .

وبعد أن عرف الضابط بأن لديهم دعوى من قبل الأمير نايف بن عبد العزيز لكنها لم تنفذ في حينها فأن المنع لا يزال ساري المفعول ولكن الضابط أكد بأنه سيدخل القصاب ومن معه إلى الأراضي السعودية على مسؤوليته الخاصة ففرح الجميع ودخلوا الأراضي السعودية واتجهوا إلى الرياض ومكثوا فيها ثلاثة ايام صادف فيها عيد ميلاد ابنتهم رزان واحتفلوا به في احد الفنادق بالرياض ، وبعدها توجهوا إلى مدينة الطائف وتجولوا في الطائف واستذكروا كيف مشى الرسول الكريم حافيا من الطائف إلى مكة وكيف تمت معاملته من قبل المشركين وكانت فرحة لا توصف خاصة عند الإحرام ، وتوجهوا بالسيارات من الطائف إلي مكة يبكون ويكبرون إلى مشارف الكعبة وبعد وصولهم إلي الكعبة المشرفة حجزوا فندق قرب بيت الله الحرام وأجروا مناسك العمرة .

وبعد أن عزموا الرحيل من مكة مرورا بجده لزيارة قبر الرسول الكريم (ص) حضر إلى الفندق رجال من الأمن الداخلي السعودي يسألون عن القصاب ومن معه في الفندق وبلغوا مدير الفندق بأن القصاب بضيافة وزير الداخلية الأمير نايف ، فلما علم مدير الفندق بذلك غير تصرفاته وأخذ يطلب منهم البقاء مده أطول وحسب رغبتهم لكنهم رفضوا وتوجهوا إلى جده وتمت ضيافتهم هناك واستلموا هدايا من قبل الأمير

ثم توجهوا إلي المدينة المنورة وبمرافقة الجانب السعودي وتم حجز فندق في المدينة بضيافة الأمير وصادف اثناء وجودهم في الفندق وجود عزت الدوري وزير الداخلية العراقي انذاك وسعدي عريم وكيل وزير الداخلية العراقي، وأدوا مناسك الزيارة وزاروا منطقة البقيع وجبل أحد وتبوك، وبعد الانتهاء من مراسم الزيارة توجهوا إلي مدينة تبوك استقبلهم فيها أمير تبوك وقام بضيافتهم ثم خرجوا عن طريق البحر الأحمر إلى العقبة في الأردن ثم توجهوا إلي عمان ومن عمان إلي بغداد

العمرة الثانية

في نهاية عام 1979 /1980 في شهر رمضان تم التوجه مع زوجته وابنته رزان من بغداد عن طريق الجو ومن بغداد وصلوا إلى جده مباشرة ثم توجه إلي مكة لأداء فريضة العمرة وكان في استقبالهم السفارة العراقية في جده وأبت خالته الدكتورة ميمنة وأدوا العمرة ليلة عيد الفطر وأكملوا مراسم العمرة وتوجهوا إلى كينيا عن طريق الجو جده إلي نيروبي وكانت نيروبي مدينة جميله من حيث الطبيعة ووقوعها على خط الاستواء وجبل كليمنجاروا المغطى بالثلوج .

وكان في استقبالهم سفير العراق في نيروبي زيد حيدر وزوجته وسكنوا في فندق شيراتون وزاروا بحيرة فيكتوريا وقاموا بجولة في السفاري بالسيارة في الغابات وشاهدوا جميع الحيوانات على الطبيعة ، وفي تلك الأثناء سقطت إحدى الطائرات التابعة للخطوط الجوية السعودية والتي كانت تقل حجاج بيت الله الحرام وأثر ذلك تأثيراً نفسياً كبيرًا على زوجة القصاب إلي درجة رفضها ركوب الطائرة للعودة .

وبعد ذلك توجهوا من نيروبي إلى مدغشقر بالطائرة ، حيث كان احسان القصاب شقيق عدنان القصاب سفيراً للعراق في العاصمة تتناريف ، وتجولوا في مدغشقر التي يطلق عليها مدينة السحر والسحارين وجزيرة الواق واق ولكنهم لم يتحملوا قلة الأوكسجين بسبب الإرتفاع الذي تعرف به مدقشقر حيث لم يستطيعوا النوم بسبب ذلك وبعد ذلك استقلوا الطائرة الفرنسية إلي جيبوتي ومكثوا فيها يومين بإنتظار الطائرة العراقية لهدف الذهاب إلى صنعاء في اليمن .

وعند وصولهم إلي صنعاء استقلوا سيارة من المطار الى الفندق ، وكان سائق السيارة يمضغ القات في فمه والسيارة مليئة بمخلفات القات ، وكان يغلب عليه النعاس مما أثار الخوف في نفوسهم لكون الطريق جبلي وبعد عناء كبير وصلوا إلي الفندق واستقبلهم سفير العراق في صنعاء ، وأثناء وجود القصاب فى صنعاء قدم عرضاَ لليمنيين لتبليط بعض الشوارع في صنعاء ، وبعد ذلك استقلوا الطائرة العراقية وتوجهوا الى بغداد

قرار صدام حسين حل الشركة العامة للمقاولات الإنشائية

استمر المهندس عدنان القصاب برئاسة الشركة العامة للمقاولات الإنشائية منذ عام 72-1980م ، عندما استلم صدام حسين رئاسة الجمهورية كان أول قرار له هو فك ارتباط شركة المقاولات الإنشائية من رئاسة الجمهورية وإلحاقها بمجلس الوزراء أي وزارة الإسكان والتعمير.

بعد هذا القرار قام عدنان القصاب بمقابلة صدام حسين للتهنئة بمنصب رئاسة الجمهورية وأثناء ذلك قال القصاب لصدام حسين (ان قرار فك ارتباط شركة المقاولات من رئاسة الجمهورية وإلحاقها بوزارة الإسكان يعني إنتقاصاً من عمل المقاولات وعدم رضاك عليها) ، بالإضافة الى إن الشركة مرتبطة بالكثير من الأمور والمتعلقات مع رئاسة الجمهورية التي كانت متمثلة بالرئيس احمد حسن البكر.

وبعد سماع الرئيس صدام حسين لكلام القصاب قرر عودة ارتباط الشركة برئاسة الجمهورية ولكن لمدة سنة واحدة ، وبعد انتهاء السنة قام بحل شركة المقاولات العامة وتقسيمها الى خمس شركات مرتبطة بوزارة الإسكان ، وعين المهندس عدنان القصاب أمين سر فرع ديالى للحزب سنة 1980م .

صورة رقم (86)

القصاب رئيسا لشركة المقاولات الانشائية

صورة رقم (87)

القصاب في إحدى مؤتمرات الشركة العامة للمقاولات

صورة رقم (88)

القصاب في افتتاح احدى مشاريع شركة المقاولات

صورة رقم (89)

القصاب مع عدد من رؤساء المديريات والمدراء العامين التابعين للشركة

صورة رقم (90)

القصاب في سفرة خاصة لمنتسبي الشركة

صورة رقم (91)

القصاب مع شركة NCC الهندية في الهند لتوقيع عقد مشروع ماء بغداد الكرخ

صورة رقم (92)

القصاب مع وفد من المقاولات الانشائية ووزارة الاسكان ضم عبد الأحد عبودي ، عدنان عبود ، غسان رضوان ، للاطلاع على المشاريع في فنلندا

ب – ج

صورة رقم (93)

القصاب وعائلته في تونس اثناء انعقاد المؤتمر الهندسي العربي في تونس1975

تعيين القصاب أمين سر فرع ديالى لحزب البعث

بعد قيام صدام حسين رئيس الجمهورية بحل ارتباط الشركة العامة للمقاولات الإنشائية من رئاسة الجمهورية وتقسيمها الى خمسة أجزاء وجعل ارتباطها بوزارة الإسكان والتعمير قام بتعيين المهندس عدنان القصاب بمنصب أمين سر فرع محافظة ديالى للحزب أواخر سنة 1980م .

انتقل المهندس عدنان القصاب وعائلته الى محافظة ديالى في مدينة بعقوبة مركز المحافظة وباشر بممارسة مهامه الحزبية وكون علاقات مع مختلف الأطراف العاملة على ساحة المحافظة ومن ضمنها قيادة الجيش الشعبي لارتباط قواطع الجيش الشعبي بالحزب ، وكان في حينها المرحوم جعفر قاسم حمودي أمين سر المنطقة الوسطى التي تشمل محافظات ديالى وصلاح الدين والأنبار ، وكان مقر عمله في منزل سكن عائلة المهندس عدنان القصاب ، كونه رفيق دربه في النضال السري وصديق عمره منذ الطفولة في منطقة سوق حماده .

وكانت مهمة عمله كأمين سر فرع ديالى للحزب تتسم بالصعوبة لتوتر الأوضاع بين العراق وايران وصلت الى حد حرب بين الطرفين ، وكانت الحرب مع ايران في بداياتها ، لكن المهندس عدنان القصاب تفاعل مع هكذا أوضاع وأدى المهام الموكلة اليه والمتعلقة بتلك المرحلة الحرجة من تاريخ العراق على أتم وجه، وفي بداية الحرب مع ايران أجرى الحزب انتخابات لكوادره المتقدمة حضره عزت الدوري نائب أمين سر قيادة الحزب وعدد من اعضاء القيادة في حينها ، اثنى خلالها عزت الدوري على القصاب في تنظيم الانتخابات وهنئه على دوره الفعال في إنجاح الانتخابات بشكل ديمقراطي وسريع في نفس الوقت

تبليغ القصاب بترك محافظة ديالى فورا وتنزيل درجته الحزبية الى عضو عامل

في نفس الليلة التي تمت بها الانتخابات وهنئه عزت الدوري نائب أمين سر الحزب على دوره وجهوده في العمل وتنظيم الانتخابات ، بلغه جعفر قاسم حمودي عضو القيادة القطرية للحزب بترك محافظة ديالى فوراً حسب الأوامر الصادرة من بغداد التي لا يعرف عنها جعفر قاسم أي تفاصيل أو أسباب ، وكانت الأوامر مشددة حيث تنص على أن يترك عدنان القصاب أمين سر محافظة ديالى مهام عمله فوراً ويغادر المحافظة قبل الساعة الثانية عشر ظهراً ولا يتجاوز ذلك ابداً وتنزل درجته الحزبية الى عضو عامل في الحزب في تنظيمات أبو جعفر المنصور شعبة العدل ببغداد ، وقد نفذ القصاب هذا الأمر دون أن يعرف أسبابه .

وكان المهندس عدنان القصاب في حيرة من أمره مستغرباً هذه العقوبة القاسية التي لا يعرف سببها الحقيقي حتى يومنا هذا ، ولكن تدور في خلد القصاب عدة معطيات حدثت في ذلك اليوم يرجح أن يكون احدها وراء هذه العقوبة ، ومن بين تلك المعطيات :

أولاً : قبل فترة من ذلك التاريخ كان العاهل الأردني الملك حسين في زيارة للعراق وقام برفقة صدام حسين رئيس الجمهورية بتفقد قطعات الجيش المتواجدة على جبهة القتال في منطقة قصر- شيرين ، وقيام الملك بإطلاق قذيفة المدفع مع صدام والقصة معروفة لا نريد الخوض في تفاصيلها ، وعند عودة صدام وظيفة الملك حسين الى بغداد كان طريق عودتهم يمر بمحافظة ديالى ، ولم يتم تبليغ القصاب من قبل أمن الرئاسة بذلك يرجح ان تكون الأسباب لدواعي أمنية ، وقد عرف القصاب كأمين سر للحزب في المحافظة بعد مرور الموكب الرئاسي بشوارع مدينة بعقوبة ، حيث كان القصاب يحضر مباراة لكرة القدم بشكل اعتيادي وطبيعي بحكم عمله ومقتضياته .

ثانياً : كان في بداية الحرب مع ايران يتم اختفاء بعض الأشخاص وبصورة باتت ملفته للنظر ، وهؤلاء الأشخاص هم من أقرباء الأعضاء المنتمين الى الحزب ، مما حدا بأقربائهم من البعثيين بطرح هذا الموضوع في مؤتمر الحزب وكتابة تقارير بذلك له والاستفسار عن مصير ذويهم ، الأمر الذي أحرج القصاب شديد الإحراج كونه أمين سر المحافظة للحزب ولا يعرف شئ عن موضوع اختفاء الأشخاص ومن هي الجهة التي تقوم بذلك ، هل هي الأجهزة الأمنية أم أجهزة معادية يقوم بها أعوان إيران بالداخل أم عصابات قتل وخطف عادية تحدث في اي مكان في العالم أثناء الحروب والتوترات الأمنية .

هذا الأمر دفع القصاب كونه أمين سر فرع ديالى للحزب بالذهاب الى مدير أمن ديالى آنذاك (العميد هارون) للوقوف على حيثيات الموضوع كون الجهات الأمنية على دراية كافية بهكذا أحداث ، هذا الأمر أزعج مدير امن ديالى الذي أوعز الموضوع الى جهات أخرى غير منظومته الأمنية ، (علماً ان مدير امن ديالى كان عضو قيادة فرقة في الحزب) ، ويتساءل القصاب هل يمكن ان يكون ذلك هو احد الأسباب وراء عقوبته .

ثالثاً : في نهاية مؤتمر الانتخابات التي نظمها الحزب في المحافظة وبعد توجيه الشكر للقصاب من قبل عزت الدوري ، كان في حينها احد قواطع الجيش الشعبي في المحافظة يتأهب للذهاب الى جبهة القتال ، أثناء ذلك كان في رفقة عزت الدوري علي حسن المجيد ، فقام القصاب بتوجيه سؤال الى الضابط المسؤول عن القاطع (هل قمت بتفتيش القاطع) فأجابه الضابط بأنه لم يقم بذلك وان الذي فتش القاطع هو احد نواب الضباط المتواجدين معه ، فقال له القصاب بصفته أمين سر فرع المحافظة للحزب والمسؤول عن تجهيز قواطع الجيش الشعبي بالاسلحة والكلام موجه الى الضابط (لماذا تكلف نائب الضابط ، ولم تقم انت بهذه المهمة بنفسك) ، هذا الكلام طرق أسماع علي حسن المجيد الذي ، فهل يمكن أن يكون هذا واحدا من الأسباب التي أدت الى العقوبة ، يتساءل القصاب؟؟؟.

صدام حسين أمين سر فرع أبو جعفر المنصور من موقع أدنى

بعد تنفيذ القصاب الى الأمر الصادر بحقه القاضي بتنزيل درجته الحزبية من أمين سر فرع ديالى للحزب الى عضو عامل ، عاد الى منزله في منطقة الداوودي في المنصور ببغداد ومارس مهامه الحزبية في فرقة العدل فرع ابو جعفر المنصور للحزب بصفته عضو عامل في الحزب ، علماً ان النظام الداخلي للحزب ينص على تنزيل العضو الذي يعتقد انه صدر منه أمر مخالف لتعليماته درجتين فقط !! ، وهذا لا ينطبق على حالة القصاب وهو بذلك مخالف لنظام وتعليمات الحزب ؟ ، وفي مبادرة من زملاءه ورفاقه في الحزب تم عرض الموضوع على صدام حسين الذي شاءت الصدف أن يكون آنذاك أمين سر فرع ابو جعفر المنصور من موقع أدنى (وهكذا إجراء كان متبعاً في نظام الحزب في حينها) وبعد عرض الموضوع على صدام حسين تم رفع درجته الحزبية الى عضو قيادة شعبة ، واستمر القصاب في الحزب كعضو قيادة شعبة لغاية سنة 1984م .

القصاب نقيبا للمهندسين العراقيين

في سنة 1984م طلب المكتب المهني في الحزب من المهندس عدنان القصاب أن يرشح نفسه كنقيب للمهندسين العراقيين فوافق القصاب بعد تردد وإلحاح من رفاقه وأصدقاءه المهندسين والمقربين كونه كان يتمتع بشعبية واسعة وحب وتقدير بين اقرأنه البعثيين والمهندسين عموماً ، وأجريت الإنتخابات وفاز القصاب وأصبح نقيباً للمهندسين العراقيين بعد منافسة مع عدد من المرشحين ، استمر بذلك لفترة سنتين ، وبعد انتهاء الفترة الأولى تمت موافقة المكتب المهني في الحزب على ترشيحه لدورة أخرى ، ورشح نفسه وفاز بصورة مطلقة في الانتخابات ، وكانت نقابة المهندسين العراقيين في الفترة التي قضاها القصاب كنقيب لها تتميز بالنشاط والدور الفعال على الساحة العراقية ، وخلال فترته الثانية كنقيب للمهندسين العراقيين أنتخب رئيساً للمهندسين العرب سنة 1987م

وقد شارك القصاب بالعديد من المؤتمرات العامة والخاصة بالنقابة والمنظمات الجماهيرية داخل وخارج العراق ، كما شارك في مؤتمر عام عقد في الأردن وكان برعاية الأمير الحسن بن طلال ، حيث كرم الوفد العراقي ، وحضر مؤتمر المهندسين العرب الذي عقد في الكويت .

نعم القائد النقابي ونعم الموجه

بقلم غسان رضوان

في أوائل سنة 1984م أجريت انتخابات لمجلس نقابة المهندسين العراقيين التي تجرى كالعادة كل سنتين ، وقد رشح فيها المهندس عدنان القصاب لمنصب النقيب ، وكان ينافسه على المنصب الأستاذ عصام الجلبي ، ورشحت أنا في نفس الدورة لمنصب نائب النقيب ، وكان ينافسني المهندس احمد بشير والمهندس هاني أمين الشريف ، وقد فاز الأستاذ عدنان القصاب بمنصب النقيب فوزاً ساحقاً ، كما فزت انا بمنصب نائب النقيب .

وقد عملت بمعية أستاذي القصاب الذي كان نعم القائد النقابي ونعم الموجه ، حيث كان لنقابة المهندسين في تلك الفترة دورها المتميز على الصعيدين المهني والقومي ، بالإضافة الى دورها البارز في كافة نشاطات اتحاد المهندسين العرب ، حيث كنا نحضر سويةً معظم اجتماعات المجلس الأعلى لاتحاد المهندسين العرب التي عقدت في عدد من الأقطار العربية ، حيث كان وجود الوفد العراقي ظاهراً ومتميزاً على غالبية الوفود العربية المشاركة من حيث المشاركات والطروحات فيما يخص قضايا امتنا العربية ، إضافة الى النشاطات الهندسية التي تخص المهنة الهندسية .

وبعد انتهاء الدورة الانتخابية الأولى جرت الانتخابات التي تلتها في أوائل سنة 1986م وقد فاز أيضا الأستاذ القصاب فيها للمرة الثانية بمنصب النقيب وتجديد الولاية له ، كما فزت أنا مجددا بمنصب نائب النقيب وبقيت بالعمل بمعية أستاذي العزيز لأربع سنوات كانت من أحلى السنوات التي مرت على عمري المهني ، حيث تعلمت منه الكثير من الأمور وكنت اعتبره المثل الأعلى لي والقدوة في العمل المهني .

أما في النواحي الإنسانية فكان المهندس عدنان القصاب طيب القلب ويعمل على حب ومساعدة الغير من الذين يعملون معه ويسعى الى الأخذ بيد كل من كان يعمل معه وخاصة الشباب منهم ، وهذا جعل الكثير من المهندسين الذين يعملون معه يتحلون بالكفاءة وتقلدوا المناصب العليا في الدولة ، والفضل في ذلك الى ما تعلمته من الأستاذ القصاب .

انه بحق كان مدرسة بذاته لأجيال من المهندسين ، ويشهد بذلك كل من عمل معه عن قرب أو كانت له معرفة به ، مع خالص التقدير .

لقاء للقصاب كنقيب للمهندسين العراقيين مع مجلة الهندسة سنة 1987

إبراهيم عبده

المحرر

منذ سبع سنين والعراق يخوض حرباً ضد إيران ، والحرب كما تعلم تشل حركة العمران في البلد بل وتقضي عليها وتجعل المهندسين في وضع صعب كيف هو وضع المهندسين العراقيين في ظل هذه الحرب ؟

النقيب القصاب

من الصعب أن ننكر إن للحرب جوانب سلبية على المواطنين ، والمهندسون شريحة من شرائح المجتمع فلا بد لهم أن يتأثروا بشكل أو بآخر بهذه الجوانب السلبية ، وبما إنهم في الدرجة الأولى مواطنون ، فهم يدركون إن الدفاع عن مكتسبات شعبهم إنما هو مرادف للتضحية التي يقدمها هذا الشعب ، وليس العراقيون اقل وطنية من الشعوب التي جابهت المعتدين على أراضيها ، ففي الحرب العالمية الثانية واجهت شعوب عديدة النازية وانتصرت عليها في النهاية ، وبالتالي فإن تضحيات العراقيين والمهندسين العراقيين أملتها ظروف العدوان المفروض عليهم وعلى قطرنا .

المحرر

في العراق كما نلاحظ نهضة عمرانية شاملة ، ترى ، هل سيفرض استمرار الحرب قيوداً على هذه الحركة وبالتالي يحد من عطاء المهندسين العراقيين ؟

النقيب القصاب

بدون شك ، هناك تحديدات تمليها استمرارية الحرب مثلاً إعادة إعمار المناطق المتضررة من الحرب وفي مقدمتها البصرة مدينة المدن ، لا يتم إلا بإيقاف الحرب ، فخلال سنوات الحرب تم إنشاء الكثير من المعالم الهندسية المميزة في العراق سواء في مجالات السكن او في مجالات المواصلات ، وكان للمهندس العراقي الدور الرائد والبارز في هذا الانجاز .

المحرر

وهل حضرة النقيب ان تسمي لنا بعض المشاريع التي نفذت خلال هذه الحرب ؟

النقيب القصاب

المشاريع عديدة ومنها : خطوط المواصلات الحديثة وما سمي بالطريق الدولي السريع الذي يربط العراق بالكويت والأردن وسوريا ، والسكك الحديدية : خط كركوك – بيجي – حديثة ، وهذا الخط يرتبط بخط عكاشات – بغداد .

مشاريع ري وأبرزها : سد صدام في الموصل على نهر دجلة وسد القادسية في مدينة حديثة على نهر الفرات ، وهناك مشاريع ري كبيرة مثل مشروع ري صدام في محافظة التأميم (كركوك) .

وفي حقل الإسكان تم تنفيذ عشرات الألوف من الوحدات السكنية في جميع المحافظات العراقية ، ومن أبرزها المشاريع السكنية في شارعي حيفا وابي نؤاس ، ومشروع إسكاني في حيي السيدية وصدام وآخر في الموصل وكركوك.

وهناك مطار بغداد الدولي ، ولا ننسى الانجازات في حقول النفط سواء في الاكتشافات أو في النقل ، حيث تم انجاز خط للنفط يمر عبر الأراضي السعودية ، ومن ابرز المظاهر الهندسية في العراق ما حصل في حقل الصناعة العسكرية وقد دل عليه المعرض الصناعي العسكري الذي أقيم مؤخراً في العاصمة العراقية ، حيث برز الدور التقني والهندسي للطاقات الهندسية العراقية .

المحرر

هل من توجيهات هندسية في تأكيد الخصوصية العراقية والتي من الممكن ان تعبر مادياً ومعنوياً عن النهضة الحديثة في العراق ؟

إن في الكثير من المشاريع التي أنجزت أو هي قيد الانجاز مسحة من التعبير المعماري العربي ، وهذه المشاريع تتم عن طريق المسابقات أو بتكليف مكاتب هندسية عراقية وضع هياكلها ، ثم تنفيذها .

المحرر

بإعتبار عدنان القصاب رئيس (اتحاد المهندسين العرب) لا بد أن نسأله عن أهداف هذا الاتحاد وتطلعاته المستقبلية .

النقيب القصاب

إتحاد المهندسين العرب هو تجمع للنقابات والجمعيات الهندسية في الوطن العربي ، وبالتالي فهو تجمع مهني عربي يسعى الى تطوير المهنة الهندسية بشكل عام وقد تم الآن انجاز الكثير مما يخص هذه المهنة وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر : وجود لجنة دائمة باسم لجنة التعليم الهندسية ، من اجل توحيد سبل اعداد المهندس ومواكبة التطورات التقنية في العالم .

وكانت البحوث التي أعدت وألقيت في ندوة الكويت من 17الى 19 تشرين الثاني نوفمبر الماضي إحدى ندوات المؤتمر الهندسي العربي الثامن عشر الذي سينعقد مجددا عام 1989م في الكويت تحت شعار الاعتماد على الذات ، وسيدعى إليه مهندسون من سائر الأقطار العربية ، أما الندوة فقد حضرها حوالي الثلاثمائة مهندس منهم رؤساء جامعات وعمداء كليات الهندسة وأساتذة ورؤساء أقسام في سائر الاختصاصات الهندسية ، وقد طرحت فيها بحوث تتعلق بتطوير التعليم الهندسي وما يجب ان يكون عليه المهندس في القرن الواحد والعشرين ، وانتهت الندوة بأعداد مقترحات ستعرض على المؤتمر الثامن عشر الذي ستسبقه ثلاث ندوات ، تم عقد الأولى منها في الكويت والأخرى ستعقد في آذار / مارس 1988م في الكويت ، والثالثة ستعقد أواخر هذا العام في بغداد وستخرج كل ندوة بتوصيات سيتم عرضها في المؤتمر .

المحرر

هناك هجرة أدمغة هندسية ، هل من عدد في هذا الصدد ؟

النقيب القصاب

إن للكثير من المهندسين العرب مراكز علمية وتقنية متميزة في العديد من دول العالم وأهمها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ألمانيا الغربية كندا ، ويقدر عددهم بأكثر من خمسين ألف مهندس هاجروا من بلدانهم العربية لأسباب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية .

المحرر

ما هو دور اتحاد المهندسين العرب ونقابات المهندسين في حمل المهندسين العرب على العودة الى أوطانهم ؟

النقيب القصاب

تعود المشكلة بشكل أساسي الى توحيد التشريعات المتعلقة بتنقل المهندسين في الوطن العربي ما بين قطر وقطر ، وتفضيل المهندس العربي على الأجنبي عن طريق إصدار قرارات تمكن هذا المهندس من ممارسة مهنته الهندسية داخل القطر الذي تدور فيه عجلة العمران .

صورة رقم (94)

القصاب مع اعضاء نقابة المهندسين العراقيين في لقاء رئيس الجمهورية صدام حسين

صورة رقم (95)

القصاب مع الامير حسن بن طلال في المؤتمر الشعبي لنصرة فلسطين في عمان

صورة رقم (95 أ)

القصاب وعصام عبد علي وثامر الشيخلي وعيسى سلمان ونزار الحديثي وناجح الراوي في مؤتمر نصرة فلسطين في عمان

صورة رقم (96)

القصاب في مؤتمر هندسي في الهند

صورة رقم (97)

القصاب مع نقيب مهندسيالكويت خلال مؤتمر اتحاد المهندسين العرب في الكويت

صورة رقم (98)

القصاب خلال تكريمه في الكويت كرئيس لإتحاد المهندسين العرب

صورة رقم (99)

صدام حسين يقلد القصاب شارة الحزب

صورة رقم (100)

سكنر لكتب تكريم

تجميد نشاط القصاب وإحالته على التقاعد الحزبي

أثناء رئاسة القصاب لإتحاد المهندسين العرب عقد مؤتمر لنصرة فلسطين وسافر المهندس عدنان القصاب بصفته رئيساً لاتحاد المهندسين العرب ونقيباً للمهندسين العراقيين ، همام الراوي ، لكن الوفد العراقي لم يتمكن من حضور جلسة الإفتتاح لتأخر وصوله الى تونس ، حيث ألقى ممثل فلسطين كلمة في جلسة الإفتتاح تكلم فيها عن العراق بسوء لأسباب لا نريد الخوض في تفاصيلها ولم يقوم القصاب بالرد عليها لأنه لم يسمع الكلمة أصلا لوصوله متأخرا عن جلسة الإفتتاح بالإضافة الى إنه كان لا يريد تعقيد الأمور والخوض في سجالات لا طائل منها.....

وبعد عودته الى العراق أدرج تلك الأسباب في تقريره الموجه الى المكتب المهني للحزب ، وعلى إثرها شكل المكتب المهني لجنة للإستفسار والتحقيق حول عدم رد القصاب على كلمة ممثل فلسطين في المؤتمر ، ولم يقتنع المكتب المهني بالأسباب المدرجة في التقرير الذي قدمه القصاب ، وبناء على ذلك تم إصدار قرار يقضي بتجميد عمل القصاب الحزبي وإحالته الى شعبة المناضلين للحزب ، لكنه بقي نقيبا للمهندسين العراقيين لحين إنتهاء الدورة الثانية .

وأثناء التحضير لانتخابات الدورة الثالثة لنقابة المهندسين العراقيين استفسر القصاب من أمين سر شعبة المناضلين للحزب عزيز النومان عن إمكانية ترشحه لدورة ثالثة لرئاسة النقابة وهل يوجد مانع من قبل الحزب حول الترشيح كون القصاب مجمد حزبياً ومحال على شعبة المناضلين ، فقام عزيز نومان بالإتصال بأمين سر المكتب المهني للحزب مزبان خضر هادي ولم يجده في مكتبه ، فقال للقصاب لا يوجد مانع حول ترشحه للدورة الثالثة قدر تعلق الأمر به شخصياً .

قرار فصل المهندس عدنان القصاب من الحزب

وبعد أن قال له أمين سر شعبة المناضلين للحزب عزيز صالح النومان بأنه لا يوجد مانع من إمكانية ترشحه لدورة ثالثة لرئاسة النقابة حسب رأيه ، رشح القصاب نفسه لدورة ثالثة على رئاسة نقابة المهندسين العراقيين ، وبناء على ذلك استدعي القصاب من قبل عضو المكتب المهني ومسؤول نقابة المهندسين (عارف كطا سهيل) وطلب منه عدم الترشيح لفترة ثالثة أمام الدكتور حارث الخشالي مدير مكتب عزت الدوري آنذاك ، وقد فاز الدكتور حارث الخشالي بعد انسحاب المهندس عدنان القصاب قصرا من المنافسة ، وقد شكلت لجنة تحقيقية من قبل المكتب المهني للحزب لشرح أسباب ترشيحه لدورة ثالثة ، وكانت اللجنة مكونة من عيسى السلمان وعزيز الدوري ،

وأثناء التحقيق تمادى رئيس اللجنة عيسى السلمان على تاريخ ونضال القصاب مما حدا بالقصاب بأن يرد عليه بعنف ، وقال له أنا مناضل في صفوف الحزب قبل أن تلدك أمك فلا داعي أن تفهمني نظام الحزب ، الأمر الذي جعل عيسى السلمان أن يأخذ موقفا شخصيا متشددا من القصاب أثناء رفع التقرير الى لجنة المكتب المهني للحزب ، وبناء على ذلك صدر قرار من الحزب بفصل المهندس عدنان القصاب من الحزب وكان ذلك بتاريخ 1989 م .

وبذلك القرار المتشنج الذي يفتقر الى بعد النظر أسدل الستار على تاريخ رجل ومسيرة نضال إمتدت من نهاية أربعينيات القرن العشرين وحتى نهاية الثمانينيات منه ......

القصاب أمينا عاما لإتحاد المقاولين العراقيين

في سنة 1989م وبعد إنقطاع علاقة القصاب بنقابة المهندسين العراقيين ، ولخبرته وسمعته الجيدة تم ترشيحه من قبل المهندس محمد المخزومي عضو مجلس إدارة اتحاد المقاولين العراقيين رشحه كأمين عام للاتحاد وبالتعيين وليس بالانتخاب ، استمر بهذا العمل وحضر مؤتمرات نوعية محلية وعربية أدت الى تطوير العمل الاتحاد ، وقد كان رئيس الاتحاد آنذاك المهندس حسيب صالح لعدة سنوات الى أن أضطر الى ترك المنصب بسبب ظروفه الصحية ، وبعد ذلك فاز بمنصب رئيس اتحاد المقاولين العراقيين المهندس اسعد محمد حسن الخضيري ولا يزال هو رئيس الاتحاد .

وقـد اسـتمر المهنـدس عـدنان القصـاب في العمـل بالاتحـاد وفي عـام 1991م وللظـروف الاستثنائية التـي افرزهـا الحصـار عـلى العـراق وأثـرت عـلى كـل شرائـح المجتمـع ودوائـر العمـل ، أضطر القصاب ان يقدم اجازة بدون راتب ، لغرض العمل في القطاع الخاص ، وبالفعـل عمـل في مجال الصيرفة مع عدد من الزملاء والأصدقاء في منطقة طريبيل الحدودية مع الأردن وبترشيح من مدير مجمع طريبيل صباح الحـوراني ، علـما بـأن هـذا المجـال مـن العمـل هـو ضـمن عمـل القطـاع الخاص لكنه لا يجوز ممارسته إلا بموافقة الجهات الحكومية .

استمر القصاب بهذا العمل الى حين أن علم صدام حسين رئيس الجمهورية من طـارق عزيـز بأن المهندس عدنان القصاب صاحب التاريخ النضالي الطويل والمهنيـة العاليـة يعمـل بهـذا المجـال وفي هذا المكان ، فطلب صدام حسين من مدير مجمع طريبيل ان يبلغ القصـاب بـترك العمـل ، لأن صدام حسين يرى ان ذلك العمل لا يليق بتاريخ ونضال القصاب ، فـأمر بـأن يكرمـه بسـيارة نـوع سدرك صالون يابانية الصنع موديل 2002 ، وعندما ترك القصاب العمل بلغ بأن يحضر لإسـتلام السـيارة عـلى أسـاس إنهـا هديـة مـن الـرئيس صـدام للقصـاب تكـريما لـدوره في الحيـاة السياسـية والعملية ،

وبعد تركه العمل في مجمع طريبيل الحدودي قطع إجازته التي أخذها بـدون راتـب وعـاد الى عمله الاعتيادي كأمين عام اتحاد المقاولين العراقيين ، وقد استمر القصـاب بهـذا العمـل الى تـاريخ 25 / 9 / 2011 م حيث قدم استقالته بسبب ظروفه الصحية .

القصاب كما عرفته

بقلم المهندس حاتم سرسم

تعرفت على الأستاذ المهندس عدنان القصاب في عام 1993 عندما شغل منصب أمين عام إتحاد المقاولين العراقيين ، حيث كنت اعمل هناك منذ العام 1987 ، وكنت قد سمعت عن إنجازاته في مجال الهندسة والإدارة من خلال الأصدقاء والزملاء المهندسين الذين عملوا معه في مختلف الظروف والأماكن من بداية السبعينيات من القرن الماضي ، في العام 1987 رأيته لأول مرة عندما كان نقيبا للمهندسين العراقيين ، حيث قام بتوقيع هوية نقابة المهندسين العائدة لي . وعند مباشرته في الأمانة العامة لإتحاد المقاولين كانت أولى ملاحظاتي عنه إنه يحاول كسر الحاجز الإداري مع الذين يعملون معه ويشعرهم بتواضعه ويشاركهم في حل مشاكلهم الخاصة والوظيفية ، وإذا تطلب الأمر يسعى الى الآخرين لحلها ، القصاب حريص كل الحرص على أن يأتي قبل الأوقات المتفق عليها مسبقا ، يؤدي جميع الإلتزامات والواجبات الاجتماعية (الحزينة منها والسعيدة) ، شديد التواضع مع الآخرين ، يحب البساطة في حياته اليومية ولم يعود نفسه على البذخ (حيث كان بإمكانه ذلك) ، يفضل التردد على الأماكن الشعبية من مقاهي ومطاعم بدل الأماكن المترفة ، يحب السفر كثيرا مع المقربين إليه من الأصدقاء والزملاء ويفضل ذلك بالطريقة البسيطة التي تكون في معظم الأحيان شاقة وتتخللها مصاعب وتتطلب روح المغامرة . وعند مباشرته في الأمانة العامة لإتحاد المقاولين كانت أولى ملاحظاتي عنه إنه يحاول كسر الحاجز الإداري مع الذين يعملون معه ويشعرهم بتواضعه ويشاركهم في حل مشاكلهم الخاصة والوظيفية ، وإذا تطلب الأمر يسعى الى الآخرين لحلها ، القصاب حريص كل الحرص على أن يأتي قبل الأوقات المتفق عليها مسبقا ، يؤدي جميع الإلتزامات والواجبات الاجتماعية (الحزينة منها والسعيدة) ، شديد التواضع مع الآخرين ،

يحب البساطة في حياته اليومية ولم يعود نفسه على البذخ (حيث كان بإمكانه ذلك) ، يفضل التردد على الأماكن الشعبية من مقاهي ومطاعم بدل الأماكن المترفة ، يحب السفر كثيرا مع المقربين إليه من الأصدقاء والزملاء ويفضل ذلك بالطريقة البسيطة التي تكون في معظم الأحيان شاقة وتتخللها مصاعب وتتطلب روح المغامرة . كان لدى القصاب مشاركات متميزة في معظم الندوات والمؤتمرات والإجتماعات المتعلقة بمهنة الهندسة والمقاولات داخل العراق وخارجه ، وخلاصة القول إنه شخصية محببة من نوع خاص فيها الكثير من التميز ، نتمنى له كل التوفيق .

عدنان القصاب كما عرفته

بقلم سهيله داود سلمان

عدنان القصاب قبل أن ألتقيه عرفته فأنطبعت شخصيته في الذاكرة على مر السنين لم تتزحزح ، نحيفا شامخا صلبا مناضلا عنيدا صامدا لا يعرف المجاملة ولا المهادنة ولا ينكسر كعود الخيـزران ..... هذا هو عدنان القصاب كما عرفته قبل أن أعرفه أخا لزوجي وعماً لبناتي وصديقا .....





شخصية معروفة في الوسط الهندسي وكنا نسمع باسمه وتقلده لمراكز هندسية ومهنية مهمة كالشركة العامة للمقاولات الإنشائية و نقابة المهندسين العراقية وكنا نسمع عنه أنه أداري حازم وحاسم في قراراته ، ويميل لتطوير قدرات المهندسين و الكوادر الفنية العراقية بحيث كان يؤمن بقدرات و مهارات الكوادر العاملة معه وبكافة الاختصاصات بحيث يجعل من الكادر العراقي نموذج يحتذى به وكان يتباهى بقدراتهم حيث يمنحهم الثقة الكاملة لانجاز مهماتهم وقد أنجز من خلال ذلك الكثير من المشاريع العملاقة .

لقائي معه وتعرفي عليه من قرب تم من خلال انتخابي عضو مجلس أدارة إتحاد المقاولين العراقيين حيث تم تعيينه في نفس العام (1993) أميناً عاما للإتحاد ومن خلال الاجتماعات الدورية لمجلس الإدارة في الإتحاد وكذلك بالاجتماعات الخاصة بإتحاد المقاولين العرب ، فكان لي الحظ أن أكون قريباً منه في جميع اللقاءات داخل و خارج القطر ووجدته سهل المعشر و بسيطاً في تعامله مع الآخرين صغيراً أو كبيراً وكان رأيه ينبع من رأي المجموع فيه الكثير من البساطة و لا يميل الى الترف ، وعلى سبيل المثال فكان يختار الطريق البري للسفر الى الدول العربية المجاورة و مصر لحضور الاجتماعات الخاصة بإتحاد المقاولين العرب و التي يتخللها الكثير من الخشونة و المصاعب و هذا كان يدفعنا الى التقرب إليه أكثر.

ومما تقدم اذكر حادثتين حدثت لي شخصيا معه تجسد فكرة الفريق الواحد في العمل الأولى عندما تم دعوتنا لحضور الاجتماع الدوري لمؤتمر إتحاد المقاولين العرب المقام في بيروت المنعقد تحت أشراف إتحاد المقاولين اللبنانيين فقد تم إرسال أسماء الوفد العراقي المشارك في المؤتمر الى اللجنة التحضيرية لأعمال المؤتمر وكنت من ضمنهم وحصلت الموافقة المبدئية لحضور المؤتمر وذهبنا عن طريق البر ولاختصار الوقت وقبل الحصول على الموافقة الأمنية وعند وصولنا حلب وصلت برقية تفيد بالموافقة على جميع أعضاء الوفد إلا المهندس عدنان الموسوي ، عند ذلك قرر القصاب ، وهو رئيس الوفد العراقي التأكيد على جميع أعضاء الوفد ، فأتت الإجابة بالرفض مجدداً ونحن باقون في حلب ، عندها قرر القصاب عدم الذهاب لحضور أعمال المؤتمر ، وفي حينها ولتأزم الوضع طلبت منه شخصياً التوجه بباقي أعضاء الوفد وحضور المؤتمر وأبقى أنا في حلب انتظرهم لحين عودتهم فقال لي و لا أنسى ذلك أننا جميعا وفد واحد ونحن نمثل إتحاد المقاولين العراقيين ونحن نمثل العراق فأما جميع الأعضاء دون استثناء أي عضو وأما عدم الحضور للمؤتمر والحادثة الأخرى في أعمال مؤتمر إتحاد المقاولين العرب المقام في مصر فقد تم منحنا سمة دخول لمدة سبعة أيام للإقامة في مصر تنتهي بنهاية أعمال المؤتمر ، حيث قام بإرسال رسالة مستعجلة إلى إتحاد المقاولين المصريين بين فيها أن المدة الممنوحة للوفد العراقي المشارك لا تكفي وعلى وجه السرعة إتصل إتحاد المقاولين المصريين بالجهات العليا وكذلك وزير الإسكان المصري وتم تمديد مدة الإقامة لحين إنتهاء أعمال المؤتمر وللفترة التحضيرية للعودة الى العراق.

ومن هذه الأحداث التي حصلت معي شخصياً يمكن أن نبين بأنه يعمل من روح الفريق الواحد الذي لا فرق بين كبير أو صغير في الاختصاص أو العمر فالكل واحد لا فرق بين أحد منهم وهذه نبذة بسيطة عن شخصيته وعمله الجماعي.

وحتى في الداخل كان يجمعنا كل جمعة في مقهى بسيط و تراثي (مقهى حسين الحمد في الزوية بالكرادة) مع بعض الأصدقاء الآخرين وكنا ننتظر بشوق يوم الجمعة لهذا اللقاء اللطيف على بساطته.

ختاماً أسأل الله العلي القدير أن يحفظك ويبقيك لنا أخا كريما جليلا، كان ولا يزال مثلا رفيعا في الأمانة والشرف والشجاعة والصدق والإيثار والتفاني في حب الوطن وخدمة الناس.

المهندس

عدنان الموسوي

بغداد 16-10-2011

عدنان القصاب كما عرفته

بقلم داود هاشم داود

واحدة من مشاعر الإنتماء للعراق وشعبه أن تجد صلتك بأحد رجاله المخلصين أو ماجداته المخلصات ، الذين أوفوا العهد والجميل وكانوا أبناءاً بررة لهذا الوطن العريق .

وحينما تريد أن تتحدث عن شخصية الأستاذ المهندس عدنان القصاب بدلالاتها الاجتماعية والمهنية والسياسية فانك لا يمكن أن تتحدث عن كل ما تعرفه من حوادث ووقائع مر بها وجرت عليه ، فليس كل ما يعرف يقال .

فربما قد لا أحرج الأستاذ الجليل عدنان القصاب بقدر ما هو إحراج للموقف الحالي الذي أصابه التعقيد والتشتت أو إحراجا لبعض الذين تناسوا الجميل معه وتنكروا ، أو ربما تقصدوا سابقا بإلحاق الضرر به لذا أجد الترفع عن المخطئين والمتملقين والمنافقين والانتهازيين الذين تغيرت مواقفهم مع تغير قدر الزمن .

وان يدخل التسامح والعفو كصفة في كتابة شيء بحق رجل عاصر الحراك السياسي والعربي وعمل بالمسؤوليات الوطنية منذ بداية الخمسينيات من القرن العشرين ، واقترنت شخصيته بالحياة الاجتماعية العراقية بكل لياقة ورصانة وود واحترام ، وأنكب على العمل المهني لإسناد الدولة العراقية بنزاهة وصدق وأمانة ولو تم مقارنة عمله المهني هو ومن أمثاله الآن مع من هم في زمن الاحتلال لخر أمامهم الآن كل المفسدين واللصوص في العملية السياسية إذلالا وعاراً .

لذا وددت أن أتحدث وأقول عن ما يمكن قوله الآن :

فلقد جمعتني معه المسؤولية الوطنية وتداخلت معها أحاديث العلاقة الاجتماعية والشخصية الواسعة وعرفته كما وجدته مجتهدا في أن يجعل للمبادئ وللقيم حيزا ومجالا كبيرا في الممارسة والتطبيق وفي فترات ضعفت فيها هذه المعادلة الأخلاقية ، وكانت صفته في الحسم والحزم لمواجهة الخطأ سببا لان يتعرض لضغوطات ومضايقات قاسية في الحياة السياسية تحديدا ، حتى أن بعض صناع القرار كانوا يخشوه لهذه الصفة ، فأعدوا ما أعدوا له من أجل أن يضعف ويتلاشى في عزلته الوطنية والسياسية وشعروا بالخيبة حينما وجدوه شامخا عملاقا بارزا في بنية المجتمع العراقي والتاريخ السياسي للعراق وكان من السعة والمكانة ما يفتقدها الكثيرون .

فكنا نجده ومن كان حوله يغرف ويحصد من رصيده الاجتماعي والسياسي كل الاحترام والتقدير من أصدقائه ورفاقه وأحبائه وأقاربه بل بعضا من خصومه السياسيين ، حيث كانت الخصومة السياسية هي الوحيدة التي كانت تضايقه ولكنها تلاشت أمام حكم الله وحكم الزمن وأمام صبره وصدقه كرجل سياسة ومهنة ومجتمع .

كنا مجموع من الأصدقاء ، السيد عدنان سليم العكيلي ، المهندس عدنان الموسوي ، المهندس حاتم سرسم ، والزميلة عادلة العاني ، والدكتور سعد الجوهر ، والمهندس عبد العزيز العلاف ، والمهندس علي غالب ، والمهندس زيدان الجنابي ، وبترتيب منه وكما كنا نسميه (العمدة) نقوم بين فترة وأخرى بسفرات ممتعة في أرجاء الوطن وخارجه ، فزرنا مدينة مندلي وضواحيها والتقينا العديد من رجالها وشيوخها ومنهم السيد نصرت عبد الستار أفندي البياتي ، ومدينة المدائن وشواطئها ومدن الموصل ومرقد دير مار متي ومدينة عقره وسنجار وقلعة تلعفر ومدن الأنبار عنة القديمة والجديدة وراوه الحديثة وحصيبة والقائم والبغدادي حيث مكثنا بضيافة السيد علوش المحلاوي وأولاده وأقاربه الطيبين ومدن الحلة والديوانية وكركوك .

ومن المآثر الجميلة خلال فترة الحصار سافرت هذه المجموعة الطيبة من الأصدقاء من بغداد الى القاهرة برا عن طريق عمان العقبة البحر الأحمر وعبر جزيرة سيناء وصولا الى القاهرة والعودة الى بغداد بنفس الطريق التي تخللها الكثير من الطرائف والمسرات والمتعة والحوادث النادرة والغريبة خصوصا حينما تفاجئنا ليلا ونحن في صحراء سيناء بإحساس إحدى النساء المسافرات معنا في الباص بمخاض الولادة .

أو إحراجات التعامل مع بعض الأخوة السواق عند الحدود السورية اللبنانية ونحن نغادر من أجل حضور إحدى المؤتمرات المهنية في بيروت ، فنحن نكلمهم باللهجة البغدادية وهم يكلموننا باللهجة اللبنانية وتصادف أن تبرز بعض المفردات التي يفهمها الآخر بأنها مفردة سيئة خطأ ، وكثيرا من اللطائف التي تنم عن عمق المحبة والألفة الأخوية والروحية رغم وجود بعض الانفعالات وحالات الغضب السريعة .

ولحد كتابة هذه الكلمات لم أجد بالأخ والصديق والعزيز والرفيق المهندس عدنان القصاب سوى ذلك الرجل القوى الصلب العنيد من أجل الحق المحب للوطن والشعب والمتواضع والشجاع والطيب ، وأن أجده يواجه الأقدار بكل إيمان وتقوى وثقة بالله العلي العظيم .

شخصيات مؤثرة في حياة الآخرين

بقلم المحامي محمد ابراهيم

تعاملت مع بعض الشخصيات من دول عربية بحكم عملي كمحام ، وقد تعرفت على المهندس عدنان القصاب في شهر آب أغسطس من العام 2006 ، عقب وصوله وأسرته الى مصر بأيام قليلة للإقامة في مصر بعد التدهور الأمني في العراق بعد الاحتلال ، ومنذ أول وهلة لرؤيته أحسست أنني أمام شخصية لم يسبق لي مقابلتها من قبل ، وعند زيارتي لعائلته وجدت منزلا متواضعا تقطن فيه أسرة كريمة ودوده ، ووجدت القصاب في قمة التواضع والاحترام ، منسق في كلامه ، مهذب ، فشعرت بالمودة والاحترام ، قلما يشاهده الإنسان في حياته .

انتهت الأعمال التي كلفني بها المهندس عدنان ، لكن علاقتي به لم تنته معه لمجرد انتهاء العمل ، واستمرت علاقتي به وأسرته ، حيث شعرت بأني أحد أفراد هذه الأسرة الكريمة ، فالمهندس عدنان هو بمثابة أب يحلم به أي انسان ، فهو عطوف يحب أبناءه ، هادئ الطباع ومنظم .

أما زوجته أم رزان فهي إمرأة حنونة أحسست معها بكل المعاني الجميلة للأم التي تخاف على إبنها وتنصحه للخير وترشده للنجاح ، فهي زوجة عظيمة وأم مثالية

لقد شعرت بسعادة غامرة وأنا أكتب هذه السطور ، حيث كتبت ما رأته عيني وما شعرت به تجاه رجل أفنى حياته وصحته من أجل بلده .

سكنر كتاب دعوة جامعة الانبار

صورة رقم (100)

القصاب مع اعضاء وموظفوا اتحاد المقاولين العراقيين

صورة رقم (101)

القصاب مع داود هاشم خلال مؤتمر اتحاد المقاولين العرب في القاهرة .

صورة رقم (102)

القصاب مع علي غالب وداوود هاشم وزين السادات ومحمد جواد في مؤتمر اتحاد المقاولين العرب في القاهرة

صورة رقم (103)

القصاب خلال حضوره انتخابات فرع واسط لإتحاد المقاولين العرب

صورة رقم (104)

القصاب مع الامين العام لإتحاد المقاولين العراقيين حسيب صالح